الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 02 معهد الآثار



النافورات وأحواضها بالمغرب الأوسط

" من القرن 5 هـ/ 11م إلى نهاية القرن 8هـ/ 14م "

"دراسة أثرية فنية"

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه علوم في الآثار الإسلامية

انجاز الطالبة :
يمينة تسكورث

إشراف :
د.أ : حنفي عائشة

أعضاء اللجنة المناقشة		
أ.د نشار خديجة	أستاذة التعليم العالي بجامعة الجزائر 02	رئيسة
أ.د حنفي عائشة	أستاذة التعليم العالي بجامعة الجزائر 02	مقررة
أ.د بن نعمان اسماعيل	أستاذ التعليم العالي بجامعة الجزائر 02	عضوا
أ.د دحدوح عبد القادر	أستاذ التعليم العالي بجامعة تيسمسيلت	عضوا
د . بن بلة علي	أستاذ محاضر بجامعة الجزائر 02	عضوا
د. تمليكشت هجيرة	أستاذة محاضرة بجامعة الجزائر 02	عضوا

2018 ـ 2019 م/ 1439 ـ 1440 هـ

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 02 معهد الآثار



النافورات وأحواضها بالمغرب الأوسط

" من القرن 5 هـ/ 11م إلى نهاية القرن 8هـ/ 14م "

° دراسة أثرية فنية °

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه علوم في الآثار الإسلامية

إشراف الأستاذة الدكتورة

عائشة حنفي

إنجاز الطالبة

يمينة تسكورت

2018 ـ 2019 م/ 1439 ـ 1440 هـ

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 02 معهد الآثار



النافورات وأحواضها بالمغرب الأوسط

" من القرن 5 هـ/ 11م إلى نهاية القرن 8هـ/ 14م "

"دراسة أثرية فنية"

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه علوم في الآثار الإسلامية

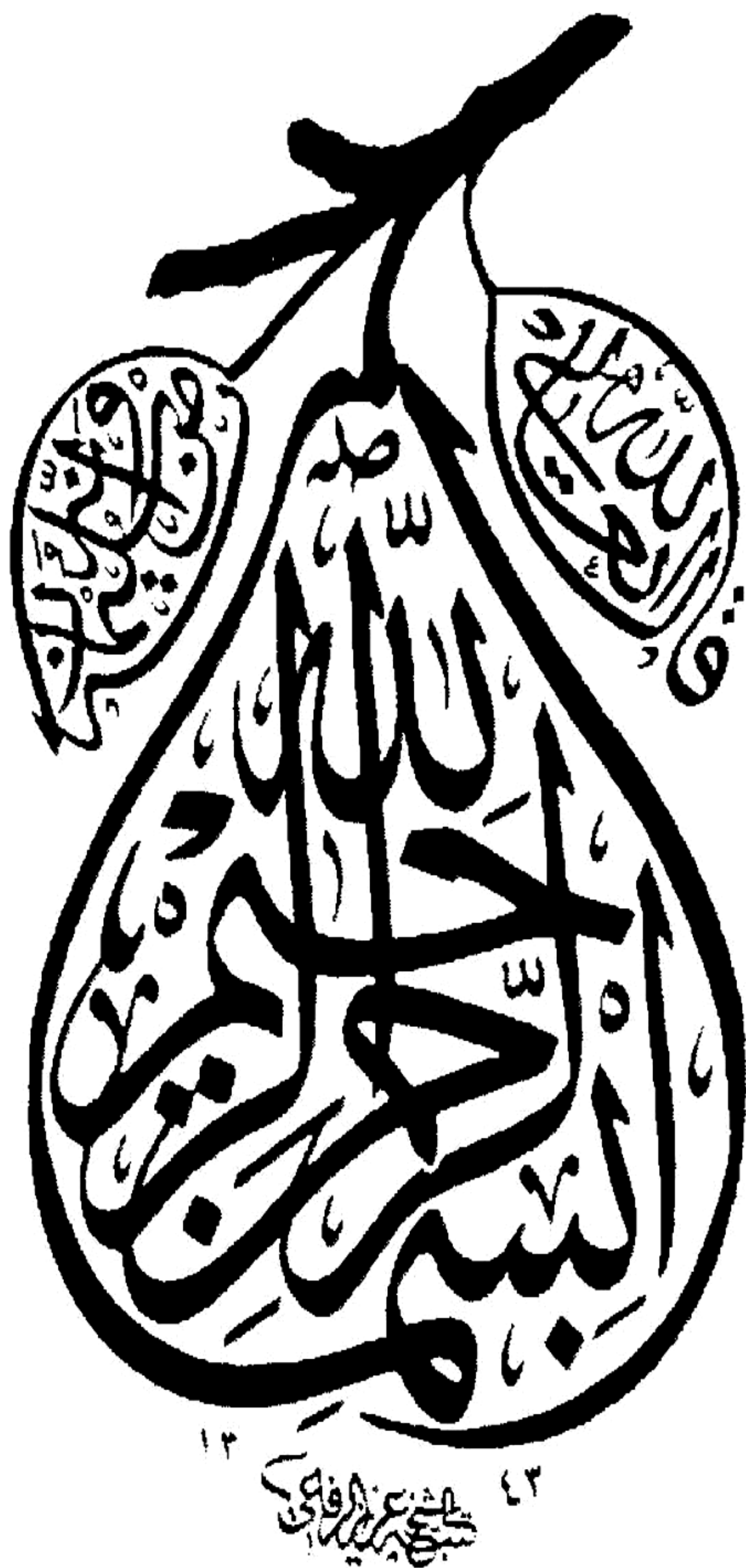
إشراف الأستاذة الدكتورة

عائشة حنفي

إنجاز الطالبة

يمينة تسكورث

2018 ـ 2019 م/ 1439 ـ 1440 هـ


بسم الله الرحمن الرحيم



" وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءَ كُلَ شَيْءٍ حَيٍ أَفَلَا تُؤْمِنُونْ"

(سورة الأنبياء، الآية 30)

" وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَسَلَكْنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَا عَلَى ذَهَابِهِ لَقَادِرُونْ "

(سورة المؤمنون ، الآية 18)

صدق الله العظيم

إهـــــــداء

أهدي ثمرة جهدي وصبري واحتسابي إلى أمي وكل العائلة

خاصة بسمة الأمل رحيق المستقبل ... البراء "بثينة أنفال"

إلى كل من يدرك قيمة العلم ويمد بيده لعون طالبه

إلى كل من صبروا وثابروا رغم كل شيء

إلى كل من وجد نفسه وحيدا لا سند له إلاّ الله وحده عزّ وجلّ

إلى زميلتي القديرة بنصائحها السيدة عاشور شفيقة ، دون أن أنسى صديقتي السيدة

حس حبيبة وزوجها الكريم على مساعدتهما لي

وكذا الصديق والداعم في أوقات البحث الصعبة الأستاذ هواري موسى

والأستاذ سالم محمد على نصحه وارشاده

والأستاذ محمد عطاّر لإرشاداته ومساعداته العلمية

يمينة

شكر وثناء مستحق وتقدير

لا يسعني وقد اكتمل هذا العمل بعون الله الكريم إلا أن أشكر الله العزيز الحميد الذي سخر لي الأسباب وجعلها صعبة في طريقي ليعلمني أن الدنيا لا تؤخذ بالتمني وإنما تؤخذ غلابا ، وأشكر بذلك كل من جعل الصعب في طريقي ليكون دافعا وعزيمة لبناء هذا العمل المتواضع جزء بجزء وانمائه بهذا الشكل .

كما أتقدم بجزيل الشكر والتقدير والعرفان إلى أستاذتي المشرفة حفظها الله وأطال من عمرها وعمر والدتها الأستاذة الدكتورة "عائشة حنفي" التي احتضنت الموضوع منذ أن كان فكرة فأولته بالعناية إلى أن أصبح على ما هو عليه ، كما أنها زودتني بالإرشادات والنصائح والتوضيحات فجزاها الله عني وعن كل طالب علم بجزيل الخير وبنفس الشكر والقدير أتقدم به للدكاترة الكرام أعضاء اللجنة بداية برئيستها ورئيسة معهد الآثار الأستاذة الدكتورة الفاضلة " نشار خديجة " الدعم الدائم لنا حفظها الله وأنعم عليها الصحة والعافية يا رب

دون أن أنسى كل من أسهم في التسهيلات المقدمة لإنجاز هذا البحث من قريب أو من بعيد ..... **جزيل الشكر و التقدير .**

قائمة المصطلحات

المصطلحات الموظفة في الرسالة :

باللغة الفرنسية	باللغة العربية
Terrienne	أرضية
Tuyau	أنبوب
Brique	آجر
Pavage	بلاط
Puit	بئر أو جب
Mer – grand réservoir	بحر
Lac artificiel	بحيرة اصطناعية
Fayence - Carreaux de céramique	بلاطات خزفية
Chapiteaux	تاج
Calciner	جير
Pont aqueduc	جسر حامل للقناة
Fut de colonne	جذع
Partie	جزء
Grés	حجر رملي
Fer	حديد
Arches de pont	حنايا جسر
Basin	حوض
Bassin de décantation	حوض التصفية
Bassin de stockage	حوض التخزين
Réservoir	خزّان
Moellon	دبش
Pilier	دعامة
Plomb	رصاص
Marbre	رخام
Décorations végétal	زخارف نباتية
Décoration Géomitrique	زخارف هندسية
Décoration zoologique	زخارف حيوانية

Chrysanthème – anthémis	زهرة الأقحوان
Vitesse découlement	سرعة سيلان
Patio – Cour	صحن
Citerne	صهريج
Citerne de puisage	صهريج السحب
Source – Fontaine	عين
Ouverture	فوهة
Ouverture de puit	فوهة بئر
Vasque - Fontaine	فسقية ـ نافورة
Hôtel	فندق
Une cave - Voûte	قبو
Palais	قصر
Citadelle	قلعة
Fragment	قطعة
Bases	قاعدة
Salle	قاعة
Canalisation - caniveau	قناة
Un canal vouté	قناة مقبية
Canalisation principale	قناة رئيسية
Canalisation de distribution	قناة توزيع
Canalisation résoudre	قناة صرف
Calcaire	كلس
Regard	مثعب
Mosquée	مسجد
Ecole	مدرسة
Mortier	ملاط
Mortier de chaux	ملاط جيري
Bombé – Voûté - Convexe	مقّبب
Place d'ablution	ميضأة

المقدمـة

يعتبر فن العمارة عنصرا عنصرا من عناصر الحضارة ، لأنه يكشف لنا عن مستوى التفكير الانساني والتطور الذي وصل إليه ، وعليه فقد لعب دورا كبيرا في إظهار روح الحضارة الاسلامية ، مجسدة في المباني باختلاف أنواعها ، وفي جميع المناطق التي استقرت فيها.

فقد شهد المغرب الاسلامي أعمال معمارية وفنية كثيرة ، وكان لانتشار الاسلام نقطة تحول عظمى في تاريخه ، ولم يلبث أن تحول منذ بداية القرن الثاني للهجرة الثامن للميلاد (2هـ/8 م) إلى قطر إسلامي يدين بالإسلام ، مصبغا بالصبغة العربية الإسلامية في جميع نواحي الحياة المعنوية أو المادية ، إذ اعتبر فن العمارة من الفنون التي لها اتجاهات اجتماعية وأسس دينية ، إضافة إلى الأعمال الفنية التي عهد الفنان المسلم إنجازها بغية تزيين منشآته المعمارية ، وزخرفتها بمختلف المواد وشتى الأساليب .

والمبنى المكتمل معماريا هو الذي يحقق الغرض الوظيفي المنشأ من أجله، فإن جمال هذا المبنى يحفظ التوازن النفسي لمرتادي العمارة ويمنحهم متعة وراحة خاصة ، لتظهر عناصر أخرى إلى جانب الزخارف المعمارية الفنية ، تزين المباني المعمارية وهي **النافورات والأحواض المتعلقة بها** كونها جزء من أجزاءها، فقد كان لبلاد المغرب الاسلامي نصيبا وافرا من هذه المنشآت التي تزخر بالثراء المعماري والفني ، فحظيت بنصيب من الابداعات الفنية الرائعة ، وتحكم الفنان المغربي في أساليب عمارتها وأساليب زخرفتها وأحسن ايجادها في المكان المناسب للقيمة الجمالية بالكتلة المعمارية حتى تؤدي وظيفتها على أحسن وجه .

تعددت الدويلات الاسلامية بالمغرب الإسلامي خاصة ، ليتميز كل عصر بخصائصه المعمارية والفنية ، هذا ما اضطرنا إلى تضييق المجال الجغرافي لموضوعنا ، واقتصر على دراسة النافورات والأحواض كعناصر معمارية في المغرب الأوسط لفترة احتضنت أربع دول حاكمة : دولة الحماديين(**408 - 547هـ / 1018 - 1152م)** ، ودولة

المرابطين(**448 ـ 541 هـ/1056 ـ 1147 م**) ، و دولة الزيانيين **(633 ـ 962 هـ/1235 ـ 1554 م)** ، و دولة المرينيين **(688 ـ 869هـ/ 1267ـ 1464 م)** ، واعتبرنا هذه الفترة التاريخية من الفترات المهمة في تاريخ بلاد المغرب الأوسط ، حيث تعتبر شاهدا ماديا ودليلا واضحا على تطور العمارة وفنونها في هذه المناطق من جهة والعالم الاسلامي من جهة أخرى .

1 ـ التعريف بالموضوع :

أولت الحضارات التي عرفتها الانسانية منذ القديم أهمية بالغة للماء ، لأنه لا يمكن لأية مدينة من المدن أن تتطور بانعدام هذا العنصر الذي حاولت شعوب كثيرة التحكم فيه واستغلاله استغلالا جيدا ، ومنها الشعوب الاسلامية .

أنعم الله تبارك وتعالى على بني آدم بنعم لا تعد ولا تحصى ، ومن بينها نعمة إنزال الماء من السماء ، جعل منه كل شيء حي ، وتسخيره لمخلوقاته [1] ، فيعد ذكر الماء في كثير من الآيات القرآنية الكريمة دليلا واضحا على أهمية هذا العنصر وضرورته للإنسان ولسائر الكائنات الحية الأخرى، منها قوله سبحانه وتعالى: " **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ** "[2]، وتشير هذه الآية على أن الماء أول مخلوق خلقه الله قبل السموات والأرض وما بينها ، فقد جعل منه مادة أساسية لكل حياة ، فهو الوسيط الوحيد لكافة الأنشطة الحياتية ، كما أنه يدخل في جميع تكوينات أجسام الكائنات الحية بما فيها الإنسان ، بنسبة أكثر من 70 % من وزنه العام [3] ، وقوله تعالى أيضا : " **وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ**

1- الديليمي (أحمد عامر) : المياه في القرآن مناهج لتفسير الارشادات العلمية في الآيات القرآنية ، دار النفائس ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ، 2002 م ، ص 54 .
2- القرآن الكريم ، سورة هود ، الآية 07 .
3 ـ الديليمي (أحمد عامر) : المرجع السابق ، ص 17 .

فِي الْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ " [1] ، وفي هذه الآية تأكيد على مسألة مهمة وهي أن الماء ينزل بقدر ثابت ، أي ما يسقط من مطر وبرد وثلج يوازي ما يصعد إلى السماء من أبخرة ، وأي خلل في المعادلة يؤدي إلى كارثة طبيعية بالجفاف أو الطوفان[2]، وقوله أيضا : " **وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِين** " [3] ، فالرياح تلقّح السحاب فينزل منه ماء عذب ، جعله الله لسقي الأرض وشرب المواشي ، فليس لنا مقدرة على خزنه ، بل المولى عزّ وجلّ يحفظه لنا على شكل عيون وآبار وأنهار [4] ، و قوله تعالى أيضا: " **أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ**"[5] ، فتشير هذه الآية إلى أن كل الأحياء من الماء [6]، وقوله : " **وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ** " [7] ، وقوله أيضا : " **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ** " [8] ، كما أصبغ عليه نوعا من القدسية عندما ربطه بحياة المسلمين وفرض عليهم النظافة والاغتسال والوضوء ، فهو عنصر الحياة وضرورة تأسيس أي مدينة في الاسلام المشروطة على نجاح اختيار مكانها للعيش في صحة توفر الميرة التي من أساسها بعد الهواء إلزامية توفر الماء .

أما في السنّة النبوية فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : " يا نبي الله إذا رأيتك قرت عيني وطابت نفسي فأخبرنا عن كل شيء ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم :

1- القرآن الكريم ، سورة المؤمنين ، الآية 18 .
2 - الديليمي (أحمد عامر) : المرجع السابق ، ص 21 .
3 - القرآن الكريم : سورة الحجر ، الآية 22 .
4- الصابوني (محمد علي) : صفوة التفاسير ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر 1990 م ، ص 102 .
5- القرآن الكريم : سورة الأنبياء ، الآية 30 .
6. ابن كثير (أبو الفداء اسماعيل) : تفسير القرآن العظيم ، تحقيق : سامي بن محمد سلامة ، الجزء الخامس ، الطبعة الثانية، دار طيبة للنشر ، الرياض 1999 م ، ص 339 .
7- القرآن الكريم : سورة النحل ، الآية 65 .
8- القرآن الكريم : سورة الحج ، الآية 63 .

" كل شيء خلق من الماء " [1] **وقوله أيضا عليه الصلاة والسلام : " الناس شركاء في ثلاث ، في الماء والكلأ والنّار "** [2] ، فالرسول عليه الصلاة والسلام يشير في هذا المقام إلى أهمية هذا العنصر في استمرار الحياة باعتباره حقا شائعا بين بني البشر وحق الانتفاع به مكفول للجميع بلا احتكار ولا تعطيل ، لقوله تعالى في كتابه : " **وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ** " [3].

2 . أهمية الموضوع :

وكان اهتمامنا بالموضوع لعلاقة الماء بعناصر منشأة من طرف الانسان كوسيلة لحسن استغلاله ، ولعلاقتها أيضا بتأدية أغراض تختلف باختلاف وتنوع المنشآت منها الأسبلة لسقاية الناس ، والميضأة للوضوء بالمساجد ، وبالحمامات كوسيلة من وسائل النظافة والتطهير ، والسواقي والأحواض بهدف التقدم الزراعي ، و النافورات وأحواضها للترفيه وتلطيف الجو .

فالنافورة والأحواض تعدّ من العناصر المعمارية ذات الصلة الوثيقة بالماء والتي اعتنى بها المعماري والفنان المسلم بصفة خاصة ، حيث وضعت في أماكن عامة كصحون المساجد ، و أواوين الحمامات وساحات المدن والحدائق والمستشفيات والمنشآت التجارية، وفي أماكن خاصة كأفنية المنازل والقصور وغيرها ، وذلك لتأدية أغراض وظيفية وجمالية .

1 - النيسابوري (حافظ أبو عبد الله الحاكم) : مستدرك الحاكم ، دار ابن حزم - مسند أبو هريرة ، الحديث رقم 7278 ، بيروت 2007 م ، الجزء الرابع ، الطبعة الأولى ، ص 194 .

2 - المصدر نفسه : مسند أحمد ، الحديث رقم 2463 ، ص 205 .

3. القرآن الكريم ، سورة القمر ، الآية 28 .

3 . أسباب اختيار الموضوع :

لم يحض موضوع النافورات والأحواض بالمغرب الأوسط بدراسة ، إلاّ ما خص النافورة بالعمائر الدينية والمدنية بالجزائر خلال العهد العثماني ، والعيون لنفس الفترة والمنطقة ، فاكتسى هذا الموضوع أهمية بالغة حيث تطرقنا فيه إلى دراسة نوع من أنواع المنشآت المائية بالمغرب الأوسط خلال الفترات الاسلامية الحمادية و المرابطية ، والزيانية والمرينية والتي تم بناؤها في عمائر دينية مختلفة ومدنية لغرض وظيفي أو تزييني تجميلي ، ليكون ذلك النقص في الدراسة سببا في اختيارنا لموضوع رسالتنا ، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل .

4 . إشكالية الموضوع :

جعلنا إلى جانب الاشكالية المحورية والتي أساسها : ماهية النافورة كعنصر معماري في مبنى من المباني الإسلامية عند العامة من الناس وعند أهل الاختصاص بالمغرب الأوسط في الفترة الوسيطة ؟ ومن ثم ومما لا شك فيه أن هناك الكثير من الاسئلة التي يمكن أن تطرح حول هذا الموضوع و أهمها : ما هي الأشكال الأولى للنافورة المائية بالمغرب الأوسط ؟ وماهي المواد التي صنعت منها ؟ وهل هناك فرق بين نافورات العمائر باختلاف أنواعها ، من الناحية الوظيفية والشكلية ؟ وأين كان موضعها في المنشآت المعمارية ؟ وما هي الأحواض المتعلقة ؟

5 . أهداف البحث في الموضوع :

بعد الاستقصاء والاطّلاع على المواضيع المدروسة والغرض من البحث فيها ، ولتفادي التكرار تم لنا اختيار موضوع النافورات والأحواض بعمارة المغرب الأوسط في الفترة الوسيطة للأهداف التالية :

. تبيان مدى اهتمام المسلمين رغم الخلافات السياسية والاختلالات الاقتصادية وغيرها بعنصر الماء وتوظيفه على أجمل وجه في عمائرهم ، وتكريس أحسن الطرق لتخصص طرق لجلبه وتوزيعه وأماكن لحفظه .

. توضيح مدى علاقة حياة المسلم الدنيوية بجمالية الحياة بالآخرة ، بتحويله لبعض الفضاءات كجنة من حيث جماليتها .

. تبيان عامل التأثير والتأثر بالعصور السابقة من خلال ذكر طرق نقل الماء من أماكنها عن طريق أحواض و قنوات لتلك المعالم وكيفية تجميع الماء فيها وصرفه عنها، من حيث التقليد وكذا بعض الاضافات المعمارية ، وهذا كله ما سنبرزه لاحقا في الدراسة الوصفية التحليلية.

. ابراز أهمية عنصر الماء في الممارسات اليومية والدينية لدى المسلم في المغرب الأوسط منذ العصور الأولى .

. اهتمام المسلم بتجسيده للجانب الفني الجمالي إلى جانب الزخارف ، لتوفير حياة هنيئة مريحة خاصة من حيث نمطها ، منفردة من حيث سيماتها المعمارية .

والهدف الكلي من إعداد هاته الدراسة وبالطريقة المتبعة ، هو إعطاء صورة واضحة عن عنصر معماري له أبعاد وأهداف وظيفية وجمالية حسب موقعه من المبنى ، كالميضأة والنافورة وأحواضها بالمباني الدينية ، وبأفنية المباني المدنية من القصور والمدارس والفنادق للزينة وتلطيف الجو ، فهي تهيّئ جو وفضاء خاص لطيف بالمنزل الإسلامي ، وبذلك كله هي جزء لا يتجزأ من التراث المعماري بالمغرب الاسلامي عامة، أي أبعاد عمارة النافورة في حد ذاتها .

6 . دراسات لها علاقة بالموضوع :

هناك مجموعة من المصادر التي اعتمدنا عليها في هذا البحث باللغة العربية وأخرى باللغة الأجنبية ، ومن خلال تصفحنا للبعض منها فإن الكثير منها تطرقت بصفة دقيقة للنافورة بالمنشآت الدينية بالمشرق الإسلامي ، أما بالمغرب الأوسط فقد أدرجت المصادر الأحداث التاريخية لبعض المدن و جغرافيتها ، وكذا المساجد بصفة عامة و بعض الإشارات الطفيفة لعناصرها الزخرفية ، ونذكر منها :

1.6. الكتب التاريخية :

. **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** : لابن عذارى المراكشي، حيث كان حيّ سنة 712 هـ/1112 م ، وبأجزائه الخمسة يعد من أهم المصادر لدراسة تاريخ المغرب والأندلس ، ولا يمكن لأي باحث الاستغناء عنه ، سيما عند تأريخه للدولة المرابطية ، وترجع أهمية الكتاب إلى اعتماده على مصادر بعضها مفقودة ككتاب الأنوار الجلية لابن الصرفي المتوفي سنة 577هـ/1161 م ، أحد علماء غرناطة أيام المرابطين ، كما اعتمد على شيوخ تقات عاصروا بعض الأحداث ، وبذلك فسيفيدنا الكتاب في معظمه .

. **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**: لابن أبي زرع الفاسي المتوفي سنة 726هـ/1324 . 1326م ، طبع بالرباط سنة 1972م ، كان معاصرا لدولة بني مرين ، ذكر أخبار الدولة المرابطية و اتساعها مع ذكر ما قامت به من أعمال و انتظام الملك لها إلى حين ظهور الدولة الموحدية ، ثم تطرق إلى الدولة المرينية التي عاش في كنفها متحدثا عن اهتمامات سلاطين الدولة بالبناء والتعمير كما أعطى أوصافا مهمة على بعض المباني .

. **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية** : لمؤلف أندلسي مجهول الاسم عاش نهاية القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي (8هـ/14م)، أمدنا بمعلومات قيمة حول تاريخ دولتي المرابطين و بني مرين وحركة انتشارهم في افريقية والمغرب الأوسط ، فهو

يعالج تاريخ المغرب والأندلس ، ويعتبر بذلك من أمهات الكتب المفيدة للبحث في التاريخ ، سيما وأن صاحبه استقى معلوماته من مصادر جلها تعتبر في حكم المفقود مثل كتاب ابن الصرفي .

. **<u>المسند الصحيح في مآثر و محاسن مولانا أبي الحسن</u>**: لمحمد بن مرزوق التلمساني (ت : 781 هـ / 1389 م) ، ألفه لإبراز مآثر ومناقب وأعمال السلطان المريني أبي الحسن ، فالكتاب يعدّ من أهم المصادر التي واكبت الدراسة ، فقد تناول الحياة الفكرية والاجتماعية في المغرب في العهد المريني ، وأشاد بالمنشآت الدينية والعلمية والاجتماعية المشيدة في تلك الفترة من مساجد وجوامع ومدارس وربط وزوايا .

. **<u>بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد</u>** : ليحي ابن خلدون توفي (734هـ/1333 – 1379م) ، الكتاب في جزأين ، ويعتبر من المصادر الهامة لتاريخ الدولة الزيانية في عزّها واضمحلالها ، كما وصف البلاد التي شملت مملكتهم وخاصة عاصمتهم تلمسان ، كما تطرق إلى الفترات المختلفة في حياة هذه الدولة منذ تأسيسها مرورا بدور هذه القبيلة في تاريخ المغرب الاسلامي ، والأوضاع التي مكنت بني عبد الواد من الاستقرار بمدينة تلمسان .

فالكتاب يؤرّخ للدولة الزيانية في فترة زمنية عرفت فيها مظاهر الازدهار والتقدّم والنكسات ، فقد مثّل الحياة الفكرية والعلمية والسياسية والاجتماعية والعمرانية ، وأهمية الكتاب الكبرى تكمن في كون صاحبه معاصرا للدولة ، وقد شغل بها منصب كاتب للسلطان ، وشارك في صنع الأحداث التي كان يرويها .

. **<u>كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر</u>**: لابن خلدون (عبد الرحمن المتوفي سنة 808هـ/1405 . 1406 م) من اعتناء و دراسة أحمد الزعبي ، نشر بدار الهدي، عين مليلة ، الجزائر سنة 2009 م ، ويعد من المصادر الرئيسية التي يعوّل عليها في البحث ، حيث يذكر تاريخ المغرب معالجة تفصيلية ، وعليه فهو يعتبر موسوعة تاريخية شاملة ، أما كتابه

المقدمة فقد تميزت بدقتها المتناهية التي لا يظهر فيها سرد لأخبار التاريخ ، وسنستفيد منها كثيرا لما ورد فيها من تحليل للجوانب الاقتصادية والاجتماعية في المغرب ، وبذلك مكننا معرفة مدى التطور الاقتصادي والاجتماعي وكذا الثقافي للدويلات التي بعمائرها نماذج من بقايا النافورات والأحواض موضوع دراستنا .

. **نظم الدرّ والعقيان في بيان شرف بني زيّان** : المعروف " بتاريخ بني زيّان ملوك تلمسان "" لصاحبه محمد بن عبد الله التنسي ، وقد كتبه خصيصا للسلطان الزياني محمد المتوكل على الله ، اعترافا بفضله عليه ، والكتاب أصلا يذكر صاحبه فيه لتاريخ بني زيان منذ ظهور دولتهم حتى عهد السلطان المتوكل 866 . 873 هـ/1461 ، 1468 م ، من الجوانب السياسية والاجتماعية والفكرية مع الإشادة بمؤسساتهم الدينية والمدنية ، وقد أشار إلى أسماء المشاهير من العلماء الذين عاصروا النهضة العلمية

. **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان** : لأبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المعروف بابن مريم التلمساني ، وتظهر أهمية الكتاب فيما اشتمل عليه من تراجم للأولياء والعلماء بمدينة تلمسان ، وقد ترجم لكثير من العلماء والفقهاء وما خلفوه من آثار فكرية وعلمية ، وقد تخلل حديثه عن أجيال العلماء ذكر أسماء المؤسسات الدينية والعلمية ، هذا ما ساعدنا في تعريف بعض الشخصيات العلمية التي سميت بها بعض المعالم الأثرية خاصة بتلمسان كسيدي ابراهيم المصمودي وسيدي أبي مدين شعيب وسيدي الحلوي ، فتوضح لنا من خلال ذلك علاقة تلك الشخصيات بتاريخ المنطقة وجود تلك الدويلات بها ، وبذلك علاقة موقع المعلم الأثري الذي به النافورات والأحواض موضوع دراستنا بشخصية العالم الديني أو التاريخي .

. **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدّين ابن الخطيب** : لأحمد بن محمد المقري التلمساني (ت : 1041 هـ . 1631 م) ، وتكشف لنا مقدمة كتابّ النفح " أنه موسوعة أدبية وتاريخية ، أرّخ فيها لبلاد المغرب والأندلس

وحضارتهما في مختلف جوانبهما السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والعمرانية من الفتح الاسلامي حتى السقوط .

وقد أضافت هذه الموسوعة للدراسة معلومات ثمينة حول المنشآت الدينية والعلمية بأهم حواضر المغرب وأهمها وما يخدم دراستنا " تلمسان " ، كما لم ينس ذكر أسماء الفقهاء والعلماء والأدباء الذين درسوا بها ، وعقدوا مجالس العلم وما دار بها من مناظرات ومناقشات وجدل .

2.6 . الكتب الجغرافية :

وتعتبر من أهم المصادر المعتمدة عليها في البحث على اختلافها ، وهذا لما تحويه من **معلومات غزيرة وقيمة في كل الأنشطة بمختلف أنحائها .**

. صورة الأرض : لابن حوقل توفي أواخر القرن الرابع الهجري(4هـ/10م) ، فبالرغم من أن كتابه متقدما عن الدراسة إلا أننا اعتمدنا عليه في ابراز بعض النقاط المهمة من البحث من خلال مواقع البلدان وعواصمها الجغرافية ناهيك عن المعلومات المختلفة عنها.

. المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب للبكري المتوفي سنة 478هـ ، إذ يعد من المصادر الجغرافية الهامة التي استفدنا منها في دراستنا ، سيما وأن البكري عاصر المرحلة الأولى من قيام دولة المرابطين ، فأمدنا بمعلومات قيمة قلما نجدها في مصادر أخرى .

. رحلة ابن بطوطة : المسمّاة ب " تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي المعروف بابن بطوطة ، كان على قيد الحياة سنة 770 هـ/1369 م ، قام برحلة طويلة استمرت حوالي خمساً وعشرين سنة 725. 750 هـ/1325 . 1350 م ، زار خلالها معظم بلدان العالم الاسلامي ، وأعطانا وصفا للحياة الفكرية والاقتصادية فيها ، خاصة ببلاد المغرب عهد المرينيين ، ورغم أن رحلته

كانت وصفا للبلدان والأقاليم التي زارها شرقا وغربا ، إلا أن صاحبها كان حريصا كل الحرص على تدوين كل ما له علاقة بالحياة الفكرية والعلمية التي شهدتها تلك البلدان.

. وصف إفريقيا : للحسن بن محمد الوزان الفاسي (ت : 960 هـ/1553 م) ، من أهم الكتب الجغرافية ، التي وفرت لنا معلومات قيمة عن بلاد المغرب خلال حكم بنو زيان و بنو مرين ، وتزداد أهمية هذا المصدر كون صاحبه عاصر بعض الأحداث ، قبل وقوعه في الأسر ، وقد زار عدّة مدن مغربية والتقى برجال الفكر .

. وصف المغرب و أرض السودان ومصر والأندلس : كتاب للإدرسي الذي توفي سنة 560هـ/1164م ، ويعتبر هذا المصدر من أهم المصادر الجغرافية ، كون الإدريسي كان معاصرا لفترة المرابطين ، فيعد كتابه خير معين لدراسة الجوانب الاقتصادية المختلفة وكذا الاجتماعية والصناعية ، إلى جانب كتاب الحميري " الروض المعطار " و" الاستبصار " لمؤلف مجهول .

3.6 . الكتب الأثرية :

فإلى جانب كل تلك الكتب المتنوعة هناك بعض **المراجع الأثرية** التي اعتمدنا عليها باللغتين : العربية والأجنبية ، ومن أهمها :

. باكار (اندريه) : المغرب والحرف التقليدية الإسلامية في العمارة ، تعريب د: سامي جرجس، دار أتوليبه 74 للنشر، باريس، 1981م، يتطرق المؤلف في كتابه إلى مختلف الحرف التقليدية التي عرفتها بلاد المغرب .

. عويس (عبد الحليم) : دولة بني حماد . صفحة رائعة من التاريخ الجزائري ، الطبعة الثانية ، دار الصحوة للنشر والتوزيع ، القاهرة 1411هـ / 1991 م .

. لعرج (عبد العزيز) : جمالية الفن الاسلامي في المنشآت المرينية بتلمسان ، الطبعة الأولى ، دار الملكية 2007 م .

. حيدر (كامل) : العمارة العربية الاسلامية ، نشوء المدارس الاسلامية وخصائصها في العصر العباسي ، الطبعة الأولى ، دار الفكر اللبناني 1990 م.

. **جودي (محمد حسين) : العمارة العربية الاسلامية خصوصيتها ، ابتكاراتها ، جماليتها** ، الطبعة الأولى ، دار الميسرة ، عمان . الأردن 1419 هـ /1998 م .

. عبد الجواد (توفيق أحمد) : العمارة الاسلامية فكر وحضارة ، المكتبة الأنجلو مصرية 1987 م .

-**Bourouiba (R) ,** l'Art religieux Musulman en Algérie, 2éme édition, SNED, Alger, 1983.

- **Marçais (G) et (W)** : Les Monuments arabes de Tlemcen , Paris 1905 .

-**Ville (L) :** Notice sur les gites minéraux et les matériaux de construction de L'Algérie, Paris 1869 .

-**Golvin (L):** Recherche Archéologique à la qua l'A de BENIHAMMAD G.P Maisonneuve et l'arrose Paris .1965 .

إضافة إلى بعض الدراسات الأكاديمية ب " جامعة الجزائر 02 " ، ولها علاقة بعنصر المياه وموارده وسبل استغلال ، مثال :

- **بن عميرة (محمد) : الموارد المائية وطرق استغلالها ببلاد المغرب** ، من الفتح الاسلامي إلى سقوط دولة الموحدين ، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في تاريخ المغرب الاسلامي ، تحت إشراف أ. د: موسى لقبال ، جامعة الجزائر، 2004. 2005م.
- **بن خرباش (عبد النور) : نظام ومنشآت الري في قلعة بني حماد** ، دراسة أثرية ، رسالة ماجستير ، إشراف : د. عزوق عبد الكريم و د. حملاوي علي ، جامعة الجزائر . معهد الآثار . 2008 .2009 م .
- **رحيم (فتيحة) : النافورة بالعمائر الدينية والمدنية بالجزائر خلال العهد العثماني** ، دراسة أثرية فنية . مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الاسلامية . إشراف أ.د : خيرة بن بلة ، جامعة الجزائر 02 ، 2010 . 2011 م .
- **عطار (محمد) : مشروع ترميم المنشآت المائية الأثرية بمدينة تلمسان** ، إشراف : د. سيدي محمد نقادي ، ماجستير في الآثار تخصص صيانة وترميم ، قسم الآثر ، جامعة أبو بكر بلقايد ، 2015 . 2016 م .

- **عناق (جمال) : موارد المياه وتطبيقاتها في منطقتي الزاب ووادي ريغ من خلال كتاب القسمة وأصول الأرضين للفرسطائي** . القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي . دراسة تاريخية أثرية . إشراف أ. د : صالح بن قربة ، جامعة الجزائر 02، 2015 . 2016 م .

7 . منهجية البحث :

عالجنا هذا البحث الذي يطرح اشكالية تاريخية وأثرية ، معمارية وظيفية وفنية من جانبين وهما :

1.7. الجانب التاريخي : تناولنا فيه تاريخ ظهور النافورات والأحواض كممول لها عبر مختلف العصور الإسلامية وصولا إلى الفترات الحمادية المرابطية الزيانية والمرينية ، من خلال ما ذكر في المصادر التاريخية و الجغرافية ، وإعطاء لمحة تاريخية عن أصل هاته الدول مع إبراز الأوضاع التي ظهرت فيها بالمغرب الأوسط من الجوانب السياسية ، الاجتماعية، الاقتصادية ، الفنية والعمرانية مع إعطاء فكرة عن تاريخ عمارة المساجد لأهم مدن المغرب الأوسط خلال هذه الفترة وأهمها قلعة بني حماد وتلمسان .

أ . الجانب الوصفي : دراسة وصفية لمختلف النافورات والأحواض الموجودة بعمائر المغرب الأوسط ، بداية من الفترة الحمادية إلى غاية نهاية المرينيين ، آخذين بعين الاعتبار التسلسل الزمني لإنشاء النافورة والأحواض و ظهورها بالعمائر مع تشخيص وظيفتها ، **وما يجب التنويه به** هو أن أكثر النماذج الخاصة بالأحواض خاصة المزودة للمياه اندثرت وزالت ، فوصفنا ما اندثر من خلال ما عثرنا عليه في دراسات أثرية وبإعادة التصور ، ودرسنا الموجودة منها أو المنقولة إلى المتاحف وقاعاته أو بأماكن أخرى ، ونقصد بها أحواض النافورات أو الميضآت القابلة للنقل .

ب . الجانب التحليلي : خصص للدراسة الفنية التحليلية بعرضنا لمجمل النماذج المدروسة مع إظهار أهم الأساليب و التقنيات المستخدمة في تنفيذ الزخارف ، وكذا الموضوعات الزخرفية و عناصرها المستعملة في تزيين تلك النافورات وأحواضها ، وذلك

بعد تحديد الأصول الفنية و التاريخية للعناصر الزخرفية المستعملة : الهندسية منها والنباتية ، والحيوانية .

2.7 . <u>الجانب الأثري</u> : كما قامت هذه الدراسة على جانبين لا استغناء عنهما في مجال **الدراسة الأثرية :**

أ . **<u>الجانب النظري</u>** : وتم فيه جمع المادة العلمية من الكتب التي في مجملها مصادر ومراجع بمختلف أنواعها خاصة التاريخية والأثرية ذات الصلة الوثيقة بالموضوع، فكما هو الحال من غير الممكن التخلي عن الجانب التاريخي في أي دراسة أثرية .

ب . **<u>الجانب التطبيقي</u>** : وقمنا فيه بزيارة ميدانية للنافورات والأحواض في المباني المختلفة كقصور قلعة بني حماد ومسجدها الجامع ، وكذا نافورات بوظيفة الميضآت بصحون بعض المساجد التي تعود للفترة المرابطية والزيانية والمرينية ، القائمة بمكانها أم المحفوظة بالمتاحف ، وهو بذلك يقوم على المنهج الوصفي التحليلي .

وتطرقنا في دراستنا لنماذج من جوانب عديدة أهمها إعطاء لمحة تاريخية حول المبنى الذي وجدت فيه النافورات وأحواضها ، وموضعها من خلال الوصف ومخطط المبنى وذكر مادة وطريقة صناعتها ، وإعطاء مقاسات كل واحدة منها مع دراسة وصفية لها وذلك بالاستعانة بالصور، إضافة إلى الدراسة التحليلية التي شملت مجموعة النافورات المدروسة والأحواض القائمة ، وتحليل الزخارف التي زينتها من خلال عملية تفريغ زخارفها و تفاصيلها .

8 . <u>خطة البحث</u> :

و بناءا على ذلك قسمنا بحثنا إلى محاور شتى ، محاولين توزيعها في بابين بفصول محددة مراعين في ذلك الأسس المنهجية الصحيحة للبحث العلمي ، وهي كما يلي :

دراسة **تمهيدية** من مقدمة ومدخل عام ، وبابين **بستة فصول مجملا** ، حيث تناولنا في المدخل العام أصل تسمية المغرب والتخوم الجغرافية التي من أهم أسباب حصرها الأحداث التاريخية ، كعنصر ثالث من المدخل ، ثم تعرضنا في **الباب الأول** وبه **الفصل الأول** للتعريف بالنافورة لغة واصطلاحا ، بالإضافة إلى التعريف ببعض المنشآت المائية ذات الصلة الوثيقة بها والتي من أهمها الحوض ، كما تناولنا أصل النافورة ومدلولها عند المسلمين ، مع ذكر الأجزاء المكوّنة لها ، وأماكن تواجدها بالمبنى والهدف من وضعها في ذلك المكان ، كما ذكرنا طرق سير الماء بالنافورة ، والمواد التي صنعت منها نماذج دراستنا من النافورات والميضآت وأحواضها وكيف كان يتم الحصول عليها وقتئذ ، كما تطرقنا إلى تقنيات صناعتها وزخرفتها والمواد المستعملة في الزخرفة .

وتطرقنا في **الفصل الثاني** إلى ابراز الظروف التي كانت سببا في ظهور الدولة الحمادية واستقرارها ، مع إعطاء فكرة عن الشبكة المائية التي تزوّد **قلعة بني حماد** عاصمتهم الأولى التي بها مخلفاتهم المعمارية والنافورة كعنصر معماري بها وأهم الأحواض المزودة لها ، كمثال أولي لباقي الدول من حيث الوسائل المستعملة في جلب وتوزيع المياه وطرق استغلالها، **ولكن أكثر تلك الأحواض اندثرت كليا ولم يبق منها سوى مكانها وسواقيها ، فأعدنا التصور لأشكالها التقريبية لتوضيح الصورة فقط ،** وأظهرنا ولو بالتفاتة بسيطة عن مدى تأثير سياسة الأغالبة بالمغرب الأدنى على سياسة الحماديين بالمغرب الأوسط الخاصة باستغلال الموارد المائية وتوزيعها حسب ما يخدم متطلبات المجتمع ، وكذا تأثرها من حيث حجم الأحواض الموزعة للماء وشكلها الأسطواني والمربع والمستطيل ، وطريقة تدعيمها وتمتينها .

لنخصّص **الفصل الثالث** للدولة المرابطية ومعالمها الأثرية ، حيث تناولنا في الدراسة المعمارية الوصفية نماذج من الموارد المائية الطبيعية والمستحدثة كالصهاريج والخزانات

باعتبارها الممول الأول للنافورات وكذا الميضآت وأحواضهما ، وقمنا بتقسيمها حسب مكان وجودها .

ثم تطرقنا لمدينة تلمسان في الفترات التاريخية وأهم خصائصها الجغرافية ومزوداتها المائية الطبيعية ، كما نوّهنا أيضا عن سياسة الموحدين المائية باستغلال الموارد وتوزيعها ومدى تأثرها بسياسة المرابطين المائية بالمغرب الأوسط وتلمسان كمثال لها .

وأدرجنا في **الباب الثاني بفصله الأول** الدولة الزيانية تاريخها وتخومها الجغرافية ، كما أبرزنا مجموعة من الموارد المائية وسبل استغلالها وكذا الأحواض و النافورات المائية بعمائر هاته الفترة الدينية و المدنية المحفوظة بالمتاحف و التي لازالت بالمساجد، وجاء ترتيبها حسب تاريخ إنشاء المبنى .

لنصل إلى **الفصل الثاني منه** وتعرضنا فيه إلى أهم التوسعات الجغرافية والأحداث التاريخية للفترة المرينية ، و إلى مخلفاتها الأثرية من سواقي وأسبلة وغيرها وعرضنا تقنيات صناعتها ، كما أدرجنا أهم منشآتها المعمارية والتي بها نافورات وميضآت وأحواض ، موضوع دراستنا و الموجودة بالعمارة وكذا المحفوظة بالمتاحف وترجع إليها .

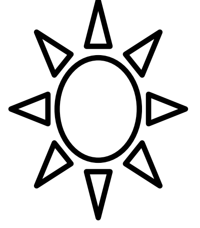
ليظهر لنا الفرق بين تسخير الحماديين لأحواض ضخمة وتبيان طريقة تدعيمها وتنوع أشكالها ، كمورد أول لفساقيهم من خلال جمع المياه وتصفيتها أحيانا وتوزيعها ، وتسخير الصهاريج والخزّانات لدى المرابطين و الزيانيين و المرينيين بتلمسان ، وإخفاء قنوات جلبها خاصة بالمناطق الخارجية عن دروب وعمارة المدينة، وهذا ربما تفسيره خشيتهم من غور مواردهم المائية وكذا تفادي افساد قنوات نقلها ، بسبب انتشار الصراعات السياسية والحصارات والحروب العسكرية في الامتداد الزمني للدويلات الثلاث بالمغرب الأوسط .

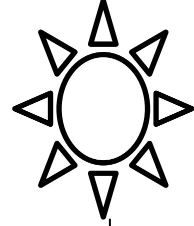
وندرج بكل فصل من فصول دراستنا نموذج من نماذج النافورات أو الميضآة والأحواض إلا و نظهر فيها أيضا أهم الأساليب و التقنيات المستخدمة في الصناعة وتنفيذ الزخارف بعد توضيح ملامحها .

لنعرض في **الفصل الثالث** من الباب الثاني للدراسة ، الجانب الفني التحليلي للمنشآت المائية المدروسة من النافورات و الميضآت أكثر شيء وأحواضها ، والتي تم تسليط الضوء عليها في نقاط عرضنا ، وتحليل العناصر الزخرفية التي زينتها بأنواعها وأشكالها ومدلولها مع وضع مقارنات بسيطة لشبيهاتها ، بإبراز عامل التأثير والتأثر بغيرها من المنشآت لمختلف الفترات الزمنية .

كما وختمنا الدراسة ب **خـلاصـة** ، تحدثنا فيها عن أهم النتائج المتوصل إليها من خلال دراستنا لتلك المجموعة .

و تم لنا ذلك كله كما أسلفنا، بالاعتماد على مجموعة من المثبتات الدينية والتاريخية والجغرافية وأخرى أثرية وفنية من كتب ومخطوطات وغيرها من التراجم والمعاجم والرسائل والمجلات باللغة العربية والأجنبية أكسبتنا حقائق ومعلومات ساعدتنا في البحث والاستقصاء أكثر فأكثر .





مـدخل عـام

التخوم الجغرافية والأحداث التاريخية للمغرب الأوسط

تمهيد

1. أصل تسمية المغرب .
2. التخوم الجغرافية لبلاد المغرب عند الجغرافيين العرب.
3. أهم الأحداث التاريخية التي صنعت المغرب الاسلامي وتقسيماته .

خلاصة



عرفت بلاد المغرب منذ أقدم العصور بأسماء مختلفة ، فكان الاغريق يسمون القسم الشمالي منها والذي كان يسكنه العنصر الأبيض باسم ليبو أو ليبيا [1] ، بينما كانوا يطلقون على الصحراء اسم بلاد الأحباش السود ، أما لفظة إفريقية فقد أطلقها الرومان على الاقليم الذي يقابل اليوم الجزء الشمالي الشرقي من تونس ، ويشتمل على **قرطاجة**[2] وما حولها حتى **نوميديا** [3] غربا ، وكان يعرف باسم ولاية إفريقية القنصلية [4] ، ثم تحدد مدلول إفريقية فأصبح في معظم المصادر العربية يعني الإقليم الذي يتوسط القيروان ، ويمتد من طرابلس حتى بجاية ، ولفظ إفريقية مشتق من كلمة إفري التي أطلقها الفينيقيون على سكان **أوتيكا** [5] وقرطاجة[6] ، ثم عممه اليونان بعد ذلك فأطلقوه على سكان المغرب من حدود مصر الغربية إلى المحيط الأطلسي .

1 . <u>أصل تسمية المغرب</u> :

والمراد بالمغرب كل ما يقابل الشرق ، وقد اختلف الجغرافيون والمؤرخون المسلمون في تحديد مدلوله ، فجعله البعض يشمل بلاد شمال إفريقيا بالإضافة إلى الأندلس وجميع الممالیك الاسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط كصقلية وجنوب إيطاليا وجزيرة سردينيا و كورسيكا والبليار [7] .

---

1 - Gsell (S) : Histoire ancienne de L'Afrique du nord , Pais , Hachette , T IV , P 104 .

2- قرطاجة : مدينة تأسست سنة 814 ق .م على يد المهاجرين الفينيقيين ، **أنظر :** غانم (محمد الصغير) : التوسع الفينيقي في غرب البحر الأبيض المتوسط ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1992 م ، ص 101 .

3- نوميديا : عرفت في كتابات المؤرخين بأسماء عديدة ، ففي المصادر الإغريقية تعني نمط في الحياة ينطبق على الشعب البدو الرحل ، أما المصادر اللاتينية فهي اسم يطلق على سكان شمال افريقيا من ليبيا إلى المغرب الأقصى ، أما في عصر الاحتلال الروماني فقد أصبح اسم نوميديا يطلق على المنطقة التي تعرف حاليا بالشرق الجزائري ، **أنظر :** فرحاتي (فتيحة) : نوميديا من حكم الملك جايا إلى بداية الاحتلال الروماني 213 ق.م - 46 ق.م ، أبيك منشورات 2007 م ، ص 21 ، 22 .

4- زغلول (سعد عبد الحميد) : تاريخ المغرب العربي ، دار المعارف ، القاهرة 1965 م ، ص 67 .

5- أوتيكا : أسسها الفينيقيون سنة 101 ق م ، وتقع في وسط سهول شمال تونس ، **أنظر :** غانم (محمد الصغير) : المرجع السابق ، ص 90 .

6- بوعزيز (يحي) : الموجز في تاريخ الجزائر ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية ، ديوان المطبوعات الجامعية 2007 م ، ص 23

7- المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، الطبعة الثانية ، بغداد ، ص 215 ، و**أنظر :** العبادي (أحمد مختار) : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، الاسكندرية 1968 م ، ص 11 ، و**أنظر :** زغلول (سعد عبد الحميد) : تاريخ المغرب العربي (ليبيا وتونس والجزائر والمغرب) ، من الفتح العربي حتى قيام دولة الأغالبة و الرستميين والأدارسة ، دار المعارف ، القاهرة 1965 م ، ص 11 ، و**أنظر :** سالم (عبد العزيز) : تاريخ المغرب في العصر الاسلامي ، جامعة الاسكندرية 1982م، ص 40 .

وقد اعتبر بعض المؤرخين مصر من بلاد المغرب باعتبارها القاعدة السياسية والعسكرية والثقافية لهذه المنطقة في الفترة الاسلامية الأولى ، أما في العصر العباسي فزاد مدلول كلمة المغرب فانضمت الشام إلى هذا القسم ، ذلك أن العباسيين قسموا دولتهم إلى قسمين ، فالقسم الغربي يضم مصر **بـرقة** [1] إلى إفريقية وناحية **سبتة** [2] **وطنجة** [3] ، وأما القسم الشرقي فهو بلد الروم من حدود الثغور الشامية إلى القسطنطينية[4] ، ولكن على الرغم من كل التقسيمات فإن جمهرة المؤرخين والجغرافيين اتفقوا على تحديد كلمة المغرب بالأراضي الاسلامية الممتدة غربي مصر إلى المحيط الأطلسي ، وعلى هذا الأساس كانت الاسكندرية هي الحد الفاصل بين المشرق والمغرب، ولهذا عرفت باسم باب المغرب ، كما يعتبر البعض منهم مصر ضمن بلاد المغرب [5] .

فيشتمل المغرب على كل من مصر غربا حتى المحيط الأطلسي وتتوسط إفريقية ، وقد اصطلح على تقسيم بلاد المغرب إلى ثلاثة أقسام كبيرة بحسب قربها أو بعدها عن مركز الخلافة الاسلامية في المشرق [6] .

2 . <u>التخوم الجغرافية لبلاد المغرب الاسلامي عند الجغرافيين العرب</u> :

أصبحت بلاد المغرب جزءا لا يتجزأ من دولة الاسلام الواسعة الأرجاء والممتدة من البحر المحيط غربا إلى بلاد ما وراء النهر شرقا ، وهذا منذ أن فتحه العرب المسلمين

1- برقة : مدينة ليست بالكبيرة الفخمة ولا بالصغيرة المزرية ، برية بحرية جبلية ، وهي أول منبر ينزله القادم من مصر إلى القيروان ، **أنظر :** ابن حوقل (أبو القاسم النصيبي) : صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت لبنان 1992 م ص 66 .

2- سبتة : مدينة ساحلية من المدن المغربية ، وهي عبارة عن شبه جزيرة في مضيق جبل طارق ، تحيط بها الجبال من الجنوب ، وهي حاليا تابعة لإسبانيا ، **أنظر :** ابن الخطيب : معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار ، ترجمة : محمد كمال شبان ، الطبعة الأولى ، أقدال المغرب 1977 م ، ص 80 ، 81 .

3- طنجة : هي مدينة مغربية قديمة تقع على المحيط الأطلسي ، كانت مركزا هاما في عصر الفينيقيين ، فتحها عقبة بن نافع الفهري وموسى بن النصير سنة 62 هـ/681 م ، ومن يومها طنجة عربية إسلامية ، وهي مدينة جميلة ، **أنظر :** ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص 72 ، 73 .

4- ابن حوقل (أبو القاسم النصيبي): المصدر السابق ، ص 64 .

5- مؤنس (حسين) : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، مكتبة الأسرة ، طبعة جديدة 1992 ، ص 24 .

6- دبوز (محمد علي) : تاريخ المغرب الكبير ، الجزء الأول ، القاهرة 1963 م ، ص 04 .

خلال القرن 1 هـ/ 7 م ، لكن تظهر الصعوبة لأي باحث عند محاولة تحديد المغرب جغرافيا وأي الأقاليم التي يضمها ، لأن المصادر تعطي لهذا المفهوم الجغرافي والسياسي تعريفات مختلفة .

ومن ذلك نجد الجغرافي ابن حوقل (ت : 367 هـ) قد اختار الحواجز الطبيعية أساسا لتعريفه بلاد المغرب فقد ذهب إلى أن : " **نهر النيل هو الحد بين المغرب والمشرق** "[1] ، ثم حدد لنا تخوم بلاد المغرب فرسمها على الشكل التالي : " **وحده من مصر الاسكندرية على النيل وأرض الصعيد حتى يمضي على ظهر الواحات إلى برية تنتهي إلى أرض النوبة ، آخذا إلى البحر المحيط وممتدا إلى حقيقة الغرب بنواحي أرض غانة و أودغشت ، ويستمر عاطفا إلى الشمال مارا على بلاد بورغواطة وماسة إلى فوهة بحر الروم الذي يأخذ من بحر المحيط بين أرض طنجة وأرض الأندلس وراجعا حده من أرض طنجة على البحر إلى نواحي تنس وإلى تونس والمهدية من أرض افريقية مقبلا على أرض طرابلس وبرقة الاسكندرية** "[2] .

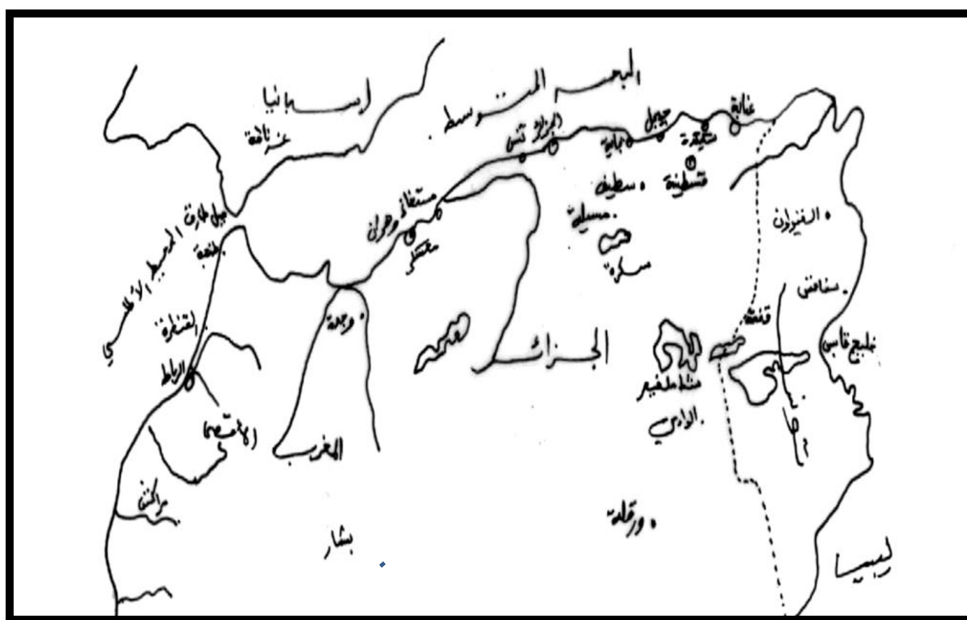
فبلاد المغرب عند ابن حوقل تمتد من غرب مصر عند الاسكندرية شرقا إلى البحر المحيط غربا ومن بحر الروم إلى أرض الصحراء وبلاد السودان جنوبا ، وتدخل هذه الرقعة الجغرافية بلاد الأندلس حسبه أيضا .

وفي النصف الثاني من القرن 5 هـ / 11 م ، يرسم لنا الجغرافي الأندلسي أبو عبيدة البكري (ت : 487هـ) ، حدود المغرب أثناء حديثه عن الصراع الذي كان بين الأمويين والعباسيين حول هذه المنطقة فيقول في معرض هذا الحديث : " **وحد إفريقية طولها من برقة شرقا إلى طنجة الخضراء غربا ، واسم طنجة موريتانية وعرضها من البحر إلى**

1- ابن حوقل (أبو القاسم النصيبي) : المصدر السابق ، ص 64 .
2- المصدر نفسه ص 60 ، 61 .

الرمال التي هي بلاد السودان ، وهي جبال ورمال عظيمة متصلة من الغرب إلى الشرق " [1] .

وتخوم بلاد المغرب في نظر البكري تمتد من برقة شرقا إلى طنجة جنوبا ويتفق المؤرخون مع ما ذهب إليه الجغرافيون بخصوص تحديد تخوم بلاد المغرب فالمراكشي ذهب إلى اعتبار " **أول حد بلاد افريقية والمغرب قريب من خمس وعشرين مرحلة وما بين الاسكندرية وطرابلس الغرب خمس وأربعون مرحلة** " [2] ، وانطلاقا من هذا الامتداد الجغرافي لبلاد المغرب ، إبتداءا من القرن 5 هـ /11 م ميّز الجغرافيون العرب بلا المغرب ، فلاحظوا أنها تتكون من ثلاث أجزاء ، لكل واحدة طابعها الخاص الذي تتميز به ، وهذه الأجزاء هي : **المغرب الأوسط** ، **المغرب الأقصى** و **المغرب الأدنى** [3] (الخريطة 01) .



الخريطة 01 : موقع المغرب الاسلامي . عن سعد زغلول . بتصرف

1- البكري (أبو عبيدة) : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، نشر البارون دوسلان 1965 م ، ص 21 .
2- المراكشي (عبد الواحد) : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق : خليل عمران المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1998 م ، ص 249 .
3- سعد زغلول (عبد الحميد) : تاريخ المغرب العربي ، مطبعة الأطلس ، القاهرة 1978 م ، ص 96 ، و ص 70 .

وهذا الانقسام ظهر عندما انقسم الصنهاجيين على أنفسهم في عهد باديس بن المنصور، واستقل حماد بن بلكين بالمغرب الأوسط وأمن المغرب الأقصى وعدوان بنو زيري الصنهاجيين ، واستطاعت زناتة في ظل الانقسام أن تمكن لنفسها وتفرض سيادتها على المغرب الأقصى بحيث أصبح حقلا وسيادة لها ، ولما مات الأمير باديس بن المنصور سنة 406 هـ استراح حماد من حروبه وتم له ما أراد من تأسيس دولة فتية بالمغرب الأوسط ، وانقسمت بذلك الدولة الزيرية الصنهاجية إلى دولتين إحداهما شرقية في إفريقية وطرابلس وعاصمتها القيروان ثم فيما بعد المهدية ، والأخرى غربية في المغرب الأوسط ، واتخذت لها قاعدة هي قلعة بني حماد [1] .

ولعل أول من أشار إلى هذا التميز الجغرافي البكري في القرن 5 هـ/ 11 م ، خلال وصفه لمدينة تلمسان بقوله : " **وهذه المدينة تلمسان قاعدة المغرب الأوسط ....** " [2] .

و يذكر الإدريسي في القرن 6 هـ/ 12 م أن بجاية : " **هي مدينة المغرب الأوسط وعين بلاد بني حماد ....** " [3] .

تعد الحدود الجغرافية للمغرب الأوسط ضمن خارطة المغرب الاسلامي في العهد الوسيط مسألة معقدة يصعب الفصل فيها لعدم استقرارها على وضع معين ، بفعل ديمومة حركة القبائل لخدمة أغراضها السياسية والعسكرية ، ودعوتها المذهبية ومطامعها الاقتصادية ، رغبة في التوسع والسيطرة والهيمنة .

فابن خلدون الخبير بأحوال المغرب الأوسط وأوضاعه العامة القبلية والسياسية والاقتصادية والدينية ، يرى أن المغرب الأوسط كنية جغرافية تدل على المواطن التي

1- مقلد الغنيمي (عبد الفتاح) : موسوعة المغرب العربي ، المجلد الثاني ، الجزء الثالث ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1994 م، ص 37 ، 38 .
2- البكري (أبو عبيدة) : المصدر السابق ، ص 76 ، 77 .
3- الادريسي (أبو عبد الله) : وصف افريقية الشمالية والصحراوية (من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) : صححه هنري بيرس ، الجزائر 1975 م ، ص 63 .

كانت تستقر فيها قبائل **زناتة** [1] من وادي ملوية غربا إلى وادي شلف و **الزاب**[2] شرقا ، ومن ساحل شرشال ووهران شمالا إلى إقليم تيهرت أو تاهرت جنوبا ، فيعتبر الأقاليم الممتدة من شرق بلاد المغرب الأقصى وغرب بلاد المغرب الأوسط إلى بجاية **صنهاجة**[3] ، أما إقليما بجاية وقسنطينة فمواطن كتامة وهوارة ، وما وراء قسنطينة بداية حدود افريقية وطرابلس [4] ، غير أن هذا التقسيم استند أكثر إلى توزيع قبلي صرف لمرحلة ما قبل القرن 5 هـ / 11 م .

وقد استمر هذا الاعتقاد حتى نهاية حكم الدولتين الحفصية والزيانية ، ويؤكد على هذه التسمية فقيه بجاية وقاضيها في عهد الحفصيين أبو العباس أحمد الغبريني (ت : 704هـ/ 1306 م) بقوله : " **لم يكن في وقته بمغربنا الأوسط مثله** " [5] .

وقد ظل مفهوم بلاد المغرب الأوسط والأدنى والأقصى شائعا لدى المؤرخين والجغرافيين بعد ذلك ولكن ما يهمنا نحن في دراسة هذا الموضوع هو المغرب الأوسط من بداية الحماديين إلى عصر المرينيين ، إذ هي الفترة الزمنية لموضوع دراستنا .

---

1 - زناتة : قبيلة مغربية تتكون من بطون عديدة ومتشعبة ، يذكرها ابن خلدون ب " شعوب زناتة " لكثرتها ولهجتها التي تختلف فيها عن اللهجات الأمازيغية الأخرى ، والدليل على ذلك في قوله أيضا : ... " وشعارهم بين البربر اللغة التي يتكلمون بها ، وهي مشتهرة بنوعها عن سائر لهجات البربر " ، وتتواجد أكثرية بطونها بالمغرب الأوسط حتى سمي باسمهم " وطن زناتة " ، وقد قسمها ابن خلدون إلى فرعين أساسيين : الأول يتكون من جراوة ، بني يفرن ، مغراوة ، بني يلومي ومانو ، أما القسم الثاني فيتكون من بني واسين ، وهي التي عرفت فيما بعد ببني عبد الواد وبني مرين وبني توجين بين القرنين 1 و 7 هـ/ 7 - 13 م ، **أنظر :** الأصطخري (أبو اسحاق ابراهيم) : المسالك والممالك ، تحقيق : محمد جابر عبد العالي وغربال محمد شفيق ، دار القلم ، القاهرة 1961 م ، ص 36 .

2 - الزاب : هي بلاد واسعة تتضمن مدن وأقاليم شتى ، هي باغاية ، تبجس ، ميلة ، سطيف ، لبرهة ، نقاوس ، طبنة ، مقرة ، المسيلة ، أنظر : اليعقوبي (أحمد) : البلدان ، تحقيق : ضناوي محمد أمين ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، بيروت 2002 م ، ص 190 .

3 - صنهاجة : كانت لهذه القبيلة أراضي بنواحي المدية ، وحول الونشريس ، وفي فرع آخر يعرف باسم مليكش ، يستقر بنواحي المتيجة ، وكانت صنهاجة تناوئ بني عبد الواد وتناصبهم العداء ، وكثيرا تخرج ضدهم ، أنظر : المراكشي (ابن عذارى) : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، الجزء الأول ، تحقيق : ج . س كولان و ليفي بروفنسال ، الطبعة الثالثة ، دار الثقافة ، بيروت 1983 م ، ص 330 .

4- ابن خلدون (عبد الرحمن) : المصدر السابق ، الجزء السادس ، ص 203 ، **وأنظر :** بن عميرة (محمد) : دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الاسلامي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984 م ، ص 17 .

5- الغبريني (أبو العباس) : عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تحقيق : بونار رابح ، الطبعة الثانية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1981 م ، ص 88 .

3 . أهم الأحداث التاريخية التي صنعت المغرب الإسلامي وتقسيماته :

كان لإنشاء القيروان من قبل " **عقبة بن نافع الفهري** [1] سنة 50 هـ/670 م ، من أهم الأحداث في تاريخ الفتح الاسلامي لبلاد المغرب ، حيث أخذت معالم ولاية إفريقية تتضح منذ إنشاء هذه المدينة ، كما أصبحت القيروان قاعدة حربية يتوسع منها العرب صوب المغرب لإتمام فتحه ، وقبلة المغرب وكعبة الحضارة ومعقل الاسلام ، فأصبحت الإقامة في القيروان أول ما تتجه إليه أنظار الوالي الجديد ، بعد أن كان أول الأمر يتطلع إلى مصر ويتعجل العودة إليها [2] ، ثم استطاع العرب أن يتموا فتح المغرب ، فأوغل عقبة بن نافع في البلاد حتى أشرف على ساحل المحيط ، وهيأ العرب للمغرب نوعا من الوحدة السياسية بزعامة القيروان ، ولكن ما لبثت طبيعة البلاد أن ظهرت بوضوح وجلاء ، وأخذت تهدد هذه الوحدة ، فظهرت شخصية المغرب الأوسط ظهورا واضحا منذ البداية حين تزعم حركة مقاومة الفاتحين العرب بزعامة **كسيلة بن لمزم** [3]، الذي أوقع بعقبة بن نافع ، ولم ينجح العرب في بسط نفوذهم على المغرب الأوسط إلا بعد أن استطاع **زهير بن قيس البلوي** [4] من القضاء على كسيلة وجموعه في معركة ممس سنة 69هـ / 689 م [5] .

---

1 - عقبة بن نافع الفهري بن عبد القيس الأموي القرشي ، من كبار القادة في صدر الاسلام ، ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، بنى مدينة القيروان و ولاه معاوية بن أبي سفيان إفريقية سنة 50 هـ/670 م ، ثم عزله و ولاه ابنه يزيد على المغرب سنة 62 هـ/681 م ، ففتح مدنا عديدة ، وفي عودته قتله البربر والروم بأرض الزاب سنة 63 هـ/682 م ، **أنظر :** المراكشي (محمد بن عذارى) : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، الجزء الأول ، مطبعة بريل ، لندن 1984 م ، ص 19 .

2- حسن (أحمد محمود) : تاريخ المغرب والأندلس ، الطبعة الأولى ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1999 م ، ص 24 .

3- كسيلة بن لمزم البربري البرنسي وهو أكبر رؤساء البربر وزعيم بربر أوربة والبرانس ولذلك نسب إليهم ، أسلم لما ولي أبو مهاجر دينار إفريقية وحسن إسلامه ، اجتمع إليه أهل إفريقية ، **أنظر :** المراكشي (محمد بن عذارى) ، المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص 28 .

4 - زهير بن قيس البلوي من قبيلة قضاعة أبو شداد ، شهد فتح مصر تحت لواء عمرو بن العاص ثم استخلفه عقبة بن نافع على القيروان ، بعد أن أعاده يزيد ب معاوية إلى ولاية إفريقية سنة 62 هـ ، **أنظر :** ابن خلدون (عبد الرحمان) : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ص 400 .

5- لما زحف كسيلة ومعه الروم إلى القيروان سنة 64 هـ خرج زهير منها وأقام في برقة فاحتلها كسيلة ، ولما تولى عبد الملك بن مروان الخلافة سنة 65 هـ ، أمده بالمقاتلين فتوجه بهم لقتال كسيلة والروم ، فقتل كسيلة وانكسرت شوكة البربر ، **أنظر :** ابن خلدون (عبد الرحمان) : المصدر السابق ، الجزء الرابع ، ص 400 .

وأهم ما يلاحظ عن إقليم المغرب الأوسط ، أنه يمثل ما يطلق عليه الجغرافيون حلقة وصل بين أجزاء المغرب الاسلامي ، وبما وراءها من البلاد ، فهو يربط ولاية إفريقية (تونس) وما وراءها بالمغرب الأقصى وما وراءه ، مما جعل هذه البلاد جسرا ومعبرا زاد في أهميتها ، فقد كان المغرب الأوسط معبرا لكل الشعوب القادمة من جوف الصحراء ، وكان من أثر ذلك كله أن أصبح هذا الاقليم في العصر الوسيط أهم إقليم في بلاد المغرب تأثرا بالهزات العنيفة التي تجتاح إفريقية ، ولم يقدر للحضارة الاسلامية أن يتألق نجمها إلا بعد أن أتى الهلاليون على تراث القيروان ، فظهرت أهمية مدن المغرب الأوسط بصورة واضحة عندما ظهرت ثورات **الخوارج** [1] في بلاد المغرب الاسلامي ، حيث استفادوا كثيرا من فراغ السلطة في المغرب الأوسط لتقوية مراكزهم ، فانبثق عن ذلك تأسيس الدولة الرستمية سنة 144 هـ . 296 هـ / 764 م . 909 م بـ **تيهرت** أو **تاهرت** [2] غرب المغرب الأوسط ، فراحت قبائله تؤيد **عبد الرحمن بن رستم** [3] ، وجاءت دولته لثورات الخوارج الإباضية في بلاد المغرب وهي أول دولة اسلامية تأسست بالمغرب الأوسط سنة 144 هـ / 764 م . ولم يحقق المغرب الأوسط نوعا من السلام يعيش في كنفه ، إلا في عصر الموحدين الذين أقروا السلم في ربوع المغرب الاسلامي،

---

1 - يعود الانتشار الحقيقي للمذهب الخارجي في بلاد المغرب إلى أواخر القرن الأول وبداية القرن الثاني للهجرة ، ممثلا في فريقين فقط وهما : الصفرية والإباضية ، **أنظر :** إسماعيل (محمود) : حركة الخوارج في بلاد لمغرب الاسلامي ، دار العودة ـ بيروت 1976 م ، ص 72 .

2 - تاهرت أسّسها الإمام عبد الرحمن بن رستم الفارسي الخارجي الإباضي سنة 161 هـ ، وهي عاصمة الدولة الرستمية بالمغرب الأوسط ، انضم إليها إباضية المغرب جميعا بعد أن أعلنوا الولاء والتبعية لأئمتها ، ووصفها البكري في القرن 5 هـ / 11 م بقوله : " ومدينة تاهرت مدينة مسوّرة لها أربعة أبواب .... وهي في سفح جبل يقال له " جزول " وإن لها قصبة مطلة على السوق تسمى " المعصومة " وتقع على نهر يسمى " منية " ، **أنظر :** البكري : (أبو عبيد الله) : المصدر السابق ، ص 66 .

3 - عبد الرحمن بن رستم حكم ما بين 160 - 171 هـ / 777 - 788 م ، من أكبر علماء الإباضية ، ولد بالعراق في العقد الأول من القرن الثاني للهجرة ، ويرجع نسبه إلى الأكاسرة ملوك الفرس ، إلا أن بعض المؤرخين يعيدون نسبه إلى اللذارقة ملوك الأندلس قبل الاسلام ، والمهم في كلتا الحالتين أنه سليل بيت الملوك قبل الاسلام ، نشأ في القيروان ورحل إلى البصرة سنة 135 هـ/ 752 م ثم عاد إلى المغرب ، عين واليا وقاضيا على القيروان سنة 140 - 145 هـ / 757 - 762 م ، وقام بنشر المذهب الإباضي ، وأسس وأتباعه مدينة تيهرت أو تاهرت ، فاختير عبد الرحمن بن رستم إماما لأول دولة إسلامية مستقلة بالمغرب الأوسط ، عرفت باسم الدولة الرستمية نسبة إلى والده ، توفي سنة 171 هـ/ 787 م ، **أنظر :** المراكشي (محمد بن عذارى) : المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص 84 ، 88 ، 89 ، و **أنظر :** ابن خلدون (عبد الرحمن) : المصدر السابق ، الجزء السادس ، ص 239 ، 240 .

و تجلت بوضوح تام وأصبحت لها قوة التوجيه في مجريات الحوادث في ظل دولة بني عبد الواد الزيانية التي قامت على أنقاض **دولة الموحدين المنهارة** [1] .

إذ لما قامت الدولة الحمادية قبلا سنة **408 . 547هـ / 1018 . 1152م** ، وسيطر ملوكها على هذه الأقاليم الثلاثة من بونة شرقا إلى سيوسيرات غربا (تقع غرب تنس بمرحلة) وإلى ورجلان جنوبا [2] ، و زاحمهم المرابطون سنة 476 . 539 هـ / 1084 . 1145 م من سيوسيرات شرقا إلى ما وراء تلمسان غرابا ، والصحراء جنوبا ، ولما دخلت القبائل الهلالية مملكة الحماديين في النصف الثاني من القرن 5 هـ / 11 م وانتشرت في القرن 6هـ/ 12 م ، من بونه شرقا إلى ما وراء تلمسان غربا ، إلى الصحراء جنوبا [3] ، مما أدى إلى تلاحم هذه الأقاليم بعناصرها القبلية : بربر وعرب فيما بينهم وزاد في ترابطهما خضوعهم إلى سلطة مركزية واحدة في بجاية وتلمسان أثناء الحكم الموحدي ، الذي فرض منذ أواخر النصف الأول من القرن 6هـ/ 12 م ، نظاما مذهبيا إصلاحيا وسياسيا موحدا جعل من سكانها يشعرون بانتمائهم إلى موطن واحد .

فعرف المغرب الاسلامي بعد الوجود الحمادي و المرابطي ، صراعا سياسيا وعسكريا نتيجة ضعف الدولة الموحدية لا سيما بعد هزيمتها في معركة العقاب سنة (609هـ/1212 م) ، فانقسم إلى ثلاث دول : دولة بني حفص بالمغرب الأدنى وحاضرتها تونس (625 .981 هـ/1228 .1573 م) / ودولة بني زيان أو بني عبد الواد بالمغرب الأوسط وحاضرتها تلمسان (633 . 962هـ/ 1235 . 1554 م) ، ودولة بني مرين بالمغرب الأقصى وحاضرتها فاس (688 .869 هـ/1267 . 1464 م) .

---

1 ـ نشأة الدولة الموحدية سنة 524 هـ/1129 على يد عبد المؤمن بن علي الكومي ، وكانت عاصمتها مدينة مراكش ، وامتد نفوذها إلى المغرب الاسلامي من برقة شرقا إلى البحر المحيط غربا ، ومن أطراف الأندلس شمالا إلى الصحراء جنوبا ، قاومت الاسبان ، وتصدت لزحفهم المتكرر ، وقاومت النزاعات الداخلية إلى أن سقطت نهائيا على يد بني مرين سنة 668 هـ /1268 م ، **أنظر :** البيدق (أبو بكر) : أخبار المهدي بن تومرت ، تحقيق : حاجيات عبد الحميد ، ، الطبعة الثانية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1986 م ، ص 30 . و قامت على أنقاضها دولة بني حفص في افريقية وعاصمتها تونس . ودولة بني زيان بالمغرب الأوسط وعاصمتها تلمسان ، ودولة بني مرين في المغرب الأقصى وعاصمتها فاس ، **أنظر :** سالم (عبد العزيز) : تاريخ المغرب الاسلامي ، الجزء الثاني ، دار النهضة العربية ، بيروت 1981 م ، ص 867 .

2- ابن خلدون (عبد الرحمن) : المصدر السابق ، الجزء السادس ، ص 349 .

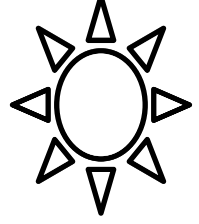
3- بن عميرة (محمد) : المرجع السابق ، ص 43 ، 48 .

وخلاصة القول أن التمييز عن المغرب الأقصى والأدنى دليل على أن مصطلح المغرب الأوسط كان يعني به العمق الممتد من بجاية شرقا إلى ما وراء تلمسان غربا إلى الصحراء جنوبا ، وهذا الامتداد الجغرافي والواقع التاريخي منذ بداية القرن الخامس إلى نهاية القرن التاسع الهجري الموافق للقرن الحادي عشر إلى الخامس عشر الميلادي 5هـ/ 11م إلى نهاية القرن 8 هـ / 14م ، ولذلك تعتبر هاته الفترة التاريخية من الفترات المهمة في تاريخ بلاد المغرب ، فمن خلالها يتحدد الإطار الزماني لموضوع دراستنا .

الباب الأول

النافورات وأحواضها بالعمارة الحمادية و المرابطية





الفصل الأول

النافورة والحوض بالعمارة الاسلامية

تمهيد

1. تعريف النافورة والحوض .
2. بعض المنشآت المائية المرتبطة بالنافورات والأحواض .
3. مصطلحات ذات علاقة بالنافورات والأحواض .
4. أصل النافورة ومدلولاتها عند المسلمين .
5. أجزاء النافورة .
6. أماكن وجود النافورات .
7. طريقة سير الماء بالنافورات وأحواضها .
8. مواد صناعة النافورات أو الميضآت والأحواض .
9. أهم مقالع استخراج الرخام بالجزائر .
10. مواد زخرفة النافورات أو الميضآت وأحواضها .
11. تقنيات صناعة النافورات ومراحلها .
12. أدوات صناعة وزخرفة النافورات وأحواضها
13. تقنيات زخرفة النافورات والأحواض.

خلاصة

مع انتشار الاسلام وتوسع رقعة الدولة الاسلامية المترامية الأطراف ، وتبعا للمستلزمات الأمنية والمعيشية للمسلمين ، تم ابتكار فكر خاص بتخطيط المدن ، واهتموا فيه على وجه الخصوص باختيار الموقع المناسب الذي يعتبر الماء شرطا أساسيا ، إذ يقول ابن خلدون في هذا المجال : " ... وأما جلب المنافع والمرافق للبلد فيراعى فيه أمور، منها الماء بأن يكون البلد على نهر أو بإزائها عيون عذبة ثرية، فإن وجود الماء قريبا من البلد يسهل على الساكن حاجة الماء وهي ضرورية ، فيكون لهم في وجودهم مرفقة عظيمة عامة " [1] .

1. تـعريف النـافـورة والحوض :

1.1 . تعريف النافورة لغة : من نفر القوم نفورا أعرضوا وصدوا ، ونفروا نَفْرًا (بفتح النون وسكون الفاء) سارعوا وساروا ، والنَّفْرُ (بتشديد النون وفتحها وسكون الفاء) المسارعة، ويوم النفر : اليوم الذي ينفر فيه الحجاج من منى إلى مكة [2] ، والاستنفار هو النفور مصداقا لقوله تعالى : " **كَأَنَهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَة** " [3] ، أي نافرة مذعورة ، والنَفر (بتشديد النون وفتح الفاء) جماعة من الرجال بين الثلاثة والعشرة وقيل السبعة ، والنافورة (جمعها نافورات ونوافير) : وهي صنبور أو نحوه يندفع منه الماء إلى الأعلى بالضغط [4] .

أما اصطلاحا فهي الأنبوب أو الماسورة التي ينطلق منها الماء إلى الفسقية، وقيل أن كل أنبوب ثابت ينطلق منه الماء فهو (فوارة) والمتحرك منه (دوارة) [5] ، وتأتي النافورة في المصطلح الأثري المعماري للدلالة على حوض أو بركة أو فسقية يتوسطها عموديا أنبوب

1- ابن خلدون (عبد الرحمن) : المقدمة ، تحقيق أحمد الزغبي ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ـ لبنان ، ص 384 ، وأنظر كلا من :
ـ ابن أبي الربيع (أحمد) : سلوك المالك في تدبير الممالك ، تحقيق عارف أحمد عبد الغني ، دار كنان ـ الرياض ، ص 105 .
ـ عثمان (محمد عبد الستار) : المدينة الاسلامية ، عالم المعارف ، الكويت 1988 م ، ص 243 .
ـ القزويني (حنان) : تخطيط المدن ـ عمارة وزخرفة ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات ، لبنان 2006 م ، الطبعة الأولى ، ص 13 .
-Burckardt (T) : L’art de L’Islam (Langage et signification) , Tarpy Quercy , France 1985 , P 282.
2- رزق (عاصم محمد) : معجم مصطلحات العمارة والفنون الاسلامية ، الطبعة الأولى ، مكتبة مدبولي ، القاهرة 2000 م ، ص 315 .
3- القرآن الكريم : سورة المدثر ، الآية 50 .
4- رزق (عاصم محمد) : المرجع السابق ، ص 315 .
5- رفعت (موسى محمد) : الوكالات والبيوت الاسلامية في مصر العثمانية ، الطبعة الأولى ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة 1993 م ، ص 66

ضيق من النحاس أو الرصاص أو القصب ، يتصل بخزان ماء بعيد أو قريب ومرتفع مما يجعل الماء يندفع قويا من النافورة ، ويعلو بعيدا عن مستواه في الحوض ليعود متساقطا وينتهي في مجاري خاصة ، ومن قبل تسمية الكل باسم الجزء ، وأطلق لفظ نافورة على البركة التي تحويها [1] .

وقد عرفت هذه النوافير منذ العهد اليوناني والروماني وانتشرت بصفة خاصة في ايطاليا ثم انتقلت إلى العمارة الاسلامية ، ووجدت في صحون المساجد والمدارس وقاعات الاستقبال في القصور والمنازل و أواوين الحمامات وساحات المدن والحدائق ، بقصد الاستعمال اليومي والزينة وترطيب الجو لا سيما في أيام الحر والجفاف [2] .

لم تكن النافورة معروفة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما وجدت بعد ذلك بزمن في المساجد الجامعة بصفة خاصة ، وهي تساعد على تلطيف الجو بالإضافة إلى استعمالها للشرب والوضوء [3] ، وقد وصف ابن جبير الجامع القديم في مدينة الموصل والذي يعود إلى عهد الأمويين ، فذكر أن بصحن هذا الجامع قبة داخلها سارية رخام ، وفي أعلاها خصة رخام مثمنة يخرج عليها أنبوب من الماء خروج انزعاج وشدة ، فيرتفع في الهواء أزيد من القامة كأنه قضيب من البلور معتدل ثم ينعكس إلى أسفل القبة [4] ، وساق ابن أبي زرع وصفا للنافورة التي كانت بصحن جامع القرويين لفاس ، وأن الماء يأتيها من مكان يجتمع فيه الماء مربعا أو مستديرا يتفرق منه الماء على الدور وغيرها بمقادير معلومة من مشارب بنيت بدقة ، وذكر كيف أن الماء يخرج من أعلى النافورة ثم يسيل في حوض رخامي ثم سقاية من نحاس [5] ، وذكر أيضا أن أمير المؤمنين محمد

1- غالب (عبد الرحيم) : موسوعة العمارة والفنون الاسلامية ، الطبعة الأولى ، جروس برس ، بيروت 1408 هـ/1988 م ، ص 429 .
2- رزق (عاصم محمد) : المرجع السابق ، ص 315 ، 316 .
3- جودي (محمد حسين) : العمارة العربية الاسلامية ـ خصوصيتها ابتكاراتها وجمالياتها ـ ، الطبعة الأولى ، دار الميسرة ، عمان 1998 م ، ص 62 .
4- ابن جبير (أبي الحسن محمد بن أحمد) : رحلة ابن جبير ، دار القصبة للنشر ، الجزائر 2001 م ، ص 211 .
5- ابن أبي زرع (علي الفاسي) : الأنيس المطرب بروض القرطاس في ذكر ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط 1972 م ، ص 64 ، 65 .

الناصر الموحدي لما جدد جامع الأندلس الذي بفاس سنة 600 هـ/1203 م ، جعل في صحنه عين من رخام أحمر[1]، وقد احتوى الجامع الكبير بتلمسان على نافورة .

كما تصنع أغلب النافورات وعبر المراحل التاريخية من مادة الرخام ، نظرا لنظارتها وبهائها عند التقائها مع الماء ، ولصلابتها وسهولة تنظيفها في الفترة الوسيطة ، وما لحق بها من جديد في الفترة العثمانية أنها صنعت نماذج من المعادن ، حيث اشتهر الجزء الغربي من العالم الاسلامي بصناعة النوافير المعدنية [2] ، كما وجدت في الأندلس بقصر الحمراء نافورة معدنية ترجع لعام 802 هـ/1402 م أطلق عليها اسم " النافورة البرونزية " ، مكونة من قاعدة مقلوبة وبدن وحوض أسطواني ، يقال أنه كان يوجد في وسط حوضها فوارة مركزية عبارة عن غزالة مصممة من المعدن [3] ، إضافة إلى ما كشفت عنه حفائر مدينة الزهراء الأندلسية والمتمثل في تمثال من البرونز يمثل وعلا ارتفاعه 40 سم وكان الماء يجري إلى فمه عن طريق أنبوبة تمتد من وسط جسمه ثم تصعد إلى رقبته وأغلب الظن أنه كان جزءا من نافورة أحد قصور الزهراء [4] ، كما اكتشف في قرطبة وعل آخر شبيه بالأول وكان الماء يتخلله في وسط بطنه ، وهو مذهب ويبلغ ارتفاعه 32 سم [5] .

2.1 . <u>تعريف الحوض لغة</u> : جمعه أحواض وحياض ، وهو عبارة عن مبنى مكشوف، يحفظ فيه الماء أو يوزع من خلاله ، يستعمل للشرب أو الاغتسال أو الوضوء أو الزينة في النوافير والفساقي أو لمآرب أخرى **[6]** ، ويطلق أحيانا على حوض هذه الأخيرة لفظة قصعة، وهذا ما أورده المقريزي في قوله : " **... وتحت القبة قصعة رخام ....**" [7] ، كما

1- ابن أبي زرع (علي الفاسي) :المصدر السابق ، ص 77 .
2- البهنسي (عفيف) : الفن الاسلامي ، الطبعة الأولى ، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1986 م ، ص 384 .
3- باسيليو نابون (مالدونادو) : العمارة الأندلسية " عمارة المياه " ، ترجمة : علي ابراهيم علي منوني ، مراجعة : محمد حمزة اسماعيل الحداد ، الطبعة الأولى ، مكتبة زهراء الشرق ، 2008 م ، ص 289 .
4- مرزوق (عبد العزيز محمد) : الفنون الزخرفية الاسلامية بالمغرب والأندلس ، دار الثقافة بيروت ، ص 173 .
5- مورينو (مانويل جومث) : الفن الاسلامي في الأندلس ، ترجمة : لطفي عبد البديع وعبد العزيز سالم ، مراجعة : جمال محمد محرز ، مؤسسة شباب جامعة الاسكندرية ، ص 400 .
6- غالب (عبد الرحيم) : المرجع السابق ، ص 145 .
7- المقريزي (تقي الدين) : المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ، الجزء الثاني ، دار صادر بيروت ، ص 268

ذكرها ابن خلدون في قوله : " .... **ليسيح الماء بعد أن تعد في البيوت قصاع الرخام القوراء المحكمة الخرط بالفوهات في وسطها** .... " [1] .

أما **اصطلاحا** فالحوض هو المكان الذي **يستقبل** مياه العيون وهو أيضا بمثابة **موزع** للمياه، أي الجزء الذي يستقبل الماء الخارج من فتحات القذف ليتساقط بعدها من حافة الحوض أو من فتحات ببدنه بشكل متناسق ليعطي بذلك شكلا جميلا [2] .

كما هو جزء من النافورة أو الفسقية بأحجام وأشكال مختلفة ، منها : المربع والاسطواني والمستطيل ، و المفصص والمثمن ، والحوض ذو الشكل المنفرج وغيرهم ، ويكون في أغلب الأحيان خاليا من الزخرفة وإن وجدت فإنها تكون على شكل حزوز أو فصوص أو نتوءات على السطح الخارجي له .

فالأحواض إذن **نوعان** ، **الأولى** منها وهي المزوّد الرئيسي للماء بعد الأمطار والسيول بأماكن وأحجام مختلفة ، **والثاني** كنقطة ربط بين الحوض الرئيسي والعيون التي استغلت أكثرها للشرب والغسل ولمآرب أخرى كالدباغة والصناعات المختلفة ، كما هو جزء مرتبط بحفظ ماء الفسقية أو النافورة أو الميضأة للوضوء والغسل والزينة ، ففي كل الحالات الحوض جزء لا يتجزأ عن الماء سواء كان الممول الرئيسي له أو المزين والحامل للماء المتدفق من النافورة ، وستتضح تلك العلاقة وتفاصيلها مباشرة حين نتطرق لنماذج دراستنا وأشكالها وكذا وظيفتها .

2 . <u>بعض المنشآت المائية المرتبطة بالنافورات والأحواض</u> :

ليس من الغرابة في شيء إذا ما عرفت الحضارة الاسلامية تقدما مزدهرا في مجال المنشآت المائية لا تقل أهمية عما عرف في الحضارات السابقة كالإمبراطورية الرومانية وغيرها ، كما يمكن لمس ذلك بشكل محسوس في آثارها الباقية بمظاهرها المتنوعة مثل :

1- ابن خلدون (عبد الرحمان) : المقدمة ، المصدر السابق، ص 169 .
2- عثمان (محمد عبد الستار) : المرجع السابق ، ص 242 .

1.2 . بناء القناطر : فقد أنشأ المسلمون العديد من القناطر التي كانت تبنى عادة من الآجر أو الحجارة ، لنقل المياه التي ترفع بواسطة وسائل خاصة قبل توزيعها على المدن والأراضي الزراعية المجاورة .

2.2 . بناء السدود و المواجل : وتعتبر السدود عنصر أساسي في شبكة المياه ، لما لها من منفعة كبيرة خلال تزويد المناطق المجاورة بالماء خاصة في فصل الصيف ، أما عن المواجل مفردها ماجل وهي كلمة فارسية تعني الموضع الذي يجتمع فيه الماء ، فإذا بزغ خرج منه ولهذا سمي مستنقع الماء ماجلا [1]، أي أن الماجل هو الماء المتجمع الكثير ، ومعماريا يسمى أيضا " ماجن " وهو حفر عمودي يأخذ شكل القارورة يساوي قطره في معظم الأحيان عمقه، وهذا الحفر في مستوى السطح يتسع مع العمق من أجل التخلص من التسقيف [2] ، وقد كانت تبنى في تخوم الأرض لتتجمع فيها مياه المطر ، ويخزن فيها للاستغلال الزراعي ونحوه فقد استخدمت في المدن كثيرة التساقط لغرض الري والصناعة كالفخار و الدباغة ، أو حتى لأغراض أخرى كالوضوء في المساجد والمراحيض العامة والمنازل .

3.2. حفر الآبار : ولفظة آبار مفردها بئر والتي تعني الحفرة التي يحدثها الانسان في الأرض بحثا عن الماء ، وعند العثور عليه في باطن الأرض يضطر إلى رفعه خارجها للانتفاع به [3] ، وقد شاع استعمال الآبار بشكل كبير في المدن الاسلامية خاصة إذا قلّ أو تعذّر الحصول على الماء من مصادر سطحية أخرى ، ولذلك كانت موجودة في المباني

---

1. ابن منظور (عبد الرحمن بن مكرم) : ابن منظور (عبد الرحمن بن مكرم) : لسان العرب ، المجلد الثاني ، الطبعة الثالثة ، دار صادر ، بيروت ـ لبنان 1414 هـ/1994 م ، ص 487 .

2. الثابتي (علي) : بعض المنشآت المائية بجبل دمر " تقنيات الانشاء ومشاكل الاستغلال " ، أعمال الندوة الدولية الثالثة : " الماء والتعمير ببلاد المغرب في العهدين القديم والوسيط " ، جامعة تونس ، تونس 2009 ، ص 153 . 154 .

3. بن عميرة (محمد) : " الآبار وطرق استغلالها ببلاد المغرب في العصر الوسيط " ، مجلة الآثار . العدد 08 ، الجزائر 2009 ، ص 184 .

العامة كالمساجد والحمامات ، والخاصة كالمنازل على قدم المساواة ، كما استغلت أيضا لسقي المزروعات [1] .

4.2. استغلال العيون : إذ تعتبر من أهم مصادر المياه في المدينة الاسلامية ، فكانت الأكثر استعمالا لعذوبة مياهها وبرودتها ، استغلت لتزويد المدينة بالماء وفي الزراعة ، ونجدها منتشرة بمناطق مختلفة من المغرب الأوسط كتيهرت ومستغانم وكذا تلمسان ، وبالجزائر العاصمة بكثرة في العهد العثماني [2] .

5.2. الترع و الفقارات : وكلاهما من أنظمة الري ، فالترع هي عبارة عن قناة عميقة متصلة بالأنهار تروي الأراضي الزراعية وتملأ الحياض (جمع حوض) والسدود ، ونجد هذه الطريقة بكثرة في مصر بمختلف جهات نهر النيل [3] .

كما يعتبر نظام الفقارات آلة السقي الأولى الصحراوية عامة والجنوب الجزائري خاصة ، وهو نظام عريق ، يرجع ظهوره إلى ما قبل التاريخ ، ويتم تشكيل الفقارات بحفر مجموعة من الآبار في نقطة مرتفعة تتجمع بها المياه الجوفية ، ثم تسيير مياه تلك الآبار في مجاري ذات فوهات بعيدة حيث تنحدر ببطيء عن طريق الانحدار التدريجي لهذه المجاري، التي تنتهي بحوض كبير تتجمع فيه المياه ، ومنه تخرج القنوات إلى بساتين أصحاب الفقارات ، وهذا الأسلوب في توزيع المياه يخضع لمقياس هندسي خاص يطبقه موظّف مسؤول يسمى " كيّال الماء " [4]

و بحكم موضوعنا المختلف وظيفة وشكلا عن وسائل الري المتعددة والتي تسير وفق نظام وحسابات تقسيمية خاصة ، فتوجب علينا تبيانه على النحو التالي :

1 - عثمان (محمد عبد الستار) : المرجع السابق ، ص 248 .
2 - يوسف (جودت عبد الكريم) : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنيين الثالث والرابع الهجريين ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1992 م ، ص 62 .
3 - زيدان (جورجي) تاريخ التمدن الاسلامي ، دار مكتبة الحياة ، الجزء الثالث ، لبنان ، ص 620 .
4 - فرج (محمود فرج) : إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1977 م ، ص 54 - 55 .

3 . مصطلحات ذات علاقة بالنافورات والأحواض :

وبعد تقديم تعريف النافورة والحوض لا بد من الإشارة إلى بعض المصطلحات التي لها علاقة بهما ، بحكم جمعها لعنصر الماء مع اختلاف أشكالها ووظيفتها مثل :

1.3 . الفسقية : وجمعها فساقي ، هي تلك النافورة التي كانت غالبا ما تتوسط قاعات الدور والقصور وغيرها من الأبنية السكنية ، وهي عبارة عن حوض صغير تتوسطه نافورة، وقد يقام في منتصف بركة أخرى تتلقى ماءها منه ، وربما تعددت الفساقي في البركة الواحدة موزعة في أرجائها أو مركبة بعضها فوق بعض الكبرى في الأسفل ، ترفع قليلا عن مستوى سطح الماء ويتناقص حجمها كلما ارتفعت ، وينتهي أعلاها بنافورة تتوسطها تقذف الماء متصاعدا نحو الأعلى ليعود وينزل كسلسلة من الشلالات [1] .

وهي أيضا الحوض المعد للوضوء والاغتسال ، على العادة المتبعة في الاستعداد للصلاة في المساجد والمباني الدينية كالمدارس [2] ، وهي عبارة عن حوض مثمن من الطوب يكسي من الداخل والخارج بالرخام ، وفي منتصفه نافورة من الرخام ، ويتم تزويدها بالمياه عن طريق البئر الموجود بالمبنى ، وحول الحوض يدور سلسلة غاطسة من الحديد ، ويختلف حجمه حسب حجم الصحن [3] .

كما هناك علاقة وطيدة بين النافورة والميضأة في الوظيفة ، فتوجب علينا ذكر تعريفها :

2.3. الميضأة : وكلمة " ميضأة " من مصدر " وضوء " الوجه وضاءة وزان ، فهو يضيء ، وهو الحسن والبهجة ، و" الوضوء " بفتح أوله وأيضا ضمه ، الماء الذي يتوضأ به ، و" الميضأة " بكسر الميم مهموز ويمد ويقصر ، المطهرة التي يتوضأ منها [4] .

1- غالب (عبد الرحيم) : المرجع السابق ، ص 300 .
2- المرجع نفسه ، ص 213 .
3- مصطفى (صالح لمعي) : التراث المعماري الاسلامي في مصر ، الطبعة الأولى ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت ، ص 35 .
4- الولي (طه) : المساجد في الاسلام ، دار العلم للملايين ، بيروت 1988 م ، ص 310 .

وهي المكان المخصص في كل مسجد لعملية الوضوء ، وتلفظ بالميم المكسورة في أولها، كما تلفظ بالهمزة المنفردة بعد الضاد الممدودة " الميضآة "، واللفظ الأول هو الشائع والمستعمل .

ويبدو أن الميضأة وجدت مع وجود المسجد ، هذا حسب ما أورد الزركشي أن أبا عبد الله بن بطوطة روى في كتابه : " **جواز اتخاذ السقاية في رحبة المسجد** " ومن جهة ما أورده عبد الرزاق الثوري عن المقدام بن شريح عن أبيه عن عائشة قالت : " **كن المعتكفات إذا حضن .... يضربن الأخبية في رحبة المسجد حتى يطهرن** " ، كما ذكر في كتاب الطهور لأبي عبيد عن إبراهيم النخعي قال : " **كانوا يتطهرون من مطاهر المسجد** " وروى ذلك عن علي وأبي هريرة رضي الله عنهما [1] .

وكانت الميضأة في صورة حوض كبير يبنى في وسط صحن المسجد ، ويجري إليه الماء من مصادره ، بحيث يبقى هذا الحوض طافحا بما فيه من تلك المياه بشكل دائم ، وإذا أراد الناس الوضوء تحلقوا حوله من كافة جهاته وتوضؤوا بمائه الدافق من خلال الزلاقات التي تكون متصلة بحوافه [2] .

وعلى الرغم من أن الميضأة لم تكن من العناصر المعمارية الأساسية الملحقة بالمساجد الأولى إلا أنها ما لبثت أن تطورت وزودت بالأنابيب والمقاعد الحجرية والمجاري والنوافير، وبلطت بأنواع الرخام الجميل والملون وغطيت بالقباب ، مع ما يتطلب ذلك من تأنق في التصميم والزخرفة في التنفيذ ، وصارت وحدة معمارية قائمة بذاتها [3]، ثم صارت الميضأة

1- الزركشي (بدر الدين محمد بن بهار) : إعلام الساجد بأحكام المساجد ، قدم له واعتنى به أيمن صالح شعبان ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1995 م ، ص 268 .
2- الولي (طه) : المرجع السابق ، ص 311 .
3- شافعي (فريد) : العمارة العربية في مصر الاسلامية ، المجلد الأول ، عصر الولاة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر 1970 م ، ص 651 ، 652 .

في القرن السابع للهجرة الثالث عشر للميلاد (7هـ/13م) ، ولا سيما في مصر وحدة معمارية قائمة بذاتها تحتل وسط الصحن [1] .

وقد وضعت الفوارات تحت هذه القباب ، كالتي بجامع عمرو بن العاص " **في سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة أمر العزيز بالله بعمل الفوارة تحت قبة بيت المال فعملت** ... " [2] ، للتحول تلك الفوارات بمرور الزمن إلى فساقي للوضوء ، واختلفت أحجامها باختلاف مساحات الصحون التي عملت فيها [3] .

ويقوم بناء الميضأة عموما على العناصر المعمارية التالية : **الأعمدة** [4]، **العقـود** على أنواع عديدة كالعقد **الثلاثي و العقد النصف دائري** [5] و**العقد المفصص** [6] ، و**العقد المنكسر المتجاوز**[7] ، **الشرافــات** بمختلف أشكالها [8] **والـقبـة** [9] .

كما يضاف للفسقية أو النافورة عناصر معمارية أو زخرفية لتأدية وظيفة أو للزيادة من جمال المنظر ، فتكون لها مسميات بحسب اختلاف الشكل المعماري وحركة مياهه وطريقة زخرفته ، ونذكر منها :

3.3 . الــشاذروان : وهو لوحة من الحجر مزخرفة ومحفورة ، ترتكز مائلة في صدر قاعة تجري عليها مياه خفيفة ، وقد سميت أيضا بسلسبيل[10] ، وعادة ما يوجد أسفل الشاذروان لتلقي الماء النازل منه إما في صحن من الرخام الملون ، وإما في فسقية من الرخام المستعمل في قطع غير متناسقة في وسطها فوارة ، ورغم أن وظيفة الشاذروان

1- غالب (عبد الرحيم) : المرجع السابق ، ص 413 ، 414 .
2- المقريزي (تقي الدين) : المصدر السابق ، ص 249 .
3- رزق(عاصم محمد) : المرجع السابق ، ص 168 .
4- بن بلة (خيرة) : المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني ، رسالة دكتوراه دولة في الآثار الاسلامية ، جامعة الجزائر 2007 م ، ص 209 ، 212 .
5- الولي (طه) : المرجع السابق ، ص 194 .
6- جودي (محمد حسن) : المرجع السابق ، ص 69 .
7- رزق (عاصم محمد) : المرجع السابق ، ص 202 .
8- خلوصي (محمد ماجد عباس) : عمارة المساجد تصميم وتاريخ وطراز وعناصر خمسة وثلاثون مسجدا ، 1998 م ، ص 515 .
9- مصطفى (صالح لمعي) : القباب في العمارة الاسلامية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ص 13 - 19 .
10 - غالب (عبد الرحيم) : المرجع السابق ، ص 233 .

الأصلية في السبيل كانت تنحصر على تبريد الماء توفيرا للمستصاغ المطلوب منه لسقاية الناس في حر الصيف ، إلا أنه استخدم في القاعات في حالة وجود الماء فيه لتلطيف الجو وتخفيف درجة الحرارة فيها ، واستخدم في حالة عدم وجود الماء فيها كحلية معمارية فنية [1] .

4.3. المنشية : وهي أيضا نافورة تجري مياهها في شكل متاهة ، ومجاري المياه هذه مبنية من الرخام في حين أن القاع يكسى ببلاطات صغيرة من الفسيفساء ، وبنيت المنشيات في الأصل لتسمح بمشاهدة تراقص الكرة على سطح الماء ، ولم تعد تستخدم لهذا الغرض ، بل أصبحت ذاك التيه المتعرج وسط المساحات الشاسعة عنصرا زخرفيا وحسب ، ولا توجد هذه المنشيات إلا في القصور الملكية [2] .

5.3. السبيل أو السقاية : وتعني مكان عام للشرب جعل ماؤه لسقاية عابري السبيل من قبيل أعمال الصدقة [3] ، أما السبيل في المصطلح الأثري المعماري ، فهو عبارة عن بناء صغير كان يخصص في الأماكن العامة وأركان الأبنية الدينية والمدنية للشرب منه [4].

وهو منشأة مائية أقيمت لتزويد عابري السبيل بالمياه ، وقد كان إنشاؤه عادة جارية عند كل الملل منذ القديم ، إلا أنها كانت بصفة أكثر عند المسلمين [5] ، ويمد الناس بماء الشرب أو بالماء الذي يستخدمونه في أغراضهم المنزلية وينتشر في الشوارع وفي مفترق الطرق [6] ، وكانت الأسبلة تبنى في بداية الأمر ملحقة بمبان أخرى مثل المسجد أو المدرسة ، ثم أصبحت بمرور الزمن مباني مستقلة منفصلة تبنى لذاتها ، وقد جرى هذا

1- رزق (عاصم محمد) : المرجع السابق ، ص 158 .
2- باكار(أندري) : المغرب والحرف التقليدية ، تعريب : سامي جرجس ، المجلد الأول ، نشر أتوليبيه 74 ، ايطاليا 1981 م ، ص 26 .
3- رزق (عاصم محمد) : المرجع السابق ، ص 137 .
4- المرجع نفسه ، ص 138 .
5- الحسيني (محمود حامد) : الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة 1517 هـ / 1798 م ، مكتبة مدبولي ، القاهرة 1988 م ، ص 09 .
6- أصلان آبا (أوقطاي) : فنون الترك وعمائهم ، ترجمة : أحمد محمد عيسى ، الطبعة العربية الأولى ، استانبول 1987 م ، ص 235 .

التطور في ظل سلاطين المماليك بمصر حينما أصبح للسبيل طراز معماري خاص ، ويلحق بها في كثير من الأحيان بناء لتحفيظ القرآن [1] .

كما هناك مفردات لها علاقة مباشرة من حيث التسلسل في ذكر النافورة والحوض مثل :

6.3. الخزّان : وهو حجرة أو حوض أو فسحة كبيرة مغلقة أو مفتوحة يجمع فيها الماء ويحفظ ، واهتم المسلمون ببناء صهاريج الخزانات خاصة بالمدن التي تعتمد على مياه الأمطار والسيول حيث أن هذه الأخيرة توصل بسواقي متصلة بها لجلب مياه الأمطار وتجميعها للاستفادة منها ، وقد انتشرت أيضا في المنازل لاستغلال وتخزين الماء[2] .

7.3 . المـاجل : لا نعرف بالتحديد متى ظهرت المواجل ، ومفرده من فعل مجل ولغة هي أن يجتمع بين اللحم والجلد ماء من كثرة العمل ، والماجل هو الماء الكثير ، وهو وحدة معمارية تبنى في تخوم الأرض في الدور وغيرها ، يجتمع فيها ماء المطر في موسم سقوطه ويخزن بها لاستغلاله في أغراض الحياة المختلفة [3] ، ورغم أنها اشتهرت في عهد الأغالبة بكثرة ، إلا أننا وجدنا نازلة ذكرت هذا النوع من المنشآت قبل هذه الفترة ، حيث نُقل عن مالك بن أنس أنه كره بيع ماء مواجل برقة والمغرب ، وإن كانت هذه المواجل إنما تملأ من آبار السبيل [4] ، وبما أن مالك توفي رحمه الله عام 179 هـ/795 م ، فهذا يعني أنها كانت معروفة آنذاك في المغرب قبل العهد الأغلبي ، أما في عهدهم فقد تم بناء ماجل كبير بتونس سنة 248هـ / 862 م ، وكان يملأ من مياه الأمطار والسيول التي تصل إليه عبر الأودية ، وكان أهل القيروان يشربون منها [5] ، وبالإضافة إلى المواجل المكشوفة

1- عكاشة (ثروة) : القيم الجمالية في العمارة الاسلامية ، الطبعة الأولى ، دار الشروق ، القاهرة 1994 م ، ص 59

2- عثمان (محمد عبد الستار) : المرجع السابق ، ص 243 .

3- ابن منظور (عبد الرحمن بن مكرم) : المصدر السابق ، المجلد 2 ، ص 201 .

4- البرزلي (أبو القاسم بن أحمد) : فتاوى البرزلي " جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام " ، تقديم : محمد الحبيب الهيلة ، الجزء الثالث ، الطبعة الأولى ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت . لبنان 2002 م ، ص 143 ، 144 .

5 - سالم (عبد العزيز) : تاريخ المغرب الكبير ، العصر الاسلامي دراسة تاريخية وأثرية وعمرانية ، الجزء الثاني ، النهضة العربية ، بيروت 1981 م ، ص 478 ،479 .

كانت هناك أخرى جوفية للمياه وتسمى جباب تحفظ مياه الأمطار [1] ، وهي عبارة عن خزانات مكشوفة أو مسقوفة يستعمل ماؤها للشرب أو الوضوء و الاغتسال أو الري وتكون المواجل بالمساجد والمنازل والحمامات وغيرها [2] ، و وجد الماجل بالمسجد الأموي بدمشق وجامع قرطبة وغيرها [3] ، ولعل ما يوجد بصحن جامع قلعة بني حماد هو من هذا النوع .

8.3 . <u>الــجــب</u> : جمعها جباب ، وهي عبارة عن خزان ماء في باطن الأرض يتكون من حفرة واسعة قد يصل قعرها إلى نحو المترين وعمقها نحو العشرين مترا ، وفي أسفل الجب أي في الموضع الذي تصل فيه الحفرة إلى الماء ، تبنى حجرة واسعة فوق الماء ، وينزل الناس لتنظيفها أو استخراج ما يقع في الجب معلقين بالحبال ، ويرتكزون في نزولهم على أحجار ناتئة ، وقد تبطن هذه الحجارة بالرخام ويرتفع سقفها على أعمدة وعقود أو بوائك ، فإن اكتمل انشاء الجب أنشئت له سلالم ومدخل وممرات ينفذ منها ماء المطر ثم جعل له سقف يهيل فوقه التراب دون المدخل ، وتصل مياه المطر إلى الجب عن طريق قنوات وتستخرج عن طريق فتحات في السقف تشبه فتحات الآبار [4] .

وجاء في قوله تعالى : " **وَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَ أَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينْ** " [5] ، وقد وردت في شرح هذه الآية معاني كثيرة للجب ، منها أنه البئر المطوية التي تحفر لكي يتجمع فيها الماء من باطن الأرض ، وأن غيابة الجب هي أسفله أو أن الجب هو بئر بيت المقدس [6].

1- سالم (عبد العزيز) : تاريخ المغرب الكبير ، المرجع السابق ، ص 460 .
2 - عبد الجواد (توفيق أحمد) : العمارة الاسلامية فكر وحضارة ، المكتبة الأنجلو مصرية 1987 م ، ص 481 .
3- غالب (عبد الرحيم) : المرجع السابق ، ص 145 - 146 ، وأنظر : رزق (عاصم محمد) : المرجع السابق ، ص 88 - 89 ، **وأنظر :**
- Korbendau (Y) : L'Architecture Sacrée de L'Islam , Acr , Ed , Internationale , France , 1997 , P 432 .
4 - مؤنس (حسين) : المجالس و المسايرات ، تحقيق الحبيب الفقي ، إبراهيم شبوح ومحمد البعلاوي ، المجلد الأول ، الجزء الأول، ص 298.
5- القرآن الكريم : سورة يوسف ، الآية 10.
6 - الشعراوي (محمد متولي) : قصص الأنبياء ، مراجعة وجمع المادة العلمية والحواشي منشاوي غانم جابر ، دار الكتب العلمية ، الجزء 2، بيروت - لبنان ، ص905 .

4 . أصل الـنافــورة ومدلولاتـها عند المسلمين :

1.4 . أصل النافورة : وهي ذلك الشكل الجمالي الذي أوجدته الطبيعة قبل الانسان ، متمثلا في عيون الماء المنبثقة من القشرة الأرضية بفعل ضغط الماء على المناطق الضعيفة فيها ، ليشكل فوران الماء منظرا طبيعيا خلابا .

فكلمة نافورة أو فسقية تعادل من وجهة النظر العلمية كلمة ينبوع حيث أنها تكاد تكون مرادفة لها لأن كل من النافورة والينبوع ينبثق منه الماء إلى الأعلى أو إلى الأمام ، ولهذا يمكن أن يعتبر وجود الفسقية أو مجمع المياه الخلاب ذو المياه الفوارة بالعمائر من تأثير الطبيعة منذ نشأة المدن وعبر المراحل المختلفة لتطورها [1] .

فالنافورة تعبر عن وضع حضاري ودلالات رمزية وبيئية ، فكانت عند المصريين القدماء منبعثة من فكرة الماء الأزلي الذي هو الأصل في الوجود ، أما في بابل وأشور فكانت تتوسط الفناء أو الحديقة كرمز للكون ونشأته ، في حين كانت النافورة الرومانية واليونانية ذات دلالات مختلفة ، فهي ترمز للحزن الدائم والدموع المتجددة وأحيانا ترمز لتدفق الحكمة، لذلك كان لها طابع المصور التذكاري كانعكاس لرواية الأساطير اليونانية القديمة[2].

2.4 . مدلول النافورة عند المسلمين :

للنافورة عند المسلمين مدلول " ديني ودنيوي " :

1.2.4 . المدلول الديني : ويتمثل في التشبه بمنازل الجنة وما تحتويه من المياه دائمة الجريان والعيون الفوارة ، وهي وعد الله سبحانه وتعالى لمن خاف مقامه واتقاه ، لقوله

1- محمود (عبد الباسط محمد) : " النافورات والفساقي في منشآت القاهرة المملوكية ـ مدلولها الحضاري والتقني " ، المجلة المصرية للآثار الاسلامية " مشكاة "، المجلد الثاني ، مطابع المجلس الأعلى للآثار 2007 م ، ص 217 .
2- محمود (عبد الباسط محمد) : المرجع السابق ، ص 218 .

تعالى : " **وَظِلٍ مَمْدُودْ وَمَاءٍ مَسْكُوبْ** " [1] و قوله أيضا : " **وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ، فَبِأَيِ آلاَءِ رَبِكُمَا تُكَذِبَانِ ، مُدْهَامَتَّانِ ، فَبِأَيِ آلاَءِ رَبِكُمَا تُكَذِبَانِ ، فِيهِمَا عَيْنَانْ نَضَاخَتَانِ ، فَبِأَيِ آلاَءِ رَبِكُمَا تُكَذِبَانِ ، فِيهِمَا فَاكِهَةً وَنَخْلٌ وَرُمَانْ** " [2] ، فقد ربط المسلم بين جنات الآخرة التي تتوق لها نفسه وحاول تجسيدها في دنياه ، كما ربطها بالفواكه والاخضرار الذي يميز جنات الآخرة ، لذلك فجر العيون النضاخة والمتمثلة في النافورات وسط الحدائق الخضراء التي تحتوي على أشجار الفواكه .

و حكم وجود نافورة في صحن المسجد فإن بعض العلماء أجازها ولكن معظمهم منعها، لأن الناس أصبحوا يتوضؤون منها مما يسبب الأذى للمسجد [3] ، وذلك لما ينجم عنها من الإمتخاظ والتنخم والبزاق والتسبب أيضا في تبليل الصحن بل وحتى المسجد ، وهذه الأشياء من مجموع ما يتأذى منها المصلون .

2.2.4 . <u>المدلول الدنيوي</u> : ويتمثل في الأخذ بنعيم الدنيا والتمتع بالفرح والأنس للتجمع بين الماء والزخرف ومباهج الحياة .

وهي في أحيان أخرى استجابة لرغبة المسلمين خاصة ذوي البيئة الجافة في جعل صحن الدار موضعا لفسقية ماء ، تمثل جزءا من البيئة تنعكس عليه السماء لتمثل الدار كونا صغيرا ، وبعمل تخطيط الفسقية المثمن ليكون انعكاسا لقبة السماء التي تعلوه ، ذلك إلى جانب دورها الوظيفي في تلطيف درجة الحرارة داخل القاعات والعمل على سرعة الحركة الهوائية في حيز القاعة [4] .

5 . <u>أجزاء النافورة</u> :

تتكون النافورة عامة من أربعة أجزاء هامة ، تتمثل في القاعدة ، والبدن ، **والحوض** والتويج .

1- القرآن الكريم ، سورة الواقعة ، الآية 31 .
2- القرآن الكريم ، سورة الرحمان ، الآية 62 - 68 .
3- البرزلي (أبو القاسم بن أحمد) : المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص 358
4- محمود (عبد الباسط محمد) : المرجع السابق ، ص 218.

1.5 . القاعدة : تسمى كذلك بالركيزة وهي مجموعة من الحجارة مربعة الشكل تتوسط غرفة ويرتكز عليها حاصل البناء أو المتبقي منه [1]، وتعد من الأجزاء التي تزيد في تركيز وتثبيت النافورة ، وهي على أنواع منها البسيطة ومنها المركبة ، وتتخذ عدة أشكال كأن تكون مربعة أو دائرية أو مثمنة ، وتكون في غالب الأحيان بدون زخارف .

وقد تحتوي النافورة على أكثر من قاعدة ، إما تكون منفصلة عن بعضها أو تصنع من قطعة واحدة وتوضع لها فواصل أو يتغير شكلها عن التي تسبقها .

وفي بعض الأحيان يضاف لها سند من مادة أخرى ، وغالبا ما يكون من الحجر ، يتم إضافته للقاعدة لعدة أغراض أخرى ، أهمها الزيادة في تثبيت النافورة أو زيادة علوها ، كما يوضع لإظهار قاعدتها وجذعها إذا وضعت داخل حوض كثير الانخفاض عن مستوى أرضية المكان الموجود فيه .

2.5 . الجذع أو البدن : وهو الجزء الذي يرتكز على القاعدة ويحمل الحوض والتويج، لذلك يجب مراعاة قوته مقارنة مع حمولته ، ويتخذ الشكل البسيط كالأسطواني أو المربع أو الهرمي ، أو يكون مركبا من أشكال مختلفة تدخل في الإطار الزخرفي التزييني للنافورة ، كما أن أبدان بعض النافورات يحتوي سطحها على نقوش زخرفية .

3.5 . أحواض النافورة : ويتكون حوض النافورة بدوره من :

أ . القاعدة : ويحتوي البعض من الأحواض على قاعدة تعمل على جعل سطحه السفلي مستوي حيث يتثبت فوق الجذع ، وفي بعض الحالات تنحت هذه القاعدة مع الجذع .

1- غالب (عبد الرحيم) : المرجع السابق ، ص 308 .

ب . **الأرضيـة** : وتكون في بعض الأحواض مستوية ، وفي أخرى قليلة الاستواء ، كما لا تحتوي بعض الأحواض (كالتي على هيأة الكوب) على هذا العنصر .

ت . الحـواف : وتكون البعض منها عمودية على الأرضية وفي أحواض أخرى تشكل على هيئة انحراف إلى الداخل أو إلى الخارج .

ث . **نهاية الحواف** : يعد هذا العنصر نهاية تشكل حوض النافورة ، وتكون على عدة أنواع ، منها البارزة إلى الخارج بشكل انحناء ويسمى بالشراب ، وهي كلمة تطلق على الحافة المسطحة العريضة للنافورة والتي تسمح للمرء بأن يشرب بسهولة منها [1] ، كما نجد منها أيضا نوعا آخر وهي قليلة البروز ، فتكون فقط في مستوى تشكيل الحواف .

4.5 . التويـج : يتوسط حوض النافورة ، وهو مصدر نفر الماء ، وقد يكون بسيطا عبارة عن أنبوب من معدن ينتهي بفتحة أو فتحات لخروج الماء ، وهذا النوع في غالبية الأحواض في مستوى منخفض عن نهاية حافة حوض النافورة ، كما قد يكون مركبا من مادة صنع النافورة وبداخله أنبوب لخروج الماء ، وهذا النوع يتخذ عدة أشكال ويحتوي في الغالب على زخرفته .

5.5 . الحوض الأرضي : باعتبار أنه لا يمكن تصوّر نافورة بدون حوض مهما كان شكله ، والذي يعمل على تجميع المياه التي تتساقط منها ، فإننا صنفنا هذا العنصر ضمن العناصر المكونة لها والذي تثبت في منتصفه وبشكل عمودي عن العناصر الأخرى ، وهو يحتوي على البالوعات لتصريف المياه ، ويصنع بمواد مختلفة منها الحجر والمرمر والرخام، كما يكون في أغلب الأحيان عبارة عن حفرة تحفر في الأرض وتكسى بقطع من الآجر أو ببلاطات رخامية أو خزفية .

1- باكار (أندري) : المرجع السابق ، ص 29 .

ويكون في بعض الأحيان منخفضا عن مستوى أرضية المكان الموضوع فيه أو يكون في مستواها وحوافه بارزة ، أو تكون له حواف بارزة وانخفاض عن مستوى الأرضية ، وقد يصنع هذا الحوض أحيانا من نفس مادة صناعة النافورة ، ويكون هذا بشكل أكثر في النافورات ذات الحجم الصغير .

ويتخذ الحوض الأرضي عدة أشكال أهمها المثمن والدائري ، والشكل المثمن هو أقرب الأشكال المضلعة من الشكل الدائري ، لذلك دعت إليه الضرورة الانشائية التي تحكمت فيها مواد بنائية وزخرفية في بلاطات خزفية ورخامية وقطع آجرية وغيرها من المواد ، كما أنه من المحتمل أن يكون تقليدا لشكل الأحواض التي أقيمت تحت القباب في صحون المساجد الأولى ، والتي كانت ذات شكل مثمن تبنى بالآجر وتكسى بألواح رخامية من الداخل ، أما الأرضية حولها فكانت ذات شكل مثمن أيضا [1] ، هذه الأخيرة التي من المحتمل أت تكون مسقط مبنى الميضأة الذي يتخذ الشكل المثمن .

كما يمكننا تصنيف الحوض الأرضي لنافورات العمائر الدينية خاصة إلى نوعين على حسب الوظيفة التي يؤديها وهما كالتالي :

أ . <u>النوع الأول</u> : يستخدم لغرف ماء الوضوء أو الغسل ، وتكون الأرضية التي تحيط به تحتوي على بالوعات لتصريف المياه ، ومن المحتمل أن تكون النافورات أو الفسقيات أو الميضآت الأولى على هذا الشكل ، وهذا النوع منها إما أن يكون ذا شكل بسيط يحتوي على حوض يتم تزويده بالماء بطرق تقليدية أو بواسطة أنبوب وسط الحوض ينفر الماء ويكون مستواه أقل ارتفاعا عن مستوى حافة الحوض ، أو تكون نافورته تحتوي على كامل أجزاءها ، وفي هذه الحالة لا يكون لها إلا الهدف التجميلي ويكون عملها وفقا لنظرية الدائرة المفرغة (سندرجها بدقة في عنصر طريقة سير الماء بالنافورات) ، ومن المحتمل أن يكون لهذا الحوض بالوعة متصلة بالخزان الأرضي الذي يموّل النافورة ، ويكون مقدار

1- رزق (محمد عاصم) : المرجع السابق ، ص 168 .

الماء النازل من النافورة هو نفسه مقدار الماء الذي يعود إلى الخزان بحيث يبقى الحوض مملوءا بالماء لكي يستخدمه للوضوء .

ب . **النوع الثاني** : ويستخدم لجمع وتصريف الماء بعد استعماله ، ويكون حوض النافورة معدا لغرف الماء ، وهذا النوع من النافورات غالبا ما يكون بسيطا في صنعه ذو تويج أقل ارتفاعا من حافة الحوض .

والملاحظ والواجب علينا التنويه به هو أن معظم النافورات التي بها كل العناصر المذكورة آنفا وجدت أكثر شيء بنافورات العمارة العثمانية ، وقد وجدناها بنماذج دراستنا اثنتان فقط : نافورة المسجد الكبير بتلمسان ونافورة أو ميضأة سيدي ابراهيم المصمودي ، ومسجد سيدي الحلوي المستحدث حوضه الثاني ، وهو في الأساس ينتمي للنوع الثاني أحادية الأحواض ، وهي عموما ذات الشكل الاسطواني ، تقوم على قاعدة بسيطة أو مباشرة فوق خزان الماء الأرضي ، يتوسط ذلك الحوض تويج متفاوت الاحجام يتدفق منه الماء ، وأمثلته عديدة وجدناها بكل من نافورتي أو فسقيتي قصر المنار وقصر البحر بقلعة بني حماد الفترة الحمادية ، و حوض الجامع الكبير وكذا حوض ونافورة قلعة المشور رغم حداثة بناءهما ، ونافورة جامع أبي مدين شعيب وكذا ميضأة مدرسته ، وسنرى ذلك عند دراسة تلك النماذج بمختلف العمائر والفترات في فصول دراستنا القادمة .

وقد كانت هذه عناصر عامة مكونة لشكل الميضأة بالعمارة الدينية ، إلا أننا قد وجدنا ميضآت موضوع دراستنا ، خالية من العناصر المعروفة بميضآت الفترة العثمانية ما عدى مبنى ميضاء مسجد سيدي الحلوي بتلمسان وهي إن صح التعبير عنها ببيت الوضوء وسنتكلم عن تفاصيلها المعمارية عند بلوغنا الفترة المرينية التي يندرج ضمنها المسجد والميضأة .

أما باقي ميضآت دراستنا فهي تحمل نفس وظيفة النافورة ومكانها وحتى شكلها ، ما عدا بعض الإضافات وتتمثل عموما إلى جانب كونها بسيطة ذات حوض واحد ، مع وجود المقاعد الحجرية أو الرخامية وبأشكال متواصلة وأخرى متقطعة التواصل ، وأمثلتها الحوض

الأسطواني بصحن المسجد الكبير بتلمسان الفترة المرابطية ، وميضأة مسجد سيدي ابراهيم المصمودي بتلمسان الفترة الزيانية بتلمسان ، إضافة إلى ميضأة جامع سيدي أبي مدين الذي بناه أبو الحسن المريني بالعباد بتلمسان وميضأة مدرسته ، ونافورة أو ميضأة جامع سيدي الحلوي ، الذي بناه أبو فارس عنان بن أبي الحسن المريني بتلمسان .

6. أماكن وجود النافورات :

1.6 . نافورات العمائر الدينية : ألحقت هذه النافورات بالمباني الدينية من جوامع ومساجد ومصليات ومدارس ، كما ألحقت أيضا بالخانقاوات والأضرحة .

واستعمل البعض منها لشرب الماء ، وهذا حسب ما أشار إليه ابن جبير في وصفه للجامع الأموي بدمشق بقوله : ".... **وقبة أخرى صغيرة في وسط الصحن ...... تحتها شباك حديد مستدير في وسطه أنبوب من الصفر**[1] **يمج (هكذا) الماء إلى علو فيرتفع وينحني كأنه قضيب لجين ، يشرد الناس لوضع أفواههم فيه للشرب منه استطرافا واستحسانا ، ويسمونه قفص الماء** ... "[2] .

كما أشار المقريزي في خططه إلى **أن جامع ابن طولون كان يحتوي في وسط صحنه على قبة تحتها قصعة رخام في وسطها فوارة تفور بالماء ، وكان هذا المكان المعد لصلاة الصغار**[3] ، وبهذا يمكننا القول أن النافورة هنا ليست الميضأة بل ربما كانت الفسقية من أجل الشرب ، لأن من المآخذ التي أخذت على هذا الجامع عدم وجود ميضأة فيه ، كما ورد ذكر حوض شرب يعتقد أنه الأول من نوعه أقيم في أقصى الجهة الغربية من صحن الجامع الأموي بدمشق[4] .

1- الصفر هو امتزاج النحاس مع الزنك ، **أنظر :** مورينو (مانويل جوميث) : الفن الاسلامي في اسبانيا ، ص 401

2- ابن جبير (أبي الحسن محمد بن أحمد) : رحلة ابن جبير ، المصدر السابق ، ص 197 .

3 المقريزي (تقي الدين) : المصدر السابق ، ص 266 ، 267 .

4- غالب (عبد الرحيم) : المرجع السابق ، ص 146 .

كما استعملت أحيانا نافورات العمائر الدينية في بعض المناسبات لوضع مشروب الاحتفال ، وهذا ما أورده المقريزي حول الاحتفال الذي أجري بعد الانتهاء من بناء إحدى المدارس بمدينة القاهرة بقوله : " ... **قد انتهت عمارتها جمع بها جمال الدين القضاة والأعيان .... وملأ البركة التي بوسط المدرسة ماء قد أذيب فيه سكر مزج بماء الليمون**" ، كما تحدث أيضا عن الاحتفال الذي أجري في مدرسة خارج القاهرة في قوله : "...**وملئت البركة التي بها سكر قد أذيب بالماء ، وأكل الناس وشربوا** " [1] .

وبهذا فإن نافورات العمائر الدينية أدت في بعض المباني وفي فترات زمنية معينة وظائف ثانوية غير وظيفة الوضوء التي تبقى السبب الأساسي والدافع الرئيسي لإدخال هذا العنصر المعماري في المباني الدينية واستمرارية وجوده عبر الأزمنة .

2.6 . <u>نافورات العمائر المدنية و العمومية</u> : واحتوت أماكن متعددة من العمائر المدنية على النافورة المائية ، واختلف الهدف من وضعها حسب المكان الذي وجدت فيه ، فنجدها في كل من :

1.2.6 . <u>الأفنية الداخلية والخارجية للقصور والمنازل</u> : ونجدها بشكل واسع وسط الفناء الداخلي للقصر ، والذي يعد المجال المركزي والعصب الحيوي من المسكن الأصيل ، والذي يعتبر العامل المساعد على تلطيف الجو ومعدل للحرارة أو موزع لها سواء في النهار أو في الليل [2] ، لذلك وضعت النافورة وسطه كعامل يساعد على هذه الوظيفة ، إضافة إلى كونها عنصر تجميلي وتزييني اعتبارا من أن المسلم ينصب اهتمامه على الواجهات الداخلية للمبنى ، لذلك طور الصحن إلى أن تحول إلى حديقة فيحاء تفجرت فيها

1- المقريزي (تقي الدين) : المصدر السابق ، ص 401 ، 404 .
2- عقاب (محمد الطيب) : قصور مدينة الجزائر أواخر العهد العثماني ، دار الحكمة ، 2000 م ، ص 60 .

المياه الجارية بحيث أصبح الحوش فردوسا أرضيا [1] ، كما وجدت في ساحات القصور خاصة بالقريب من مكان الجلوس والاستقبال .

كما تحتوي الأفنية الخارجية للمنازل على نافورات تزينها ، باعتبار أن هذا المكان أول ما يصادف الداخل إلى المبنى ، وبهذا فإن الهدف تزييني بالدرجة الأولى ، كما احتوت بعض الحدائق التابعة للقصور على نافورات تزيد من جمالها وتقربها من الجنات التي وعدها الله لعباده المتقين ووصفها في كتابه الكريم .

2.2.6 . <u>الأواوين والحمامات</u> : ولهذه النافورات هدف وظيفي يتمثل في تلطيف الجو للمستحمين ، إضافة إلى إضفاء نوع من الجمال والبهاء أثناء جلوسهم هناك من أجل الانتظار أو بعد الانتهاء من الاستحمام ، ويكون موقعها على حسب مساحة الصحن ، فإذا كانت مساحته واسعة فإن النافورة توضع في الوسط ، أما إذا كانت ضيقة فتوضع في جانب منه .

3.2.6 . <u>المنشآت الاستشفائية</u> : تتوسط النافورات بعض قاعات البيمارستانات ، لتلطيف درجة الحرارة وخلق جو من الهدوء والسكينة للمرضى ، مما يوفر جوا مناسبا للاستشفاء ، ومن أمثلة هذه المنشآت بيمارستان قلاوون (687 هـ / 1249 م) بالقاهرة ، والذي لم يبق منه إلى وقت قريب غير إيوانين كان بكل منهما سلسبيل تنساب عليه المياه لتتجمع من خلال مجرى مائي في فسقية أو حوض رخامي ، ثم اندثر هذا البيمارستان حتى لم يبق منه إلا جزء من القاعة الشرقية به فسقية رخامية [2] ، إضافة إلى ذلك ما أنجزه الموحدون في مستشفى مراكش الذي وصفه المراكشي في كتابه المعجب : " ..... **وبنى يعقوب المنصور بمدينة مراكش بيمارستان ..... ، أمر البنائين باتقانه على أحسن الوجوه .... ، وأمر أن يغرس فيه مع ذلك من جميع الأشجار المشوشات والمأكولات ،**

1- جودي (محمد حسن) : المرجع السابق ، ص 63 .
2- محمود (عبد الباسط محمد) : المرجع السابق ، ص 222 .

وأجرى فيه مياها كثيرة تدور على جميع البيوت ، زيادة على أربع برك في وسطها إدهام رخاميا أبيضا " [1] .

4.2.6 . المنشآت التجارية : احتوت أغلب المنشآت التجارية من فنادق وخانات ووكالات و قيسريات في العهود الاسلامية على فناء أوسط مستطيل الشكل به ، إما مباني دينية لإقامة فروض العبادة في مكان العمل ، أو فوارة أو فسقية [2] .

وخلاصة ما عرضناه أننا وجدنا معظم أنواع النافورات والميضآت **بصحن** المعالم الأثرية، هذا راجع لدافع التقليل من حدة الحر ، ما دفع إلى ضرورة عمل مساحات مكشوفة واسعة في كل من الأبنية الدينية والمدنية على السواء ، لحماية الأماكن المسقوفة فيها من حرارة الشمس ، والمحافظة على الاتصال المباشر بالهواء الطلق .

فصحن المسجد هو المساحة المكشوفة منه ، والتي تتصل بحرم المسجد وأروقته وجدرانه الخارجية ، ولمعظم المساجد الجامعة صحون ، والصحن بالنسبة للجامع هو رحبته المتسعة التي تلي بيت الصلاة ، وبالنسبة للمسجد فهو جزء منه ومكمل له وأحد عناصره الرئيسية التي لا غنى له عليه ، حيث مكان النافورة والميضأة يكون دائما به في العمارة الدينية .

ففي كثير من المساجد يضم الصحن مصادر للماء ، يتوضأ به الناس ، وهي في الأغلب على شكل بحيرات ، يندفع منها الماء الجاري ويشكل بالإضافة إلى مهمتها الأساسية لمسة جمالية على صحن المسجد [3] .

1- المنوني (محمد) : حضارة الموحدين ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ، 1989 م ، ص 29 .
2- رفعت (موسى محمد) : المرجع السابق ، ص 66.
3- الضاوي (أحمد) : المرجع السابق ، 360 **وأنظر :** مؤنس (حسين) : المساجد ، عالم المعرفة ، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت 1401 هـ/1981 م ، ص 58 و**أنظر :** عبد الجواد (توفيق حمد) : المرجع السابق ، ص 100 و **أنظر :** الرفاعي (أنور) : الاسلام وحضارته ونظمه الإدارية والسياسية والأدبية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والفنية ، الطبعة الثالثة ، دار الفكر ، دمشق ـ سوريا 1422 هـ / 2002 م ، ص 379 .

وقد وجدت أشكال الصحون في المساجد الجزائرية مربعة أو مستطيلة ومن الأمثلة على ذلك جامع المنصورة والجامع الكبير بتلمسان ، فقد كان صحن هذا الأخير مستطيلا أيام المرابطين ثم أصبح مربعا في العهد الزياني ، ومن الصحون ما كان على شكل نصف دائري ، والبعض لها صحن غير منتظم [1] .

7 . طريقة سير الماء بالنافورات وأحواضها :

يتطلب عمل النافورة تقنية خاصة ، اعتبارا من أنه يتم سير الماء عكس الجاذبية الأرضية ، فلكي يتم ذلك يجب أن يخضع الماء لضغط يدفعه ، إما بثقل الماء الذي يكون في مكان مرتفع ، أو عن طريق آلة ضخ المياه مثلما يستعمل في الوقت الحالي .

ويعد ذلك قديما ضمن الأعمال الراقية التي تعود تقاليدها إلى القرن الثالث قبل الميلاد (3ق.م) وبالضبط إلى العصر الهلنستي ، واستمر خلال عصر الامبراطوريتين الرومانية والبيزنطية حتى العصر الاسلامي ، حيث طور المسلمون الوسائل لاستغلال الثروة المائية، ويظهر ذلك من خلال ما ورد في بعض المخطوطات ، والتي من أهمها :

– كتاب ابن الجزري الذي ألفه في ديار بكر سنة 602 هـ / 1206 م ، والكتاب مقسم إلى ستة فصول ، تضمن الفصل الرابع منه النافورات ، والفصل الخامس آلات رفع الماء[2].

– كتاب الأجهزة البارعة (الآلات البارعة) ، ويحتوي على وصف ثمانين آلة ، عبارة عن أدوات الحيل من أنواع مختلفة ، والباقي يتضمن النافورات والمصابيح [3] ، كما اخترعت

---

1 - Bourouiba (R) : Apports de L'Algérie à L'Architecture Religieuse Arabo –Islamique office de Publications Universitaires , Enterprise Nationale du livre – Alger 1986 , P 61 .

2- أجيوس (ديونيسيوس) : التأثير العربي في أوربا العصور الوسطى ، ترجمة : قاسم عبده قاسم ، الطبعة الأولى ، دار روتابرينت للطباعة ، 1999 م ، ص 45 .

3- المرجع نفسه ، ص 45 .

أعدادا كبيرة من نافورات المياه الصاعدة ، و تم شرح صعود المياه إلى الأماكن المرتفعة في كتب العلوم التكنولوجية عند العرب [1] .

ويعتمد عمل النافورات أساسا على نظرية اندفاع الماء من الأسفل إلى الأعلى ويكون ذلك إما بوقوع منبع الماء في مستوى أعلى من مكان نفره بالنافورة ، أو بوضع صهريج مرتفع يتم تزويده بواسطة **ناعورة** [2] ومنه يتم تزويد النافورة .

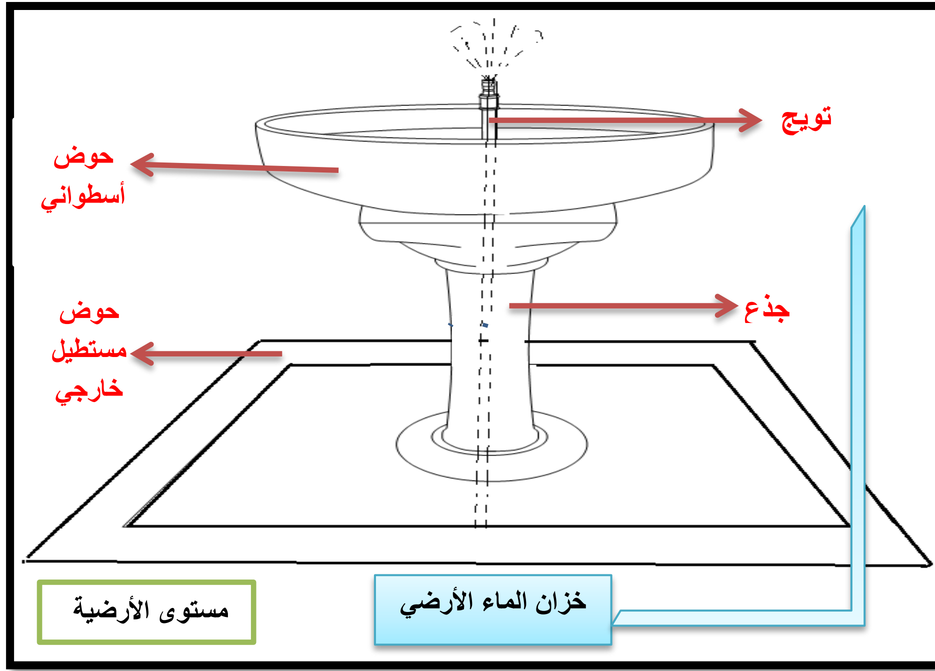
ومما لا شك فيه أن مجموعة النافورات موضوع الدراسة كانت تعمل وفقا لهذه النظرية، والتي كانت تزود بشبكة مائية من المناطق المرتفعة ، إضافة إلى المناطق المنخفضة كما هو الحال بمسجد سيدي الحلوي بمدينة تلمسان. إذ تعتمد هذه الطريقة أساسا على ظاهرتين:

1.7. عمل النافورة وفقا لظاهرة الدائرة المفرغة :

ويتم وضع أنبوب في قلب النافورة ، يتناقص قطره كلما اتجهنا نحو الأعلى حتى يصل إلى مستوى القذف في فتحات التويج ، ويرتبط ارتفاع قذف الماء أساسا بعلو مصدر إلى المغذي للنافورة وشدة انحدار القناة التي يأتي عبرها ، كما له علاقة مع قطر الأنبوب الذي يصل عبره الماء إلى مستوى القذف ، بحيث كلما قل قطر الأنبوب كلما زاد ارتفاع الماء ، والماء الذي يسقط في الحوض الأرضي يصرف عبر قناة إلى صهريج أرضي صغير موضوع بالقرب من النافورة ويتصل بالحوض الأرضي بواسطة بالوعة يتم من خلالها عودة الماء إلى الخزان ، وبالتالي يعود الماء للدوران داخل النافورة (الشكل 01) .

1- حلاق (حسن) : تاريخ العلوم والتكنولوجيا عند العرب ، لبنان ، الطبعة الأولى ، دار النهضة العربية بيروت ، 2007 م ، ص 81 .

2- الناعورة : جمعها نواعير ، وتسمى كذلك نورية ، آلة لرفع الماء قوامها دولاب كبير من خشب يقام في مجرى ماء ويصدر دورانه صوتا مميزا ، يثبت محوره على جدار عال من حجر وتوزع على دائرته الخارجية دلاء تغرف المياه أثناء دورنه ، لتصب عندما ترتفع في قناة تجري في أعلى الجدران ، لتوزع منها على البساتين والمنازل والمساجد والحمامات وأحياء المدينة ، وتسمى النواعير التي تديرها الحيوانات باسم لسانية ، **أنظر :** غالب (عبد الرحيم) : المرجع السابق ، ص 428 ، و**أنظر :** البعلبكي (منير) : موسوعة المورد ، المجلد السابع ، ، الطبعة الثانية ، دار العلم للملايين ، ص 139 .



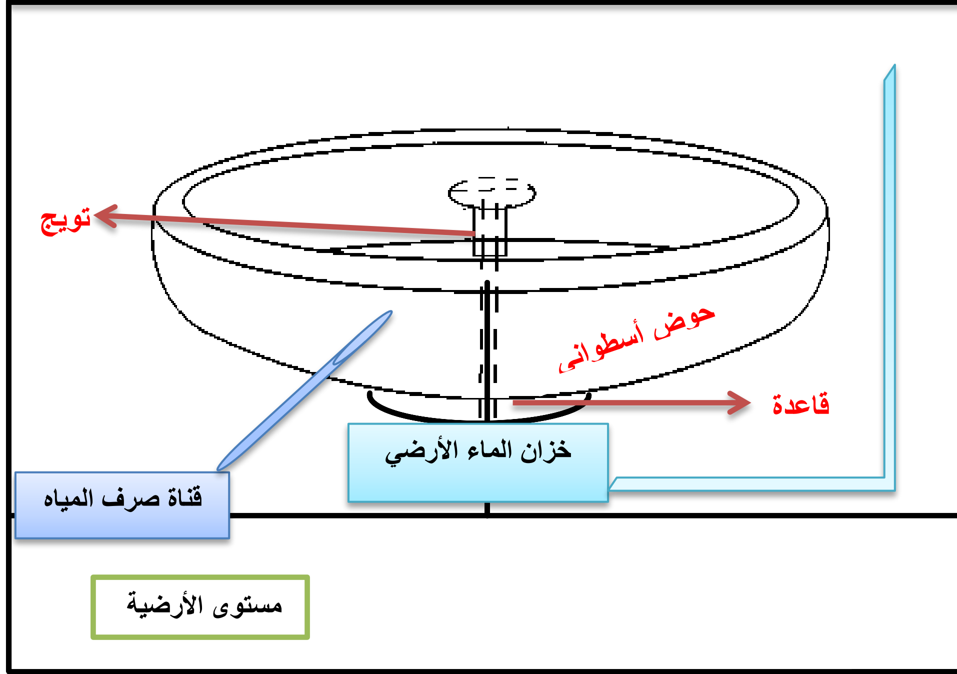
الشكل 01 : عمل النافورة وفقا لظاهرة الدائرة المفرغة . من عمل الطالبة .

و النافورات المائية التي تعمل وفق هذه الظاهرة ، هي نافورات كل من الساحات العامة والمرافق العمومية والعمائر المدنية التي توضع من أجل الزينة وتلطيف الجو في أيام الحر. ومن المحتمل أن نافورات العمائر الدينية ذات هدف وظيفي والمتمثل في الوضوء وكذا تزييني ، إذا يكون حوضها الأرضي معد للوضوء تعمل بهذه الطريقة ، مع توافق كمية الماء النازلة من النافورة مع الكمية التي يتم خروجها عبر القناة من الحوض ، بحيث يبقى الماء في هذا الأخير في مستوى قريب من الحافة ليتم الوضوء منه .

2.7. <u>عمل النافورة وفقا لظاهرة استحالة الدائرة المفرغة :</u>

وتتم هذه العملية بواسطة ايصال الماء والهواء بما لا يسمح بوجود حائل بينهما وذلك بأن يكون تويج النافورة أو أنبوب ضخ الماء قليل الارتفاع عن حافة حوض النافورة ، إضافة إلى ارتفاع مكان التزويد بالمياه عن مستوى نفر الماء ، ويخرج الماء حتى يصل إلى مستوى امتلاء الحوض أي تصل إلى قمة الفوار فتغطي فوهته فتحجب اتصاله بالهواء ويتوقف فوران المياه ، وعند استعمال هذه الأخيرة يقل مستوى الماء في الحوض فتنكشف

فوهة الفوار ليصل الهواء ويعاود نفر المياه ليمد الحوض بنفس مقدار الماء المأخوذ منه[1](الشكل 02) .



الشكل 02 : عمل النافورة وفق ظاهرة استحالة الدائرة المفرغة . من عمل الطالبة .

ومما لا شك فيه أن النافورات ذات الهدف الوظيفي كانت تعمل وفقا لهذه الظاهرة ، ومن بينها تلك الموجودة في المباني الدينية والمستعملة للوضوء ، إضافة إلى أنها استعملت في صنع أو بناء بعض الأسبلة .

ونماذج دراستنا معظمها **تعمل** وفق الدائرة المفرغة حتى الشاذروانات بقلعة بني حماد ، إضافة إلى فساقية قصر المنار و قصر البحر ، إذ ينبع ماء هذا الأخير عبر فوهات الأسود، وكذا نافورة الجامع الكبير المرابطي بتلمسان ، ونافورة أو ميضأة مسجد سيدي ابراهيم المصمودي الزياني، ونافورة أو ميضأة سيدي أبي مدين شعيب المريني ، حتى الجزء العلوي المستحدث بنافورة أو ميضأة مسجد سيدي الحلوي ، وماعدا ذلك نجد الحوض السفلي الأصلي بها يعمل وفق استحالة الدائرة المفرغة والدليل على ذلك قناة

1- محمود (عبد الباسط محمد) : المرجع السابق ، ص 221 .

صرف المياه الجانبية بداخل الحوض نفسه ، وبذلك اجتمعت بهذه النافورة أو الميضأة الطريقتين في آن واحد ، كما هو الحال بحوض الجامع الكبير المرابطي بتلمسان والحوض المتعامد والنافورة بقلعة المشور الزيانية ، إضافة إلى الحوض الصغير بصحن مدرسة سيدي أبي مدين المريني ودليل ذلك وجود قناة تتوسطه تمونه بالماء وعند امتلائه ينقص الفائض عبر منافذ جانبية ببدن الحوض مباشرة لساقية رابطة بينه وبين الحوض الكبير ، الذي بدوره يعمل وفق استحالة الدائرة المفرغة ويتضح ذلك من خلال قناة صرف المياه الجانبية بالجهة الخارجية لسور المدينة .

8 . <u>مواد صناعة النافورات أو الميضآت وأحواضها</u> :

تعددت مواد صناعة نافورات أو فسقيات وكذا أحواض موضوعنا ، وتمثلت مجملها في:

1.8 . <u>الرخام</u> : هو حجر جيري متحول[1] ، يتركب أساسا من بلورات الكاليست ، أو في أحوال قليلة دولوميت أعيد تبلورها لتعطي صخرا صلدا متماسك الحبيبات [2] ، ذو تركيب بسيط فهو أحادي المعدن ، لذلك يبقى كما هو حتى ولو ارتفعت شدة التحول عليه ، وقد تظهر بعض الأحزمة أو الخطوط المكونة من شوائب معدنية ، وذلك في بعض صخور الرخام التي تعرضت لتشوه شديد أثناء عملية التحول ، كما تظهر صخور الرخام بألوان متعددة مثل الأبيض والرمادي والأسود [3] ، فإذا كان أبيضا يكون شفافا نتيجة تحوله عن صخور جيرية نقية خالية من الشوائب أما إذا كان ملونا فيرجع ذلك إلى ما يحتويه الحجر الجيري الأصلي من شوائب معدنية مختلفة الألوان أثناء عملية التحول والتي تلعب بدورها على تشكيل ألوان الرخام ، فمثلا الأسود يرجع إلى وجود شوائب محمية بيومترية سوداء ،

1- ويبدأ التحول عندما تتعرض الصخرة لظروف طبيعية وكيميائية تؤدي إلى عدم استقرار المعادن المكونة له ومن ثم يتحول إلى معدن آخر ثابت تحت ظروف جديدة وتتم هذه العملية داخل القشرة الأرضية ، **أنظر** : القليوني (باهر عبد الحميد) : علم الصخور المتحولة ، مطابع جامعة الملك سعود ، السعودية 1998 م ، ص 14 و**أنظر :** عز الدين (محمد) : علم المعادن : الطبعة الرابعة ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة 1977 م ، ص 229 .

2- القليوني (باهر عبد الحميد) : المرجع السابق ، ص 26 .

3- عثمان مشرف (محمد عبد الغني) : تطبيقات في الجيولوجيا العامة ، الطبعة الثانية ، دار المريخ للنشر الرياض المملكة السعودية 2002 م ، ص 128 - 138 .

واللون الأحمر والبني المحمر يرجع عادة إلى أكسيد الحديد ، أما عن اللون الأصفر فيرجع إلى وجود الليمونيت [1].

عرفت أنواع الرخام التي استخدمت في العمائر مسميات أطلقت عليها إما لاختلاف مواطن جلبها وإما لتباين أشكالها وألوانها ، منها رخام أبيض وهو الصافي الشفاف الخالي من الشوائب ، ورخام أزرق زنجي وهو أزرق داكن يميل إلى السواد ، ورخام بلوري وهو نوع أبيض يمتاز باللمعان والشفافية مثل البلور، أو حسب وصف وتركيب الرخام ، منها المجزع أو المعرق ، كما يطلق عليه صنّاع الرخام اسم اللحم والشحم وذلك تشبيها لتجازيعه العروقية بقطع اللحم والشحم ، وإما لتنوع أساليب استخدامها وصناعته[2] .

وللرخام مميزاته الخاصة ، فهو ذو نعومة من حيث ملمسه المصقول والذي يعطي نوعا من البريق الطبيعي لأسطحه ، خاصة عندما يسقط عليه الضوء .

كما أنه مادة صلبة مقاومة للتآكل وسهلة التنظيف ، فهو مادة نبيلة ورقيقة رغم خشونة أصلها ، تظهر عند بلوغ الحضارات أوجها وتضفي على الأبنية التي تكسيها جمالا وصفاءا [3] .

هذه المميزات ساعدت كثيرا على استعماله في العمارة الاسلامية ، حيث استخدم في تبليط أرضياتها و تكسية جدرانها وكذلك في عمل فساقياتها ومنابرها ودكّات مبلغيها ، إلى جانب صناعة بعض الأواني الرخامية وحواملها ، وغيرها من الأغراض الفنية [4] ، كما صنعت منه المحاريب ذات قطعة واحدة [5] .

1- حسانين (إبراهيم وجدي إبراهيم) : أشغال الرخام في العمارة الدينية في مدينة القاهرة في عهد محمد علي وخلفائه ، رسالة ماجستير في الآثار الاسلامية ، جامعة القاهرة ، كلية الآثار 2007 م ، ص 20 .
2- رزق (عاصم محمد) : المرجع السابق ، ص 120 .
3- باكار (أندري) : المرجع السابق ، ص 15 .
4- رزق (عاصم محمد) : المرجع السابق ، ص 119 .
5- الديوه جي (سعيد) : "الزخارف الرخامية في الموصل " ، مجلة سومر ، المجلد 20 ، الجزء الأول والثاني ، 1964 م ، ص 71 .

وكلمة " رخام " أو " مرمر" كانت تطلق قديما على أي صخر قابل للتلميس ، فالحجارة الكلسية و الغرانيت والبازلت مادامت قابلة للتلميس فهي بالنسبة لهم رخاما [1] .

وبعدها أصبحت كلمة مرمر وكلمة رخام مترادفتين وتطلق على الصخور الكلسية المتحولة أو الرسوبية ، غير أن المرمر يختلف عن الرخام في ظروف تكوينية ، رغم أنه يشبهه إلى حد كبير .

2.8. المرمر : وهو عبارة عن حجر جيري متبلور ، وهو صخر رسوبي كيميائي النشأة يتكون من بلورات كلسية معشقة أو متشابكة ومتداخلة مع بعضها البعض ، ويمتاز هذا النوع من الصخر بأنه متجانس وكثيف [2] ، فهو مجزع ومعرق كالرخام[3] ، ويغلب عليه اللون البرتقالي المصفر أو القشدي ، ولكن قد يكون لونه رماديا داكنا أو أسودا إذا كانت به نسبة كبيرة من الشوائب [4] ، أو أحمر أو أبيض ناصع ، لذلك يعتبر اللون من أهم الخصائص المميزة له بصفة عامة [5] .

3.8. الدبش : ويعتبر المادة المكونة لكل المنشآت المائية الحمادية ، وهو عبارة عن حجارة ذات تركيب كلسي تخضع الكتل منها قبل استعمالها إلى عملية نحت وتهذيب ، وهو نوعان :

أ . ذو اللون الأصفر : استعمل في أغلبية البنايات .

ب . ذو اللون الأزرق : وجدنا نماذج منه بقصر المنار .

وقد استخدمت هذه المادة بمقاسات صغيرة لسهولة تصميم الشكل النصف أسطواني للدعائم ، وتتراوح المقاسات ما بين 10 و 12 و 13 سم طولا ، و 10.5 و 15 و 10 سم عرضا .

1 - Lambertie (R.M) : L’industrie de la pierre et du marbre ; Que Sais-je P.U.F ; Paris 1962 , P 29 .

2- عثمان مشرف (محمد عبد الغني) : المرجع السابق ، ص 102 .
3- البعلبكي (منير) : المرجع السابق ، ص 558 .
4- عثمان مشرف (محمد عبد الغني) : المرجع السابق ، ص 102 .
5- حسانين (إبراهيم وجدي إبراهيم) : المرجع السابق ، ص 21 .

كما نحت الدبش بشكل مكعب ، للتمكن من تشكيل المسقط الدائري لمواجل قصور قلعة بني حماد [1] ، كما استعمل أيضا بمقاسات متوسطة ، إضافة إلى تشكيل العقود والأقبية فقد روعي في ذلك اختيار القطع قليلة الارتفاع .

كما استعمل أيضا في جب المسجد الجامع لقلعة بني حماد بمقاسات كبيرة ، وقد تم اختيار القطع ونحتها ، وذلك لتعرض البناء إلى ضغط قوي يتمثل في أرضية الصحن والمياه المخزنة وثقل عدد المصلين .

4.8. الجير المائي : ويتم الحصول على هذه المادة بحرق الحجارة الكلسية المكونة من كربونات الكالسيوم ، ونسبة من المواد الطينية ، وتتراوح ما بين 10إلى12 %، ويحرق في الأفران على درجة حرارة تبلغ 900 ° و 1100 ° ، من صفاته الخاصة أنه يتصلب في الماء و الهواء ، ولا يتأثر بالرطوبة وتصلبه بطيء .

5.8. الملاط : واعتمدنا على معرفة مكونات الملاط المستعمل في المنشآت خاصة الحمادية منها على عملية التحليل الكيميائي الذي قامت بها البعثة المشتركة الجزائرية البولونية ، لعينة من ملاط جب المسجد الجامع بقلعة بني حماد ، وأسفرت هذه التحاليل على مواد تركيب الملاط على ما يلي : 78.5 % من الجير و 8.4 % من الجبس و 13.01 % من الرمل والفخار [2] .

فنستنتج أن الملاط مكون من نسبة عالية من الجير عكس الملاط المستعمل في المنشآت الرومانية التي ترتفع فيها نسبة الرمل [3] و نسبة ضئيلة من الجبس .

فيتميز الملاط الجيري المستعمل في القلعة بصلابته الشديدة ، كما أضيف له الآجر المدكوك ، لغرض المحافظة على الرطوبة ما يزيد من صلابته .

---

1 - Robert (A) : La kalaa et Tihammamine un recueil des notices et mémoires de la société archéologiques de Constantine, 1903 , P 35 .
2 - Duthoit (E) : Rapport sur une mission scientifique en Algérie , (Archive des missions scientifiques 1873 , 3 [éme] série) , T 1 ; P 82 , 83 , 84 .
3 - Solignac (Marcel) : Recherches Sur les Installations hydrauliques de Kairouan, et des steppes tunisiennes du VII au XI siècles (J. C), Alger 1953 T XI , P 146 .

6.8. <u>الحجارة</u> : من المواد التي لعبت دورا أساسيا في عملية البناء ، فقد استخدمته الحضارات القديمة ، بالإضافة إلى دوره في عملية الزخرفة ، فقد نحتت من هذه المادة التيجان و الأفاريز وبعض العناصر الأخرى .

وهي عبارة عن صخور رسوبية كالحجر الجيري و الدولوميت ، صخور نارية كالجرانيت والبازلت وصخور متحولة كالرخام ، ويطلق الحجر بمعناه العام على قطع الصخور الصغيرة أو الصخور الصلبة المتكونة من كسارة وفتات الصخور وتصلبها ، ومنه الأحجار الكريمة كالذهب والفضة .

وقد وجدت به أنواع كالحجر الرسوبي و الأردواز ، والحجر الكلسي الصلب والهش سريع الانكسار ، كما هناك الحجر الجيري والحجر الرملي [1] .

و في بلاد المغرب الأوسط اتخذته مختلف الدويلات للبناء والزخرفة ، ومنهم الحماديين على وجه الخصوص ، حيث بنوا بعض منشآتهم من هذه المادة ، كجدران قصر البحر وحوضه الكبير .

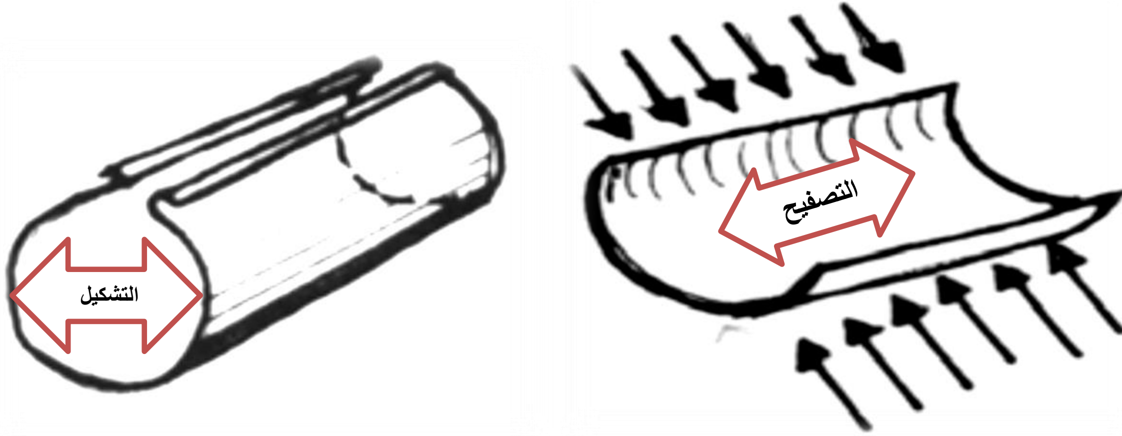
7.8. <u>الآجر</u> : لفظ فارسي معرّب معناه اللبن ، إذا لطخ يستخدم في البناء ومنه أيضا آجر الجدران ، والآجر الحراري والمثقوب والمجوّف والمزجّج والمستدير والمقولب والمملوء .

استعملت هذه المادة عند الحماديين في عدّة أماكن وبأشكال ومقاسات مختلفة ، إذ نجدها مستعملة في بناء الجدران ، كما وجد الآجر بقلعة بني حماد بحوض المنار، ويعتبر البناء الوحيد الذي استعملت هذه المادة الآجر كمادة تركيبية ، ولوكان بكمية ضئيلة .

8.8. <u>الرصاص</u> : وتستعمل هذه المادة على شكل أنابيب ، تهيأ في فوهات العيون والصهاريج وبالوعات الصرف ، أي في النقاط التي يقل فيها ضغط المياه ، وكانت تغمر بكمية من الملاط لتجنب انحرافها عن مكانها ، ويعود استعمال الأنابيب الرصاصية إلى الفترة الرومانية ، ويتم تشكيلها بطرق الصفائح من معدن الرصاص ليعطي له شكل أسطواني مجوف (الشكل 03) ، وترصّع الحواف وتلحم .

1- رزق (محمد عاصم) : المرجع السابق ، ص 73 .

إضافة إلى قنوات جلب وصرف للمياه من مادة **الفخار**، لكن لهشاشة المادة وبحكم مكانها الأرضي المعرّض جدا للتلف ، ووجدناها خاصة بتلمسان التي لم تبق منها إلا عينات قليلة .



الشكل 03 : طريقة تصفيح وتشكيل الأنابيب من الرصاص . عن خرباش . بتصرف

9.8 <u>الطلاء</u> : ويمتاز الطلاء المستعمل في القنوات والأحواض والصهاريج ، ويتكون من الجير والرمل والآجر ، وقد روعي في اتقان الطلاء وصقله خاصة في القنوات لتجنب احتكاك المياه الذي يسبب تآكله مع مرور الوقت ، وكان سمكه مقرونا بحجم البناء وكمية المياه المخزنة .

9 . <u>أهم مقالع استخراج الرخام بالجزائر</u> :

استعمل الرخام في صناعة نافورات المغرب الأوسط في الفترات الاسلامية موضوع دراستنا، وكذا بأحواض الحمامات والأسبلة ، فوجدنا نافورات تزين أفنية القصور والمنازل ، وميضآت في صحون المساجد ، وإن هذا الاستعمال الواسع لمادة الرخام والاقبال الشديد عليها ، جعلنا نتساءل ما إذا كانت محاجر الجزائر كافية لسد هذه الحاجة أم لا ، لأن هناك كمية من الرخام كانت تستورد من الخارج ، خاصة لو علمنا أن للجزائر محاجر كثيرة استعملت منذ الفترة القديمة ، ومن أهم هذه المحاجر :

1.9 . <u>مقلع فليفلة</u> : يوجد قرب سكيكدة على شاطئ البحر ، وهو ذا شهرة عالمية مساحته الاجمالية حوالي 33 هكتار ، تم استغلاله من طرف الرومان قديما ، فصنعت منه التماثيل والأعمدة كما جعلوا من رخامه المادة الأولى في زخرفة معابدهم التي لاتزال في كل من سطيف و لامبيز وبعض المناطق وفي وسط وجنوب ايطاليا [1] ، وله لون أبيض جميل وأزرق وردي وأزرق معرّق بالأبيض ورخام أصفر وأحمر [2] .

2.9 . <u>مقلع واد العناب</u> : ويقع على بعد 28 كلم غرب عنابة ، يتكون من ثلاث طبقات مختلفة ، فنجده حينا أبيضا وحينا رماديا وأحيانا أخرى أبيضا تتخلله بقع زرقاء وصفراء ، ولم يتم استغلاله لأن طبقاته غير منتظمة تجعله غير صالحة للصناعة [3] .

3.9 . <u>مقلع قلعة جنوة</u> : ويوجد هذا المحجر على مسافة 8.5 كلم من مدينة عنابة ، ويقع على ضفة البحر لذلك يتم تنزيل القطع على سطح مائل إلى البحر ، استعمله الرومان قديما ، إذ يتميز رخامه بشدة مقاومته وسرعة صقله لجعله أكثر نعومة [4] .

4.9 . <u>مقلع عين تاقبالت</u> : وكان رخام هذا المقلع مستعملا من طرف أهالي تلمسان ، حيث أن جامع سيدي أبي الحسن يحتوي على مجموعة رائعة من شواهد القبور التي صنع معظمها من رخام عين تاقبالت [5] ، وكان هذا الأخير قد استعمل قديما من طرف الرومان وجدت أهميته في الفترة الاستعمارية حيث أعاد استكشافه **م . دالمونت** الذي قام ببحوث دقيقة ، وذلك بأخذ عينات من الصخور إلى الورشة [6] .

5.9 . <u>مقلع ضواحي مدينة ندرومة</u> : إضافة إلى ما تميز به رخامه من لون أصفر شفاف ، فقد تميز هذا المحجر بتشكيلة من أنواع متعددة الألوان تتراوح بين الأخضر

1- Notice sur les marbrières du Filfila , imprimeur spécial de la bourse de Commerce de Paris , Paris 1878 , P 1 .
2 - Ville (L) :Op.Cit , P 46 .
3 - Ibid , P 46
4 - Ibid , P 47
5- مرابط (ليلى) : الكتابات الشاهدية الزيانية (8-10 هـ/14-16 م) ، مجموعة متحف تلمسان دراسة أثرية تحليلية ، رسالة ماجستير في الآثار الاسلامية ، جامعة الجزائر ، معهد الآثار 2002 م ، ص 29 .
6 - Marbres Onyx translucides de carrières de Lisser , Près de Tlemcen , Mémoire Deva La Cour Impériale D'Alger n Imprimerie et Lithographie Ad Parbier , Oran 1865 ; P 5.6 .

والأبيض ، وهناك مقالع أخرى موزعة في الاقليم الوهراني ، نذكر منها على سبيل المثال مقلع لالة مغنية بتلمسان [1] .

كما توجد بضواحي مدينة الجزائر محاجر أخرى عديدة لكنها لم تستغل [2]، كمحجر برج البحري ومحجر شنوة شرق مدينة شرشال والذي أيضا من ميزاته تعدد ألوانه وشفافيته .

كما كانت هناك محاجر يستخرج منها مادة الرخام فمن المحتمل أنها كانت هناك ورشات لتصنيعه ، أو كانت تصدره قطعا وتستورد الرخام المصنوع ، كما أن معظم تلك المحاجر والمقالع بها آثار الاستغلال تعود إلى الفترة الرومانية ، أو استغلال طفيف في العهود الاسلامية التي سبقت الفترة العثمانية .

10. مواد زخرفة النافورات أو الميضآت وأحواضها : تعدّدت ومعظمها :

1.10 . البلاطات الخزفية أو الزليج : وتكمن أهمية استخدامها في تكسية جدران المباني في سهولة صيانته وتنظيفه بيسر دون أن تنفذ إليه المياه ، فضلا عن الجمال الذي يضيفه على المكان المستخدم فيه ، وقد تشمل الزخرفة بالزليج المفصص ذو الزخارف الهندسية من الأطباق النجمية والمضلعة والمربعات بمختلف أحجامها وأشكالها ، والتي كانت السائدة في زخرفة الأجزاء المختلفة من المباني الدينية والمدنية بالمغرب الأوسط ككل، وبذلك صارت جدران المباني العامة والخاصة وأرضياتها تكسى أو تبلط بصفة كاملة من الداخل والخارج بالزليج المربع الشكل [3] ، وتعد أكثر المواد استعمالا في تكسية كل من الأحواض الأرضية للنافورات أو الميضآت ، كون هذه الأخيرة تتعلق مباشرة بعنصر الماء ما يسبب اتساخ الأرضية والجوانب بسهولة ، وهي بذلك لملاستها تسهل عملية التنظيف .

2.10 . الرخام : إضافة إلى أنه المادة الأساسية لصناعة أغلب نافورات موضوع الدراسة فانه استخدم أحيانا كبلاطات تكسو بعض الأحواض إما لوحدها أو توضع مع بلاطات

---

1 -Dussert (D) et Bettier (G) : Les mines et les carrières , Paris 1932 ; P 47 .
2 - Ville (L) : Op.Cit , P 45 .
3- لعرج (عبد العزيز) : الزليج في العمارة الاسلامية في العصر التركي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الطبعة الأولى ، الجزائر 1990 م ، ص 21

خزفية ، ولهذا المزج هدف زخرفي وهدف تقني ، لأن القطع الخزفية تحمي من أضرار تمدد الرخام ، وهي أضرار خطيرة تنتج عن التفاوت الكبير في درجات الحرارة في بعض المناطق [1] ، كما استعمل في زخرفة المساحة التي تحيط بالنافورة ، حيث نجده كأعمدة يرتكز عليها حوضها .

3.10 . المعادن : استخدمت هذه المادة في عدة مواضع بالنافورات وما يتصل بها ، حيث احتوت أغلب النافورات الرخامية على مواسير أو أنابيب معدنية من الرصاص والنحاس ، يصعد عبرها الماء من قلب النافورة إلى فتحات القذف في التويج والتي تصنع بدورها من نفس مادة صناعة الأنبوب .

11 . تقنيات صناعة النافورات ومراحلها: واشتملت على مرحلتين وهما :

أ . **المرحلة الأولى** : و تكون باستخراج الرخام ونقله ، فبعد أن يتم الكشف عن أماكن تواجد الرخام عن طريق أخذ عينات من الأحجار وتحليلها ، وحينئذ تحدد أماكن الحفر لاستخراج الرخام فيما بعد وذلك بعمل فتحات طويلة موازية على شكل مستطيل ، وبعدها يتم تحديد واجهات القطع الرخامية المراد قطعها بواسطة أداة معدنية ، ثم يتم عمل ثقوب أعلى الحجر المراد قلعه وتوضع بداخلها أداة ذات حدين ثم يطرق عليها بسرعة وبقوة حتى ينفصل الحجر وبفضل هذه الأداة نحصل على قطع مصقولة وجاهزة مبدئيا للقطع ، ويعد فصل الصيف الموسم المفضل لإجراء عملية قلع الرخام [2] ، ثم تجمع القطع في مكان خاص ويبعث بها إلى الورشة ، وذلك حسب وسيلة النقل المتوفرة والسهلة ، أي عن طريق البر إذا كان المحجر في منطقة داخلية حيث يلجأ إلى العربات أو بواسطة مراكب أو بواخر إذا كان المحجر قريبا من النهر أو البحر ويتم نقل القطع إلى الضفة الأخرى [3] .

1- لعرج (عبد العزيز) : المرجع السابق ، ص 22 .

2 - Revault (J) : L’habitation Tunisoise pierre et fer dans la construction et le décor , C.N.R.S ; Paris 1978 , P 83 .

3- بن بلة(علي) ومقراني (محمد عزيز) : " دراسات تصنيفية للبلاطات الخزفية المعروضة بمتحف الوطني للآثار " ، حوليات المتحف لوطني للآثار ، العدد الرابع 1990 م ، ص 347 .

ب . **المرحلة الثانية** : صناعة وزخرفة التحف الرخامية عامة و النافورات خاصة هي عملية تتطلب وقتا طويلا وجهدا وتركيزا مستمرا ، إذ تعتمد أي نافورة رخامية أساسا على نحت الكتل التي يتم جلبها إلى الورشة ، في شكل أجزاء منفصلة عن بعضها البعض ، أو يتم نحت جزأين من قطعة واحدة ، كأن تنحت القاعدة من قطعة الجذع ، كما ينحت التويج والحوض في بعض النافورات من نفس القطعة ، ويجب خلال عملية النحت مراعاة توافق أجزاء النافورة فيما بينها ، كأن ينحت لسان على شكل أسطواني أسفل الحوض يتم إدخاله في أعلى الجذع ، وينتهي هذا الأخير في بعض الأحيان بشبه قاعدة فوقها حوض .

وهناك مراحل صناعية تمر بها النافورة حتى تصل إلى شكلها النهائي :

1.11 . مرحلة النشر والتهذيب : فبعد وصول الكتل الرخامية إلى الورشة والتي تكون عادة أكبر من حجم الجزء المراد تشكيله يتم تقسيمها إلى قطع على حسب الشكل التقريبي لكل جزء بحيث يتم انجاز كل من جذع وتويج أي نافورة ، أولا بتحديد الخطوط العامة للأشكال عن طريق استخدام وريقة من المعدن أو الكرتون لإظهار المسار المراد ابرازه ونحته وبعدها يتم انجاز الشكل باستعمال أزاميل مختلفة الأحجام والأشكال ، أما نحت وانجاز الحوض فإنه يتطلب تقطيع الكتلة إلى ستة أوجه ، وبعدها يتم رسم التصميم مباشرة على الرخام وينحت حتى يبرز التشكيل فيعاد الرسم ، وينحت وتتكرر هذه العملية كلما تلاشى الرسم تحت ضربات الإزميل [1] ، ويستعمل ورق الشفاف أثناء عملية نقل الرسم ، كما تستعمل أزاميل حديدية مختلفة الأحجام حتى لا تتكسر أو تتشقق قطعة الرخام [2] .

2.11 . مرحلة الصقل : وهي آخر مرحلة من مراحل الصناعة ، والمراد منها الحصول على الألوان الجميلة للرخام ، وهي عملية دقيقة ورقيقة تستوجب الصبر والدقة ، وتتم بإحدى الطريقتين :

1- باكار(أندري) : المرجع السابق ، ص 15 .
2 - Arseven (C.E) : Les Arts Décoratifs Turcs , Istanbul , S.D , P 102 .

أ . **الطريقة الأولى** : وتسمى عملية الجلي (الجلاء) والهدف منها إزالة الخروق والخطوط، وبعد ذلك تؤخذ قطعة من الحجر الطري ويقام بعملية الحك والتبليل بالماء حتى يصبح سطح القطعة أملسا ويبدو لونه واضحا أو يتم صقله عن طريق ملء الخروق ، ثم تسحق بقطعة من حجر الطري ، وتمسح بخرقة من القماش المبلل بالماء ، ويستمر العمل بهذه الطريقة حتى يظهر سطح الرخام لامعا .

ب . **الطريقة الثانية** : وتتم بحك قطعة الرخام والرمل ثم تحك بالحجر الطري ثم تملأ الخروق بمزيج الرمل والماء ، وتنعم بقطعة من الحجر ثم تؤخذ كتلة من الرصاص والقماش المبلل بالماء ثم تغطس في دقيق من ملح البارود مع كبريتات الحديد ويحك بها سطح قطعة الرخام حتى تصقل تماما [1] ، ولإيصال أي تحفة رخامية إلى شكلها النهائي ، يجب استعمال أدوات خاصة ، وهي :

12 . أدوات صناعة وزخرفة النافورات وأحواضها : شملت كلا من :

1.12. المجرفة : آلة تتألف من رأس حديدي على هيأة بيضاوية مقعرة فيها مقص خشبي وتستخدم في إزالة التراب وجرفه من على سطح المقطع لاستخراج الرخام .

2.12. الزنبيل أو الجردل : وسيلة تستخدم لرفع التراب الموجود فوق المقطع ، ويتخذ هيأة كروية مجوفة ذو عروتين ، وينسج عادة من البردي .

3.12. القدوم: آلة لها رأس حديدية مخروطية مدببة ولها نهاية عريضة تميل قليلا نحو الداخل، وتستخدم في عملية تهذيب قطع الرخام وتعديلها .

4.12. المنخل : وهو على أنواع عديدة ، فمنها منخل الثقب الذي يتخذ الشكل الأسطواني وينتهي برأس مخروطي على شكل هرم ثلاثي الأوجه ، ويستخدم في عمل

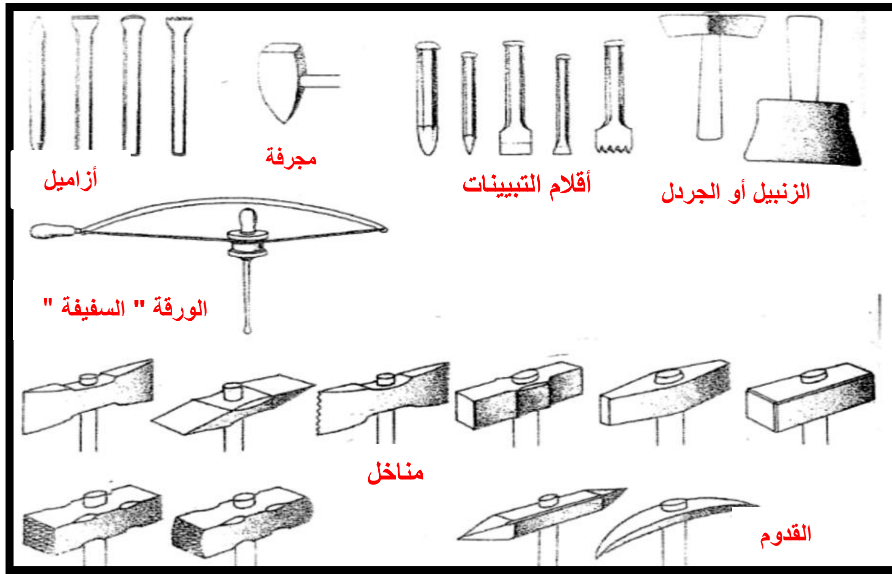
1- حسانين (إبراهيم وجدي ابراهيم) : المرجع السابق ، ص 34 .

ثقوب البارود في القطع الرخامية ، وكذلك منخل الغرز الذي يشبه سابقه ، ولكن الرأس تختلف حيث تتميز بانحنائها نحو الأمام وبقاطعه المسطح ونهايته الحادة .

5.12 . <u>أقلام التبيينات</u> : أقلام معدنية تمتاز بقطعها المسطح ورأسها المدببة ، وتستعمل في تقطيع القطع الرخامية الكبيرة إلى الأحجام المطلوبة .

وتم توضيح أشكال الأدوات السابقة ذكرها مجملا برسم بياني (الشكل 04).

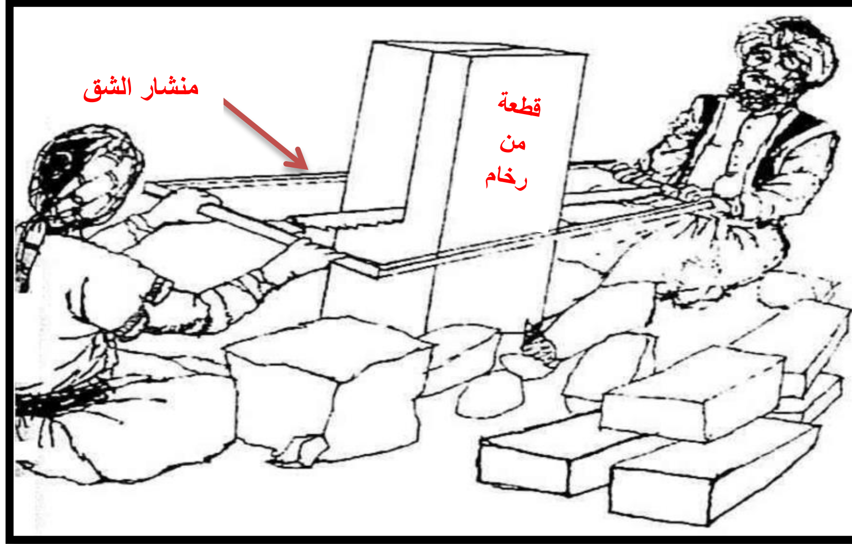
6.12 . <u>الورقة</u> " السفيفة " : وهي عبارة عن آلة فولاذية مسطحة رقيقة تستخدم في تقطيع الكتل الرخامية المتصدعة إلى الأحجام المرغوبة .



الشكل 04 : أدوات مختلفة لتشكيل قطع النافورات الرخامية . عن أحمد ايمان محمد طه وحمدوش .

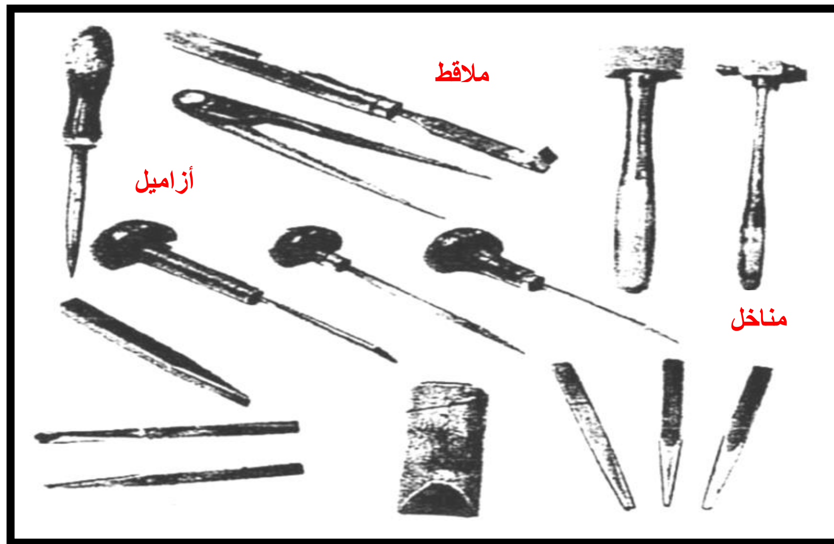
7.12 . <u>منشار الشق</u> : عبارة عن منشار يدوي يثبت وتوضع الشقة الرخامية على جانبيه يمينا ويسارا بواسطة حبلين ، ويجلس رجلين في الجانبين ، وكل منهما قابض على جهة المنشار ثم يبدأ في تحريك المنشار ببطء شديد حتى يحفر له مجرى يتحرك فيه ، وأعلى الشقة يجلس رجل ثالث بمكان عال يعلوا الشقة ، بجواره جردل به الرمل وآخر به

الماء ليسقي المنشار تارة بالماء وتارة بالرمل ، ويستمر في عملية تحريك المنشار حتى تتم عملية الشق المطلوبة [1] (الشكل 05).



الشكل 05: طريقة تقطيع الرخام بالمنشار اليدوي . عن أحمد ايمان محمد طه وحمدوش .

إضافة إلى ما سبق هناك أيضا أدوات تستعمل لتصميم الخطوط التمهيدية أهمها ، المسطرة والفرجار والأقلام المعدنية التي تستعمل في إعداد المواضيع الزخرفية ، كما يتم استعمال المبرد في إزالة النتوءات والعيوب لإعطاء التحفة شكلها النهائي (الشكل رقم 06)



الشكل 06 : أدوات مختلفة لنقش قطع النافورات الرخامية . عن أحمد ايمان محمد طه وحمدوش .

1- حساني (إبراهيم) : المرجع السابق ، ص 30 .

13 . تقنيات زخرفة النافورات وأحواضها :

و استخدمت فيها تقنية النقش أو النحت ، والتي تعني قطع الأشكال والزخارف دون فصلها عن السطح المعمول فيه [1] ، وتستلزم هذه العملية مهارة فنية كبيرة ومعرفة جيدة لأساليب التنفيذ ، لذلك كانت الزخارف المحفورة على الرخام أدق صنعا من تلك التي تنفذ على الحجارة ، ومن أنواع النحت بها نجد :

1.13. النحت البسيط : وهو نحت قليل البروز إذ يبدو ناتئا أحيانا مثل لوحات النحت الاغريقي ، أو خفيفا غائرا مثل لوحات النحت المصري القديم [2] .

2.13 . النحت البارز : ويقوم الفنان فيه برسم وتحديد العنصر الزخرفي المراد تشكيله على المساحة المخصصة لهذا الغرض ، ثم يحدد الإطار الخارجي للزخرفة ويقوم النحات بحفر الأرضية حوله حتى يصبح العنصر نفسه أعلى من مستواها ، ويكون الحفر بالنسبة للعناصر الزخرفية على مستويات مختلفة وبنسب متفاوتة والذي يقارب التجسيم .

3.13 . النحت الغائر : ويعتبر هذا الأسلوب من أقدم الأساليب الفنية وأبسطها ، ويتم بعد عملية صقل الرخام ، حيث يرسم الفنان العنصر الزخرفي ثم يقوم بتحديد إطاراته بحزوز خفيفة ثم يحفر هذا العنصر حفرا عميقا حتى يصبح غائرا عن السطح المحفور فيه ويكون الحفر على السطح بنسب متفاوتة .

4.13 . النحت المائل : وظهر أول مرة في فنون الاسلام في العهد العباسي ، ويحتمل أن يكون هذا الاسلوب الصناعي وصل إلى بلاد المشرق عن طريق فنانين ايرانيين أو أتراك ، حيث وجد هذا الأسلوب في أواسط آسيا عند قبائل السيت بسيبيريا ، أما ظهوره عند المسلمين فكان نتيجة عناية الفنانين بابتكار العناصر الزخرفية واختلاف عمق الحفر ،

1- رزق (عاصم محمد) : المرجع السابق ، ص 316 .
2- المرجع نفسه ، ص 316 .

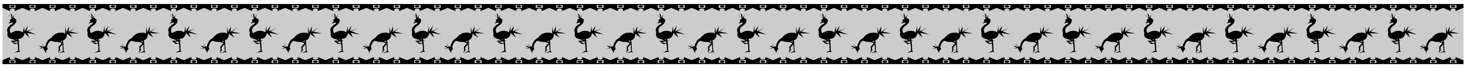
الذي نتج عنه مبدأ من مبادئ الفن الاسلامي وهو مبدأ تغطية الفراغ تغطية تامة بأشكال التوريق **الأرابيسك** * التي لم يكتمل تطورها إلا خلال القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي (5هـ/11م) [1] .

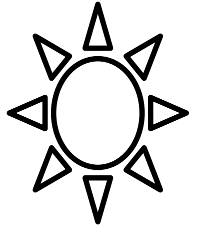
فشكلت عملية جلب الماء وتخزينه شغلا معتبرا في الفكر الاسلامي من أقدم العصور إلى يومنا هذا ، ومهما كان من أمر فقد خلق المسلمون منشآت مائية عديدة لا تزال بعض آثارها باقية إلى يومنا هذا ، تعكس لنا بحق مدى اهتمامهم وحسن تخطيطهم في استغلال هذه الثروة الطبيعية الغالية .

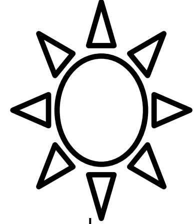
و نماذج النافورات موضوع دراستنا بالمغرب الأوسط كانت متوسطة العدد فزدنا من دعمها بذكرنا **للأحواض المزوّدة لها والمرتبطة بها** ، بمختلف أماكن العمارة ووظائفها، وسيكون لنا توضيح ذلك حسب التسلسل التاريخي للدويلات ، لهذا يتوجب علينا ذكر الجانب الجغرافي والتاريخي والمعماري للمغرب الأوسط ، على خطوات متسلسلة كل فترة في فصل خاص بها .

1- ديماند (م .س) : الفنون الاسلامية ، ترجمة : أحمد محمد عيسى ، مراجعة أحمد فكري ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، 1967 م ، ص 91 .

*الأرابيسك : بالمعنى العربي وهي اللفظة التي يمكن أن ترادف كلمة " الاسلامي " ، وهو عبارة عن أشكال لا علاقة لها بالواقع منوعة وذات طرز مختلفة ، ويتكون الأرابيسك أو الزخرف الاسلامي من وحدات نباتية محورة وقد أطلق بعض الدارسين العرب اسم التوريق على هذه الزخرفة على أساس أن الأوراق النباتية المجردة هي السائدة ، ولكن الفنانين المسلمين أضافوا إلى الأوراق النباتية عناصر هندسية مصغرة كوحدات زخرفية ، كما أضافوا في بعض الأحيان حروفا منفصلة أو مبهمة كانت هي ذاتها أساسا أو موضوعا للوحة فنية ويرجع ذلك إلى أن العرب في الاسلام خاصة قد أعطوا لكل حرف مدلولات خاصة ، **أنظر :** البهنسي (عفيف) : دراسات نظرية في الفن العربي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1974م ، ص 28 ، 29 . ، **وأنظر :** سعد زغلول (عبد الحميد) : العمارة والفنون في دولة الاسلام ، مطبعة الأنصار ، الاسكندرية ، ص 189 ، 190 .







الفصل الثاني

فساقي و أحواض عمارة قلعة بني حماد

تمهيد

1. تاريخ الدولة الحمادية .
2. سياسة الأغالبة المائية وتأثيرها على الحمادية .
3. المنابع المائية الطبيعية بقلعة بني حماد .
4. فساقي قلعة بني حماد وأحواضها من خلال تقسيماتها .

خلاصة



تعتبر منطقة المغرب الأوسط قلعة من قلاع الاسلام الحصينة ، وتاريخها حافل بالأحداث التي تجعل المرء يفتخر بها وهو يقرأ أو يكتب عنها ، والبعض منها يسبب غصة في الحلق ويترك بقعة سوداء في القلب ، لا ينتزعها إلا ايمان راسخ بسعة انتشار الاسلام ، والعمل المتقن في تتبع الروايات والبحث والتنقيب في المصادر التاريخية ، ومن بين تلك الدول والتي كان لها وزنا في **المغرب الأوسط** من خلال كل الأدوار التي أدتها طيلة الفترة الممتدة منذ **بداية القرن 5 هـ / 11 م إلى نهاية القرن 8 هـ/ 14 م** وهي : **الدولة الحمادية** كبداية للتعاريف التاريخية والمخلفات الأثرية ، وكذا لطرق وكيفيات توزيع المياه طبيعيا وأخرى من صنع الانسان بقيت نفسها عبر باقي الفترات ، **ثم الدولة المرابطية ، والدولة الزيانية فالدولة المرينية .**

1 . تاريخ الدولة الحمادية : 408 . 547هـ / 1018 . 1152م :

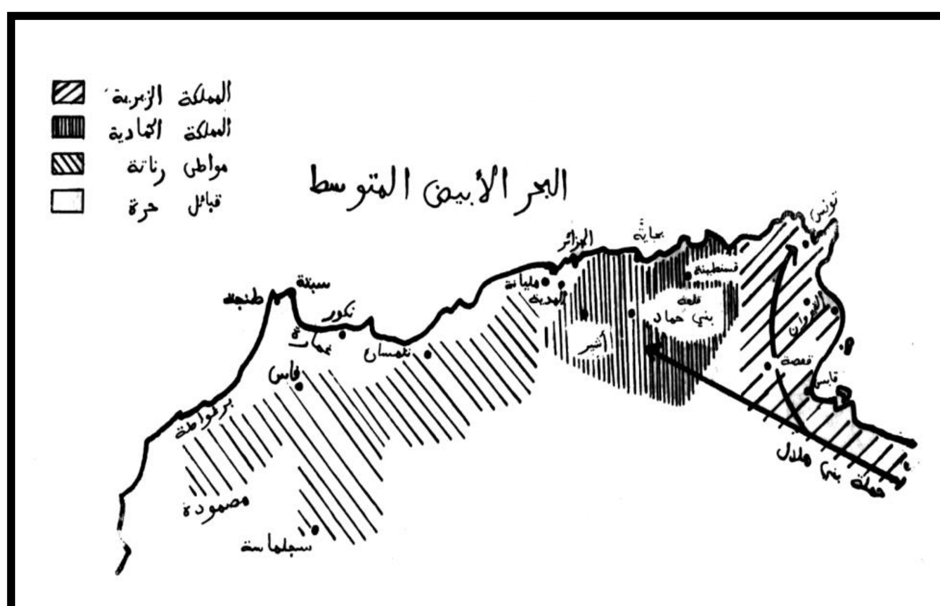
هذه الدولة التي انفصلت عن بني عمومتها الزيريين معلنة رفضها للتشيع وتمسكها بمذهب الخلافة العباسية السنية بدلا من الخلافة الفاطمية الشيعية على عهد مؤسسها **حماد بن بلكين بن مناد بن زيري الصنهاجي** [1] ، الذي كان رائدا من رواد التأسيس لوحدة مذهبية منفردة عن الخلافة الفاطمية .

تعتبر دولة بني حماد كما اتفقت العديد من المصادر على تسميتها من بين الدول الاسلامية التي قامت في المغرب الأوسط [2] ، حيث تمكن مؤسسها حماد بن بلكين بن زيري من الانفصال بالأقاليم الغربية للدولة الزيرية ، وأسس دولة إسلامية مستقلة ، تعتبر

1- بلكين بن زيري : هو جد الأسرة الحاكمة ، ويعتبر أول أمراء دولة بني زيري في إفريقية ، كما أنه لعب دورا كبيرا في تثبيت دعائم الدولة الفاطمية ببلاد المغرب ، **أنظر :** بن قربة (صالح يوسف) : المسكوكات ، الجزء الثاني ، ص 187 ، هامش 2 .

2- ابن خلدون (عبد الرحمن) : كتاب العبر ، الجزء السادس ، ص 227 ، **وأنظر أيضا :** المراكشي (ابن عذارى) : المصدر السابق ، ص 239 **وأنظر :** بورويبة (رشيد) : الدولة الحمادية ـ تاريخها وحضارتها ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1397 هـ / 1977 م ، ص 09 ، **أنظر أيضا :** عويس (عبد الحليم) : دولة بني حماد ـ صفحة رائعة من التاريخ الجزائري ، الطبعة الثانية ، دار الصحوة للنشر والتوزيع ، القاهرة 1411هـ / 1991 م ، ص 47 .

ثاني دولة إسلامية تأسست بالمغرب الأوسط بعد الدولة الرستمية [1] ، وبذلك فقد حكمت ما يقرب القرن ونصف القرن منذ أن اختط حماد مدينة القلعة سنة 393هـ/1008 م إلى سقوط الدولة على يد عبد المؤمن بن علي خليفة الموحدين سنة547 هـ/1153.1152م، غير أن الفترة التي استقرت فيها الدولة وأصبح لها كيانا سياسيا معترفا به في المغرب وغيرها من البلدان الأخرى يمتد من سنة408 هـ/1018م إلى سنة 547 هـ/1152 م[2] ، وتعتبر أول دولة مستقلة حكمت المغرب الأوسط في العصر الاسلامي[3] (الخريطة 02)



الخريطة 02: المغرب الاسلامي في القرن 4 ـ 6 هـ ـ / 10 ـ 12 م ـ عن عبد الرحمان الجيلالي ـ

واستنادا إلى المصادر التاريخية ينتسب بنو حماد إلى منشئ دولتهم حماد بن بلكين بن زيري بن منقوش بن صنهاج الأصغر بن صنهاج الأكبر وبالتالي فإن أصل الحماديين يرجع إلى قبيلة صنهاجة التي كانت على حد تعبير ابن خلدون : " **من أوفر**

1- الجيلالي (عبد الرحمن): تاريخ الجزائر العام ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية ، مكتبة الشركة الجزائرية 1397هـ/1977م، ص 06 .

2- بن قربة (يوسف صالح) : المسكوكات في الحضارة العربية الاسلامية ، مسكوكات المشرق والمغرب ، الجزء الثاني ، ، الطبعة الأولى ، منشورات الحضارة ، الجزائر 2009 م ، ص 213 .

3 ـ بن قربة (يوسف صالح) : تاريخي مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد في العصر الاسلامي ، الطبعة الأولى، دراسة تاريخية وأثرية ، منشورات الحضارة ، الجزائر 2009 م ، ص 101 .

قبائل البربر حتى زعم كثير من الناس أنهم الثلث من أمم البربر"[1]، وبذلك فهي تنسب إلى مؤسسها حماد بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي وصنهاجة هي من أكبر قبائل البربر ، تنقسم إلى بطون عديدة بحيث بلغ عددها سبعين بطنا أهمها تلكاتة بطن الزيريين والحماديين ومسوفة ولمتونة بطنا المرابطين [2] .

وحسب الرواية السابقة فإن قبيلة صنهاجة ، نفسها نسبة إلى صنهاج الأكبر الذي يعتبر أحد أبناء يونس بن برْ بن مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح [3] ، وعليه فإن صنهاجة من أصل بربري ترتبط أصولها بصنهاج بن برنس بن بر ، ومنه إلى قبيلة صنهاجة التي ينتسب إليها الزيريون و الحماديون ، والتي عرفت باسم صنهاجة الشمال تميزا لها عن صنهاجة الجنوب ويطلق عليها ابن خلدون مصطلح " **الطبقة الأولى** " [4] .

لقد كان حماد بن بلكين واحدا من أحفاد زيري أشهر أمراء صنهاجة وكان له ثلاثة إخوة هو يطوفت ، إبراهيم والمنصور الذي وليّ حكم بني زيري بعد والده بلكين وكان له من عمومته ثمانية وهم : حران . قادر ، عزم ، كباب ، زاوي ، جلاله ، ما كسن وأبو البهار [5] .

وقد كان حماد بن بلكين رجلا شجاعا صارما انطوت شخصيته على مجموعة من الصفات المتعددة المتميزة ، يرجع بعضها إلى المحيط الذي عاش فيه والبعض الآخر كان وراثيا وبعضها شكلتها ظروف حياة هذا الرجل السياسية [6] .

كما نستطيع تصنيفه ضمن القادة الطموحين الأشداء الذين يلجؤون إلى ممارسة العنف والقسوة في سبيل تحقيق غاياتهم وتنفيذ أهدافهم ولا يثنيهم عن ذلك أية عاطفة أو

1- ابن خلدون (عبد الرحمن) : كتاب العبر ، الجزء السادس ، ص 201 .
2- المصدر نفسه ، الجزء الحادي عشر ، ص 309 ، 311
3- ابن حزم الأندلسي : جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام هارون ، الجزء السادس ، دار المعارف ، القاهرة 1962م، ص 109 .
4- ابن خلدون (عبد الرحمن) : كتاب العبر ، المصدر السابق ، الجزء السادس ، ص 498 .
5- عويس (عبد الحليم) : المرجع السابق ، ص 50 .
6- المرجع نفسه ، ص 51 .

وازع ديني أو خلقي ويبدو أن هذه الخصلة في حماد كانت سمة كثير من أمراء صنهاجة الزيريين أمثال عمه زاوي بن زيري [1] ، كان عنيفا صارما ، عالما بالفقه والجدل ، تقيا بصوم ثلاث أشهر في السنة ، فقد وصفه ابن الخطيب بقوله : " **كان حماد شجاعا ، جوادا ، قرأ الفقه بالقيروان ونضر في الجدل وكان من أكمل الملوك عز وظهر على أعدائه** " [2] .

ولعل الظروف القاسية التي عاشها حماد كانت من بين العوامل التي أثرت في تكوين شخصيته وانفرادها بهذا السلوك ، فالحروب الكثيرة التي خاض غمارها ضد زناتة وصنهاجة نفسها خصوصا مع أعمامه الطامعين في الحكم خير دليل على ذلك ، وبالتالي فلا ينتظر من حماد الذي خاض هذه المعارك ضد أقاربه أن يشعر بالرحمة اتجاه عناصر لا تمد إليه بصلة قرابة [3] .

واستخلاصا للأحداث السياسية التي مرت بها الدولة الحمادية ، فعند قيام دولة العبديين ناصرتها صنهاجة وأيدتها ، ولما انتقل المعز لدين الله الفاطمي سنة(341 . 365 هـ/953 .975 م) إلى مصر سنة (361 هـ/972 م) ، و استخلف بلكين بن زيري بن مناد على افريقية والمغرب ما عدا **صقلية** [4] **وطرابلس** [5] ، اللتان لم تدخلا في ملكه إلا في عهد العزيز بالله سنة 365 .386 هـ/975 . 996 م [6] .

1- ابن بسام (أبو الحسن علي) : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، القسم الأول ، المجلد الأول ، تحقيق : د إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ـ لبنان 1417 هـ/1997 م ، ص 189 .
2- ابن الخطيب (لسان الدين) : تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط ، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام ، تحقيق وتعليق الدكتور أحمد مختار العبادي والاستاذ محمد ابراهيم الكتاني ، دار الكتاب ، دار البيضاء 1964 م ، ص 71 .
3- عويس (عبد الحليم) : المرجع السابق ، ص 54 .
4 - صقيلية : جزيرة في البحر الأبيض المتوسط تابعا لإيطاليا ، استعمرها في القديم الفينيقيون واليونان وأسسوا فيها المدن التجارية الزاهرة ثم فتحها المسلمون سنة 212 هـ/827 م ، ثم النورمان سنة 485 هـ/1092 م ، في العصور الوسطى وقد وصفها الكثير من الرحالة والجغرافيين المسلمين ، **أنظر :** ابن الخطيب (لسان الدين) : تاريخ المغرب ..... ، ص 26 ، هامش 2 .
5 - طرابلس : تعني بالأعجمية الإغريقية ثلاث مدن وسماها اليونان " طربلية" وتعني بلغتهم أيضا ثلاث مدن وهي كلمة مركبة من " طر " بمعنى ثلاث و " بليطة " بمعنى مدينة ، ويذكر أن أشفاروس قيصر هو الذي بناها ، وبها سور صخر جليل البنيان ، ومبنى جامعها أحسن مبنى ولها أسواق حافلة ، جامعة وحمامات كثيرة ، **أنظر :** البكري ، المصدر السابق ، ص 06، ص 07 .
6- ابن أبي دينار (محمد بن القاسم القيرواني) : المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، دار النهضة ، تونس 1350 هـ ، ص 70

فقيام الدولة الحمادية جاءت نتيجة طبيعة الحوادث التي وقعت في المناطق التي كان يحكمها بنو زيري عند رحيل المعز لدين الله الفاطمي لمصر وتعتبر مهمة ثقيلة بالنسبة لبلكين وولده المنصور لأنها كانت تشمل أراضي المغربين الأدنى والأوسط معا ، فاضطر المنصور إلى أن يعهد بولاية المغرب الأوسط إلى أخيه حماد بن بلكين ومن ثم طمع هذا الأخير في هذه الولاية لنفسه بدليل أنه عندما حاول باديس استرجاع هذه الولاية اعترض سبيله وخرج عن طاعته وطاعة الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله في آن واحد [1] .

وبعد وفاة بلكين سنة 373 هـ/984 م خلفه ابنه المنصور ، الذي كان آنذاك واليا على **أشير** [2] على إمارة العرش الزيري حيث بويع هناك ، وقد تميز هذا الحاكم بالكرم والاحسان ، واشتهر بخطابه الذي ألقاه : " **إن أبي يوسف وجدي زيري كانا يأخذان الناس بالسيف ، وأنا لا آخذهم إلا بالإحسان ، ولست ممن يولى بكتاب ويعزل بكتاب**"[3] ، وهذا الكلام أثار غضب الخليفة الفاطمي العزيز بالله 365 . 376 هـ/975 .996 م ، فيعث إلى كتامة داعية اسمه حسن ابن النصر ، يقال له ابراهيم أبو الفهم الخراساني سنة 376 هـ/996 م ليقيم ثورة ضد المنصور ، لكن هذا الأخير حاربه وقتله وقضى على دعوته [4] .

---

1 - Marçais (G) : La Berberie musulmane et l’orient du moyen âge , Paris 1946 , P 164 .

2 - أشير : تقع على بعد حوالي 12 كلم من عين بوسيف - البويرة حاليا - على قمة جبل ارتفاعه حوالي 1400 م عن مستوى سطح البحر ، تمتاز بموقع منيع يشرف على جبال القبائل وقد وصفها البكري بقوله : " وهي جليلة حصينة .... **و يذكر** أنه ليس في تلك الأقطار أحصن منها ولا أبعد متناولا ومراما ولا يصل إلى شيء منها بقتال .... وداخل مدينتها عينان ثريتان لا بلغ لهما غور ولا يدرك فقر ، إحداهما تعرف بعين سليمان والأخرى بعين تلا نتيرغ ، والذي بنى سورها بلكين بن يوسف بن زيري بن مناد الصنهاجي سنة سبع وستين وثلاث مائة وخربها بن حماد بن زيري.... " **أنظر :** البكري (أبو عبيد الله) : المصدر السابق ، ص 60 و **أنظر :** مؤرخ مجهول : كتاب الاستبصار في معرفة الأمصار (وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب) : تعليق : سعد زغلول عبد الحميد ، دار الشؤون الثقافية ، الطبعة الثانية ، بغداد 1986 م ، ص 170 .

3- ابن الأثير (عز الدين أبي الحسن) : الكامل في التاريخ ، المجلد السابع ، دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت 1386 هـ/1966 م ، ص 34 .

4- النويري (شهاب الدين) : نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق : حسين نصار ومراجعة : عبد العزيز الأهواني ، الجزء الرابع والعشرين ، المجلس الأعلى للثقافة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1403 هـ/1983 م ، ص 182 ، 183 .

عقد بعدها المنصور لأخيه حماد على أشير و **المسيلة** [1] وكان يتداولها مع أخيه يطوفت وعمه أبو البهار بن زيري [2] .

خلفه بعد وفاة المنصور ابنه باديس سنة 386 هـ/996 م حيث أمر عمه يطوفت على تاهرت [3] ، وقلد عمه حماد ولاية أشير في صفر من سنة 387 هـ/997 م ، وأمده بالخيل والسلاح ليتمكن من ردع قبيلة زناتة .

وقد اشترط حماد على ابن أخيه باديس إذا تمكن من القضاء على تمرد زناتة ، ولاية أشير والمغرب الأوسط وكل ما يفتحه من بلد [4] ، وأن تكون له الحرية في اختيار مقر إقامته ، فكان له ما أراد بعدما انتصر على زناتة ، وأول ما فكر فيه هو بناء عاصمة جديدة له ، وكان اختياره على قلعة أبو الطويل بجبل عجيسة والمعروف حاليا بجبل المعاضيد ، وشرع في بنائها سنة 398 هـ / 1007 . 1008 م ونقل إليها أهل المسيلة وأهل المسيلة وأهل حمزة (البويرة حاليا) وخربهما كما أنه أتى بقبيلة جراوة من المغرب الأقصى وأنزلهم بها [5] .

ونتيجة للجهود التي بذلها حماد بن بلكين لصالح الزيريين وبعد إقطاعه قسنطينة ، حاول بنو زيري الرجوع عن قرارهم مما أدى بحماد إعلانه الخروج عن سلطة الزيريين وبعد زمن من الصراع اتفق الطرفان وتم إعطاؤه المغرب الأوسط وعاصمته القلعة سماها " بني حماد " بالمسيلة .

استقر حماد في قلعته المنيعة لكنه لم يهمل أشير حيث كان من حين لآخر يزورها ، فأصبح صاحب مدينتين حصينتين في المغرب الأوسط ، فعظم شأنه ، غير أن نار

1- المسيلة هي مدينة جليلة على نهر يسمى بنهر سهر ، أسسها أبو القاسم اسماعيل بن عبيد الله سنة 313 هـ ، وكان المتولي لبنائها علي بن حمدون بن سماك بن مسعود بن منصور الجذتمي المعروف بابن الأندلسي ، **أنظر :** البكري (أبو عبيد الله) : المصدر السابق ، ص 59 .
2- ابن خلدون (عبد الرحمن) : كتاب العبر ، الجزء الحادي عشر ، ص 349 .
3- بن قربة (صالح يوسف) : تاريخ مدينتي المسيلة والقلعة ..... ، ص 71 .
4- ابن خلدون (عبد الرحمن) : كتاب العبر ، الجزء الحادي عشر ، ص 349 .
5- المصدر نفسه ، ص 349 ، 350 .

الغيرة والحسد في نفس أعدائه أدت بهم إلى تحريض باديس عليه ، والذي أدرك نوايا حماد بالاستقلال والانفصال ، فطلب باديس من حماد أن يسلم عمل قسنطينة لولده المعز ، لكنه رفض هذا الطلب ونبذ الطاعة ، وهذا ما أدى إلى شن حرب بين حماد وباديس ، استرجع من خلالها هذا الأخير مدينة قسنطينة وحاصر حماد بالقلعة إلى أن توفي فجأة وهو محاصر له سنة 406هـ/1016 م ، حينها خلفه ابنه المعز الذي وقّع صلحا مع حماد سنة 408هـ /1018م ، وبمقتضى هذا الصلح انقسمت الدولة الصنهاجية إلى دولتين وهما دولة الزيريين بالقيروان ودولة الحماديين بالقلعة [1] ، "... **فاستكثر حماد في القلعة المساجد والفنادق وشيد من بنايتها وأسوارها، فاستبحرت في العمارة واتسعت بالتمدن ، ورحل إليها من الثغور والقاصية والبلد البعيد طلاب العلوم وأرباب الصنائع ...**" [2] .

وبعد وفاة حماد في شهر رجب من سنة 419هـ/1028م بـ **تازملت** [3] خلفه ابنه القائد الذي استمر مع المعز على مكان عليه والده ، ثم ساءت الأحوال بينهما فحاصر المعز القائد بالقلعة نحو سنتين ثم اصطلح معه وأفرج عنه [4] .

وأثناء هذه الفترة تعاقب على العرش الحمادي تسعة أمراء وهم : حماد مؤسس الدولة وثمانية أمراء ينقسمون إلى ثلاثة فروع : الفرع الأول ينتسب إلى القائد بن حماد 419 . 449هـ/1028 . 1054 م [5] ، حيث تولى الحكم بعد وفاة أبيه حماد وبقي على رأس

1- ابن خلدون (عبد الرحمن) : كتاب العبر ، الجزء السادس ، ص 210 .
2- المصدر نفسه ، الجزء الحادي عشر ، ص 350 .
3 - من المحتمل أن تكون تازملت الحالية ، وهي تقع على بعد 80 كلم جنوب شرق بجاية ، **أنظر :** ابن الخطيب (لسان الدين): المصدر السابق ، ص 75 ، هامش 2 ، **وأنظر أيضا :**
- IDRISS (H.R) : La Béribérie Orientale sous les Zirides ; T 1 ; Paris 1962 , P 157
4- ابن خلدون (عبد الرحمن) : كتاب العبر ، الجزء الحادي العشر ، ص 151 .
5- بورويبة (رشيد) : الدولة الحمادية ، المرجع السابق ، ص 116 .

الدولة خمسة وعشرين عاما [1] ، لتنتقل مقاليد الحكم بعده إلى ابنه محسن سنة 446 . 447 هـ/1054. 1055 م [2] .

انتهت فترة حكم محسن بن القائد التي دامت تسعة أشهر ، ومن ثم تم انتقال الحكم من الفرع الأول الذي ينتسب إلى القائد حماد إلى الفرع الثاني ويمثله محمد بن حماد ، والذي يمثله بلكين بن محمد 447 . 454 هـ/1055 . 1062 م [3] .

لينتقل بعدها الحكم إلى الفرع الثالث الذي ينتسب إلى علناس بن حماد 454.481هـ/ 1062. 1088 م ، حيث شهدت القلعة في فترة حكمه عهد جديد من الاستقرار النسبي[4]، وأصبحت عاصمة لدولة قوية تحتوي على ست ولايات وهي : مليانة وحمزة ونقاوس وقسنطينة والجزائر و مرسى الدجاج وأشير ، كما أنه أخضع مناطق أخرى من افريقية وهي : **صفاقس** [5] ، **قسطيلية** [6] ، **تونس** [7] لسلطته [8] ، غير أن هذه الأوضاع لم تدم طويلا حيث تعرضت القلعة في عهده إلى غارة **بني هلال وبني سليم** [9] .

1- بورويبة (رشيد) : الدولة الحمادية ، المرجع السابق ، ص 40 .
2- ابن الخطيب (لسان الدين) : المصدر السابق ، ص 87 .
3- ابن خلدون (عبد الرحمن) : كتاب العبر ، الجزء السادس ، ص 229 .
4- عويس (عبد الحليم) : المرجع السابق ، ص 124 .
5 - صفاقس : مدينة قديمة عامرة ، لها أسوار كثيرة وعمارة شاملة ، وعليها سور من حجارة وأبواب عليها صفائح حديد منيعة، وعلى أسوارها محارس نفيسة الرباط ، وافتتحها الملك المعظم روجار في عام ثلاثة وأربعين وخمسمائة للهجرة ، **أنظر:** الإدريسي (الشريف محمد بن عبد العزيز) : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، المجلد الأول ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة 1422هـ/2002 م ، ص 280 ، 281 .
6 - قسطيلية : أو قصطيليّة أو قسطيلَة اسم لموقع بالبلاد التونسيّة، أطلق في العصر الوسيط تارة على مدينة (وهي تَوْزر أو تُوزر)، أو في الأغلب على كامل المقاطعة التي كانت هذه المدينة قاعدتها ومركزها، وهي بلاد الجريد الحالية التي تطابق اليوم ولاية توزر ، والتي تشمل منطقة الشطوط ، وهي مدينة كبيرة قديمة وعليها سور مبني بالحجارة والطوب ومدنها عديدة وتوزر هي أعظمها ، بها جامع محكم البناء وأسواق وحولها أرباض واسعة أهلة وهي مدينة حصينة لها أربعة أبواب كثيرة النخل والبساتين والثمار، وهي أكثر بلاد افريقيا تمرا .... ، ولأكثر تفاصيل **أنظر :** البكري : المصدر السابق ، ص 48 ، 49 .
7 - تونس : لفظ فنيقي الأصل (Thunes) ، ورد بين القرى التي كانت موجودة في عهد القرطاجيين ثم في عصر الرومان والبيزنطيين ، اتخذها القائد حسان بن النعمان سنة 69 هـ قاعدة لمعسكره عند حصاره لقرطجنة ، وعندما تم الاستيلاء على هذه الأخيرة ، وأنف أن يعيد لها العظمة القديمة وتركها تبيد متخذا تونس بدلها ، عمرها وبنى فيها جامع الزيتونة .... ، **أنظر :** عبد الوهاب (حسن حسني) : ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية ، الجزء الأول ، مكتبة المنار ، تونس 1965 م ، ص 290 .
8- ابن خلدون (عبد الرحمن) : كتاب العبر ، الجزء السادس ، ص 229 ، 230 ، **وأنظر أيضا** : بورويبة (رشيد) : المرجع السابق ، ص 60 ، 61 .
9 - بنو هلال وبنو سليم قبيلتين بدويتين من مضر تجولان في صحراء الحجاز ، نزل بنو سليم بنواحي المدينة وبنو هلال في جبل غزوان عند الطائف ، وكانوا يطوفون رحلة الشتاء والصيف أطراف العراق والشام ، فيغيرون على الضواحي ويفسدون العمران ويقطعون على الرفاق ، لأكثر تفاصيل **أنظر :** ابن خلدون (عبد الرحمن) : المصدر السابق ، الجزء السادس ، ص 18 .

ونتيجة لما حل بالقلعة فكر الناصر في البحث عن مكان آخر آمن ليعيش فيه ، وكان اختياره على جبل **بجاية** [1] سنة 460 هـ/1067 م ، واختط به مدينة سماها **الناصرية** نسبة إليه ، وسميت بجاية نسبة إلى القبيلة التي سكنت ذلك الجبل ، وبعد وفاة الناصر خلفه ابنه المنصور ، حيث واصل جهود أبيه في البناء والتعمير ، ونتيجة لما حل بملك زعيم بني حماد ونقل العاصمة إلى بجاية ، فقد عرفت هذه الأخيرة بحكم موقعها الاستراتيجي ازدهارا كبيرا في جميع المجالات ، فقد شهدت نشاطا اقتصاديا وعلميا وفنيا ، كما تألقت شهرتها منذ أن اختطها الناصر بن علناس وشيد بها المباني الضخمة والقصور ، كما عرفت في عهد المنصور الاستقرار ، واشتهرت ببناياتها وبعلمائها ، حيث أتم بناء **قصر اللؤلؤة** وبنى **قصر أميمون** و**المسجد الجامع** [2] ، إلا أن هذا لم يؤثر في المسار الحضاري للقلعة ، حيث بلغت درجة من التطور العمراني والازدهار الحضاري ، حيث شيدت بها معالم عمرانية هامة ولا تزال أطلالها تدل عليها إلى يومنا [3] .

تعرضت حدود الدولة الحمادية الجغرافية على امتداد تاريخها للعديد من التغيرات المتتابعة ، وهذا راجع إلى طبيعة العلاقات السياسية للدولة ، إضافة إلى مستوى الدولة وقدراتها على حماية حدودها ، والسمة البارزة لهذه الأخيرة هي أنها جزء من بلاد المغرب الأوسط .

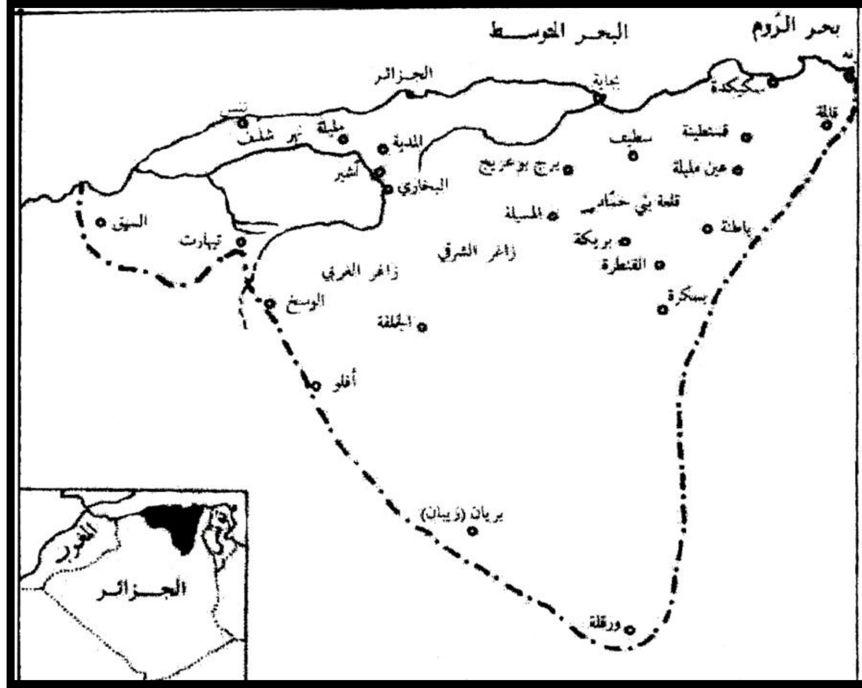
---

1 - بجاية : جاء ذكرها في المصادر التاريخية باسم " أمسيون " .....ولها من جهة الشمال جبل ميسون ، وهو جبل سامي العلي وصعب المرتقى ... **أنظر :** الادريسي (الشريف محمد بن عبد العزيز) ، المصدر السابق ، ص 259 ، 260 ، وموقع بجاية كان معروفا منذ العصور الغابرة ، أسسها الفنيقون وأطلقوا عليها اسم " صلداي " أو " صلاد " ، وخربها بعد ذلك الوندال والبربر ، ثم سميت بجاية نسبة إلى القبيلة الصنهاجية التي سكنت ذلك الجبل ، والتي يرجع اسمها في اللغة العربية إلى كلمة " بقايا " **أنظر :** العربي (اسماعيل) : المرجع السابق ، ص 186 ، 187 ، 188 ، 189 **وأنظر :** المدني (أحمد توفيق): كتاب الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984 م ، ص67 .

2- ابن خلدون (عبد الرحمن) : كتاب العبر ، الجزء السادس ، ص 232 .

3- المصدر نفسه ، الجزء السادس ، ص 259 ، 260

حيث امتدت شرقا فحكمت القيروان وصفاقس وجزيرة **جربة** [1] من تونس [2] ، وعلى الرغم من أن تونس قد صارت إلى بني حماد وانقطاعها عن ملك المعز ، ووفود مشيختها للناصر بن علناس سنة 454 هـ/1062 م ، فإن ذلك لم يدم طويلا ، فسرعان ما أعلن عامل تونس عبد الحق بن خرسان استقلاله [3] (الخريطة 03) .



الخريطة 03 : دولة بني حماد وحدودها الجغرافية الأولى . عن عويس عبد الحليم .

وكان إدخال مدينة بونة في المملكة الحمادية في عصر الحكام الذين خلفوا الناصر، أما الشمال الساحلي فقد كانت شواطئ الدولة على الأغلب تمثل المسافة الممتدة من بونة وخليج سكيكدة ، المرسى التجاري لعمالة قسنطينة إلى سيق القريبة من وهران [4] ،

1- جزيرة جربة : جزيرة بالساحل التونسي على مقربة من قابس ، يسكنها قوم من البربر الخوارج ، وبينها وبين البر مجاز ، وهي كثيرة الذهب ، فيها بساتين كثيرة وزيتون كثير ، أهلها مفسدون في البر والبحر ، ظلت هذه الجزيرة ولا سيما في القرن 15 م مركزا للقراصنة من البربر ، **أنظر** : البكري : المصدر السابق ، ص 19 ، ص 85

2- الميلي (مبارك بن محمد) : تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، الجزء الثاني ، تحقيق وتصحيح : محمد الميلي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر د ـ ت ، ص 235 .

3- عويس (عبد الحليم) : المرجع السابق ، ص 80 .

4- المرجع نفسه ، ص 80 .

وامتدت بالجهة الغربية إلى غاية **فاس**[1] ، وكانت بتلك الناحية لبني يعلي بتلمسان ، وبني زيري بن عطية بفاس ، وأغلب سكانها زناتة ، فكان الحماديين يترددون بجيوشهم عليها للقضاء على الثورات ، أما جنوبا فقد امتدت إلى الزاب ووادي ريغ و ورقلة [2] ، فتربعت الدولة الحمادية على رقعة جغرافية هامة من خلال اتساعها [3] .

وتبعا للأحداث وكما أشرنا من قبل أنه لما ثار حماد ورغب في الاستقلال عن باديس بن المنصور وشيّد القلعة ، طلب منه هذا الأخير أن يتنازل له عن **تيجيس** [4] و**قسنطينة** [5] ، غير أن هذا الأخير أبى وامتنع ، ومن ثم قامت الحرب بينهما ، واسترجع فيها باديس مدينة قسنطينة ، وبقيت تابعة له إلى أن جاء الزحف الهلالي الذي تسبب في إثارة الفساد ببلاد المغرب ، فاسترجعها الناصر بن علناس سنة 454 . 481هـ/ 1062 . 1088 م ، ليولي عليها أخاه بلبار سنة 454 هـ 1062 م [6] .

وأصبحت مدينة قسنطينة تحت الحكم الحمادي قلعة حصينة وكبيرة ، كان بها سور متوسط الارتفاع ، فتح فيه بابان : باب ميلة بالناحية الغربية ، وباب القنطرة بالناحية الشرقية ، ويتقدمه جسر يعود تاريخ بنائه إلى الفترة القديمة ، حيث كان يشتغل بطريقة

---

1 - فاس : تعتبر من أعظم المدن الاسلامية القديمة ، تأسست في القرن الثاني للهجرة على يد إدريس بن إدريس بن عبد الله الحسني المعروف بإدريس الثاني ، ولكن استنادا على الاكتشافات الحديثة المتمثلة في السكة والمضروبة بمدينة فاس بين سنتي 172- 185 هـ أثبتت أن تأسيسها يرجع إلى فترة مبكرة جدا من التاريخ المعروف بين المؤرخين والباحثين ، **أنظر :** بن قربة (صالح يوسف) : علم الآثار والهوية المغربية ، دار الهدى ، الجزائر 2012 ، ص 46 .

2- عويس (عبد الحليم) : المرجع السابق ، ص 80 .

3- بورويبة (رشيد) : الجزائر في عهد الحماديين ، تعريب : د . محمد بلقراد من كتاب الجزائر في التاريخ في العهد الاسلامي، من الفتح إلى بداية العهد العثماني ، الجزء الثالث ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984 م ، ص 214 ، 215 .

4 - تيجيس : تقع على نحو 40 كلم جنوبي شرق قسنطينة ، أنظر : بورويبة (رشيد) : الدولة الحمادية .... ، ص 21

5- قسنطينة : عرفت منذ القديم بسيرتا أي المدينة أو القرية ، وهو اسم كنعاني فنيقي ، ثم احتلها الرومان ، وخلال هذه الفترة تعرضت للخراب إثر ثورة البربر الدامية ، فأعاد الامبراطور قسطنطين في أول القرن الرابع للميلاد بناءها وأطلق عليها اسمه، وبعد ذلك وخلال الفترة الاسلامية تغير اسمها بحيث حذفت منها الياء والطاء ، فصارت تعرف بقسنطينة تميزا عن القسطنطينية التركية العظمى ، **أنظر :** الوزان (حسن) : وصف افريقيا : الجزء الثاني ، ترجمة : محمد حجي ومحمد لخضر ، الطبعة الثانية ، دار العرب الاسلامي ، 1983 ، ص 55 .

6- ابن خلدون (عبد الرحمن) : كتاب العبر ، الجزء السادس ، ص 229 ، 230 ، 232 .

عادية خلال هذه الفترة [1] ، وكانت تسكنها قبائل كتامة [2] ، وقصدها الكثير من الناس من مناطق مختلفة .

واشتهرت أيضا بأسواقها ، حيث أصبح التجار يأتونها من أماكن مختلفة وذلك حسب ما ذكره البكري " ..... **ويسكن قسنطينة قبائل شتى من أهل ميلة ونفراوة وقسطيلية ، وهي لقبائل من كتامة ، وبها أسواق جامعة ومتاجر رابحة** .... " [3] ، إلى هذه الفترة برجع الباحثون وعلى رأسهم الأستاذ رشيد بورويبة بناء الجامع الكبير بقسنطينة ، اعتمادا على الكتابة التذكارية التي وجدها داخل محرابه ، **ولكن للأسف لم تبق به نافورة أو أحواضها ، ولا شاذروان أو ميضأة موضوع دراستنا يعود لهذه الفترة .**

وفي عهد يحي بن عزيز سقطت دولة بني حماد سنة 515 . 547 هـ/1121 . 1152 م ، حيث تمكن **عبد المؤمن بن علي الموحدي** [4] من الاستلاء على كل من القلعة وبجاية سنة 547 هـ/1152 م ، بعد أن عمروا ما يقرب من قرن ونصف القرن[5].

2 . سياسة الأغالبة المائية و تأثيرها على الحمادية :

ولعلاقة موضوعنا بالماء كان لا بد من التطرق إلى عرض لأهميته عند الدويلات السابقة للظهور الحمادي وما المناهج التي سلكوها في استغلاله ، باعتباره عنصرا حيويا أساسيا للحياة ، مبعث الحضارة وقمة الجمال ، لا تسعنا صفائح الدنيا إن أعددنا أو أحصينا فوائد ومزايا هذا السائل العجيب ، فرب العباد جل وعلا أوحى لنبيه عليه

1- الادريسي (أبو عبد الله محمد الشريف) : نزهة المشتاق ...... ، ص 265 ، 266 .
2- ابن حوقل (أبو القاسم النصيبي) : المصدر السابق ، ص 91 .
3- البكري (أبو عبيد الله) : المصدر السابق ، ص 63 .
4- أبو محمد عبد المؤمن بن علي بن يعلي بن مروان بن ناصر بن عامر بن الأمير بن موسى .... بن معد بن عدنان ، ولد في قرية صغيرة تدعى تاجرا تقع بالقرب من مدينة ندرومة سنة 494 هـ / 1100 م ، توفي سنة 558 هـ /1163 م ، وهو مؤسس دولة الموحدين ، **أنظر :** بن قربة (صالح يوسف) : عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1991 م ، ص 05 ، 07 .
5- Bourouiba (R) : Les Hammadites , ENAL ; Alger , 1984 , P 110 .

الصلاة والسلام بقوله : " **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيْ** " [1] ، فبه أحيا الأرض وبعث فيها بهجة الدنيا .

فترعرعت كل حضارات الدنيا وازدهرت على ضفاف الأنهار كحضارة واد الرافدين بالعراق و حضارة نهر النيل بمصر وكذا بالأندلس ، فقد كانت هذه المناطق موطن تواتر الحضارة ، إذ نمت بها الصنائع والفنون والعمران ، أما فيما يخص الحضارة الاسلامية الأولى فقد استغلوا الموروث الحضاري البيزنطي والفارسي وصهروا فنا اسلاميا تسوسه الشريعة الاسلامية في كل مظاهر الحياة ، فكان التقرب إلى الله طلبا للثواب دافعا لولاة الأمور في توفير عناصر الحياة الرغيدة لرعاياهم ، ولعل الماء أهمها و أخطرها ، فبرع المسلمون في هذا الجانب في العمارة المدنية والدينية وأولوها أهمية قصوى كعنصر استراتيجي ترهن به عمارة الأرض .

فأولت أولى قلاع الإسلام في بلاد المغرب الاهتمام بعنصر الماء ، حيث كان لبني الأغلب بإفريقية (تونس حاليا) فضل كبير في عمارة تلك الديار ، وإن كان المستشرقون يحاولون دائما نسب مظاهر التحضر والتمدن إلى الرومان ، غير أن أعمال البحث الأثري أثبتت عكس ذلك ، وأكدت الشوط العظيم الذي قطعه المسلمون في إفريقية في عمارة الأرض ، وتمصير البلاد بالمنشآت المائية من شبكات وأحواض و مواجل وقناطر أبهرت الرحالة والجغرافيون ، فخلّدوها في مصنفاتهم ، وتوجب علينا ذكر سياستهم لأنها كانت كمنبع أول اتخذت منها الدويلات الموالية لظهورها الأمثلة في توزيع الثروة المائية، كالأغالبة بالمغرب الأدنى .

فأكّد حسن حسني عبد الوهاب أن الأغالبة كانت لهم " سياسة مائية " ، بحيث أن هذه المسألة كانت تشغل بال أفراد هذه الأسرة إلى حد كبير بدليل أنهم أنشأوا منصبا إداريا

1- القرآن الكريم : سورة الأنبياء ، الآية 30 .

دائما يتولاه موظّف رسمي خاص بهذه المهمة وهو " صاحب الماء " ، ولا نعرف مهام أصحاب المياه ولكن يبدو أنهم كانوا مكلفين بتسيير كلّ ما له علاقة بالماء ، من تموين وريّ في مقاطعة ما ، أو في عدّة مقاطعات من البلاد [1] .

وقد سهروا على حفظ وصيانة الانجازات المائية القديمة الجبارة من قرطاجنية ورومانية وبيزنطية ، زيادة على الانجازات العديدة التي حققوها بأنفسهم ، وكان جهدهم الأساسي في هذا المعنى يتجه نحو المناطق الأقل حظّا من الأمطار ، حيث لا يكفي ماء السماء للحفاظ على النباتات ، وهي على الخصوص مناطق القيروان والساحل وسوسه وصفاقس ، وهي مناطق استرعت انتباههم حيث يتم في أيامنا اكتشاف أعمال أغلبية خاصة بالتقاط الماء وجرّه [2].

ويحصر Solignac مدّة استمرار تطبيق السياسة المائية في إفريقية ، ما بين تاريخ فتحها النهائي الذي كرسه تأسيس مدينة القيروان سنة 50هـ/670 م ، وتاريخ بدء الغزوات الهلالية سنة 440هـ/1050م [3] ، ولاحظ نفس المؤلف أن المنشآت المائية التي عكف على دراستها موجودة في منطقة القيروان وسهوب تونس الوسطى والجنوبية التي تشكل الجزء الشرقي من إفريقية والتي تداول على حكمها الأمويّون والعباسيون ثم بعدهم الأمراء الأغالبة الموالين للعباسيين وبعدهم الفاطميون ، وفي النهاية أمراء بني زيري الصنهاجيين ، مؤكدا عدم وجود نماذج أخرى على الأقل بنفس الكثافة والتوزيع ، خارج حدود المنطقة السهلية [4] ، باستثناء حوضين واقعين في أودية جبل وسلات فإن بقية المنشآت كلّها تقع داخل مساحة محصورة بالحواف الجنوبية والجنوبية الشرقية من منطقة الظهرة الجبلية من جهة ، ومن جهة أخرى بخط يربط قفصة بمَحْرَس ، ويمكن ملاحظة

---

1 - Abdul wahab (H.H) : Les Steppes Tunisiennes (Région de gamouda) pendant le Moyen Age , Les Cahiers de Tunisie , 1 ire Trimestre , N° 05 , 1954 , P 14 .
2- Ibid , P 14 .
3 - Solignac (Marcel) : Recherches Sur les Installations hydrauliques de Kairouan , et des steppes tunisiennes du VII au XI siècles (J. C) , Alger 1953 , P 07 .
4 - Solignac (Marcel) :Op.Cit , P 05 .

أن حدّ هذه المنطقة من الناحية الشمالية يلتقي مع خط متساوي الأمطار ب 400 ملم وحدّه من الناحية الجنوبية ، خط قفصة محرس مع خط متساوي المطر 200 ملم ، ولا يوجد أيّة منشأة مائية من النوع المدروس هنا جنوبي منحنى 200 ملم ، فهذا الأسلوب غير قابل للتطبيق في المنطقة شبه الصحراوية والصحراوية ، وقد تمّ العثور على أكثر من 250 خزّانا خاص بتخزين مياه الفيضانات ، وفي بعض الحالات مياه بعض العيون أو بعض الطبقات الجوفية في المناطق المشار إليها [1] .

وكان مبتكرو السياسة المائية في هذا البلد يعرفون أهمية الدور الكبير الذي ينبغي أن تلعبه مياه الفيضانات ، بسبب عدم انتظام التساقط ونقصان المطر الذي يشكل القاعدة العامة ، كما كانوا يعرفون القابلية الكبيرة لنفاذ التربة فاقتنعوا بضرورة امتلاك منشآت موضوعة بطريقة تجعلها قادرة على تخزين مياه السيول قبل اختفائها في الأرض النافذة، وما دام التبخر معتبرا في هذه البلاد كذلك فقد فهموا أنه يجب عليهم إعطاء ابعاد لتلك الخزانات بحيث يصبح نصيب الاسترجاع الجوي أقل ما يكون بالنسبة للارتفاع الاجمالي لكمية الماء المجموعة ، وفي بعض الحالات كما في القيروان ، كان يجب اكمال مصاريف مياه السيول بإضافة مياه العيون أو مياه الطبقات الجوفية للتخفيف من كثافة التبخّر واجتناب التجفيف المبكر [2] .

وخصصت بعض تلك الأحواض لتزويد المراكز الحضرية الكبرى أو القرى الهامة بمياه الشرب ، وخصص بعضها للتسلية والترفيه لكنها تكون قادرة عند الضرورة على إتاحة الفرصة لسقي ثانوي قليل كما في حدائق رقادة والمنصورية وغيرها ، أما غالبية الأحواض فغايتها بالدرجة الأولى ريفية لا للري ولكنها لتأمين حاجيات تربية حيوانية مكثفة ، وبعبارة أخرى فهي مساعدة رعوية كثيفة والتي تشكل القاعدة الأساسية لاقتصاد

1 - Solignac (Marcel) :Op.Cit , 06 , 07 .
2 - Ibid , P 08

هذه المناطق السهبية ، والنتيجة التي تمخضت عن ممارسة سياسة تربية الحيوانات في بداية العصر الوسيط ، تمثلت في رفاهية كبرى عرفتها المناطق المعنية حتى أن المؤرخين يتحدثون عن قيام حوالي 200 قرية في سهوب الحلفاء التي هي اليوم عبارة عن صحراء هائلة [1] .

وما تزال آثار عديدة لمنشآت مائية أنجزها الولاة الأغالبة والفاطميون قائمة إلى اليوم ، في حين أن المدن نفسها والقرى اندثرت ، مما يتبين أنهم اتبعوا سياسة مائية بجدية كبيرة وإدراك واضح جدا للخلود : فالقصور والمدن المبنية بالطوب والتراب زالت ، أما الأحواض المبنية بالحجارة واللياط [2] فما زالت تتحدى الزمن [3] .

فكان للماء دور كبير في عمارة المغرب الاسلامي ، خاصة بالمغرب الأوسط إذ كان للإباضية الرستميين السبق في تأسيس دولة مستقلة عاصمتها تاهرت ، وقامت على أساس مذهبي وعرفت ازدهارا اقتصاديا و اجتماعيا كبيرا جعلها ملجأ لكل إباضية المغرب ودار هجرتهم ، غير أن الفضل الكبير للزيريين والحماديين في ترسيخ التحضر والتمدن في المغرب الأوسط ، فكانت قلعة بني حماد بداية عهد جديد في تاريخ المغرب الأوسط وبناء شخصيته الحضارية ، فقد وصف الجغرافيون والمؤرخون مدينة القلعة وذمروا رخاءها ووصفوا عمائرهم التي تنم على تأنق في العمارة المدنية والعسكرية ، ما يدل على وفرة ساكنيها باعتبارها عاصمة الدولة ودار السلطان ، مما يستوجب كميات هائلة من المياه لسد حاجياتهم اليومية ، والأطلال التي كشفت عنها أعمال التنقيب توحي بوجود منشآت مائية كثيرة في مختلف المعالم ، رغم أن المنطقة عرفت تلك الفترة نقصا في المياه إلا أنهم اتخذوا أنظمة خاصة لتزويد سكانها بتلك الضرورة البحتة للحياة الهنيئة ، ومن بعدهم المرابطين و الزيانيين فالمرنيين بتلمسان الحضارية ، من خلال ما

---

1 - Solignac (Marcel) : Op.cit , P 08 et 383 .

2 - خليط من الرمل والكلس : أنظر المنهل في اللغة العربية - ص 682 .

3 - Solignac (Marcel) : Op.cit , P 384 .

حققوه من تطور على أحسن أوجهه في العمارة بمختلف أنواعها : مدنية ، دينية وعسكرية .

3 . المنابع المائية الطبيعية بقلعة بني حماد :

لقد جاءت كتابات علماء العرب والمسلمين في مجال عمران المدن وحددوا الأسس التي يجب أن يراعيها الحاكم عند إنشاءه أية مدينة ، وقد فصل ابن خلدون في مقدمته أن أهم ما يتعين على ولي الأمر عند تخطيط المدن أصلان مهمان : **جلب المنافع ودفع المضار** [1] ، ومن هذا الأساس ما ذكره ابن أبي الربيع في مؤلفه الشهير " سلوك المالك في تدبير الممالك" فنجده قد جعل الماء في المرتبة الأولى في قوله : " **أن يسوق إليها الماء العذب للشرب ، حتى يسهل تناوله من غير عسف** " [2] .

فيتضح من هذا النص أنه يشترط على الحاكم لعمارة المدينة التي قد يكون موقعها بعيدا عن مصادر المياه ، أن يجلب الماء إليها ، وهذا ما حدث فعلا في العديد من المدن الاسلامية في المغرب الاسلامي ، فحماد بن بلكين عند تأسيسه لمدينة القلعة ، راعى في ذلك دعائم العمران من جلب المنافع ودفع المضار ، فأحيطت بأسوار لضمان أمنها كما أن القمم المجاورة توفر المرعى للسائمة والمحطب ، ولم يهمل سقايتها فامتداد المدينة بالمياه من الشواغل أو بالأحرى من الأساسيات عند تخطيطها ، ومدينة بحجم القلعة تستهلك كمية معتبرة من المياه لسد الحاجيات المنزلية والصناعية للسكان ، إلا أن الأستاذ قولفان Golvin نعت مسألة تموين المدينة بالمياه بالغموض في قوله : " **إن تموين المدينة بالمياه يعد لغزا حقيقيا ، فالينابيع التي توجد على امتداد وادي فرج وعلى أطراف قرية الفضل غزارتها قليلة تكفي فقط الأهالي المحيطين بها ، ومقابل ذلك فإن وجود منشآت الري التي لا تزال بقاياها ظاهرة للعيان بالموقع ، من أحواض**

1- ابن خلدون (عبد الرحمن) : المقدمة ، الجزء الثاني ، ص 182 .
2- محمد عزب (خالد مصطفى) : " تخطيط وعمارة المدن الاسلامية" ، كتاب الأمة العدد 58 ـ 1997 م ، ص 74 .

وحمامات وبحيرة قصر البحر تعطي نظرة كافية على أن المدينة كانت دائمة التموين بالمياه ..."[1].

لكن ما يعارض قول الأستاذ من الناحية المادية أن المجاري المائية المحيطة بالقلعة من حيث موقعها وغزارتها يمكن استغلالها وجرها إلى المدينة ، فعين السلام مثلا مستغلة حاليا لتوفير المياه الصالحة للشرب لكل سكان قرية بشارة مركز بلدية المعاضيد، إضافة إلى ذلك أن القلعة يتم تموينها على الأقل من ثلاث قنوات رئيسية ، تضمن تزويدها بالكمية الكافية من المياه ، خاصة إذا علمنا أنها كانت أكثر غزارة مما هي عليه الآن .

ويعتبر اللواء دي بلي De Beylie من بين الباحثين الذين تعاقبوا على القلعة ، والذي أشار إلى المجاري المائية التي كانت مستغلة في الفترة الحمادية لإمداد المدينة بالمياه ، واعتمد في ذلك على الروايات الشفوية للأهالي ، وأشار إلى مصادر مختلفة من أودية و عيون كوادي فرج وعيون القلعة و جبل تاقربست ، والوادي الذي يحد المدينة من الناحية الجنوبية على سفح جبل الرحمة [2] .

والمعطيات من المصادر التاريخية التي تشير إلى الموارد المائية التي استغلت من طرف الحماديين تكاد منعدمة أو مبهمة كإشارة صاحب كتاب الاستبصار الذي ذكر حوض البحر وأشار إلى أنه كان يجلب الماء من بعيد دون تحديد المكان أو ذكر اسمه[3]، فارتأينا أن نجمع أهمها فيما يلي :

1- Golvine (L) : Recherches ...... , P 36 .
2 -De Beylie (L) : La Kalàa des Beni Hammad ......, P 37.
3- مؤلف مجهول : الاستبصار ، ص 56 .

1.3 . الأودية : **واد فـرج** وتسميته في الفترة الحمادية بوادي **جراوة** ، ومساحة حوض مصبه ب 28.7 كلم² ، وهو منتظم السيلان على طول فصول السنة ، مما يجعله مصدر الحياة في هذا القسم من جبال المعاضيد ، إضافة إلى وادي **الجفيـن** .

2.3 . الـعـيـون : عين **الزرايف** واستغلت في الفترة الحمادية لتموين القسم الجنوبي من القلعة ، وعين **السـلام** وتنبع في الضفة الغربية لواد فرج ، وعليها يطل برج المنار على بعد 150 م شمالا ، وتمتاز بغزارة مياهها وعذوبتها .

3.3 . الآبـار: فإلى جانب المصادر السابقة لا شك في أن الحماديين التجئوا إلى استغلال المياه الجوفية ، بحفر البئر ، وقد أشار اللواء دي بلي إلى وجود بئر قرب المسجد[1] ، كما كشفت الفرقة المشتركة الجزائرية البولونية شمال المسجد بئر آخر عبارة عن حوض[2] ، **وقد تعذر علينا معاينة هذه الآبار وفحصها بسبب غمرها المتعمد بالتراب** ، خشية وقوع الحوادث .

وبذلك فإن القلعة تموّن عبر **ثلاث قنوات رئيسية** ، يتم من خلالها جر مياه ثلاثة مجاري مائية مختلفة : **وادي فرج ، وادي الجفين ، وعين حمام الزرايف** ، إذ تعتبر هذه الأخيرة القناة الرئيسية الثالثة التي تمون مدينة القلعة ، وهي تغطي احتياجات القسم الجنوبي للمدينة كالمسجد الجامع ، يقدر فارق الارتفاع بينه وبين العين ب 70 م ، فإلى جانب العمائر التي خلّفها لنا بنو حماد نجد أيضا أحواض و مواجل ، و جباب ، وصهاريج و شاذروان .

---

1 - De Beylie (L) : Op.cit , P 38
2 - Rapport de mission : Polono – Algérienne …. Op.cit , P 54 .

4 . فساقي قلعة بني حماد وأحواضها من خلال تقسيماتها :

لقد شبهت العمارة ولفترة طويلة بأداة تعبيرية ، تتكون من مفردات تشكيلية كل واحدة منها دالة بذاتها ، ومجموعها دال في تراكيب مختلفة ووفق قواعد مختلفة ، فهي بذلك تتساوى واللغة في الخاصية الدلالية والتركيبية ولكنها تختلف عن اللغة كونها لا تملك قواعد ثابتة ومفردات واضحة يتشارك فيها كل مستعمليها ، هذا ما يعطيها مرونة في التنوع والاختلاف من ثقافة إلى أخرى .

وللعمارة ثقافة خاصة بها ، فهي جزء من الثقافة العامة في أي مكان وجدت فيه ، ولبنة عامة من لبناتها ، كما هو حال غيرها من العناصر الثقافية ، هذا الانتماء للثقافة العامة هو عنصر هام ، وفاعل في عملية تصوّر وتصميم العمارة قبل الشروع في بنائها وأثناء تنفيذها واستخدامها ، والتفاعل معها والحكم عليها بعد بنائها ، وهو عنصر هام في عملية فهمها وترميزها وتحميلها جملة من المعاني والدلالات المختلفة .

والعمارة في أي جغرافية كانت تخضع للتنوع الجغرافي الذي يكشف عن نماذج معمارية متعددة تؤثر فيها خصائص المجتمع المحلية التي يحددها المكان والمناخ والتراكمات الثقافية لذلك المجتمع ، الذي ينشأ فيه الفعل المعماري ، وبهذا فالعمارة متأثرة ببعدين هامين : **بعد مادي** يحكم أسلوبها ، و **بعد اجتماعي** وثقافي واقتصادي يعطي للمنشأة معناها ومدلولها .

وإن كان هذا هو شأن العمارة عموما ، فإن العمارة الاسلامية لا تكاد تخرج على ما ذكرناه فهي ليست وليدة الصدفة ، بل هي انعكاس مباشر للمنظومة الفكرية ، التي جاء بها الاسلام ، وهي نتيجة لتراكمات ثقافية أيضا ، فالمنشآت المعمارية الاسلامية تقوم على مبادئ وأحوال عمرانية مستنبطة من الشريعة الاسلامية بوجه عام .

وتمثل العمارة الاسلامية انعكاسا للبعد : الاقليمي والمناخي ، فيؤثر عامل المناخ ، تأثيرا بالغا في صياغة العمارة الاسلامية ، فينشأ عن تنوع المناخ تنوع الطراز المعمارية في مختلف أقطار العالم الاسلامي ، فإن تزاوج هذه العناصر كان سببا هاما في ظهور وتطور العمارة الاسلامية .

والعمارة الاسلامية في انطلاقتها الأولى قد تأثرت بعمائر الحضارات التي سبقتها والتي تخضع بدورها لمنظومة فكرية معينة ، وتراكمات ثقافية مختلفة أيضا ، ولكن هذا التأثر هو في جانبه التقني الانشائي ، أما في الجانب الفكري أي الفكر المعماري ، فإن العمارة الاسلامية استقلت بفكرها الخاص ، فأخضع المعماري المسلم المنشئ إلى ثقافته الاسلامية وسخّره لوظائف تتماشى وجوهر الدين الاسلامي .

وقد قام الأمراء الحماديون بتشييد عدّة قصور **ببجاية** ، فذكر صاحب كتاب الاستبصار أن ببجاية " ... **قصور من بناء ملوك صنهاجة ، لم ير الراءون أحسن منها بناء ولا أنزه موضعا** ... " [1] ، فقد تميزت هذه القصور بالروعة والجمال ودقة البناء، ومن أهمها :

أ . <u>قصر اللؤلؤة</u> : حدد دي بلي De Beylie موقع القصر أثناء حفرياته في مكان الثكنات والمستشفى العسكري على قمة بريجة [2] .

فقد كان آية في الجمال ، وهذا ما ذكره ابن خلدون حينما قال أن الناصر بنى " **قصر اللؤلؤة وكان من أعجب قصور الدنيا** " ، إلا أننا نجد ابن خلدون يضطرب في تاريخ بنائه ، فنسبه مرة إلى الناصر ومرة أخرى إلى المنصور بن الناصر [3] .

1 - الاستبصار : المصدر السابق ، ص 21 .

2 - De Beylie (L) : Op.cit , P 102 .

3- ابن خلدون (عبد الرحمن) : كتاب العبر ، الجزء الثاني عشر ، ص 360 ، 361 .

وقد أورد بورويبة نقلا عن ابن حمديس قصيدة يصف فيها قصر اللؤلؤة والتي نستخلص منها أن القصر امتاز بالعلو واللمعان والساحات المرخمة وسقفه بالمناظر الطبيعية وصور الحيوانات ، ففي وسط البساتين كانت بركة تجري إليها المياه من شاذوران ومن أفواه حيوانات من كل نوع ، فاستمر الشاعر في وصف **منظر الحيوانات وهي تخرج من أفواهها المياه المتدفقة في الأحواض وخرير المياه** إذ قال :

والماء منه سبائك من فضة ذابت على دوحات شاذوران

كأنما سيف هنــاك مشطب القته يـوم حرب كف جبـان

وقال أيضا :

وكأنما الحيات من أفواهها يطرحـن أنفسـهن من الغـدران

وكأنما الحيتان إذ لم تخشها أخذت من المنصور عقد أمان [1]

ب . قصر أميمون : والمعلومات الخاصة به قليلة جدا في كتب التاريخ ، ما عدا ابن خلدون الذي ذكره فقط كما أوردنا في النص السابق له ، إضافة إلى ما ذكره حسن الوزان أن قصر أميمون يوجد على متن الجبل الذي بنيت عليه القلعة وهو قصر ازدان بالفسيفساء والجص المجزع والأخشاب المحفرة بالنقوش ، إذ قال : " **... من جهة نرى حصنا صغيرا محاطا بأسوار ومزينا بالفسيفساء والخشب المنقوش ...** " [2] ، ولم يبق منها شيئا للدراسة للأسف .

أما آثار الدولة الحمادية التي لازالت أثارها شاهدة وموجودة **بالقلعة التي نسبت تسميتها لهم** ، و هي استحكام حربي بني في منطقة استراتيجية عالية أو في ثغر من ثغور الدولة ونحو ذلك ، لغرض المراقبة والدفاع ضد أي اعتداء خارجي ، فكانت

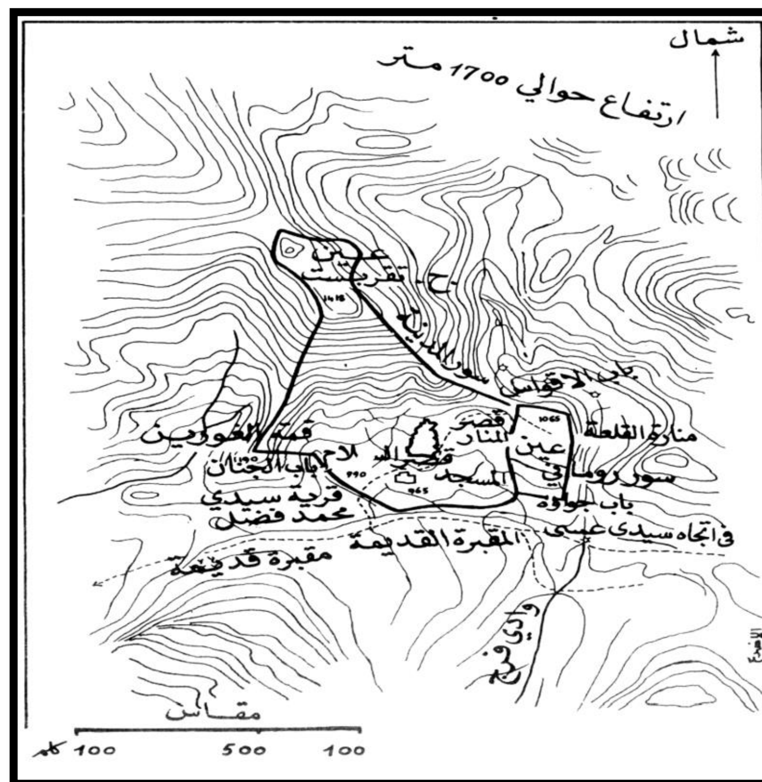
1- بورويبة (رشيد) : المرجع السابق : ص 247 ، 248 .
2- الوزان (حسن) : وصف إفريقيا المصدر السابق ، ص 422 .

عمارتها عبارة عن مجموعة من الأبراج والأسوار والمزاغل والمراقب ، وامتازت بأنها كانت سكنا للجند فقط ، ولا مجال لإقامة المدنيين فيها [1] .

بنيت **قلعة بني حماد** فوق سفح جبل **تقربست** [2] الذي يصل ارتفاعه 1418 م [3] ، وهي تقع على بعد 36 كلم شمالي شرقي المسيلة [4] ، يفصلهما عن ساحل البحر جبال القبائل الصغرى وجبال البيبان التي تحجب عنها التأثيرات البحرية [5] (الخريطة 04) .

واحتوت تلك القلعة قصورا ومساجد جامعة ، وأسواق وكذا أسوار وقناطر ، فيذكر ابن خلدون أن الناصر بن علناس كان شديد الاهتمام بالبناء والتعمير، حيث كان يقوم بتحسينات باستمرار على مباني القلعة وواصل من بعده المنصور جهود والده في البناء حيث شيدت عددا من المباني والقصور والمصانع وأجرى المياه في الرياض والبساتين ، وبنى في القلعة **قصر المنار ، وقصر البحر ، وقصر السلام ، و قصر الكوكب** [6] .

1- رزق (عاصم محمد) : المرجع السابق ، ص 82 .
2- تقربست كلمة بربرية معناها السرج ، حول العرب هذه التسمية إلى قربوسة أو قريبسة ، وهذا الجبل يحمل في المصادر أيضا اسم جبل كيانة أو جبل كتامة وبعرف حاليا بجبل المعاضيد ، **أنظر :** العربي (اسماعيل) : المرجع السابق ، ص 119 ، هامش 2.
3 - De Beylie (L) : La Kalaa des Béni Hammade , une capitale Berbère de L'Afrique du Nord au XI e siècle , Ernest Laroux éditeur , Pais 1909, P 29 .
4 - Bourouiba (R) : Rapport préliminaire sur la compagne de fouille de septembre , 1964 à la kalaà des Bani -Hammad , in B.A.A , T 1 , 1962 – 1965 Paris 1967 , P 243 .
5 - La Quala des Beni – Hammad : Rapport de mission Polono – Algérienne, 1987 – 1988 , Varsovie , Vol I ,P 5
6- ابن خلدون (عبد الرحمن) : كتاب العبر ، الجزء السادس ، ص 231 ، 232 ، 215 .



الخريطة 04 : قلعة بني حماد . حسب تخطيط الجنيرال دوبلي .

غير أن الحروب قضت على العديد من معالمها الدينية والمدنية أيام حماد بن بلكين ، لاسيما تلك التي وقعت أيام باديس ومنافسة أشير[1] ، غير أن المدينة عرفت مرحلة جديدة وذلك بعد سقوط **القيروان** [2] جراء التخريب والنهب الذي شهدته خلال النزوح الهلالي [3] ، وكان لقدوم رجال العلم والأدب والتجار والصناع والحرفيين والعلماء لمدينة القلعة . طلبا لأمن أنفسهم وأموالهم ، لأنهم جعلوا منها واحدة من المراكز الثقافية في العالم الاسلامي [4] ، وأصبحت القلعة بعد هذا التطور السياسي الذي عرفته مركزا للعلم

1- لتفاصيل أكثر **أنظر :** بن قربة (صالح يوسف) : تاريخ مدينتي المسيلة .... ، ص 85 .
2- القيروان : تعبر من أقدم وأهم المدن الاسلامية ، بل هي المدينة الاسلامية الأولى في منطقة المغرب ، أسسها القائد عقبة بن نافع الفهري سنة 50 هـ/670 م ، وقد شهدت فترات ازدهار في عصر الأغالبة ومن بعدهم الزيريين ، **أنظر :** بن قربة (صالح يوسف) : المرجع السابق ، ص 115 .
3- بن قربة (صالح يوسف) : المرجع نفسه ، ص 115 .
4- العربي (اسماعيل) : دولة بني حماد ، ملوك القلعة وبجاية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر - 1980 ، ص 244 ، 245 .

والحضارة حيث يصفها الادريسي بقوله : " **ومدينة القلعة من أكبر البلاد قطرا ، وأكثرها خلقا ، وأغرزها خيرا وأوسعها أموالا وأحسنها قصورا ومساكن وخصبا** " [1] .

شيدت قلعة بني حماد في موقع ذي أهمية استراتيجية عظيمة ، كان عامرا منذ العصور الحجرية ، فقد تم العثور في شمال الموقع على حلزونيات من الفترة القفصية تحتوي على صناعة حجرية ، كما تم العثور في وسط الموقع على قطع نقدية قديمة وشقوف فخارية سجلي ، واكتشفت به فسيفساء سنة 1888 م تعود للفترة الرومانية .

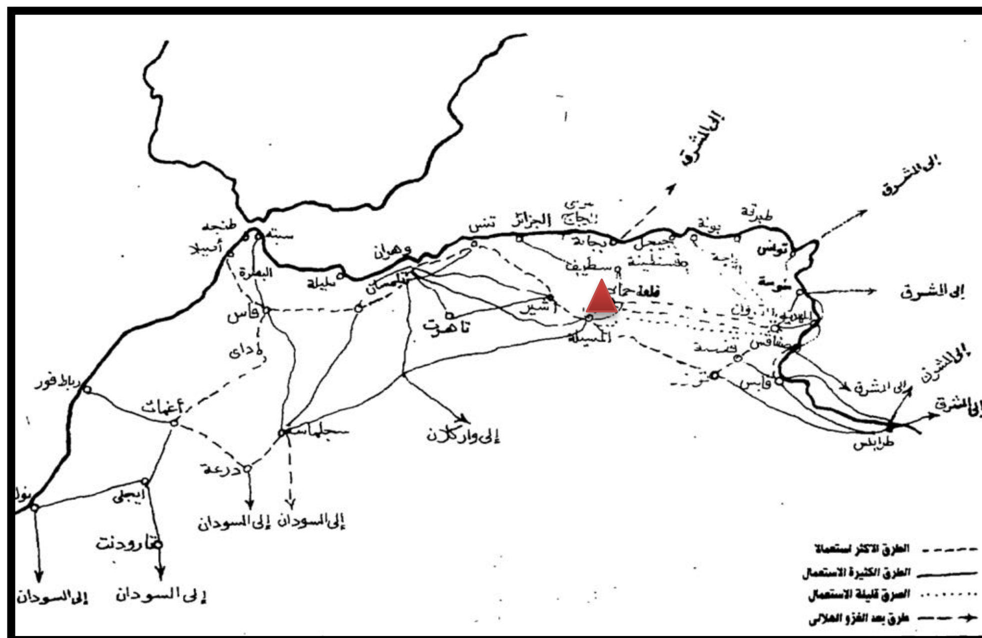
ومدينة القلعة حسب قول النويري : " ..... **وهي على جبل عجيسة البرنسية** [2] **وهو جبل عظيم من جبال كيانة** ... " [3] .

ويصفها يا قوت الحموي في قوله : " ..... **قلعة حماد مدينة متوسطة بين أكم** [4] **وأقران ، ولها قلعة عظيمة في قمة جبل تسمى تاقربوست** ..... " [5] .

وتشرف من الناحية الشرقية على وادي فرج ، ويحضنها من الناحية الغربية جبل الغورين[6] ، وتطل من ناحية الجنوب على شط الحضنة وسهوله الفسيحة لقول أبو عبد الله محمد الشريف الادريسي : " ... **وأمامها في جهة الجنوب أرض سهلة متصلة بالانفراج ، لا يرى الناظر فيها جبلا عاليا ولا شرفا مطلا ، إلا على بعد منها ، أو على مسيرة أربع مراحل يرى جبالا لا تبين** ..." [7] .

1- الادريسي (الشريف أبو عبد الله محمد) : المغرب العربي ، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، تحقيق وتعجيم : محمد حاج صادق ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1983 ، ص 109 .
2- وهي بطن من بطون البرانس من ولد عجيسة من برنس ، ويدل هذا الاسم على البطن الذي تنتمي اليه ، وكان منهم من يسكنون في جبل القلعة ، وللمزيد **أنظر** : ابن خلدون (عبد الرحمن) : كتاب العبر ، الجزء السادس ، ص 202
3- النويري (عبد الوهاب) : نهاية الأرب في فنون الأدب ، ص 34 .
4- أكم : الجبل وجمعه إكام مثل جبل وجبال ، وللمزيد **أنظر** : ابن منظور : لسان العرب ، الجزء الأول ، تصحيح : أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي ، الطبعة الثالثة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت 1999 م ، ص 173 .
5- الحموي (ياقوت) : معجم البلدان ، الجزء الرابع ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت 1984 م ، ص 390 .
6- العربي (إسماعيل) : المرجع السابق ، ص 119 .
7- الادريسي (محمد الشريف) : المصدر السابق ، ص 109 .

فضلا على اتصالها الجغرافي بسهول الحضنة لقول النويري : ".. **وإطلاله على بحيرة الحفنة . الحضنة . واتصالها بسهول فسيحة ، وسمو وعلوه ولصعوبة ارتقائه** .."[1] (الخريطة 05) .



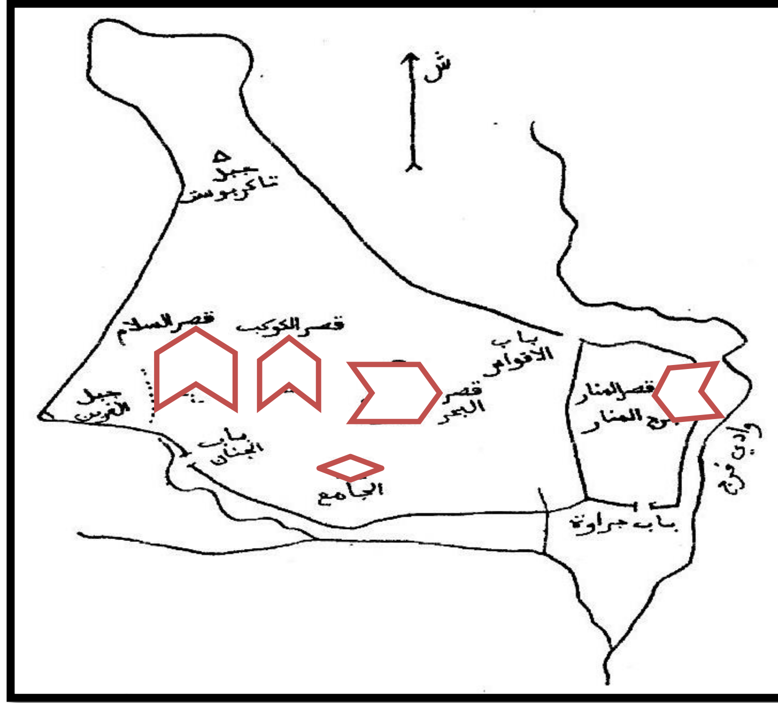
الخريطة 05: موقع قلعة بني حماد بالنسبة لمدن المغرب الاسلامي . عن عبد الرحمان الجلالي .

وكانت مدينة القلعة مثلثة الشكل ، تزينها عدة أبواب محصنة وتشمل على قصور عظيمة ، رشيقة البنيان من بينها **قصر البحر برسمه المائي البديع** ، غير أنه لم يبق من كل ذلك إلا الأطلال ، والصومعة التي لا تزال قائمة ، وقصر المنار بواجهته التي تشقها خطوط كبيرة على غرار قصور بلاد ما بين النهرين "[2] .

توزعت أحياء المدينة على ثلاث تلال ، كل واحد منها قصر يشرف على باقي الحي ، ففي التلة الأولى انطلاقا من الغرب يوجد قصر السلام ، ثم التلة الثانية فيعلوها قصر الكوكب الذي لم تقم فيه أعمال بحث إلى حد الآن ، أما التلة الثالثة فهي أوسعهم وتمثل أهم أحياء المدينة باحتوائها على قصر البحر أو قصر الأمراء والمسجد الجامع

1- النويري (عبد الوهاب) : المصدر السابق ، ص 341 .
2- " الفن المعماري الجزائري " : سلسلة فن وثقافة ، وزارة الأخبار ، الجزائر ، جوان 1970 م ، ص 28

وسوق المدينة ، أما قصر المنار وحي جراوي فيمثلان الطرف الشرقي للمدينة [1] ، والذي يحدّه وادي فرج ، ويمكننا بذلك القول أن القلعة تمتلك الحصانة الطبيعية ما يجعل عملية الدفاع عنها يسيرة للمحتمين بها وعملا شاقا ومستحيل للمهاجم والمحاصر لها [2] (المخطط 01) .



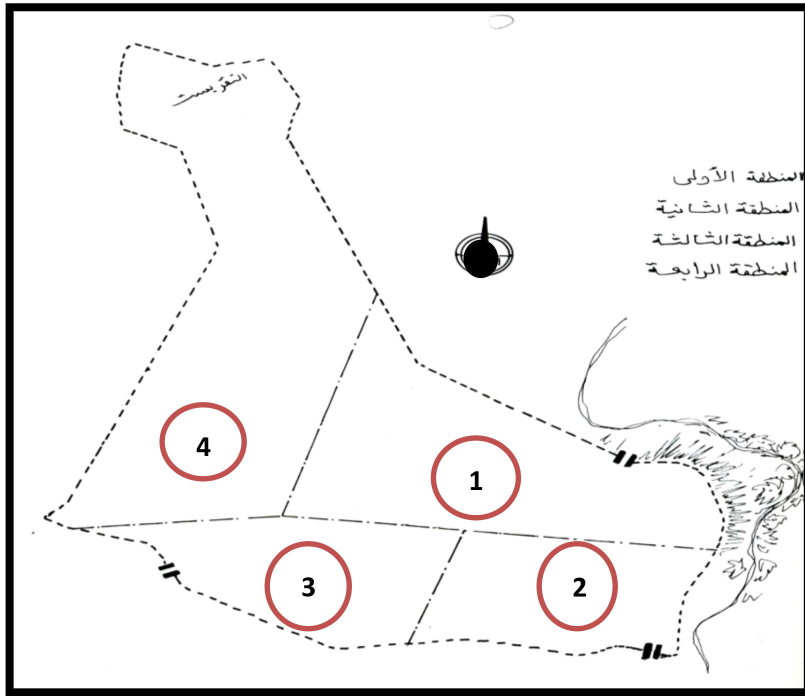
المخطط 01 : تصميم لموقع قلعة بني حماد . عن اسماعيل العربي . بتصرف

ورغم قصر العمر الزمني الذي حكمت فيه دولة بني حماد في القلعة إلا أنها شهدت الكثير من البناءات المعمارية ، فقد اعتنى الحماديون بالفن المعماري إعتناءا كبيرا [3] ، فعمل حماد على انشاء حضارة من أرقى الحضارات ببنائه القلعة ، فقد كانت فاتحة خروج البربر من الخيام والشروع في حركة العمران ، والتي بلغت مداها في عصر المنصور بن الناصر بن علناس الذي كان مولعا بالبناء ، حضر ملك بن حماد وتأنق

1- Qual'a des Beni-Hammad : Rapport des mission Op.Cit . p 10 .
2-Golvin (L) : Recherche Archéologique à la qua l'A de BENIHAMMAD G.P Maisonneuve et l'arrose Paris.1965.
3- ابن خلدون (عبد الرحمن) : كتاب العبر ، الجزء السادس ، ص 202 .

في اختطاط المباني وتشييد المصابغ وبنى القصور وأجرى المياه [1] ، فقاموا **بإحضار المهندسين من إفريقية ومن المشرق** لتشييد هذه البنايات المختلفة [2] ، فكان لتطور التجارة أثر بارز على ازدهار العمران والتفنن في بناء القصور ، التي أصبحت مرآة عاكسة لرفاهية المجتمع الحمادي ، وقد استمر اهتمام الحماديين بالزخرفة العمرانية فأسسوا بذلك قصورا غاية في الجمال والابداع .

ولتعدد القنوات الرئيسية أثره في عملية توزيع المياه بالقلعة ، فارتأينا أن نقسم المدينة إلى أربع أقسام لكل قسم منطقة ، تبعا لمصادر تموينها بالمياه والتي اقتصرت على المعالم التي ذكرناها سالفا [3](المخطط 02) .



المخطط 02 : أقسام قلعة بني حماد الأربع . عن بن خرباش . بتصرف

لنفصّل في ذكر الفساقي وأحواضها حسب كل تقسيم من القلعة وما يحتويه من عمارة بداية ب :

1- بونابي (الطاهر) : " الدولة المركزية بقلعة بني حماد ، التأسيسي والتداعيات " ، مجلة الآداب والعلوم الانسانية ، العدد السابع ، كلية الآداب والعلوم الانسانية جامعة الأمير عبد القادر للعلم الاسلامية ، قسنطينة نوفمبر 2006 م ،

2- الطمار (محمد) : الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1983 م ، ص 153 .

3 - بن خرباش (عبد النور) : نظام ومنشآت الري في قلعة بني حماد ، دراسة أثرية ، رسالة ماجستير ، إشراف : د. عزوق عبد الكريم و د. حملاوي علي ، جامعة الجزائر - معهد الآثار - 2008 -2009 م ، ص 30 -31 .

القسم الأول :

وتعتبر منطقة هذا القسم من أهم التجمعات السكنية ، لاحتوائها على قصر البحر وقصر المنار إلى جانب القسم الشمالي لحي جراوة ، وتزود هذه المنطقة من القناة القادمة من الشمال ، ولاتساع رقعتها تم تقسيم القناة الرئيسية إلى قسمين ، قسم يمون **الكتلة الغربية** أي **قصر البحر** وما جاوره ، **وقسم يمون الكتلة الشرقية** أي **قصر** المنار والجزء السفلي من حي الجراوة .

ويحتل هذا القسم عدة كتل ، بداية **بالكتلة الغربية** التي نجد بها :

1.4 . أحواض قصر البحر و فساقيه : ويعتبر أكبر بناء معماري في قلعة بني حماد ، وأول إشارة لهذا القصر كانت من طرف صاحب كتاب الاستبصار إذ قال : " **... ولبني حماد بالقلعة مباني عظيمة ، وقصور منيعة متقنة البناء ، عالية السناء ، منها قصر يسمى دار البحر...** " [1] .

ويقع القصر أسفل المنحدر الجنوبي بقمة تاقربست ، له شكل مثلث عموما ، طوله المحوري من القاعدة إلى القمة 250 م ، فيصل طول القصر إلى 159 م على 67 م عرضا ، ويتدرج على منحدر أكثر من 35م [2] . وقد كشفت الحفريات في هذا القصر على وجود واجهة شرقية مزينة ومسطحة القعر، وباب شرقي ناتئ مزين بأربعة مشكوات نصف دائرية الشكل ، إلى جانب مدخل القصر الشرقي قاعة صليبية الشكل ، وكذا القاعات الموجودة بينهما [3] .

1 - مؤلف مجهول : كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ، المصدر السابق ، ص 56

2 - Marçais (G) : Manuel d'art Musulman (Architecture : Tunisie - Algérie – Maroc – Sicile – Espagne) , édition Auguste picard , Paris 1926 , P 123 .

3- بورويبة (رشيد) : المرجع السابق ، ص 269 .

فإلى جانب قنوات توزيع الماء بين الرئيسية والثانوية بالقصر نجد أيضا الأحواض الدائرية [1] ، وهي مركبة من حوضين لهما مسقط دائري ، يقعان في منتصف الضلع الشرقي للقصر على مستوى 1025 م ، لهما وظيفة وحجم متباينين ، **حوض صغير للتصفية** و **حوض كبير للتخزين** .

1.1.4 . <u>حوض التصفية</u> : ويقع هذا الحوض شمال الحوض الكبير، وله مسقط دائري قطره الداخلي 3 م ، والخارجي 4.50 م ، يفصله عن الحوض الكبير مسافة 0.85 م ، وكانت تتمثل في الفتحة التي من خلالها يسيل الماء بعد تصفيته (الصورة 01) .

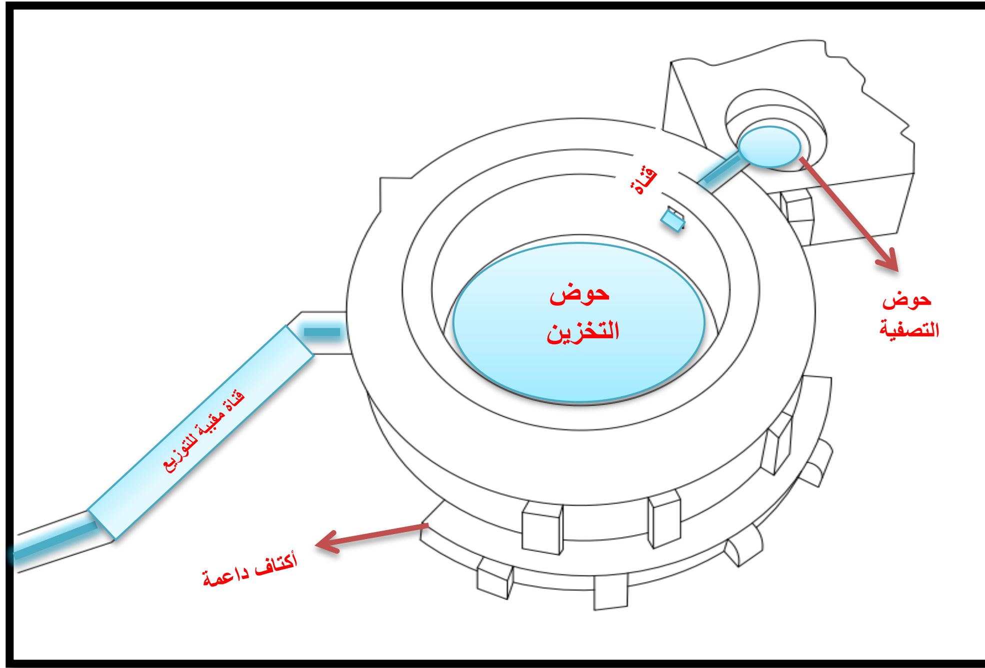


الصورة 01 : حوض التصفية بقصر البحر بقلعة بني حماد

بني الحوض في وسط أرضية مرتفعة عن باقي البناء ب 0.80 م ، دعمت بكتف عرضه 1.50 م ، أما العمق فإنه لم يكن بإمكاننا معرفته ، **بسبب زوال آثار البناء وعدم بقاءه ، إلا جزء يسير منه على مستوى الأرض .**

1 - De Beylie (L) : La Kalaa…… , P 73.

وكما تدل عليه تسميته فإن الحوض له وظيفة تصفية المياه قبل مرورها بحوض التخزين ، وذلك بتسرب الشوائب وتمكين الماء الصافي فقط من الانسياب إلى حوض التخزين ، لا شك أن الحوض كان يحتوي على بالوعة صرف للقيام بعملية تنظيفه وتفريغ المياه خاصة أنه معرض لمشكلة التطيين خاصة في فترة الأمطار والسيول(الشكل 07) .

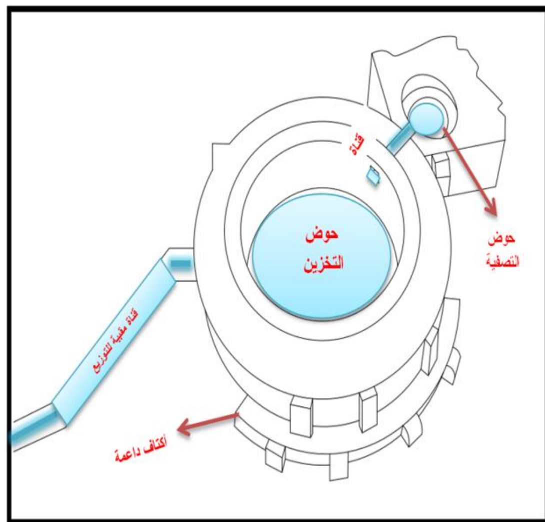


الشكل 07: إعادة تصور للأحواض الدائرية بالقسم الأول لقلعة بني حماد
. عن بن خرباش . بتصرف

وحاولنا الالمام بتفاصيل هذا الحوض ووضعها في **بطاقة تقنية** واشتملت على العناصر المرتبة كالتالي : رقم الجرد ، اسم التحفة ، والاسم المحلي ، المادة ، اللون ، الوظيفة ، الفترة المصدر ، المقاسات ، تقنية الصناعة والزخرفة ، وكذا طريقة الاقتناء ، مكان الحفظ حالته ، مع وصفها وهل هناك دراسات تعرفت عليها قبلا من خلال وضع للبيبليوغرافيا .

ولارتباط بعض الأحواض ببعضها عبر قناة لنقل المياه فوضعنا **شكلها الموحد** في البطاقة التقنية لإبراز ذلك الارتباط شكلا ووظيفة .

. **<u>البطاقة التقنية رقم01</u>** : حوض التصفية لقصر البحر بقلعة بني حماد

رقم الجرد	01	الصورة
اسم العنصر المعماري	حوض	
التسمية المحلية	حوض	
المادة	الحجر	
اللون	بني فاتح	
الوظيفة	تصفية الماء	
الفترة	حمادية	
المصدر	قصر البحر بقلعة بني حماد	
المقاسات	قطره الداخلي 3 م ، والخارجي 4.50م ، يفصله عن الحوض الكبير مسافة 0.85 م ، ارتفاع ارضيته 0.80 م ، عرض أكتاف دعمه 1.50 م .	الشكل
تقنية البناء	مركب ومدعّم	
تقنية الزخرفة	/	
مكان الحفظ	قصر البحر بقلعة بني حماد	
طريقة الاكتشاف	حفرية	
حالة الحفظ	اندثر	
الوصف	حوض لتصفية الماء بمسقط دائري يفصله عن الحوض الكبير مسافة قصيرة ، بني الحوض في وسط أرضية مرتفعة عن باقي البناء و دعمت بكتف، وبين الحوضان فتحة من خلالها يسيل الماء بعد تصفيته.	
بيبليوغرافيا	De Beylie (L) : La Kalaa des Béni Hammade بن خرباش :نظام ومنشآت الري...	

2.1.4 . حوض التخزين : حظي بعناية من طرف الباحثين إذا ما قورن بحوض التصفية ، فقد وضع مخططه منذ الحفريات الأولى التي قام بها بلانشي Blanchet [1] و روبير Robert [2] ، لكن شكله النهائي يرجع الفضل في إنشائه إلى اللواء دي بيلي De Beylie ، وحسب هذا الأخير فالحوض له شكل أسطواني قطره الداخلي 12 م والخارجي 16.20 م (الشكل 07) ، دعمت جهته الغربية بثلاثة أكتاف عرضها 0.95م، ناتئة عنه ب 0.45 م ، كما قويت نفس الجهة بجدارين سمك الواحد منهما 1.15 م ، تتخلله أربعة أكتاف عرضها 1م [3] (الصورة 02) .



الصورة 02 : الجدار الداعم لحوض التخزين بقصر البحر بقلعة بني حماد

والحالة السيئة التي آل إليها الحوض لم تسمح لنا معرفة معلومات أدق ، فطلاؤه الداخلي والخارجي اختفى تماما ، والحوض حاليا عبارة عن ركام من الدبش ، وكان لنا حصر ما يخص هذا الحوض في بطاقة تقنية وهي :

1 - Blanchet (P) : Description des monuments de la kalaa des Beni Hammad C.M des Maadid nouvelles archives des missions scientifiques T.XVIII , 1904 – 1905 , P 03 .
2- Robert (A) : La Kalaa de hammadine, un recueil des notices et mémoires de la société archéologiques de Constantine, 1903. P40 .
3 - De Beylie (L) : La Kalaa...... , P 74 .

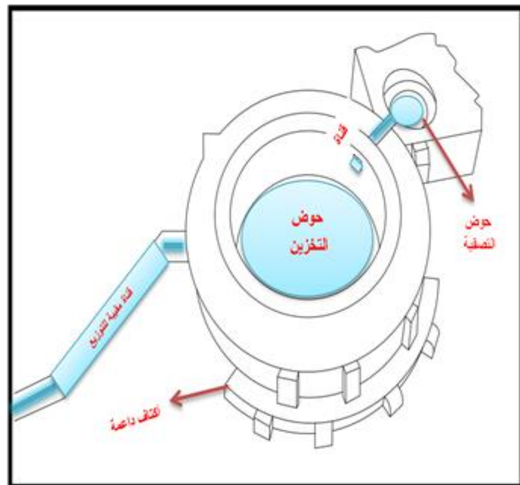
. **<u>البطاقة التقنية رقم 02 :</u>** حوض التخزين بقصر البحر بقلعة بني حماد و أكتافه الداعمة .

رقم الجرد	02
اسم العنصر المعماري	حوض
التسمية المحلية	حوض
المادة	الحجر
اللون	/
الوظيفة	تخزين الماء
الفترة	حمادية
المصدر	قصر البحر بقلعة بني حماد
المقاسات	القطر الداخلي 12 م والخارجي 16.20 م ، عرض أكتاف تدعيمه 0.95 م ، ناتئة عنه ب 0.45 م، سمك الجدران 1.15 م ، عرض الأكتاف 1م
تقنية البناء	مركب ومدعّم
تقنية الزخرفة	/
مكان الحفظ	قصر البحر بقلعة بني حماد
طريقة الاكتشاف	حفرية
حالة الحفظ	سيئة
الوصف	حوض ذو شكل أسطواني دعمت جدرانه وقويت ببناء أكتاف، دعمت جهته الغربية بثلاثة أكتاف بها نتوء، كما قويت نفس الجهة بجدارين تتخلله أربعة أكتاف .
بيبليوغرافيا	- De Beylie (L) : La Kalaa des Béni Hammade - Blanchet (P) : Description des monuments de la kalaa des Beni Hammad - Robert (A) : La Kalaa de hammadine – بن خرباش : نظام ومنشآت الري..

الصورة



الشكل



وتنطلق من الحوض في جهته الجنوبية قناة مقببه تمر تحت أرضية البناءات ، عرضها 0.40 م وارتفاعها 1.30 م ، تقوم بتزويد **صهاريج سحب الماء**[1] ، في ثلاث وحدات .

فقد وجدنا جنوب الأحواض الدائرية كتلة معمارية مشكلة من ثلاثة وحدات أرضيتها مشكلة من صهاريج ، وهي عبارة عن غرف مستطيلة الشكل ، أطوالها متباينة ومسقوفة بقبو دائري منكسر.

أ . **الوحدة الأولى** : وتحتوي هذه الوحدة على غرفة توزيع وثمانية صهاريج ، قسم كشف عنه بلانشي ويتمثل في غرفة التوزيع وصهريجين ملاصقين لها .

وترتفع هذه الوحدة عن الوحدة الأولى بحوالي 2 م ، مما يجعل عملية تموينها من الأحواض صعبة ، وحسب اللواء دي بيلي ، فإن صهاريج هذه الوحدة تمونها قناة قادمة من جهاز التوزيع في السور الغربي [2] ، إلا أن الحالة الرديئة التي آل أليها هذا القسم من القصر ، كان سببا في عدم تمكننا من الإحاطة أكثر بهذه الصهاريج[3](الصورة 03)

1 - Blanchet (P) : Op.cit , P 06 .
2- De Beylie (L) : Op .Cit , P 72 .

3- بن خرباش (عبد النور) :المرجع السابق ، ص 33 .



الصورة 03 : ركام من صهاريج الوحدة الثانية بقلعة بني حماد . عن بن خرباش .

ب . **الوحدة الثانية** : وتشمل هذه الوحدة على عشرة صهاريج مستطيلة متوازية فيما بينها ، لها أطوال متباينة في الجهة الشمالية بسبب الأرضية الصخرية ، لتفادي عمل مكلف وشاق [1] .

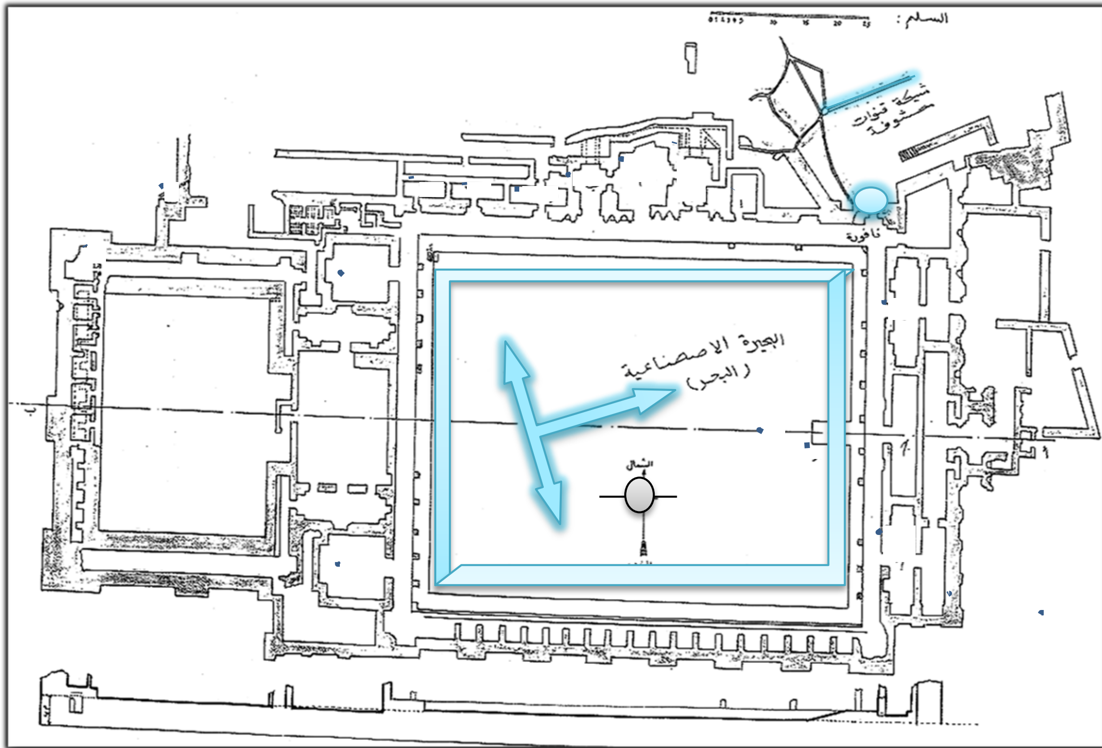
ج . **الوحدة الثالثة** : تحتوي هذه الوحدة على ثمانية صهاريج متوازية فيما بينها متباينة المقاسات [2] .

واعتمادا على مخطط اللواء دي بيلي فإنه يتم تموين هذه الصهاريج من القناة المتفرعة من غرفة التوزيع بالوحدة الأولى ، كما يمكن الملاحظة فإن هناك ثلاثة صهاريج فقط تربطهم قناة ، أما الباقي فكل صهريج مستقل عن الآخر ، كما أن المخطط لا يعطي تفاصيل واضحة حول شبكة القنوات والصهاريج فقد تبين بعد أعمال التنقيب للأستاذ بورويبة في المسجد الجامع بالقلعة ، أن مخططات اللواء دي بيلي تحتاج إلى تصحيح وإعادة النظر .

1- بن خرباش (عبد النور) : المرجع السابق ، ص 34
2- المرجع نفسه ، ص 35 .

وإلى جانب هذه الصهاريج في الجهة الجنوبية ، فإنه توجد شبكة من القنوات المكشوفة تقوم بسقي حدائق القصر ، تتفرع من جهاز التوزيع المصنوع من الفخار ذو الشكل الاسطواني الذي يبلغ قطره 0.60 م [1] .

3.1.4 . <u>البحيرة الاصطناعية</u> : ويشغل هذا الحيز معظم القسم الجنوبي لقصر البحر ، وهو عبارة عن حوض مستطيل الشكل لا يقل عن 64 م طولا ، وعن 45 م عرضا ، ويقدر عمقه ب 1.60 م (المخطط 03) .



المخطط 03 : موقع البحيرة الاصطناعية بقصر البحر بالقسم الأول لقلعة بني حماد
. عن De Beylie - بتصرف

وبني هذا الحوض من الدبش والملاط الجيري ، طلاؤه لم يبق منه إلا قسم يسير من الجدار الجنوبي ، سمكه 0.06 م ، كما أن اللواء دي بيلي قد أقام عملية سبر للأرضية، فكشف عن طبقة من الجص ثم طبقة من الخرسانة سمكها 0.50 م ،

1 -De Beylie (L) : Op .Cit . P 68

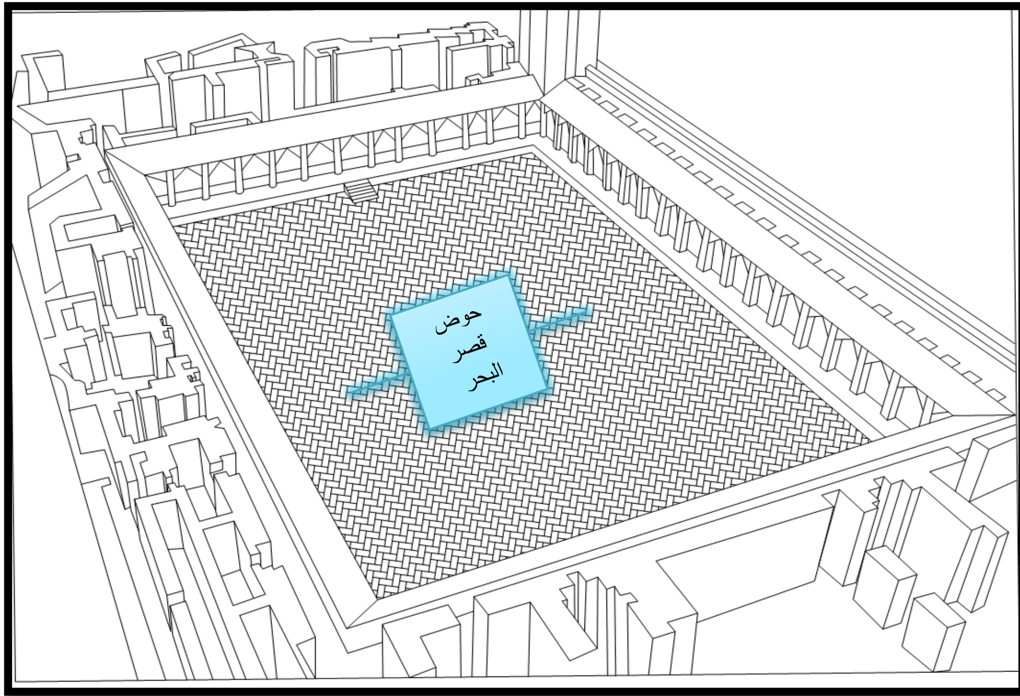
ويتوسط الجدار الشرقي للحوض منحدر أو مزلقة طولها 6.20 م وعرضها 3.25 م (الصورة 04) ، وكان الحوض يملأ من قناة في زاويته الشمالية الغربية ، وأكبر احتمال أن تكون هذه القناة نفسها تتفرع من القناة المهيأة في السور الغربي في القصر ، التي ربما كانت مخصصة لتزويد البحيرة نظرا للكمية الهائلة التي تستهلكها ، وعند امتلاء الحوض تستغل مياه القناة في تزويد بنايات القصر ، عن طريق سكك التوزيع ، وتقدر سعة الحوض ب 4608 م ^{3} ، كما يحيط بالحوض من جوانبه الأربعة دكة عرضها 5.50م، تحمل على الجوانب الثلاثة ، الشمالي الشرقي والغربي بقايا دعائم تشكل رواقا عرضه 3م ، يرجح أنه كان مغطى بسقف معقود تحمله تلك الدعائم [1] (الشكل 08).



الصورة 04 : منظر عام لحوض قصر البحر بقلعة بني حماد

---

1 -De Beylie (L) : Op.Cit . P 62



الشكل 08 : إعادة تصور لحوض قصر البحر بقلعة بني حماد . عن بن خرباش . بتصرف

وبلّطت أرضية الأروقة بالآجر المصفوف على شكل سنبلة (الصورة 05) .



الصورة 05 : البلاط الأرضي بشكل السنبلة لحوض البحر بقلعة بني حماد

ويختلف الجانب الجنوبي للحوض عن الباقي باحتوائه على 18 حجرة مربعة الشكل بطول 2.50 م وعرض 2.50 م ، يفصل كل واحدة عن الأخرى جدار سمكه 0.90 م، ويستند إلى السور الجنوبي للقصر .

وقد وصفه صاحب الاستبصار بقوله : " .... **وقد وضع وسطه صهريج عظيم تلعب فيه الزوارق ، يدخله ماء كثير ، من ماء مجلوب على بعد وفيه الرخام و السواري ما يقصر عنه الوصف ...** " [1] ، **غير أنه لم يبق إلا أجزاء** (الصورة 06).



الصورة 06 : الجانب الشرقي لحوض قصر البحر بقلعة بني حماد

وكان الحوض محاطا بأروقة مغطاة بسقف يرتكز على عقود تحملها أعمدة كبيرة [2] (الصورة 07) .

1- مؤلف مجهول : الاستبصار : المصدر السابق ، ص 56 .
2- لعرج (عبد العزيز) و آخرون : مساهمة الجزائر في الحضارة العربية الاسلامية ، منشورات المركز الوطني للدراسات والأبحاث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 م ، الكرامة والطباعة والنشر والاتصال ، الجزائر 2007 م ، ص 176 .



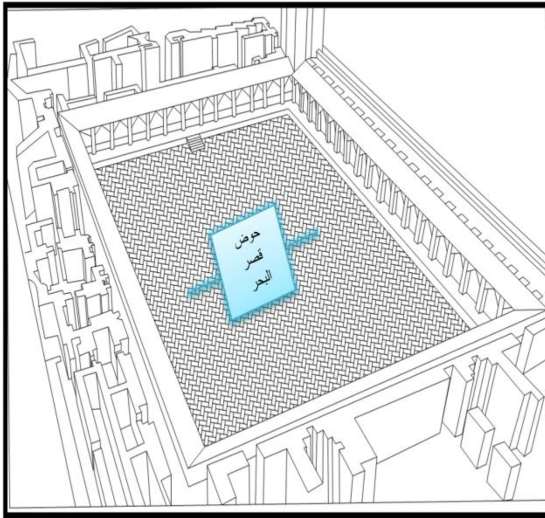
الصورة 07 : بقايا دعائم الحوض للرواق الشرقي بقصر البحر بقلعة بني حماد

وقد كان هناك اختلاف في تحديد مساحة وعمق هاته البحيرة ، فمنه من يقول أنها على امتداد مساحة لا تقل عن 67 م طولا و 47 م عرضا و 1.60 م عمقا [1] ، والبعض الآخر يقول أنها بركة كبرى طولها يناهز 60 م وعرضها 45 م ، بحيث تلعب فيها الزوارق ، كما يحيط بالبركة قاعات وأروقة مزينة بنقوش جميلة بالفسيفساء[2] (ويقصد بها البلاطات المصفوفة بشكل السنبلة) .

ولتتضح الصورة أكثر وضعنا في نقاط مرتبة أهم أوصاف هذا الحوض في بطاقة تقنية جاءت في الشكل التالي :

1- عويس (عبد الحليم) : المرجع السابق ، ص 276 ، 277 .
2- مؤلف مجهول : الاستبصار : المصدر السابق ، ص 57 .

. **البطاقة التقنية رقم 03** : حوض قصر البحر بقلعة بني حماد

رقم الجرد	03	
اسم العنصر المعماري	حوض	الصورة
التسمية المحلية	حوض	
المادة	من الدبش والملاط الجيري	
اللون	بني فاتح	
الوظيفة	جمع الماء لتزين القصر	
الفترة	حمادية	
المصدر	قصر البحر بقلعة بني حماد	
المقاسات	طول 67 م ، وعرض 45 أو 47م و عمق 1.60 م ، السعة 4608م³	
تقنية البناء	الحفر والتدعيم	الشكل
تقنية الزخرفة	/	
مكان الحفظ	قصر البحر بقلعة بني حماد	
طريقة الاكتشاف	حفرية	
حالة الحفظ	سيئة	
الوصف	حوض مستطيل تحيط به قاعات وأروقة مغطاة بسقف يرتكز على عقود تحملها أعمدة كبيرة ، وأرضيتها مبلطة بالآجر المصفوف على شكل سنبلة ، ولم يبق منه إلا الأطلال.	
بيبليوغرافيا	- De Beylie (L) : La Kalaa des Béni Hammade – بن خرباش : نظام ومنشآت الري بقلعة بني حماد	

كما تعود لهذا القصر فسقية فقمنا بدراستها ووضع بطاقة تقنية مبينة لأهم ما يخصها من وصف .

4.1.4 . فسقية من الرخام الرمادي : ولها شكل مستطيل طولها 0.18 م وعرضها 0.52م ، عمقها غير منحوت بصورة منتظمة وبقدر 0.17 م (الصورة 08).

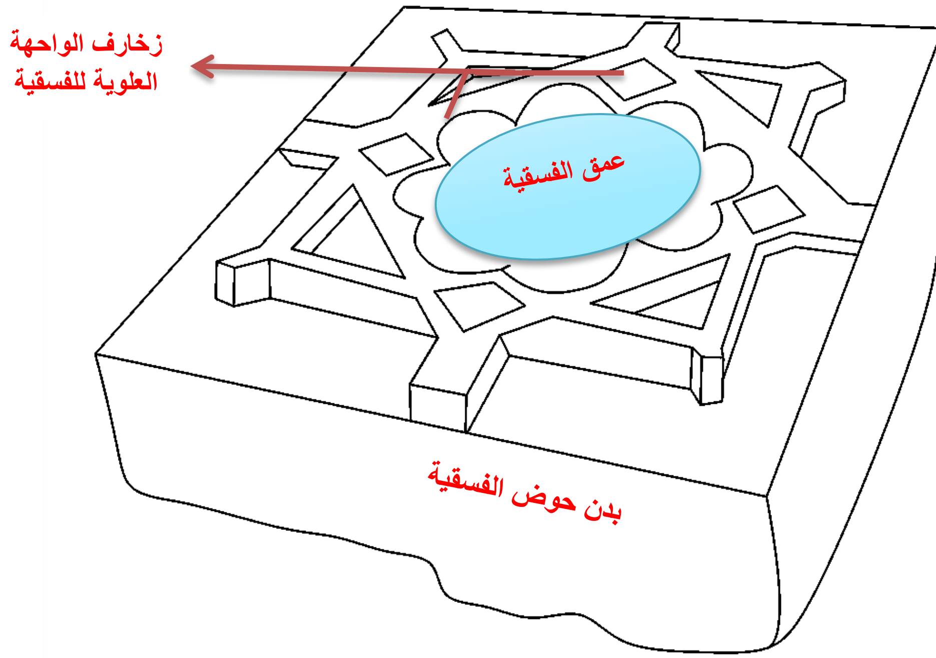


الصورة 08 : الفسقية الرخامية المفصصة بقصر البحر

. محفوظة بباحة متحف قلعة بني حماد بالمسيلة .

فتزيّن الفسقية عقود مفصصة في زواياها الأربعة ، وعقود نصف دائرية بالحافة العلوية مشكلة زهرة الأقحوان [1] (الشكل 09) ، وهي محفوظة حاليا بباحة متحف قلعة بني حماد بالمسيلة .

1 -De Beylie (L) : Op.cit . P 60 .



الشكل 09 : تفاصيل الفسقية الرخامية المفصصة بقصر البحر . من عمل الطالبة .

وقد حصرنا ما قما بالتعرف عليه بهذه الفسقية في بطاقة تقنية كان شكلها على النحو التالي :

. **البطاقة التقنية رقم 04** : الفسقية الرخامية المفصصة المحفوظة بباحة متحف قلعة بني حماد .

رقم الجرد	04	**الصورة** **الشكل**
اسم التحفة	فسقية	
التسمية المحلية	حوض	
المادة	رخام	
اللون	رمادي	
الوظيفة	حفظ الماء	
الفترة	حمادية	
المصدر	قصر البحر	
المقاسات	طول : 0.18 م عرض : 0.52 م عمق : 0.17 م	
تقنية الصناعة	يدوية بالطرق والكشط والحفر على الحجر	
تقنية الزخرفة	يدوية منتظمة بالحفر الغائر والبارز	
مكان الحفظ	باحة متحف قلعة بني حماد بالمسيلة	
طريقة الاقتناء	حفرية	
حالة الحفظ	متوسطة	
الوصف	فسقية مستطيلة الشكل ، تآكلت الجهة الخارجية لها ، كما وطمست بعض أجزاء الزخرفة الخاصة بفوهتها، عمقها غير منحوت بصورة منتظمة ، وتزينها عقود مفصصة ودوائر في زواياها الأربعة ، وعقود نصف دائرية مشكلة في حواف الحوض من الداخل زهرة الأقحوان .	
بيبليوغرافيا	- De Beylie (L) : La Kalaa des Béni Hammade	

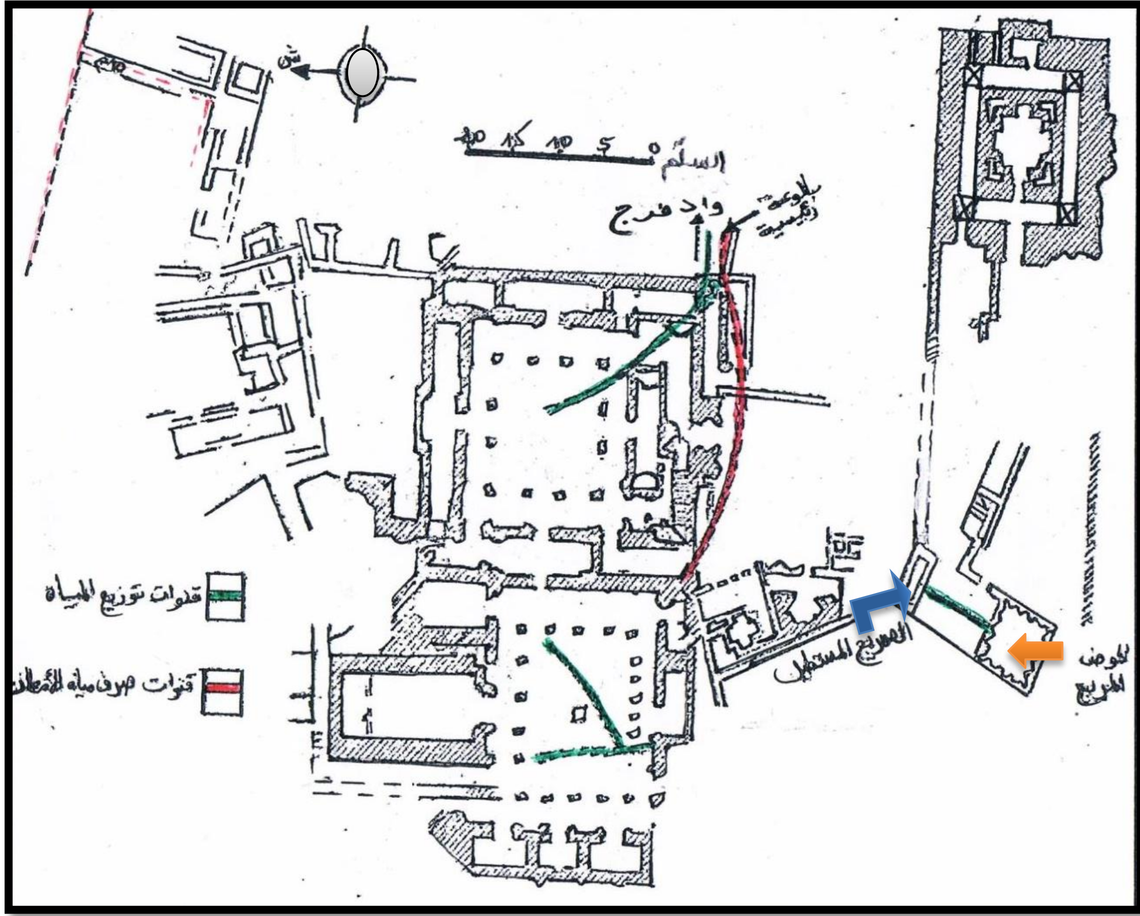
ثم **الكتلة الشرقية** التي يتم امداد ها بالمياه من القناة الرئيسية القادمة من وادي الجفين عبر قناة مبنية في وسط السور المحيط ، كما تدل عليه بقايا هذه القناة ، كما تحتوي هذه الكتلة على **جب** يتوسط القسم الشمالي لحي جراوة ، ونظرا لعدم تغطية أعمال التنقيب والحفريات لكل مساحة الكتلة ، فقد اعتمدنا أساسا على ما هو قائم من البنايات والمتمثلة في :

2.4 . أحواض قصر المنار و فساقيه : ويعد من أبرز معالم الابداع الهندسي الحمادي في قلعة بني حماد ، إذ يشمل عل عدة مباني متلاصقة بعضها البعض منها جنوبية ومنها شمالية[1].

كما يتكون من بهو فسيح تحته سرداب كان يخزن فيه الأسلحة ، وقاعات استعملت لأغراض مختلفة [2] ، ويعلوه منار لقب بعدة تسميات منها برج المنار أو سرج المنار ، ولهذا البرج قاعدة مربعة يبلغ ضلعها 20 م ، كما يشمل على قاعتين موضوعتين إحداهما فوق الأخرى ، فالقاعة السفلى مربعة ومسقوفة بقبة والقاعة العليا صليبية الشكل وكان ممر الحراس يحيط بالقاعتين ويرتفع إلى أعلى البرج حيث نجد آلة بمرايا [3] .

ويقع شرق المدينة ، وهو مشكّل من عدة أجنحة ، يبلغ طوله 1.60 م ، ويحتوي على **ثلاث مجموعات سكنية** (المخطط 04) .

1- بورويبة (رشيد) : الدولة الحمادية ، ص 251 ،252 .
2- مؤنس (حسين) : تاريخ المغرب وحضارته من قبل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر ـ من القرن 6 م إلى القرن 16 م ، الطبعة الأولى ، العصر الحديث للنشر والتوزيع ، بيروت 1992 م ، ص 690 .
3- بورويبة (رشيد) : المرجع السابق ، ص 268 .



المخطط 04 : مركب قصر المنار بالقسم الأول لقلعة بني حماد . عن بن خرباش . بتصرف .

كما يحتوي القصر على مجموعة من **المنشآت المائية** ، من **قنوات وأحواض وفسقية** بالجهة الجنوبية **وقطعة من شاذروان** تعود لمقع هذا القصر ، وتموين القصر يتم عبر قناة مبنية وسط السور الغربي، كما يمكن الملاحظة أنه بالجهة الشمالية الغربية يوجد قنوات قادمة من الجهة الشمالية في الصحن الغربي والجزء الشمالي من القصر وفق قواعد سيلان الماء من الأعلى إلى الأسفل ، مما يدعو إلى احتمال وجود صهريج لتخزين كمية معتبرة من المياه ثم توزيعها على مختلف مرافق القصر ، كما هو الحال في قصر البحر (الصورة 09) .

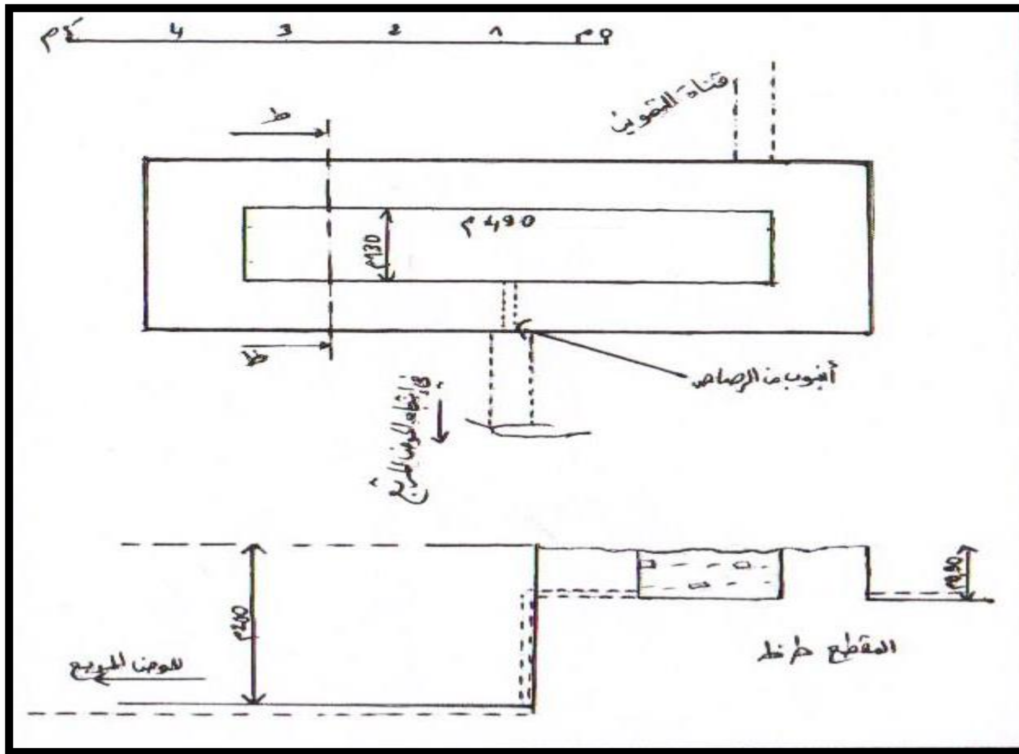


الصورة 09 : القناة المدمجة بوسط سور قصر المنار بقلعة بني حماد

1.2.4 . <u>الحوض المستطيل</u> : ويقع في القسم الجنوبي الشرقي من القصر ، وهو عبارة عن بناء من الدبش له شكل مستطيل بطول 4.90 م وعرض 1.30 م ، ويقدر سمك طلائه الداخلي ب 0.25 م (الصورة 10 و الشكل 10) .



الصورة 10 : بقايا الحوض المستطيل بقصر المنار بقلعة بني حماد . عن بن خرباش .



الشكل 10 : رسم توضيحي للحوض المستطيل بقصر المنار بقلعة بني حماد . عن بن خرباش .

ويتم تموين هذا الصهريج من قناة أرضية تصله في الزاوية الشمالية الشرقية ، وتقدر سعته ب 5.73 م^3 ، ويوجد في منتصف جداره الجنوبي أنبوب من الرصاص يصب في قناة تتجه جنوبا نحو حوض مربع (الصورة 11) .



الصورة رقم 11: أنبوب من الرصاص بحوض قصر المنار بقلعة بني حماد

. متحف قلعة بني حماد .

وقد جمعنا عناصر الحوض المستطيل في بطاقة تقنية وجاءت كالتالي :

. **البطاقة التقنية رقم 05** : الحوض المستطيل بقصر المنار بقلعة بني حماد .

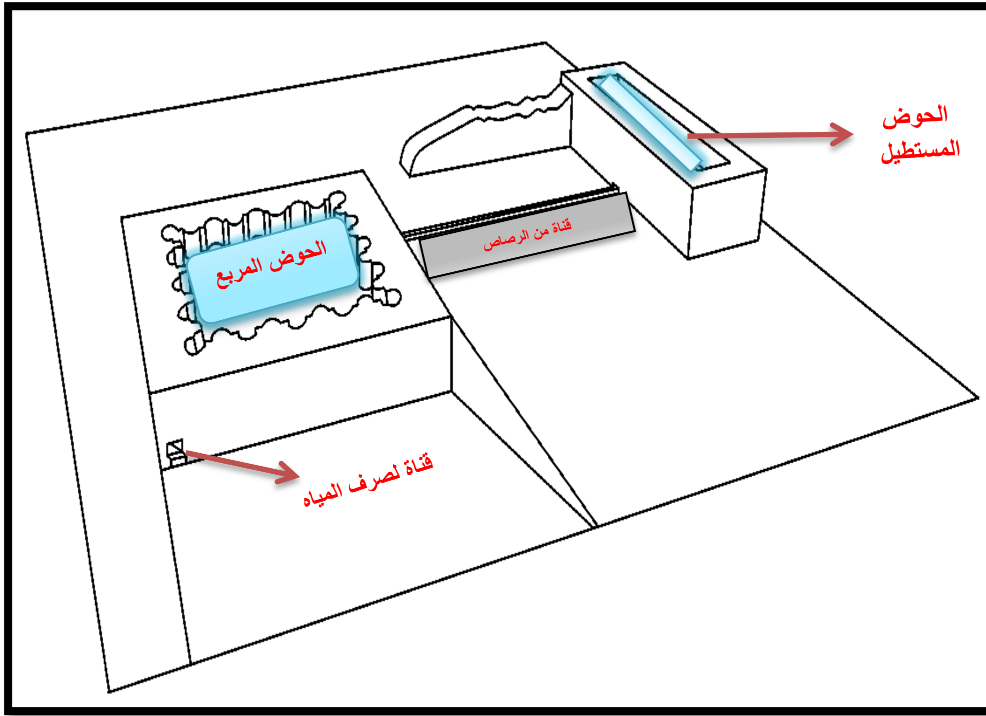
رقم الجرد	05	**الصورة**
اسم العنصر المعماري	حوض	
التسمية المحلية	حوض	
المادة	من الدبش والملاط	
اللون	بني فاتح	
الوظيفة	جمع الماء	
الفترة	حمادية	
المصدر	قصر المنار بقلعة بني حماد	
المقاسات	طول 4.90 م ، وعرض 1.30م، سعته 5.73م^3	
تقنية البناء	حفر و تركيب	
تقنية الزخرفة	/	
مكان الحفظ	قصر المنار بقلعة بني حماد	
طريقة الاكتشاف	حفرية	**الشكل**
حالة الحفظ	سيئة	
الوصف	حوض مستطيل ، يقع في القسم الجنوبي الشرقي من قصر البحر ويتم تموين هذا الصهريج من قناة أرضية تصله في الزاوية الشمالية الشرقية ، وجد في منتصف جداره الجنوبي أنبوب من الرصاص يصب في قناة تتجه جنوبا نحو حوض مربع .	
بيبليوغرافيا	- De Beylie (L) : La Kalaa des Béni Hammade . بن خرباش : نظام ومنشآت الري بقلعة بني حماد	

2.2.4 . الحوض المربع : مكانه جنوب الصهريج المستطيل ، ويقع الحوض على مستوى منخفض على الصهريج بقدر 2 م ، وكما يدل عليه اسمه فإن شكله مربع وطول ضلعه 6.65 م دعمت أضلاعه الأربعة بدعائم نصف أسطوانية قطرها 0.64 م ، وتتخلل بدنه من الداخل عقود نصف دائرية ، كما تتخلل زواياه الأربعة مشكوات نصف دائرية القعر وقطرها 0.52 م ، ويقدر عمق الحوض ب 2 م وسعته 88.44 م ^{3} تقريبا (الصورة 12) .



الصورة 12 : الحوض المربع بقصر المنار بقلعة بني حماد

وتربطهما قناة محفورة في الأرض ، تصله في منتصف الجدار الشمالي ، ويبعد عنه ب 9.30 م (الشكل 11) .



الشكل 11: الحوض المربع و المستطيل والقناة الرابطة بينهما بقصر المنار . عن بن خرباش . بتصرف .

وتتم عملية صرف مياه الحوض عن طريق أنبوب من الرصاص في زاويته الجنوبية الشرقية (الصورة 13) .



الصورة 13: أنبوب من الرصاص بالحوض المربع بقصر المنار . متحف قلعة بني حماد .

وهيّء لذلك من الخارج فتحة مستطيلة الشكل بطول 0.50 م وعرض 0.25 م ، لتسهيل عملية السد والفتح لقناة الصرف[1] (الصورة 14) .

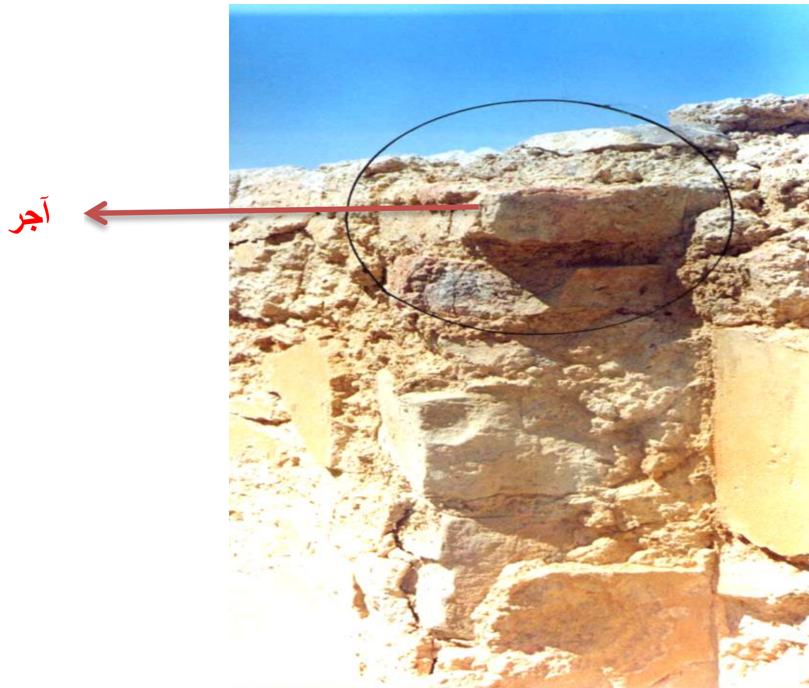
---

1 - Golvin (L) : Recherches Archéologiques …., P 91.



الصورة 14 : الفتحة المخصصة لقناة الصرف بالحوض المربع لقصر المنار

وبني الحوض كسائر المنشآت المائية من الدبش والملاط وله تكسية جيري سمكه 0.03 م ، والوحيد الذي حافظ على جزء كبير من طلائه ، ويعتبر هذا الحوض البناء الوحيد الذي استعملت فيه مادة الآجر كمادة تركيبية ، وإن كان بكمية ضئيلة وتتمثل في الطبقة العلوية للبناء ، وبلغ سمكها 0.25 م (الصورة 15) .



الصورة15: استعمال الآجر كمادة تركيبية بحوض قصر المنار بقلعة بني حماد . عن بن خرباش .

وجمعنا بتسلسل واضح كل ما ذكرناه آنفا عن الحوض المربّع في بطاقة تقنية وهي :

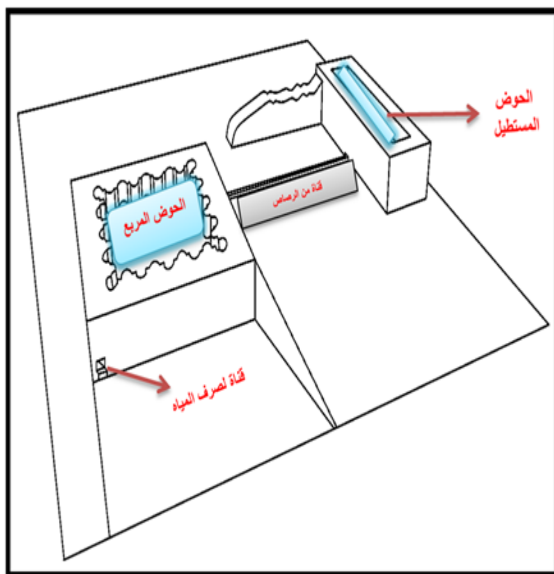
. **<u>البطاقة التقنية رقم 06</u>** : الحوض المربع بقصر المنار بقلعة بني حماد

رقم الجرد	06
اسم العنصر المعماري	حوض
التسمية المحلية	حوض
المادة	من الدبش و الملاط و الآجر
اللون	بني فاتح
الوظيفة	جمع الماء وحفظه
الفترة	حمادية
المصدر	قصر المنار بقلعة بني حماد
المقاسات	طول ضلعه 6.65 م ، قطر دعاماته 0.64 م ، عمقه 2 م ، وسعته 88.44 م³ ، طول فتحته 0.50 م وعرضها 0.25 م ، سمك طلاءه الجيري 0.03 م
تقنية البناء	مركب ومدعّم
تقنية الزخرفة	النحت و الكشط
مكان الحفظ	قصر المنار بقلعة بني حماد
طريقة الاكتشاف	حفرية
حالة الحفظ	سيئة
الوصف	حوض ذو شكل مربع دعمت أضلاعه الأربعة بدعائم نصف أسطوانية تتخللها كوة نصف دائرية القعر، وتربطهما قناة محفورة في الأرض ، وتتم عملية صرف مياه الحوض عن طريق أنبوب من الرصاص في زاويته الجنوبية الشرقية
بيبليوغرافيا	- De Beylie (L) : La Kalaa des Béni Hammade - بن خرباش : نظام ومنشآت الري...

الصورة



الشكل

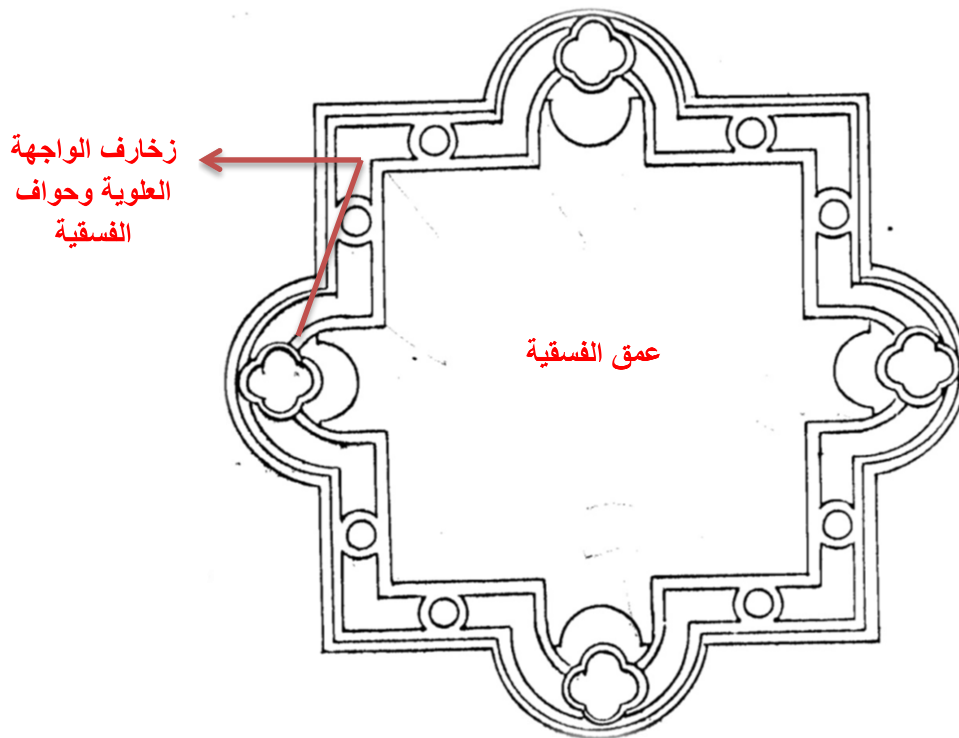


3.2.4 . الفسقية الحجرية : إلى جانب المنشآت السابقة كشفت أعمال الحفريات التي قام بها الأستاذ بورويبة في الصحن الغربي لقصر المنار ، على فسقية من الحجر المنحوت (الصورة 16) ، ويبلغ ارتفاع الفسقية 0.55 م ، أما قاعدتها العليا يبلغ طولها على مستوى الأطراف ب 1.30 م ، وفي الوسط ب 1.52 م ، أما القاعدة السفلية فيبلغ طول ضلعها 1.10م .



الصورة 16: فسقية الأسود بالساحة الغربية لقصر المنار بقلعة بني حماد . من الارشيف .

لها شكل مثلث مزدوج التركيب ، يعلوه جسم ذو قاعدة على شكل مربع تتخلله أنصاف دوائر في منتصف أضلاعه (الشكل 12).



الشكل رقم 12 : الفسقية التي تتوسط الفناء الغربي لقصر المنار . من عمل الطالبة .

زيّنت الفسقية بأربعة أسود مندرجة في أنصاف الدوائر ويسيل الماء من أفواهها[1] ، ويجري الماء بها في وسط جدول عرضه 0.70 م ، ويقوم بدورة على شكل رباعي التفصيص ثم يتدفق من أفواه الأسود عبر فتحات من الجهة العلوية من رؤوسها (الصورة 17) .

1 - Bourouiba (R) : Notes sur une vasque de pierre trouvée au palais de Manar , Bulletin d'archéologie Algérienne , R.V.P , P 236



الصورة 17: موضع سيلان الماء من فوهة أسد فسقية قصر المنار بقلعة بني حماد

. عن بورويبة .

وحسب الأستاذ بورويبة فإن هذه الفسقية تستعمل أيضا للوضوء لقربها من المسجد الملحق بقصر المنار[1] ، وقد وجدتها أثناء زيارتي للموقع ودراستي الميدانية للنافورة مردومة بالتراب للمحافظة عليها ، لذلك فقط لم أستطع الحصول على صورة واضحة لها، واستعنت بصور من الأرشيف وأبحاث الأستاذ بورويبة .

وقد وضعنا ما يمكن توضيحه من تفاصيل في بطاقة تقنية وهي :

1 - Bourouiba (R) : Notes sur une vasque .... , P 122 .

. **<u>البطاقة التقنية رقم 07</u>** : فسقية أو نافورة الأسود بالساحة الغربية لقصر المنار بقلعة بني حماد .

رقم الجرد	07
اسم التحفة	فسقية
التسمية المحلية	حوض
المادة	الحجر
اللون	بني فاتح
الوظيفة	حفظ الماء
الفترة	حمادية
المصدر	قصر المنار بقلعة بني حماد
المقاسات	ارتفاع 0.55 م قاعدتها العليا طولها على مستوى الأطراف 1.30 م وفي الوسط 1.52 م القاعدة السفلية طول ضلعها 1.10م
تقنية الصناعة	النحت على الحجر
تقنية الزخرفة	الحفر الغائر والبارز
مكان الحفظ	قصر المنار بقلعة بني حماد
طريقة الاقتناء	حفرية
حالة الحفظ	سيّئة
الوصف	فسقية من الحجر لها شكل هرم مزدوج التركيب ، يعلوه جسم ذو قاعدة على شكل مربع تتخلله أنصاف دوائر في منتصف أضلاعه، وهي مزينة بأربعة أسود مندرجة في أنصاف الدوائر ويسيل الماء من أفواهها
بيبليوغرافيا	-Bourouiba (R) : Notes sur une vasque de pierre trouvée au palais de Manar . - Golvin (L) : Recherches Archéologiques...

الصورة

الشكل

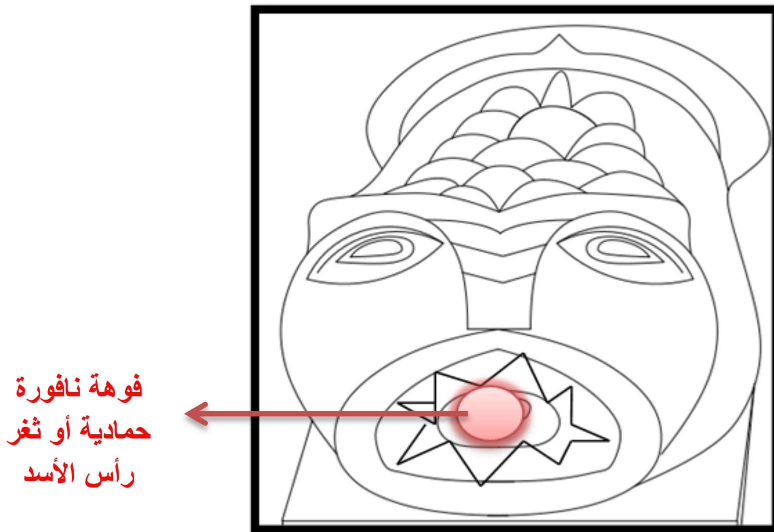
زخارف الواجهة العلوية وحواف الفسقية

عمق الفسقية

كما اكتشفت أيضا فوهة لنافورة بموقع قلعة بن حماد و تعود إلى القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي (8ه /11 م) ، تمثل هذه القطعة المصنوعة من الحجر الصلصال المنقوش أسدا نائما بذيل موضوع على الجانب ، يبين وجه الأسد ثغره المفتوح حيث تظهر الأسنان الممتدة على خدين ، يعلو العينين الجاحظتين حاجبان كثيفان ، أما الظهر فتعلوه لبدة تم تشكيلها على شكل توريقات ، صمّمت القطعة بفنية كبيرة تتميز بالبساطة وقلة الزخارف (اللوحة 01 : الصورة 01 والشكل 02) .



الصورة 01



الشكل 02 . من عمل الطالبة .

اللوحة 01 : فوهة نافورة تعود لقلعة بني حماد محفوظة بالمتحف الوطني بسطيف .

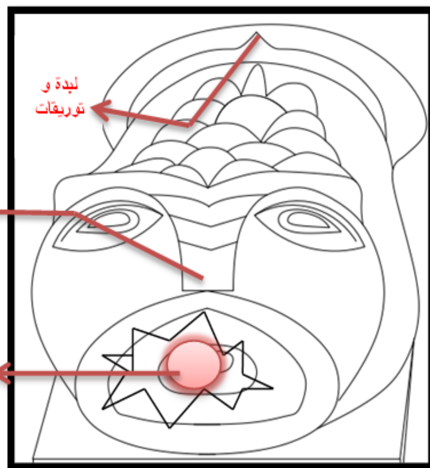
. **البطاقة التقنية رقم 08** : فوهة نافورة تعود لقلعة بني حماد محفوظة بالمتحف العمومي الوطني بسطيف .

رقم الجرد	IS . 244
اسم التحفة	فوهة نافورة
التسمية المحلية	فم النافورة
المادة	حجر صلصال منقوش
اللون	بني فاتح
الوظيفة	توزيع الماء
الفترة	حمادية
المصدر	قلعة بني حماد
المقاسات	ارتفاع : 25.05 سم الطول : 25.05 سم ، العرض : 10.05 سم
تقنية الصناعة	القطع والنحت
تقنية الزخرفة	الحز البارز والغائر والكشط
مكان الحفظ	المتحف الوطني بسطيف
طريقة الاقتناء	حفرية
حالة الحفظ	متوسطة
الوصف	فوهة نافورة بشكل رأس أسد بفم مفتوح وهي فوهة قلبية الشكل من الخارج دائرية من الداخل مسننة معند حوافها تحويرا لشكل أسنان الأسد الحقيقية ، نحت شكل الأنف باستطالة تنتهي بحاجبين بارزين وعينان منحوتتان ، كما نجد نحت شعر رأس الأسد في الجبهة وكذا بالرقبة ، كلها محورة بالإضافة إلى نهاية الرأس الخلفية عرفت ايضا استطالة نحو الخلف ، خطوط ودوائر محزوزه تبرز ملامح رأس الأسد مع استطالة في الشكل العام، والفوهة مستديرة مسننة ومحورة لفم الأسد الحقيقي
بيبليوغرافيا	- Golvin (L) : Recherches Archéologiques

الصورة

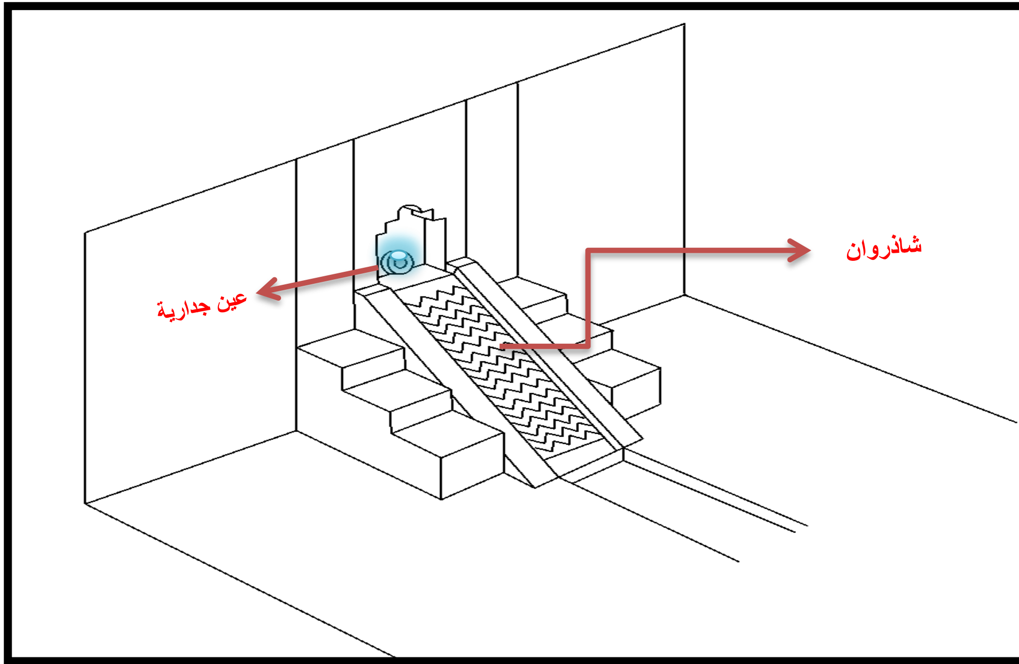


الشكل



وإلى جانب الحوض المربع والصهريج المستطيل واللذان كشف عنهما الأستاذ قولفان Golvin فقد وجد أيضا بقايا قنوات مكشوفة ، من الرخام تسمى **بالشاذروانات** [1] ، إلى جانب الفسقية التي كانت من بين ما كشف عنها الأستاذ بوروبية [2] .

4.2.4 . <u>الشاذروان</u> : وهي عبارة عن قنوات مكشوفة ومنحوتة في ألواح الرخام ، عثر على قطع منها في حوض المنار ، وتتمثل وظيفتها في جعل الماء في حالة لمعان لمتعة النظر ، وتصفف عند النافورات ، كما أشار إلى ذلك الأستاذ قولفان Golvin (الشكل 13) .



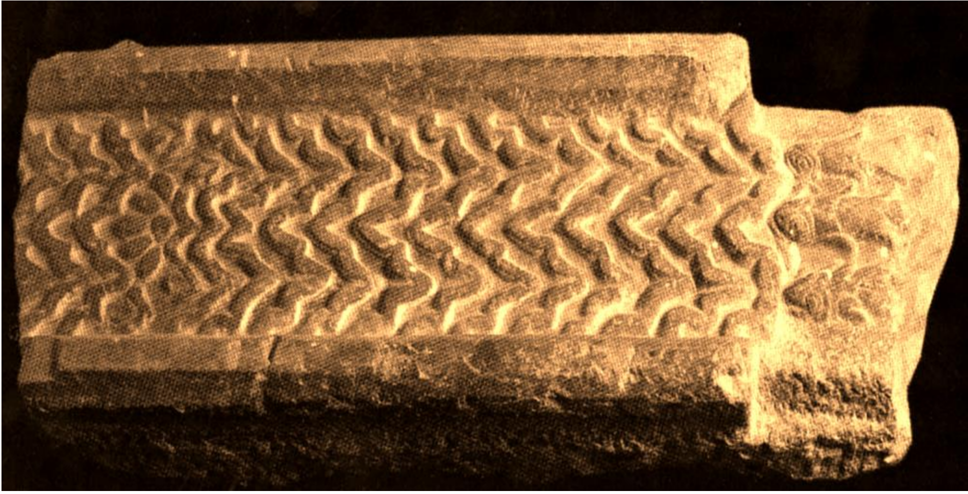
الشكل 13 : إعادة تصور لطريقة وضع وعمل الشاذروان بقلعة بني حماد
- عن بن خرباش - بتصرف -

ونجد منها قطعتين في قلعة بني حماد :

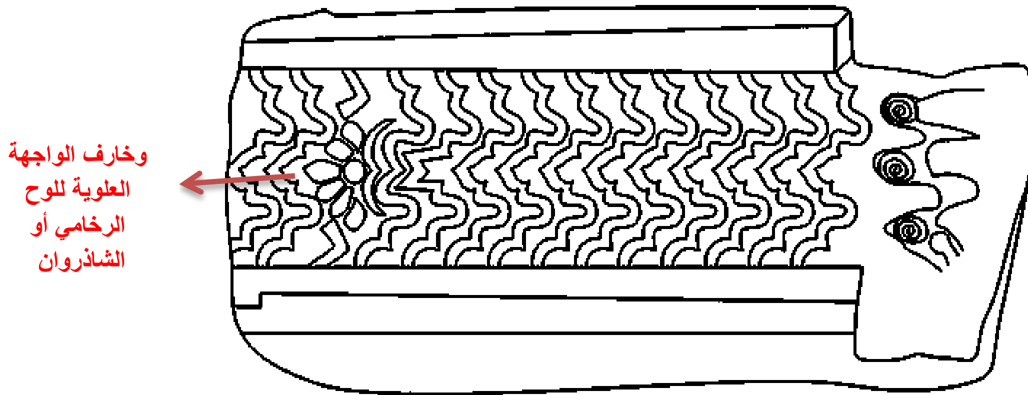
أ - **القطعة الأولى** من الشاذروان التي كشف عنها عبارة عن كتلة موحدة ، طولها 1.93 م وعرضها الخارجي 0.94 م ، وعرضها الداخلي 0.30 م كما ويقدر عمقها

1 -Golvin (L) : Recherches Archéologiques …. , P 90 , 91 .
2 -Bourouiba (R) : Notes sur une vasque de pierre trouvée au palais de Manar …. , P 123

ب: 0.05 م ، وزخرف قعر القناة بشارات مركبة من عقود ودوائر موجهة نحو الأعلى، تنتهي بوريدات ذات ثلاثة فصوص [1] ، ونحت في المركز زهرة أقحوان خماسية البتلات، وفي الجهة السفلى نحتت ثلاثة أسماك كبيرة تسير عكس التيار ، والسمكة الوسطى أكبر حجما مقارنة ببقيتها (اللوحة 02 : الصورة 01 و الشكل 02) ، وهي محفوظة حاليا بمتحف قسنطينة .



الصورة 01



الشكل 02 . من عمل الطالبة .

اللوحة 02 : القطعة الأولى من شاذروان قلعة بني حماد تعود لقصر المنار

وللتّعرف أكثر عن تفاصيل القطعة قمنا بتوضيح ذلك في بطاقة تقنية وهي :

---

1 - Golvin (L) : Recherches Archéologiques ... , P 123 .

. **البطاقة التقنية رقم 09** : القطعة الأولى من شاذروان قلعة بني حماد تعود لقصر المنار .

رقم الجرد	08	**الصورة**
اسم التحفة	جزء من شاذروان	
التسمية المحلية	/	
المادة	لوح من الرخام	
اللون	بني فاتح	
الوظيفة	نقل الماء وتوزيعه من العين الجدارية إلى الحوض الأرضي	
الفترة	حمادية	
المصدر	قصر المنار بقلعة بني حماد	
المقاسات	طول 1.93 م ، والعرض الخارجي 0.94م، أما العرض الداخلي 0.30 م والعمق 0.50 م	
تقنية الصناعة	النحت والطرق	
تقنية الزخرفة	الحفر الغائر	**الشكل**
مكان الحفظ	متحف قسنطينة	
طريقة الاقتناء	حفرية	
حالة الحفظ	متوسطة	
الوصف	جزء من قناة مكشوفة ومنحوتة في لوح رخامي ، تجعل الماء في حالة لمعان لمتعة النظر ، وزخرف قعر القناة بشارات مركبة من عقود ودوائر موجهة نحو الأعلى ، تنتهي بوريدات ذات ثلاثة فصوص ، ونحت في المركز زهرة أقحوان خماسية البتلات ، وفي الجهة السفلى نحتت ثلاثة أسماك كبيرة تسير عكس التيار ، والسمكة الوسطى أكبر حجما مقارنة ببقيتها	وخارف الواجهة العلوية للوح الرخامي أو الشاذروان
بيبليوغرافيا	-Bourouiba (R) : Notes sur une vasque de pierre trouvée au palais de Manar . - Golvin (L) : Recherches Archéologiques...	

ب . **أما القطعة الثانية** و عثر عليها بقصر السلام الذي نجده بالقسم الرابع لقلعة بني حماد وسنتعرف عليها عند بلوغنا هذا القسم من القلعة .

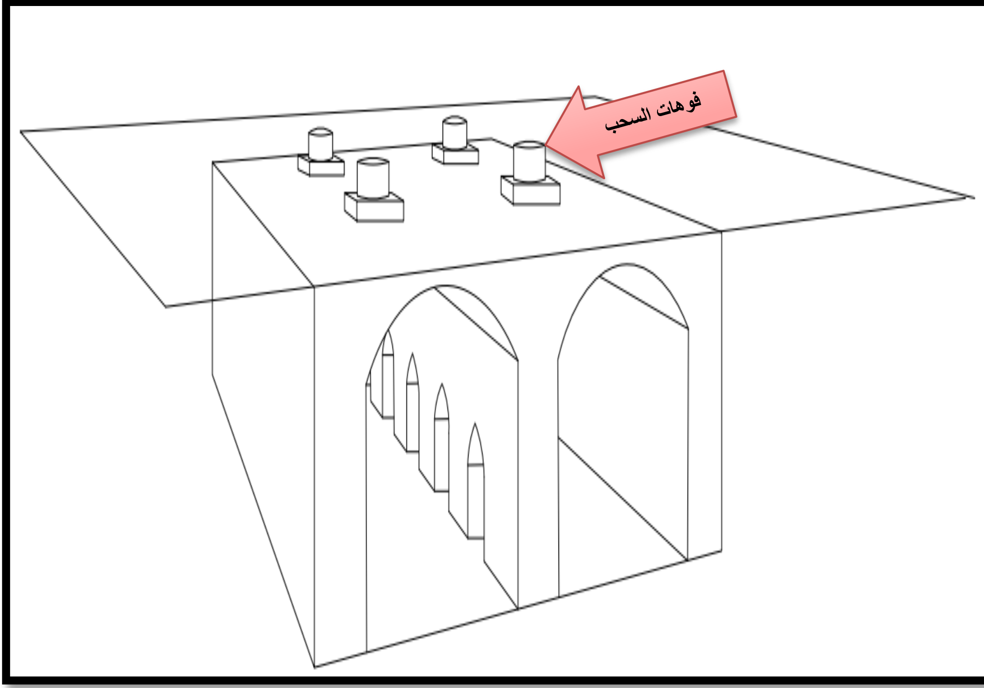
5.2.4 . جب حي جراوة : نجد بالقسم الشمالي للحي **جبا** ، أي جنوب غرب قصر المنار (الصورة 18) ، وهو يتألف من غرفتين ، لهما شكل مستطيل لا تقل الواحدة عن 13.85 م طولا و 3.50 م عرضا ، يفصل بينهما جدار سمكه 1 م ، تتخلله فتحات معقودة بعقد منكسر مزدوج العتبة ، ويبلغ عرض هذه الفتحات 1.20 م ، وارتفاعها إلى منطقة انكسار العقد ب 1.43 م .



الصورة 18 : جب حي جراوة جنوب غرب قصر المنار بقلعة بني حماد . عن بن خرباش .

فغطي الجب بقبو منكسر ويقدر عمقه ب 2.50 م ، ويمون من قناة مستطيلة المقطع بمقدار 0.25 م ، تمر تحت أرضية بناءات تظهر عليها ملامح سكنات شعبية، تصل القناة إلى الجب في الزاوية الشمالية الشرقية ، وتقدر سعته ب : 242.2 م^3 ،

ويفيض منه الماء عند بلوغ مستوى 1.47 م ، ويرى الأستاذ قولفان Golvin أن الجب كان يتلقى مياه الأمطار التي تصرفها سقوف قصر المنار [1] (الشكل 14) .



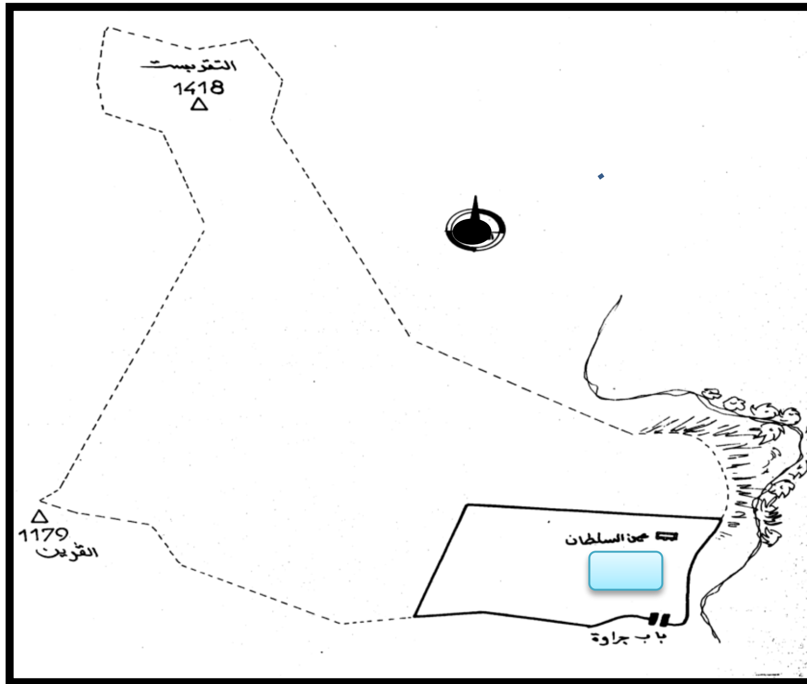
الشكل 14:إعادة تصور لجب حي جراوة بقلعة بني حماد . عن بن خرباش . بتصرف .

إلا أننا عند تتبعنا لقنوات صرف مياه الأمطار تبين لنا أنها تصرف مياهها في اتجاه فوهة وادي فرج ، إضافة إلى ذلك فإن الجب يتوسط حي سكني وجعله يعتمد على مياه الأمطار ، يحد من فائدته لقلتها النسبية ، ويحتمل أن فوهات السحب كانت من الفخار أو من الحجر أو الرخام ، فقد عثر على بقاياها في نفس المكان ، وذلك استنادا لما هو معروف في المغرب الأقصى وإفريقية والأندلس [2] .

1 -Golvin (L) : Recherches Archéologiques …., Op.Cit , P .93
2- Ibid …. P 201

القسم الثاني :

ويشمل هذا القسم الجهة الجنوبية لحي جراوة ، ويتم تزويدها بالمياه من القناة الرئيسية القادمة من منبع وادي فرج ، وبسبب غزو البناءات الحديثة للموقع ، فإنه لم يكن بإمكاننا معرفة كيفية تقسيم المياه في القنوات الثانوية وتوزيعها على مختلف أنحاء الحي (المخطط 05) .



المخطط 05 : القسم الثاني لقلعة بني حماد . عن بن خرباش .

وإلى جانب ذلك ، فإن الأبحاث التي أقيمت في القلعة لم تمس هذا القسم من المدينة، ما عدا أعمال الترميم التي قامت بها البعثة المشتركة الجزائرية والبولونية سنة 1988م ، والتي انحصرت أعمالها في هذا القسم من المدينة في الكشف والترميم للسور الداخلي الذي يفصل حي جراوة عن باقي المدينة ، والبناء المائي الوحيد الظاهر للعيان حاليا ، ويتمثل في :

3.4 . عين السلطان : وتعتبر من بين البناءات التي اكتشفت في القلعة ضمن أعمال بلانشيBlanchet في نهاية القرن التاسع عشر [1] .

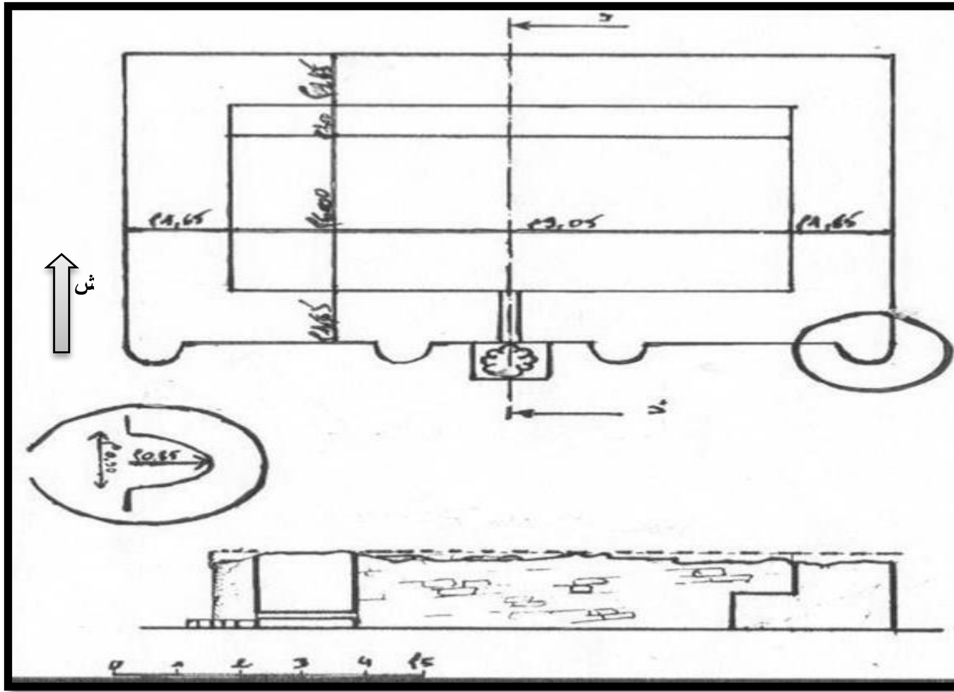
وما تبقى منه بناءها عبارة عن **حوض** له شكل مستطيل بني من الدبش والملاط (الصورة 19) .



الصورة 19 : بقايا واجهة الحوض الكبير بعين السلطان بقلعة بني حماد .

طوله الخارجي 12.35 م وعرضه 10.30 م ، أما من الداخل فطوله 9.05 م وعرضه 7 م ، ويبلغ سمك الجدران 1.65 م ، ويدعمه من الداخل من الجهة الشمالية جدار سمكه 1 م [2] ، دعمت الواجهة الجنوبية للعين بأربعة دعائم نصف أسطوانية قطرها 0.92 م ، ناتئة عن الجدار ب 0.65 م (الشكل 15) .

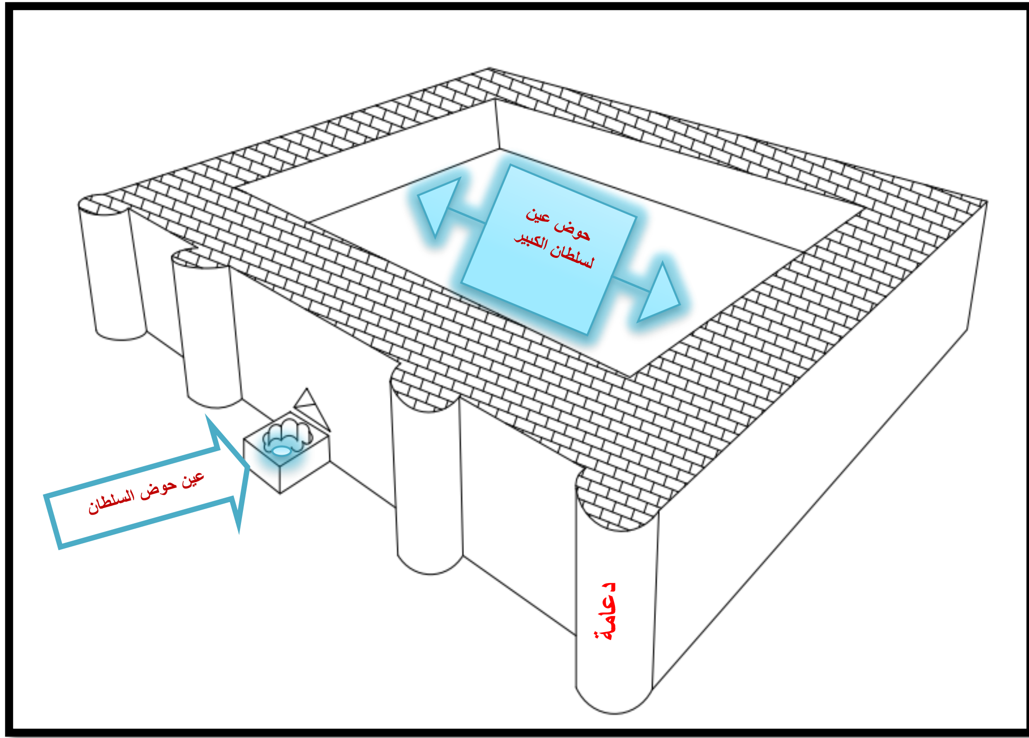
1 - Blanchet (P) : Note sur la kalaa des Beni Hammad , CR de l'acad , des Inc . et des belles lettres , T XXV 1897 , P 467 , 468 .
2 - De Beylie (L) : La Kalaa des Beni Hammad, Op.Cit , P 36



الشكل 15 : رسم توضيحي لحوض عين السلطان بقلعة بني حماد . عن بن خرباش . بتصرف .

وفي منتصف هذه الواجهة وعلى ارتفاع 0.30 م من مستوى الأرض توجد فتحة تمثل **فوهة العين** ، كانت تحتوي على أنبوب من الرصاص ، مغطاة بلوح من الرخام الرمادي على شكل مثلث مقوس الأضلاع ، يسير الماء من مركزها في **حوض صغير** مباشرة تحت فوهة العين النافذة من الحوض الكبير المزود الأساسي للماء ، وهو أيضا من الدبش والملاط ، له شكل دائرة ذات ثمانية فصوص، ويقدر عمق البناء ب 0.50 م وله طلاء داخلي سمكه 0.04 م ، ويحتمل أنه كان مغطى بقبو برميلي ، كما تزود العين عبر قناة تصلها في الجدار الشمالي (الشكل16) ، وللأسف حوض العين الصغير اندثر كليا ولم يبق منه سوى المكان والإشارة من خلال دراسات الجنيرال دي بيلي[1] .

1 - De Beylie (L) : La Kalaa des Beni Hammad , Op.Cit , P 36 , 37 .



الشكل 16 : إعادة تصور لشكل عين السلطان وحوضها اعتمادا على معلومات الأستاذين : دي بيلي De Beylie وبلانشي Blanchet . عن بن خرباش . بتصرف .

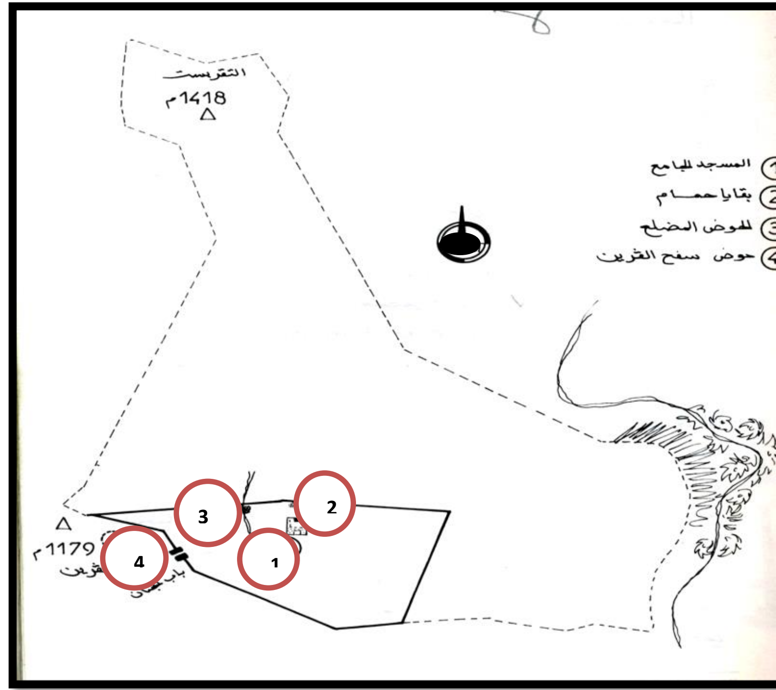
وتتجلى لنا أهمية عين السلطان **(رغم اندثاره فلم يبق منه كحوض ولا كعين إلا الأطلال من الحوض الكبير ، كما كان مصير معظم الأحواض إذا ما قارنتها بدراسة بن خرباش إلى هذه السنوات الأخيرة حين انتقلت للموقع ، لذلك اضطررت أحيانا لأخذ بعض الصور من أعماله القيمة)** ، في إعطائنا لمحة عن كيفية توفير المياه في وسط الأحياء ليسقي منها السكان ، فهي تجسد مظاهر العمران الحضري الحمادي ، إذ تمثل جانب من المنشآت ذات المنفعة العمومية ، وكان لنا جمع مقاسات وأوصاف هاته العين وحوضها و فسقيتها الصغيرة في بطاقة تقنية وهي :

. **<u>البطاقة التقنية رقم 10</u>** : حوض عين السلطان بالقسم الثاني لقلعة بني حماد

رقم الجرد	09	**الصورة**
اسم العنصر المعماري	حوض	
التسمية المحلية	حوض / عين	
المادة	من الدبش والملاط	
اللون	بني فاتح	
الوظيفة	حفظ الماء وتوزيعه	
الفترة	حمادية	
المصدر	قصر المنار بقلعة بني حماد	
المقاسات	الطول الخارجي 12.35 م وعرضه 10.30 م ، الطول الداخلي 9.05 م وعرضه7 م، وسمك الجدران 1.65م، وعمق الحوض الصغير 0.50 م .	
تقنية البناء	حفر وتركيب وتدعيم	
تقنية الزخرفة	/	
مكان الحفظ	قصر المنار بقلعة بني حماد	
طريقة الاكتشاف	حفرية	**الشكل**
حالة الحفظ	سيئة فجزء كبير مندثر	
الوصف	حوض له شكل مستطيل ويدعمه من الداخل من الجهة الشمالية جدار، دعمت الواجهة الجنوبية للعين بأربعة دعائم نصف أسطوانية ، في منتصفها فتحة تمثل فوهة العين ، احتوت على أنبوب من الرصاص ، يسير الماء من مركزها في حوض صغير مربع ثماني البتلات سمي بعين السلطان ، ولم يبق من هذا الأخير سوى أجزاء صغيرة .	
بيبليوغرافيا	- De Beylie (L) : La Kalaa des Béni Hammade - Blanchet (P) : Note sur la kalaa des Beni Hammad - بن خرباش : منشآت ونظام الري....	

القسم الثالث :

وتتمثل حدوده في المنطقة الغربية للمدينة ، تزودها القناة الرئيسية القادمة من غرب جبل قرين من عين الزرايف ، وتمثل هذه المنطقة القسم الحيوي للمدينة لاحتوائه على المسجد الجامع ، إلى جانب سوق المدينة وأحياء الحرفيين والصناع (المخطط 06) .



المخطط 06 : القسم الثالث لقلعة بني حماد . عن بن خرباش .

شيد الحماديون الكثير من المساجد في القلعة والتي سندرج أهمها المسجد الجامع بقلعة بني حماد ، كما شيدوا **مسجدا جامعا بقسنطينة** إلا أن صحن هذا الأخير (وما احتواه موضوع دراستنا من نافورة أو ميضأة أو أي نوع من الأحواض) حدثت فيه تعديلات كبيرة يصعب الوصول إلى شكله أثناء الفترة الحمادية [1] .

أما فيما يخص طرق توزيع المياه لمختلف الأحياء بالقسم الثالث ، فقد أعطت لنا المنطقة الثانية نموذجا للعيون العمومية التي تتوسط الأحياء السكنية ، كما أن الحوض

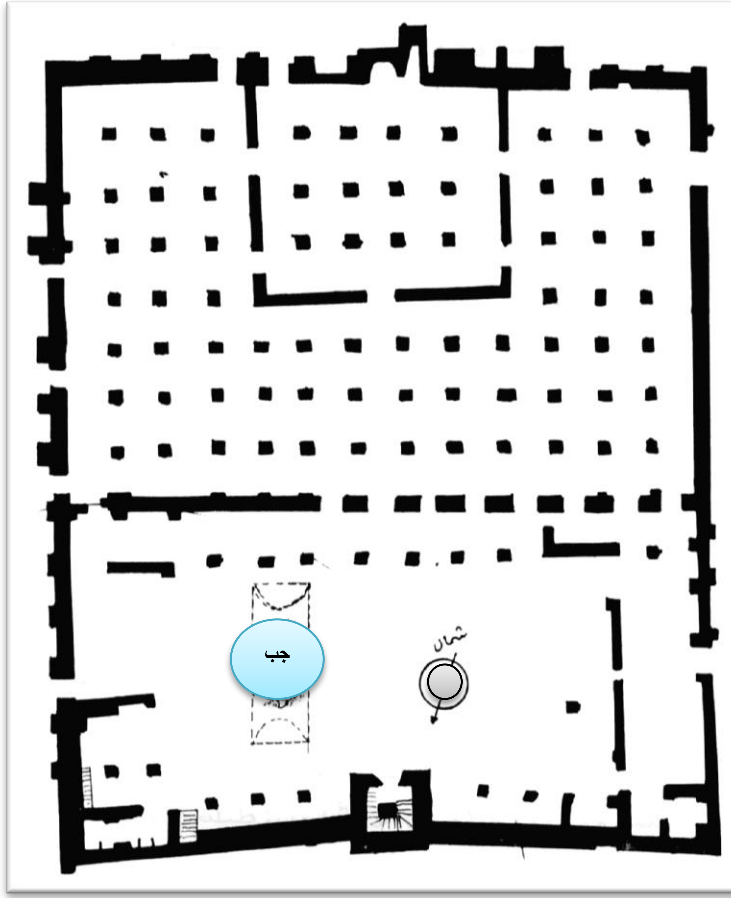
1- بورويبة (رشيد) : الدولة الحمادية ، المرجع السابق ، ص 222 .

الذي يقع على سفح جبل قرين خارج السور المحيط بالمدينة يمكن أن يمثل ما يسمى بقصر الماء الذي يقوم بتغطية الاحتياطات من المياه الصالحة للشرب لسكان المنطقة وأحياءها المختلفة .

إضافة إلى وجود بناءات مائية أخرى وتمثلت في جب المسجد الجامع وحوض وحمام شمال المسجد ، وبقايا حوض مضلع في المجرى السيلي الذي يفصل قصر البحر عن قصر السلام ، فيمكننا إذا إدراجها كما يلي :

4.4 . جب المسجد الجامع بقلعة بني حماد : ويعد مسجد قلعة بني حماد من أهم مبانيها لفترته ، ولا تزال آثاره ماثلة للعيان ، فقد كان الشبه في تخطيطه بمسجد القيروان [1] ، ولم يتبق منه سوى مئذنته التي بقيت شامخة تروي للتاريخ عظمته ، وهو يشكل بناية مستطيلة الشكل طولها 64 م وعرضها 56 م ، ويحتوي على ساحة طولها 25 م ، نجد مئذنته وسط الجدار الشمالي ، كما له قاعة للصلاة مفتوحة على إحدى عشر بابا ، ويتوسط القسم الجنوبي لصحن المسجد الجامع جبا ، له مسقط مستطيل طوله 11.15 م وعرضه 5.40 م [2] (المخطط 07) .

1- بورويبة (رشيد) : الدولة الحمادية ، المرجع السابق ، ص 153 .
2 - Golvin (L) : Le Maghreb central….. , P 183 .



المخطط 07: المسجد الجامع بقلعة بني حماد . بتصرف عن بورويبة L'art religieuse.

غطي بقبو يتراوح سمكه ما بين 0.30 م و 0.35 م ، بني من الدبش ذو مقاسات كبيرة ، إذ يبلغ طول بعض القطع 0.50 م ، ويقدر عمق هذا الجب ب 2.50 م ، أرضيته الأولى اختفت وحاليا هي مجرد تراب [1] (اللوحة 03 : الصورة 01).

وتقع فتحة التموين بالجهة الغربية ، ولها شكل مستطيل بطول 0.80 م وعرض 0.50 م (اللوحة 03 : الصورة 02) .

1 - Bourouiba (R) : L'art religieux musulman en Algérie ... , P 29.



الصورة 01 : جب مسجد قلعة بني حماد



الصورة 02 : فتحة التموين بجب مسجد بقلعة بني حماد

اللوحة 03 : جب مسجد قلعة بني حماد وفتحة تموينه .

وقد أشار الأستاذ بورويبة أن بئر مسجد قلعة بني حماد كان يزود من عين لكنه لم يعط عن ذلك أي توضيح آخر [1] ، كما أن احتمال تلقيه مياه الأمطار التي يصرفها السقف بعيد جدا ، فقد كشفت أعمال البحث التي قامت بها البعثة المشتركة الجزائرية

1 -Bourouiba (R) : L'art religieux musulman ..... , P 29 .

البولونية بجانب السور الشمالي للمسجد عن قناة من الدبش مستطيلة المقطع بقدر 0.44 م و 0.22 م ، مغطاة ببلاطات حجرية بجانب السور الغربي ، وتبعد عن هذا الأخير ب 1.30 م [1] ، ويحتمل أن تكون هه القناة هي التي تزود الجب بالمياه ، وهي بدورها تكون من بين القنوات التي تتفرع من القناة الرئيسية القادمة من عين الزرايف ، إلا أن ذلك يبقى مجرد احتمال .

وتبلغ سعة الجب 75.20 م^3 ، أما فتحة السحب فإن أكبر احتمال أنها كانت تتوسط القسم العلوي للجب وأنها كانت مزينة بخرزة من الفخار أو الخزف .

وقد كشفت أعمال الفرقة البولونية عن وجود فوهة من الرخام الرمادي إثر أعمال البحث التي أقيمت في الزاوية الشمالية الغربية للمسجد الجامع ، ويرجح أن تكون هذه الفوهة أو الخرزة خاصة بجب الجامع (الصورة 20) .



الصورة 20 : فوهة البئر بمسجد قلعة بني حماد

وكشفت أعمال التنقيب التي قامت بها البعثة المشتركة عن بقايا حمام شمال المسجد، يحتوي في الساحة على حوض عرضه 6.50 م ، لم يبق منه إلا أطلال تعود الزاوية

1 - Rapport de Mission Polono – Algérienne….Op.cit , P 61 .

الغربية من زواياه ، كما كشفت أيضا عن شبكة من القنوات مختلفة المقاييس ، منها ما هو في وسط الجدران ، ومنها ما هو تحت الأرض ، وتتراوح مقاسات هذه القنوات ما بين 0.70 م و 0.60 م و 0.26 م [1] .

5.4 . <u>الحوض المضلّع</u> : ويقع في المجرى السيلي الذي يفصل بين قصر البحر عن قصر السلام ، ولم يبق منه إلا قسم في الضفة الشرقية ، يتمثل في جدار سمكه 1.52 م ، مدعم بدعامة نصف اسطوانية بارزة عنه ب 0.65 م ويبلغ ارتفاعه 2.34 م (الصورة 21) ، كما يمكننا أن نلاحظ القسم الآخر من هذا الحوض في الضفة الغربية للمجرى السيلي ، فالسيول الجارفة من جراء الأمطار كانت سببا في ضياع بناءه .



الصورة 21 : بقايا الحوض المضلع بالمجرى السّيلي بقلعة بني حماد

و يموّن الحوض من قناة مقببه تبقت منها أجزاء بسيطة جدا في الضفة الغربية وعرضها 0.60 م وارتفاعها تحت مفتاح العقد 1.43م (الصورة 22) .

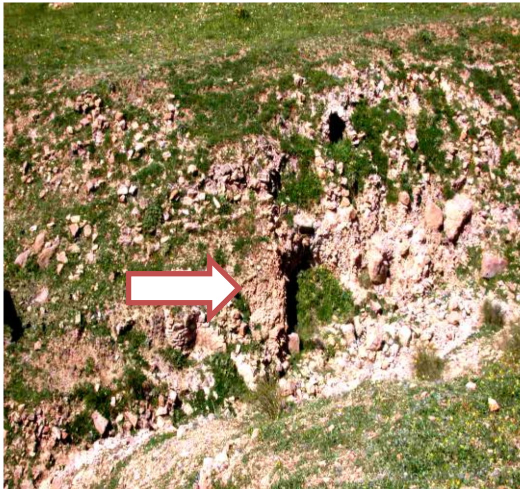
1 - Rapport de Mission Polono – Algérienne ....., P 55



الصورة 22: بقايا القناة المقببة الممونة للحوض بقلعة بني حماد . عن بن خرباش .

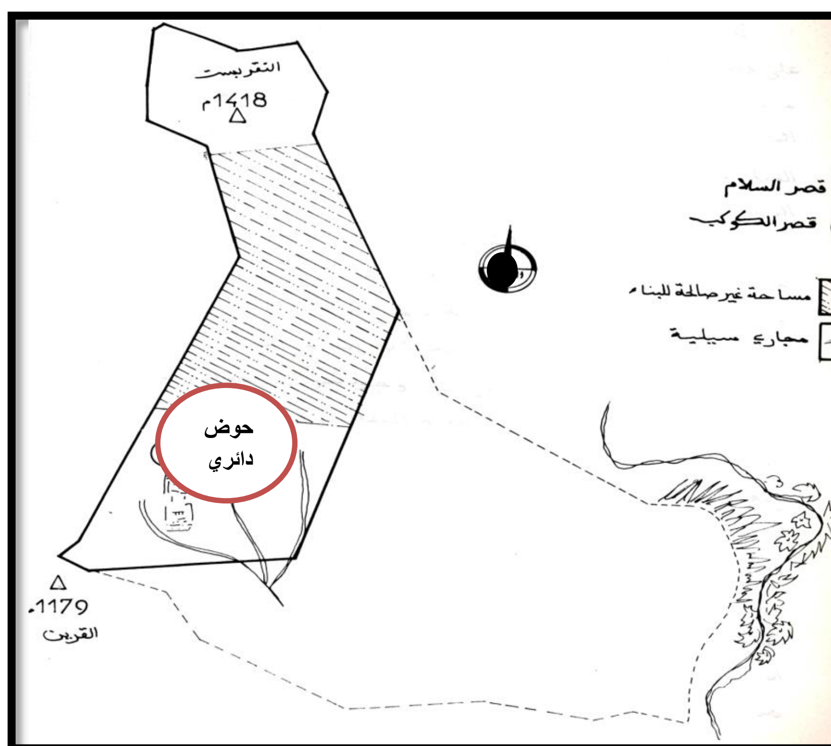
وجمعنا مقاسات ووصف هذا الحوض من خلال بعض بقاياه وما تم وصفه في دراسات كلا من دي بلي و بلانشي في بطاقة تقنية جاءت في الصورة التالية :

. **البطاقة التقنية رقم 11** : بقايا الحوض المضلع بالمجرى السيلي للقسم الثالث بقلعة بني حماد .

رقم الجرد	10	الصورة 
اسم العنصر المعماري	حوض	
التسمية المحلية	حوض	
المادة	من الدبش والملاط	
اللون	بني فاتح	
الوظيفة	جمع الماء وتوزيعه	
الفترة	حمادية	
المصدر	قلعة بني حماد	
المقاسات	سمك جدار قسمه بالضفة الشرقية 1.52 م ، بروز دعامته ب 0.65م، وارتفاعه 2.34 م ، و عرض قناته المقببة 0.60 م وارتفاعها تحت مفتاح العقد 1.43م.	
تقنية البناء	الحفر والتركيب	
تقنية الزخرفة	/	
مكان الحفظ	المجرى السيلي بالقسم الثالث لقلعة بني حماد	
طريقة الاكتشاف	حفرية	
حالة الحفظ	سيئة فجزء كبير مندثر	
الوصف	حوض بسيط لم يتبق منه إلا قسم في الضفة الشرقية ، وهو مدعم بدعامة نصف اسطوانية بارزة ، ويموّن الحوض من قناة مقببه تبقت منها أجزاء بسيطة جدا في الضفة الغربية .	
بيبليوغرافيا	- De Beylie (L) : La Kalaa des Béni Hammade - Blanchet (P) : Note sur la kalaa des Beni Hammad . بن خرباش : نظام ومنشآت الري ..	

القسم الرابع :

وتتمثل مناطقه في الجهة الشمالية الغربية للمدينة (المخطط 08) إذ تحتوي على قصري الكوكب والسلام .

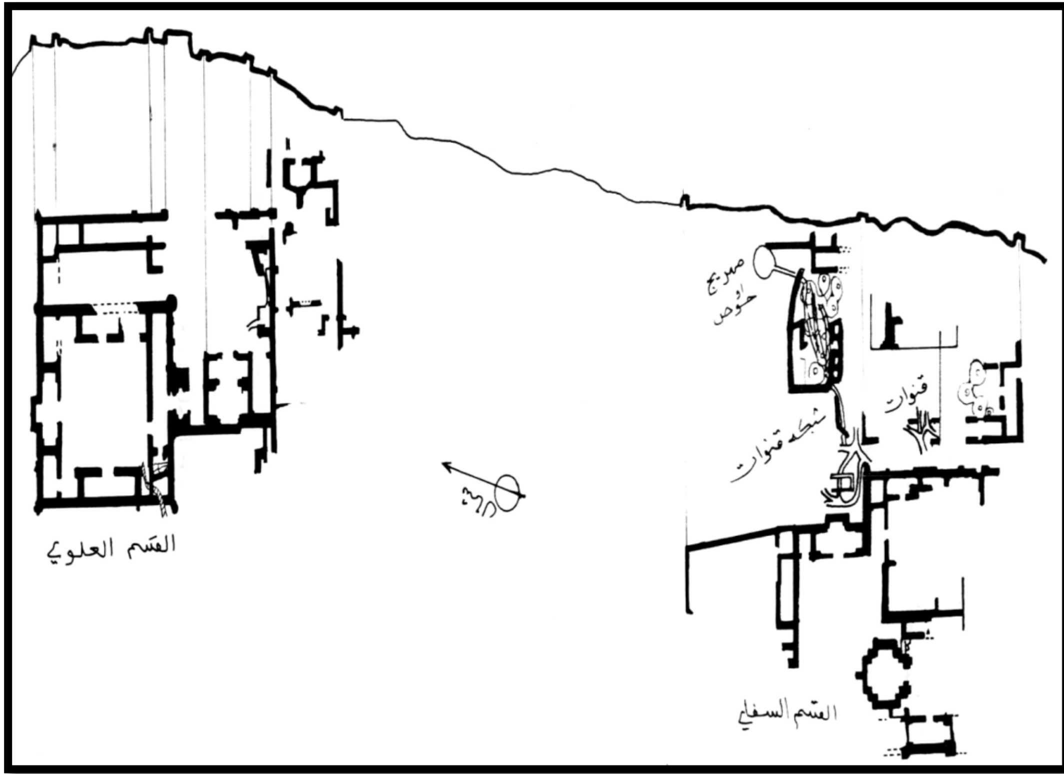


المخطط 08 : القسم الرابع لقلعة بني حماد عن بن خرباش .

6.4 . <u>أحواض قصر السلام</u> : يعتبر القصر من أهم البنايات التي كان لها أثر عظيم في الفن المعماري عند بني حماد ، فقد قام بالبحث عنه أثناء الحفريات بالقلعة الأستاذ لوسيان قولفان Golvin (L) سنة 1952 م (المخطط 09)[1] .

أما فيما يخص البنايات المائية التي يحتويها القصر فإنها تتمثل في **حوضي تصفية** في القسم العلوي **وشبكة قنوات وحوض تصفية** في القسم السفلي .

1- بن خرباش (عبد النور) : المرجع السابق، ص 47 .



المخطط 09 : قصر السلام بقسميه العلوي والسفلي . عن بن خرباش .

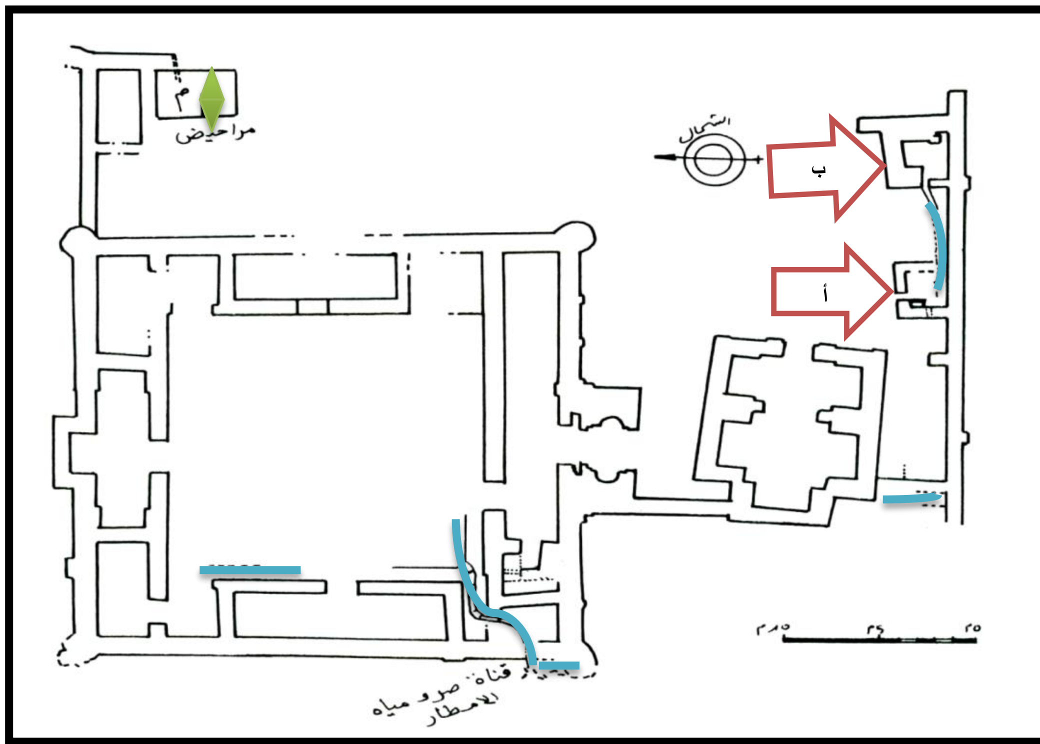
وتتجلى لنا معالم القصر المعماري في كونه ينقسم إلى قسمين : **قسم سفلي** ، **وقسم علوي** له سور من الحجر مربع في زواياه بأبراج ، وهي تشبه في تشييدها قصور الأمويين بالشام والأردن ، أما القسم السفلي فيوجد به صحن عرضه 15 م ، بالإضافة إلى غرف مختلفة الشكل (أنظر المخطط 09) .

1.6.4 . <u>حوضا القسم العلوي من القصر</u> : فالقسم كلّه عبارة عن مبنى مربع الشكل ، محصن في أركانه في أربعة أبراج ، ويحتوي أيضا على صحن مربع الشكل تقريبا بطول 16 م وعرض 15 م ، تحيط به قاعات و غرف . (المخطط 09) .

ونجد بهذه الجهة ، حوضين تربطهما قناة واحدة (ولاندثارهما أخذنا فقط ما وصلنا عنهما من و من الأبحاث السابقة لموقع قلعة بني حماد) ، وهما :

. **الحوض " أ "**: فحسب الأستاذ لوسيان قولفان (L) Golvin له شكل مربع تقريبا بطول 2.10 م و عرض 2 م ، مع انحراف طفيف ، ويحيط به سور ، في الجهة الغربية فتحة مستطيلة الشكل ، وتصل الحوض قناة عرضها 0.30 م في الجهة الغربية، ثم تتجه منه قناة أخرى وتربطه بالحوض " ب "[1] (المخطط 10) .

. **الحوض " ب "** : يبعد عن الحوض السابق ب 4.50 م ، له شكل منحرف من الخارج ، أما من الداخل فشكله غير منتظم (المخطط 10) .



قناة صرف مياه الأمطار
مراحيض .

المخطط 10 : الجهة العلوية من قصر السلام بقلعة بني حماد . عن Golvin . بتصرف

أما فيما يخص عمق هذين الحوضين ، فإن الاستاذ قولفان Golvin واضع مخطط القصر لم يعط أي معلومات أخرى عن الحوضين ، **وفي الموقع لا وجود للحوضين**

1 -Golvin (L) : Recherches Archéologiques …., Op.Cit , P 95

وباقي أنقاض القصر ، وذلك لأن القسم الذي كشفه الأستاذ قد **غمرته التربة التي تجرفها سيول الشتاء إلى جانب الأعشاب وانعدام أعمال البحث في هذا القسم من الموقع منذ سنة 1960 م ، إذ الأعمال التي استمرت من طرف الأستاذ بوروبية تركزت على قصر المنار والمسجد الجامع والقسم الجنوبي لقصر البحر فقط .**

2.6.4 . حوض القسم السفلي من القصر : ويحتوي هذا القسم على وحدات سكنية في الجهة الغربية مؤلفة من صحن مربع الشكل طول ضلعه 15.50 م ، كما يحتوي أيضا على مطامير بنايات مختلفة ألحقت به (المخطط 09) .

ويقع حوض هذا القسم بالجزء الملحق بالقصر في قسمه السفلي و له شكل دائري ، وقد حفر هذا الحوض في الأرض ، وتنبعث منه شبكة من القنوات ، تمر تحت أرضية البنايات [1] ، و لم يتبق منه شيء عند زيارتنا الميدانية للموقع .

ومصدر تموين هذه المنطقة بالمياه غير معروف بدقة لقلة المعطيات ، فأعمال التنقيب والحفريات لم تمس إلا قصر السلام وانعدمت تماما في قصر الكوكب[2]، فربما كان مصدر تموينهما من القناة الرئيسية من وادي الجفين مرورا عن قصر البحر في الجهة الشمالية ، أو ربما من قناة قادمة من عيون قمة تاقربست تساير السور المحيط بالمدينة ، وقد أشار اللواء دي بيلي De Beylie إلى وجود خزان حوض له شكل دائري يمكن أن تكون له وظيفة توزيع الماء على صهاريج قصر السلام [3].

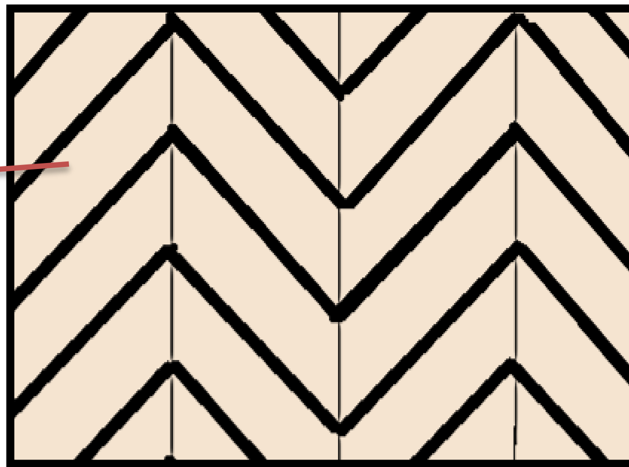
3.6.4 . القطعة الثانية من شاذروان قلعة بني حماد : كما عثر أيضا الأستاذ قولفان Golvin في **قصر السلام** على قطعة من شذروان الرخام الرمادي عليها زخارف على شكل شارات (اللوحة 04: الصورة 01 والشكل 02).

---

1 - Golvin (L) : Recherche Archéologique …. , P 80 .
2 - Rapport de Mission …, P 55 .
3 - De Beylie (L) : La Kalaa des Beni Hammad …, P 33 .



الصورة 01 : جزء من شاذوران بقصر السلام

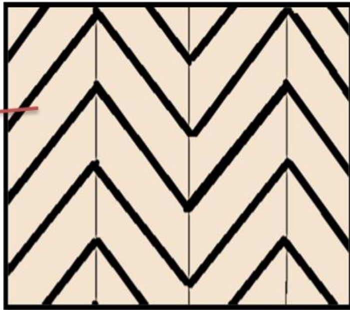


الشكل 02 : حزوز شاذوران قصر السلام . من عمل الطالبة .

اللوحة 04 : القطعة الثانية لشاذروان قلعة بني حماد تعود لقصر البحر محفوظة بمتحف قلعة بني حماد

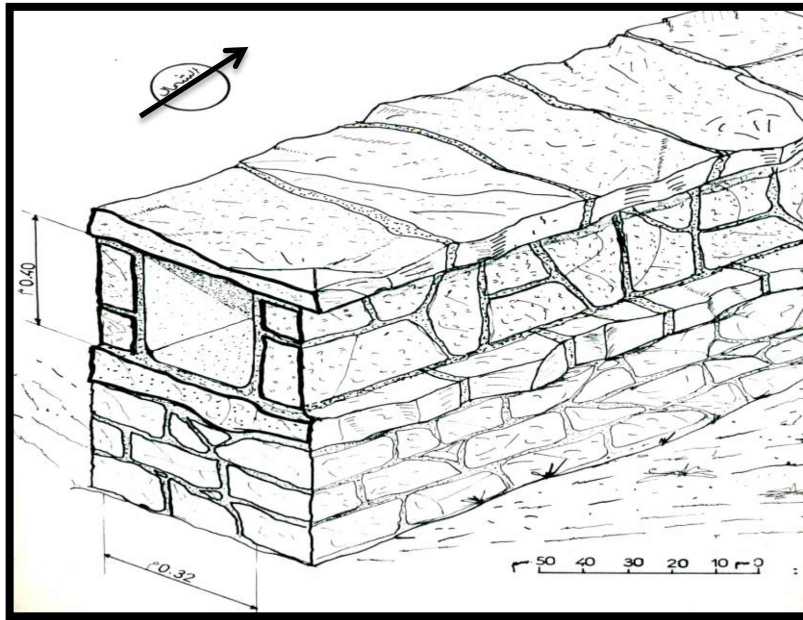
ولتتضح الصورة أكثر قمنا بإدراج بيانات هذا الجزء من الشاذروان في بطاقة تقنية وهي كالتالي :

. **<u>البطاقة التقنية رقم 12</u>** : القطعة الثانية من شاذروان قلعة بني حماد تعود لقصر السلام – محفوظة بمتحف قلعة بني حماد–

رقم الجرد	11	**الصورة**  الشكل  حزوز وشارات الواجهة العلوية للوح الرخامي أو الشاذروان
اسم التحفة	جزء من شاذروان	
التسمية المحلية	/	
المادة	لوح من الرخام	
اللون	رمادي	
الوظيفة	توزيع الماء	
الفترة	حمادية	
المصدر	قصر السلام بقلعة بني حماد	
المقاسات	طول : 38 سم عرض : 22سم ارتفاع : 8 سم	
تقنية الصناعة	يدوية بالحفر والطرق	
تقنية الزخرفة	الحفر الغائر والكشط	
مكان الحفظ	ساحة قصر السلام بقلعة بني حماد	
طريقة الاقتناء	حفرية	
حالة الحفظ	سيئة	
الوصف	جزء من قناة مكشوفة ومنحوتة في لوح رخامي ، تجعل الماء في حالة لمعان لمتعة النظر، وزخرف قعرها بشارات عبارة عن خطوط منكسرة مزدوجة	
بيبليوغرافيا	-Bourouiba (R) : Notes sur une vasque de pierre trouvée au palais de Manar - Golvin (L) : Recherches Archéologiques	

والملاحظ أن المهندس الحمادي لم يراع في بناء الأحواض التكلّف في تنميقها ، بل كان يركز أساسا على وظيفتها ، لذا كان يلجأ إلى بناء الجدران السميكة وتدعيمها بالدعائم والأكتاف النصف اسطوانية في غالب الأحيان للتصدي لضغط المياه ، وهي الأكثر انتشارا من الفسقيات ، و إن قلة هذه الأخيرة فتبقى تلك الأحواض الكبيرة هي الممول الأول لها بالمياه .

واستعمل في تقنية البناء مادة الدبش بطريقتيه المنتظمة وغير المنتظمة في غالبية الأحواض والصهاريج ، والتي لا تظهر بوضوح بسبب استعمال بعض كتل الدبش غير المنتظمة ، مما دفع إلى تسوية المسافات بالشظايا الحجرية والملاط المكثف (الشكل 17) .



الشكل 17 : تقنية البناء بالدبش المنتظم بقنوات قلعة بني حماد . من عمل الطالبة .

وتظهر هذه التقنية في حوض قصر البحر والحوض المربع بقصر المنار ، ويعتبر هذا الأخير نموذجا حيا لمدى وصول المهندسين الحماديين في تقنية بناء الأحواض ودعائمها .

وفي بقايا الأحواض ، يمكن ملاحظة طريقة بناءه وتتمثل في بناء جدارين متوازيين ثم يملأ الفراغ الذي بينهما بالدبش والملاط ، ووضعت عوارض خشبية أفقيا في أعلى البناء لتزيد من قوته ، هذا من خلال أجزاء متبقية منها تم ملاحظتها وتركيب نظرة شاملة عنها .

كما اتخذ الحماديون الأقبية لتغطية صهاريج قصر البحر والآبار الموجودة في المسجد وحي جراوة [1] .

فيعتبر المسجد الجامع الوحيد الذي يعطي نموذجا واضحا لتقنية بناء هذا النوع من السقوف ، فقد وضعت الحجارة بطريقة تتماس حوافها ويمسك بعضها البعض ، أما القسم السفلي فقد بني من كتل الدبش كبيرة الحجم .

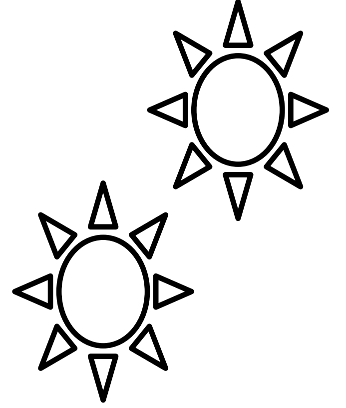
أما بالنسبة لأقبية صهاريج قصر البحر فهي موجودة تحت أنقاض البنايات ، باستثناء نموذج واحد من خلاله تمكنا من جمع صورة وإن كانت غير كافية على طريقة البناء المتمثلة في تصفيف الحجارة ذات الارتفاع القليل لتمكين تشكيل عقد القبو ثم توضع طبقة من الملاط في الأعلى [2].

وبعد تتبع محاور دراستنا بهذا الجزء منها والخاص الأحواض و الفسقيات بمجملها في الفترة الحمادية ، استنتجنا أنها هي أحد أهم العناصر الأساسية التي كان مؤسسو المدن والحواضر يولونه الأهمية القصوى ، كون الماء شريان الحياة الذي لا يمكن العيش بدونه ، فقد وصف المؤرخون والجغرافيون مدينة القلعة وذكروا رخاءها ووصفوا عمائرها التي تتم على تأنق في العمارة المدنية والعسكرية ، فسياسة الماء دون شك كانت عاملا أساسيا في استمرار المدينة أكثر من قرن من الزمان .

---

1 - Golvin (L) : Recherches …. ; P 109 .

2- بن خرباش (عبد النور) : المرجع السابق ، ص 55 .



الفصل الثالث

نافورات وأحواض العمارة المرابطية بتلمسان

تمهيد

1. تاريخ الدولة المرابطية .
2. جغرافية وتاريخ مدينة تلمسان .
3. أماكن تواجد المياه وتوزيعها بمدينة تلمسان .
4. المنابع المائية الطبيعية بمدينة تلمسان .
5. المنشآت المائية المستحدثة بتلمسان .
6. نافورات العمارة المرابطية وأحواضها بتلمسان .
7. الموحدون وسياتهم المائية ذات التأثير المرابطي .

خلاصة

شهد المغرب الاسلامي أوائل القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي (5هـ/11م)سقوط الدولة الأموية بالأندلس ، وقيام دولة الطوائف التي حلت مكانها ، وكان هذا جراء الضعف الذي لحق الخلافة الأموية ، كما توسعت حركات الاسترداد وتزايد طرد المسلمين من تلك المنطقة ، وفي مقابل هذا كانت القوى المسيحية تتوحد ، وأخذت حركات الاسترداد شكل الصليبية يوجهها البابا ويساندها [1] ، فاستولوا على الكثير من المدن وجعلوا منها حصونا يشنون منها الغارات على البلاد الاسلامية ، فشعر المسلمون في الأندلس بالضعف وساءت أحوالهم المعيشية فتقهقرت كلمتهم ، وكان لابد لهم من عون خارجي يحميهم مما أصبحوا عليه ، فرءوا في المرابطين ضالتهم المنشودة لما عرفوا من حب للجهاد في سبيل الله ، فكانت حرب معاكسة خاضها المرابطون بقيادة يوسف بن تاشفين[2] ، والذي انتصر في معركة الزلاقة سنة 479 هـ/1086 م [3] ، فكانت بذلك ضربة قاضية على الجيوش المسيحية النصرانية فانهزموا هزيمة لم يعرفوها منذ قرون [4] ، فانتشر بعدها خبر الانتصار وسادت الطمأنينة في النفوس ، فكانت نقطة تحول جد هامة في المنطقة نتج عنها ربط المغرب بالأندلس وتوحيده تحت راية الدولة المرابطية .

1- عبد الرؤوف الفقي (عصام الدين) : تاريخ المغرب والأندلس ، جامعة القاهرة ، مكتبة الشرق 1984 م ، ص 255 .

2- هو أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن ترقوت بن ورتانطق بن منصور بن مصالة بن أمية بن واتملي بن تليت الحميري الصنهاجي من ولد عبد شمس بن وائل بن حمير ، كنيته أبو يعقوب ، مولده كان سنة 400 هـ ببلاد الصحراء ، ووفاته كانت سنة 500 هـ ، **أنظر :** ابن أبي زرع (علي) : الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، راجعه : بن منصور عبد الوهاب ، المطبعة الملكية ، الطبعة الثانية ، الرباط 1999 م ، ص 172 ، 174

3- بروفنسال (ليفي) : حضارة العرب في الأندلس ، ترجمة دوفان قرطوط ، بيروت ـ لبنان ، منشورات دار مكتبة الحياة ، د ـ ت ، ص 25 ، و **أنظر :** مؤنس (حسن) : المرجع السابق ، ص 432 .

4- العروسي المطوي (محمد) : الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ، طبعة جديدة ومنقحة ، بيروت ـ لبنان ، دار الغرب الاسلامي 1928 م ، ص 219 .

1 . تاريخ الدولة المرابطية : 448 . 541 هـ/1056 . 1147 م

ينتسب المرابطون إلى إحدى بطون البرانس ، وهم من قبيلة صنهاجة بن برنس بن بر[1] ، ومن المؤرخين والنسّاب الذين يرجعون نسبهم إلى قبائل حمير من العرب [2] ، غير أن حقيقة انتمائهم إلى البربر هي الأقرب إلى الصواب ، وهذا إلى مكان استيطانهم رغم انتشار اللغة العربية الواسع ، حيث احتكوا بالإسلام وأخذوا بتعاليمه في المائة الثالثة للهجرة [3] .

أما عن أوضاعهم السياسية قبل مجيء **عبد الله بن ياسين** [4] ، كما ذكر ابن الخطيب نقلا عن ابن أبي زرع في قوله : " ... كان أول ملكهم بالصحراء يتلوتان بن تلاكاكين الصنهاجي اللمتوني توفي 222 هـ ثم خلفه من بعده حفيده الأثير بن فطر بن يتلونان إلى أن توفي سنة 287 هـ ، ثم ولي من بعده ابنه تميم بن الأثير وبقي أميرا على صنهاجة إلى غاية سنة 306 هـ/918 م إلى أن قتلته القبائل الصنهاجية ، وبعدها افترق أمرهم وتشتتوا في الصحراء مدة 120 سنة ، إلى أن قام فيهم الأمير أبو عبد الله محمد بن تيفاوت المعروف بتارشا اللمتوني فقدموه على أنفسهم ، ولما توفي ولى أمر صنهاجة بعده صهره يحي بن ابراهيم الدكالي ... " [5] .

وفي سنة 427 هـ/ 1030 م توجه عبد الله بن ياسين لأداء فريضة الحج وترك ولده ابراهيم بن يحي على رأس القبائل الصنهاجية ، وفي طريق عودته مر بالقيروان والتقى حينها بالشيخ أبي عمران الفاسي ، فدار بينهما حوار ديني حول العقيدة الاسلامية

1- القلقشندي : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، تحقيق ابراهيم الأبياري ، الطبعة الثالثة ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة 1959 م ، ص 317 .

2- مؤلف مجهول : الحلل الموشية في الأخبار المراكشية ، حققه : سهيل زكار و عبد القادر زمامة ، الطبعة الأولى ، الدار البيضاء ، دار الرشاد الحديثة 19979 م ، ص 18 .

3- ابن خلدون (عبد الرحمن) كتاب العبر ، الجزء السادس ، ص 214 .

4- هو الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي ، المجاهد المرابط الورع الزاهد الصوام القوام مهدي المرابطين ، **أنظر :** ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 156 .

5- ابن أبي زرع (علي) : المصدر السابق ، ص 121 .

وطرق نشر الاسلام ثم كتب له رسالة سار بها إلى الفقيه وجّاج بن زلوا اللمطي فعين له هذا الأخير عبد الله بن ياسين الجزولي وأرسله معه إلى قبيلة جدالة ، واجتمع عليه منهم عدد وافر تعلموا على يده وانقادوا له ، وكان أمير قبيلة لمتونة أبو زكريا يحي بن عمر أشد الناس انقيادا له ، حيث كان إذا سار بجيشه قدم أمامه الشيخ عبد الله بن ياسين وغزا معه الكثير من قبائل الصحراء [1] ، فتوجه يحي بن عمر إلى المناطق الشمالية واستولى على درعة وترك فيها أخاه أبا بكر ، ثم استولى على **سجلماسة** [2] سنة 445هـ/1053 م ، وفي سنة 446هـ/ 1054 م هاجم المرابطون امبراطورية غانة فاستولوا حينها على مدينة **أودغست** [3] .

شكل هذا الفتح الاسلامي منعرجا كبيرا في تاريخ المنطقة ، حيث انتشر الاسلام وأخذ بتعاليمه وأصبحت الكثير من القبائل الغانية مؤيدة وحليفة للمرابطين ، ولم يكن المرابطون أول من أدخل الاسلام للساحل الافريقي وبلاد السودان ، بل عرفت المنطقة أولى طلائع الفتح الاسلامي في عهد عقبة بن نافع الفهري [4] .

وبعد وفاة يحي بن عمر سنة 447 هـ/1055 م عين مكانه أخاه أبا بكر بن عمر اللمتوني على رأس الجيش ، وواصل غزوه بلاد السوس سنة 448 هـ/1056 م ، وبعدها استولى على مدينة تارودانت عاصمة السوس الأقصى سنة 449 هـ /1057م[5]، ثم على مدينة أغمات التي أصبحت قاعدتهم [6] وعاصمتهم المؤقتة .

1- مؤلف مجهول : الحلل الموشية ، المصدر السابق ، ص 21 .
2- سجلماسة هي مدينة في الصحراء ، تقع جنوب المغرب في طرف بلاد السودان ، بينها وبين فاس مسيرة عشرة أيام **أنظر :** النويري (شهاب الدين) : المصدر السابق ، ص 143 .
3- أودغست : هي مدينة في الصحراء كانت منطقة عبور القوافل التجارية بين الشمال والجنوب مما جعل منها سوقا كبيرة ، **أنظر :** البكري (أبو عبيد الله) : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص 158 ، **وأنظر :** الادريسي (محمد الشريف) : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، جزء خاص بالمغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، جورجي وودي جورج ، مطبعة بريل ليدر 1998 م ، ص 31 .
4- لقبال (موسى) : المغرب الاسلامي ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1981 م ، ص 29.
5- ابن خلدون (عبد الرحمان) : كتاب العبر ، المصدر السابق ، الجزء السادس ، ص 244 .
6- المراكشي (ابن عذارى أبو عبد الله محمد) : المصدر السابق ، الجزء الرابع ، ص 15

وقد كانت المرحلة الأولى لانطلاق نشاط الامام عبد الله بن ياسين من أصعب المراحل التي مرت بها تأسيس الدولة المرابطية كانت تعصف بحياته ، إلا أنه استطاع أن يحارب مظاهر الشرك والجهل في مجتمع صنهاجة وتحمل الكثير من الأتعاب ، ولما التف حوله البعض من الأتباع اختار لهم حينها اسم يدل على الرابطة السماوية التي ربطت هذه الجموع ، بعدما كانت متناحرة أصبحت متآخية ومتعاونة ومترابطة فيما بينها ، فسماها المرابطون [1] الذين انطلقوا من السنغال والنيجر ثم فاس ومكناس وطنجة، حققوا خلالها انتصارات عظيمة ، نتج عنها توحيد المغرب الأقصى وإقامة دولة سنية عادلة ، ولما استشهد عبد الله بن ياسين سنة 451 هـ/ 1059 م [2] تولى قيادة المرابطين الإمام أبو بكر بن عمر ، وولي أبو بكر هذا لابن عمه **يوسف بن تاشفين** [3] على بلاد المغرب قائدا [4] .

ولما ضاقت مدينة أغمات بالمرابطين ، انتقل أمر الأمير أبو بكر بن عمر إلى سهل مراكش مرتادا المكان المناسب لتأسيس العاصمة الجديدة ، فأعجبه فقرر بناء المدينة الجديدة مراكش ، والتي بدأ في تأسيسها سنة 462 هـ /1070 م ، وفي تلك الأثناء بلغه نبأ عن قيام اضطرابات في الصحراء بين قبيلتي لمتونة وجدالة ، فترك الأمر فيها نيابة ليوسف ابن تاشفين وتوجه إلى الصحراء لتهدئة الحال هناك ، وعندما أقبل أبو بكر بن عمر من الصحراء إلى مراكش سنة 465هـ/1072 م شاهد من قوة يوسف بن تاشفين وعزمه على البقاء في منصب الإمارة فقرر ترك الإمارة إليه ، وعاد إلى الصحراء حيث توفي سنة 480 هـ/1087 م [5] .

1- الصلابي (علي محمد) : دولة المرابطين ، الطبعة الأولى ، دار ابن الجوزي ، القاهرة 2007 م ، ص 184 .

2- العروي (عبد الله) : مجمل تاريخ المغرب ، الجزء الأول ، الدار البيضاء ، المغرب ـ المركز الثقافي العربي 2007 م ، ص 276 .

3- يوسف بن تاشفين بن ابراهيم اللمتوني الصنهاجي ، **أنظر :** ابن خلدون (أبو زكريا يحي) : بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، المجلد الأول ، مطبعة بيير فونطانا الشرقية ، الجزائر 1321 هـ/ 1903 م ، ص 86 .

4- مؤلف مجهول : مفاخر البربر ، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية ، الطبعة الأولى ، ، الرباط : دار أبي رقراق للطباعة والنشر 2005 م ، ص 145 .

5- المراكشي (ان عذارى) : المصدر السابق ، ص 19 ، 20 ، 24

ويعتبر عهد يوسف بن تاشفين عهدا حافلا بالفتوحات والانجازات ، حيث استطاعت دولة المرابطين أن تنتقل من طور النشأة إلى طور التوسع والازدهار ، حيث واصل المرابطون في هاته المرحلة زحفهم نحو الشمال ، فاستولوا على إمارة فاس المغراوية سنة 467هـ/1075م ، ثم أخضعوا منطقة الريف ومدينة طنجة وغيرها سنة 470هـ/1078م[1] ، ثم فتح بلاد المغرب الأوسط وضم الأندلس إلى دولة المرابطين [2] خلال مدة حكمه قام أيضا بسلسلة من الأعمال الداخلية والخارجية لتدعيم دولته الناشئة، وتنظيم شؤونها وإخراجهم إلى حد كبير من طور البداوة الذي كانت تعيش فيه، كما عمل على ضم المغربين الأوسط والأقصى ، واحتلت جيوشه مدينة **تلمسان**[3] و **وهران** [4] وتنس والجزائر ، حتى بلغت حدود الصنهاجيين من بني حماد والزيريين في إفريقية ، ومن ثم أصبح يوسف بن تاشفين سيد المغربين الأوسط والأقصى والصحراء ، فبدأ في تنظيم الحكم ، وأنشأ الدواوين والإدارة والجيش ونظم المدن وأشرف على تنفيذ أحكام الله[5]، فعرفت خلالها المنطقة استقرارا سياسيا ونمت قوتها الحربية مما جعل مسلمي الأندلس يطلبون يد المساعدة والنجدة من المرابطين فما كان من **أمير المسلمين**[6] يوسف بن تاشفين إلاّ أن يلبي طلبهم .

فكشفت قيادته عن العزيمة القوية التي كان يتمتع بها والنظرة المميزة في التخطيط ، فاهتم أولا بتوسيع مراكش متخذا منها عاصمة لدولته والتي حلت محل أغمات سنة 454هـ /1062 م [7] ، ثم أنشأ جيشا كبيرا من قبائل صنهاجة وزناتة و مصمودة وزحف

1- النويري (شهاب الدين) : المصدر السابق ، ص 144 ، 145 .
2- بورويبة (رشيد) : الجزائر في التاريخ .... ، المرجع السابق ، ص 296 .
3- تلمسان : قاعدة المغرب الأوسط وهي مدينة عظيمة فيها آثار كثيرة تدل على انها كانت دار مملكة لأمم سابقة ، بينها وبين وهران مرحلتان **أنظر :** الحميري (محمد عبد المنعم) : الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : إحسان عباس ، الطبعة الثانية ، بيروت - لبنان 1984 م ، ص 135 .
4- وهران مدينة ساحلية تقع غرب الجزائر ، كانت في القديم قرية بربرية اسمها إيفري ومعناها " الكهف " ، ثم وسعها الأندلسيون سنة 289هـ/902 م ، واشتهر وازدهر مرساها أيام الدولة الزيانية ، **أنظر :** المدني (أحمد توفيق) : كتاب الجزائر ، المطبعة العربية ، الجزائر 1350 هـ/1931 م ، ص 245 ، 256
5- العبادي (أحمد مختار) : في تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، د - ت ، ص 329 .
6 - كان زعماء المرابطين يطلقون على أنفسهم لقب الأمراء ، فلقب يوسف بن تاشفين بأمير المسلمين وناصر الدين ، وذلك من يوم معركة الزلاقة ، **أنظر :** ابن بي زرع : روض القرطاس ، المصدر السابق ، ص 130 .
7- العروي (عبد الله) : المرجع السابق ، ص 277 .

بهم من مراكش لفتح ما تبقى من حواضر المغرب [1] ، فأخضع مدينة فاس ومكناس سنة 462 هـ/1060 م ، وأصبح بذلك سيد البلاد دون مقاومة ، ومن هناك اجتاز إلى مملكة تلمسان ثم بجاية وبعدها عاد إلى مدينة مراكش [2] ، وهذا كله ما جعل مسلمي الأندلس خاصة أمير إشبيلية المعتمد بن عباد يستنجد بيوسف بن تاشفين فلبى هذا الأخير طلبه وانطلق نحو الأندلس وألحق انتصاره هناك على النصارى في معركة الزلاقة سنة 479 هـ/ 1086 م [3] ، ثم عاد إلى مراكش غير أن أهل الأندلس استغاثوا به للمرة الثانية فعاود الكرة مرة ثانية وأنقذهم من خطر النصارى ثم وحد الأندلس وضمها إلى إمارته ، ومن ثم أصبح هذان القطران دولة واحدة قوية عاصمتها مدينة مراكش (الخريطة 06) .



الخريطة06 : المرابطين بالمغرب والأندلس . عن أطلس التاريخ العربي الاسلامي . بتصرف

1- أحمد طه (جمال) : مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين ، دراسة سياسية وضارية ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الاسكندرية 2001 م ، ص 85 .

2- كربخال (مرمول) : إفريقيا ، ترجمة عن الفرنسية محمد حجي ، محمد زنيبر ، محمد الأخضر ، أحمد التوفيق ، أحمد بن جلون ، الرباط ـ مكتبة المعارف ، المغرب 1984 ، ص 305 .

3- النويري (شهاب الدين أحمد) : المصدر السابق ، ص 147 .

ولما توفي يوسف بن تاشفين سنة 500هـ/1106م ترك لابنه عليّ بن يوسف سنة 500 . 537 هـ/1106 . 1143 م دولة قوية وغنية تضم المغربين الأقصى والأوسط والأندلس ، فواصل عليّ جهود أبيه في نشر الدعوة إلى أن توفي 540 هـ/1145 م [1] ، وخلال فترة حكمه كان ظهور المهدي بن تومرت على الساحة السياسية ، حيث استقر ب **تينمل** [2] ومنها بدأ حملاته العسكرية للقضاء على اللمتونيين ، فسار نحو مدينة تلمسان ومن بعدها مدينة وهران التي لجأ إليها تاشفين بن عليّ سنة 537 . 540هـ/1142 . 1145 م ، وبذلك تكون دولة المرابطين قد حكمت تسعين سنة ونصف أي على امتداد سنوات 448 . 541 هـ / 1056 . 1147 م[3].

وبعد استيلاء عبد المؤمن بن علي على وهران استسلم أهل مدينة تلمسان له ، وكذلك فاس و **مكناس** [4] **وسلا** ، **وسبتة**[5] ، لينتهي المطاف به بالاستلاء على مدينة مراكش سنة 541هـ/1146 وقتله اسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين ، آخر أمراء المرابطين، وبهذا كانت نهاية دولة الملثمين ببلاد المغرب [6] .

2 . جغرافية وتاريخ مدينة تلمسان :

نجد مدينة تلمسان بأقصى الشمال الغربي للجزائر ، على مستوى نقطة تقاطع خط طوله 1° و 45 دقيقة غرب خط غرينيتش ، وخط عرض 34° و 52 دقيقة شمال خط

1- المراكشي(ابن عذارى) : المصدر السابق ، ص 104 ، 105 .
2- تينمل كلمة بربرية تتكون من " تين " ومعناها ذات و " ايمل " ومعناها الحواجز التي توضع في سفوح الجبال لجعلها صالحة للزراعة والسقي ، **أنظر :** مرزوق (محمد عبد العزيز) : الفنون الزخرفية الاسلامية في المغرب والأندلس ، دار الثقافة ـ بيروت ، د ـ ت . ص 51 (هامش 02) ، وهي عبارة عن قرية تقع بتراب بطن فرغوسة أحد بطون قبيلة كدمة " كدمت " الكندافية على بعد حوالي 100 كلم جنوب غرب مراكش بها قبر المهدي وخليفته عبد المؤمن بن علي وأطلال مسجدها العظيم، **أنظر :** البيذق (أبو بكر بن علي الصنهاجي) : أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط 1971 م ، ص 17 (هامش 12) .
3- بن قربة (صالح يوسف) : المسكوكات المغربية من الفتح ...... ، ص 518 .
4- مكناس مدينة مغربية تقع جنوب غرب مدينة فاس على مسافة 60 كلم ، سميت باسم قبيلة " مكناسة" البربرية التي اختطت المدينة ، أنظر : ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص 78 .
5- سبتة مدينة ساحلية من المدن المغربية ، وهي عبارة عن شبه جزيرة في مضيق جبل طارق ، وتحيط بها الجبال من ناحية الجنوب وكانت قاعدة سياسية هامة ، وهي حاليا تابعة لإسبانيا ، **أنظر :** ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص 80 ، 81
6- ابن خلدون (عبد الرحمان) : كتاب العبر ، المصدر السابق ، الجزء السادس ، ص 251 ، 252 .

غرينتش ، تعرف بسهول الحناية ، ومن الشرق وادي الصفصيف ومضيق لوريط ، ومن الغرب مرتفع بوجميل ، أما جنوبا هضبة لالا سيتي [1] ، فبنيت المدينة على سفح جبل الشوكة الذي جعلها تستقبل الرياح الغربية المحملة بالرطوبة ، ويحميها من ريح الجنوب الحارة ، كما أحيطت بجبال ساعدت على تخزين المياه طبيعيا ، فظهرت من خلالها ينابع كثيرة حول المدينة تسقي السهول الواسعة الخصبة ، وفي هذا الصدد يقول يحي بن خلدون : " **لدنة الهواء عذبة المنبت اقتعدت بسفح جبل** "[2].



الخريطة رقم 07 : الموقع الجغرافي لمدينة تلمسان بالجزائر . عن أطلس الجزائر والعالم . بتصرف

ويذهب أغلب المؤرخين إلى القول أن تلمسان قديمة النشأة ، وقد اهتم الباحثون في العصر الحديث بدراسة آثارها ، وتوصلوا إلى أن منطقتها عرفت استقرار الانسان منذ

1 - فيلالي (عبد العزيز) : : تلمسان في العهد الزياني ، موفم للنشر والتوزيع ، الجزائر 2002 ، الجزء الأول ، ص 88.
2- ابن خلدون (يحي) : بغية الرواد في ذكر ملوك بني زيان ، تحقيق عبد الحميد حاجيات ، سحب الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر 2007 م ، ص 85 - 86 .

عصر ما قبل التاريخ ، كما عثر على مخلفات أثرية تعود إلى العهد الروماني ، حيث كان يطلق عليها اسم **بوماريا** [1] ، وقد اختلفت أخبارها في العهدين الوندالي والبيزنطي.

أما في العهد الاسلامي فقد حلت محلها **أقادير** [2] ، فيصفها **ابن خلدون** بأنها قاعدة المغرب الأوسط ويقول متحدثا عن **أقادير** : " ... اختطها بنو يفرن بما كانت في مواطنهم .... ولم نقف لها على خبر أقدم من خبر ابن الرقيق بأن أبا المهاجر الذي ولي إفريقية بين ولايتي عقبة بن نافع الأولى والثانية ، توغل في ديار المغرب ووصل إلى تلمسان وبه سميت عين أبي مهاجر ... " ، ويذهب أن كلمة تلمسان في لغة زناتة مركبة من كلمتين تلم . سين : ومعناها يجمع بين اثنين البر والبحر [3] ، ويضيف أخاه يحي بأنه يقال عنها **تلمشان** وهي كلمة مركبة من تل . شان وتعني شأن ، كما لها معنى آخر حيث أنها تجمع بين الصحراء والتل [4].

وقد أخذت تلمسان تلعب دورها في التاريخ منذ ولاية أبي المهاجر دينار ، منذ حوالي منتصف القرن الأول الهجري السابع الميلادي [5] ، وبقيت السلطة بها بيد الأمراء المحليين من مغراوة وبني يفرن الزناتيين إلى أن قامت دولة المرابطين [6] ، واستقر يوسف ابن تاشفين بمراكش وبدأ يتوسع شرقا ، فوجه حملة إلى المغرب الأوسط [7] ، وبعد ثلاث سنوات قاد حملة كبيرة أخرى نحو الشرق فهاجم مغراوة ثانية في تلمسان وقتل أميرها العباس بن بختي واستولى على المدينة ، وواصل طريقه ففتح وهران وتنس و الونشريس والجزائر وعاد إلى مراكش سنة 475 هـ /1078 م [8] ، وترك محمد بن

---

1 - Pisse (L) : et Banal (J) : Tlemcen extrait de la revue l’Afrique Française ; Paris 1889 , P 58.

2- ابن خلدون (يحي) : بغية الرواد ، المصدر السابق ، الجزء الأول ، المصدر السابق ، ص 210

3- ابن خلدون (عبد الرحمان) : كتاب العبر ، المصدر السابق ، الجزء السابع ، ص 156 - 157 .

4- ابن خلدون (يحي) : بغية الرواد ، الجزء الأول ، ص 85 .

5- لقبال (موسى) : المغرب الاسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج ، سياسة ونظم ، الطبعة الثانية ، الجزائر 1981 ، ص 35 .

6- ابن خلدون(عبد الرحمن) : كتاب العبر ، المصدر السابق ، الجزء السابع ، ص 37 - 93 .

7- المصدر نفسه ، ص 381 .

8- نفسه ، ص 381 .

تينعمر المسوفي قائد الجيوش بتلمسان فبنى فيها معسكرا سماه **تاكرارت** [1] ، فأصبحت ثغرا من ثغور المرابطين في المغرب الأوسط ، يشنون منه الغارات على أراضي الدولة الحمادية [2] ، وقد أنشأ المرابطون أثناءها مؤسسات عمرانية هامة كمحطة تاكرارت بتلمسان والمسجد الأعظم [3] ، وبقيت تابعة لهم إلى أن استولت عليها قوات الموحدين سنة 524 . 558 هـ/ 1130 . 1163 م بقيادة عبد المؤمن بن علي ، حيث بقي بها ستة أشهر أحدث أثناءها بناء دورها وحصّنها غاية التحصين وجملة ما بقي هو باب القرمدين الواقع في الجهة الشمالية الغربية من المدينة ، كما أتم بناء جامعها الكبير الذي بدأ بناءه المرابطين ، ولقد جعل تلمسان قاعدة الولاية الغربية من المغرب الأوسط[4]، وبعدها أصبحت تلمسان تابعة للدولة الموحدية عهد أبناء عبد المؤمن إلى غاية ظهور مشايخ بنو عبد الواد ، فاستقر بها يغمراسن بن زيان سنة 633هـ/1235م[5]، فكانت تلمسان وفي كل مرحلة تعرف اتساعا وتغييرات في طوبوغرافيتها المعمارية .

كما لامسنا اعتناء الدويلات السابقة واهتمامها بعنصر الماء في بلاد المغرب الاسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة ، وبقي ذلك من أولويات انشاء المدن وتحضّرها ، على غرار المرابطين الذين كانت لهم لاستغلال هذا العنصر سياسة جاءوا بها تأثرا بسابقيهم، كما كان الحال عند الحماديين الذين تأثروا بسياسة الأغالبة في المغرب الأدنى .

ولربط كل هذه المعلومات بموضوعنا والخاص بالنافورات المائية بعمارة المغرب الأوسط بالدولة المرابطية ، لا بد من تحديد أماكن تواجدها وكل ما تعلق بها .

1- تاكرارت أو تاقرارت هي تلمسان القديمة أو الحي القديم ، ويكتبها يحي ابن خلدون " تاجرارت " بناها ملك لمتونة يوسف ابن تاشفين في حدود 462 هـ/1132 م ، **أنظر :** ابن خلدون (يحي) : المصدر السابق ، 211 .
2- ابن خلدون (عبد الرحمان) : كتاب العبر ، الجزء السادس ، المصدر السابق ، ص 380 .
3- بوعزيز (يحي) : الموجز في تاريخ الجزائر ، الجزء الأول ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 2007 م ، ص 186 .
4- بن رمضان (شاوش محمد) : باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة بني زيان ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون - الجامعية 1995 م ، ص 69 .
5- بن رمضان (شاوش محمد) : المرجع السابق ، ص 70 - 72 .

3 . أماكن تواجد المياه وتوزيعها بمدينة تلمسان :

شكّلت منذ البداية عملية التزود بالمياه وطرق نقلها وتوزيعها شغلا رئيسيا لدى مصمميّ المدن ، واكتست الظاهرة طابعا خاصا في الفترة الاسلامية ، إذ يؤكد الفقهاء على هذا ، وتطبيقا لتعاليم القرآن أن الماء قسمة بين الناس ، وقد خلّف لنا أسلافنا منشآت مائية عديدة لا تزال بعض آثارها باقية إلى يومنا هذا شاهدة على مدى اهتمامهم وحسن تخطيطهم لاستغلال هذه الثروة الحيوية التي لا تقدّر بثمن ، فجفاف المناخ هو ما جعل المسلمين يهتمون أكثر بطرق جلب المياه .

كما كانت نوعية الصخور المكونة لأرض تلمسان أو بالأحرى تركيبتها الجيولوجية لها دور كبير في وفرة المياه وخروجها إلى السطح ، ليصبح بذلك نعمة عليهم أكثر من نقمة لقوله تعالى : " **وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءَ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهْ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونْ** " [1] ، وقوله أيضا : " **وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فالْتَقَى المَاءَ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِّرَ** " [2] ، فما يميز تلمسان ونواحيها تركيب أرضها الخاص الذي قل له نظير في المغرب الإسلامي ، فهي مركبة من عدة طبقات ، فالسطحية منها صخور كلسية (جيرية) تعود إلى العصر الجوراسي ، ومن خصائص هذه الصخور أنها مسامية تمكن المياه من التسرب إلى الأعماق أين تتواجد طبقة أخرى مكونة من الصلصال لتصل بعد ذلك إلى طبقة ثالثة يكونها الطين الذي لا يمكنها اختراقه حيث يتكون خزّان طبيعي هائل للمياه الجوفية ، ثم تتفجّر هذه المياه في منابع عيون تنحدر من الجبال شاقة طريقها عبر الأودية أو تخرج على شكل عيون ومنابع [3] .

1- القرآن الكريم ، سورة البقرة ، الآية 74 .
2- القرآن الكريم ، سورة القمر ، الآية 12 .
3- بن رمضان (شاوش محمد) : المرجع السابق ، ص 31.

فتشغل تلمسان حوضا داخليا ، يمتد بين البحر الأبيض المتوسط ، والسهول المرتفعة الاستبسية تفصلها عن البحر سلاسل جبلية ساحلية تمتد من الغرب إلى الشرق [1] .

ويذهب معظم المؤرخين إلى أن كلمة تلمسان في لغة زناتة مركبة من كلمتين : تلم وسين ، ومعناها تجمع الاثنين البحر والبر [2] ، وهي جبال سبع شيوخ ، وتسالا بني شقران ، وبينها وبين السهول المرتفعة سلسلة من الجبال ، وهي جبال تلمسان و الضاية وسعيدة وفرندة [3] .

وهذه الأخيرة ساعدت على تساقط كميات معتبرة من الأمطار . فضلا على أنها تتكون من صخور جيرية ، ومن خصائص هذه الصخور تجمع المياه ، وتخزينها في باطن البحر ، وبذلك تعد هضبة لالا ستي والمشرفة على المنصورة ، وتلمسان خزانا كبيرا بما توفره من ينابيع ، ويزيد ارتفاعها عن 1020 م عن مستوى سطح البحر ، وتشرف على المدينة من جنوبها ، فهي بذلك ستار طبيعي ودفاعي يحمي ظهرها ، ويستطيع الواقف بأعلاه أن يرصد جميع التحركات داخل المدينة وخارجها [4] .

اشتهرت بلاد المغرب الأوسط وخاصة تلمسان بوفرة منابع مياهها بين أنهار وعيون غزيرة المياه [5] ، ومنها العيون التي تسمى بعين **لوريط** ، التي يفصل بينها وبين المدينة ستة أميال ، وكان يجلب منها الماء إلى المدينة منذ القدم .

1- حلمي (عبد القادر) : جغرافيا الجزائر ، دمشق 1986 م ، ص 40 وما بعدها ، **وأنظر :**
- Bel (A) : Tlemcen et ses Environs , Toulouse 1915 , P 01 .
- Marçais (G) :Les villes D’Art célèbres : Tlemcen , Librairie , Renouard , H . Laurens , Paris 1950 , P 10 .
- Dhina (A) : Le Royaume Abd Elwade é l’époque d’Abdou Hammou Moussa 1 er d’Abou Tachfine , Alger 1985 , P 31 .

2- ابن خلدون (عبد الرحمان) : العبر ... المصدر السابق ، الجزء السابع ص 156 ، 157 .
3- حلمي (عبد القادر) : المرجع السابق ، ص 40 .
4- بن رمضان (شاوش محمد) : المرجع السابق ، ص 29 - 45 .
5- مجهول : كتاب الاستبصار ، المصدر السابق ، ص 176 .

كما كان لها أي تلمسان . نهر كبير يسمى **اصطفصيف** المنصب من شهاقها [1] . الذي يصفه **الادريسي** بقوله : "... ولها أنهار يأتيها من جبلها المسمى بالصخرتين ، ويمر في شرقي المدينة وعليه أرحاء كثيرة وجوارها من المزارع كله مسقي ... " [2] ، ووادي **متشكانة** كما يندرج **نهر ملوية** [3] ، ضمن بلاد المغرب الأوسط و ربما كان ولا يزال أهم نهر بالمنطقة من حيث قدرة صبّه .

إضافة إلى **وادي التافنة** [4] ، و **نهر مينا** المتوسط من حيث الكبر الذي هو من روافد نهر الشلف ، وينحدر من الجبال المجاورة لتقدمه ، ويمر عبر سهل مدينة البطحاء ثم يتوجه شمالا إلى أن يصب في المتوسط ، وإلى الشرق منه نجد نهر الشلف الكبير الذي ينبع من جبال الونشريس ويمر عبر سهول قفرة في تنس إلى أن يصب في البحر لمتوسط بالقرب من مستغانم ، وكان يصطاد في مصبه كمية وافرة من السمك الجيد الصغير والكبير [5] .

ومدينة تلمسان كغيرها من الحواضر والمدن الاسلامية لم تكن تخلو من مشاريع نقل وتخزين وتوزيع المياه ، فقد اهتم المهندسون في المدينة بإدخال الماء كعنصر مهمّ من عناصر التكوين المعماري ، فكل من زارها من الرحالة وطلاب العلم والموفدون إليها من المشرق والمغرب الاسلامي كالسفراء منهم واللاجئين إليها بحثا عن الأمان ، لم يترددوا في وصفها ، فأكثروا في مدحها وأطنبوا في إظهار منشآتها العمرانية وحسن تخطيطها وتطور حضارتها ، وقد استهوت تلمسان حتى اولئك الذين تعرفوا عليها في الكتب ولم

1- نهر تلمسان ينبعث من أسفل جبل البغل ، ويصب في بركة عظيمة من عمل الأول ويسمع لوقوعه فيها خرير شديد على مسافة ثم ينشق منه بحكمة مدبرة إلى موضع يسمى المهراز ، ثم ينصب في أنهار كثيرة ، وبعد ذلك ينحدر إلى البحر ، **أنظر :** الحميري (عبد المنعم السبتي) : المصدر السابق ، ص 318 ، **وأنظر :** ابن خلدون (يحي) : بغية الرواد المصدر السابق ، ص 91.

2- الادريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص 284 .

3- نهر كبير ينبع من الأطلس في ناحية الحوز ويقطع العديد من السهول ، يصب في البحر المتوسط أين يشكل مكانا ملائما لعيش أنواع السمك الجيد ، **أنظر :** الوزان (حسن) : ، ترجمة : محمد حجي ومحمد الأخضر ، الجزء الثاني ، الطبعة الثانية ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت 1983 م ، ص 250 .

4- الذي يميل إلى الصغر وينبع من جبال تقع في تخوم نوميديا ثم يسيل نحو الشمال عبر قفر أنكاد إلى أن يصب في البحر المتوسط مارا على نحو تسعة عشر ميلا من تلمسان ، **أنظر :** الوزان (حسن) : المصدر السابق ، ص 250 .

5- المصدر نفسه ، ص 251 .

يزوروها ، لما تمتعت به من شهرة طيبة وإشعاع باهر لجمال منشآتها العمرانية وحسن تخطيطها وتطور حضارتها ، فقد تميزت تلمسان عن غيرها من الحواضر ، ما جعلها تستهوي كل من زارها أو سمع عنها هو كثرة ينابيعها وجنانها ، فأوديتها المنصبة من السلاسل الجبلية تغنى بها الشعراء وكان خريرها يسمع من كل ناحية ، إذ قال عنها الإمام ابن مرزوق الخطيب :

بلد الجداول ما أمر نواها   كلف الفؤاد بحبها وهواها

يا عاذري كن عاذري في حبها   يكفيك منها ماؤها وهواها [1]

وذكرها صاحب كتاب الجغرافية فقال : " ... وماؤها صحيح وكذلك هواؤها ... " ويصفها بأنها مدينة عظيمة وبها عيون كثيرة ومياه غزيرة [2] .

كما وصفها يحي ابن خلدون في كتابه قائلا : " ... وهي مدينة عريقة في التمدن لذيذة الهواء عذبة الماء كريمة المنبت .... " ، ويضيف في وصف منشآتها المائية : " ... وتنصب عليها من على جبالها أنهار من ماء غير آسن تتجاذبه أيدي المذائب والأسراب المكفورة (هكذا) حلالها ثم ترسله بالمساجد والمدارس والسقايات بالقصور وعليه الدور والحمامات ففيهم الصهاريج و يفهق الحياض (هكذا) ويسقي بساتينها وخارجها ومغارس الشجر ومنابت الحب ... " [3] .

ويدعّم حسن الوزان هذا القول عند وصفه لمدينة تلمسان بأنها كانت تحتوي على عدّة سقايات ، لكن العيون توجد خارجها (خارج أسوار المدينة) ، بحيث أن العدو يمكن أن يقطع الماء عنها بدون صعوبة [4] ، لذلك أعطى ملوك تلمسان دائما الأمر بعدم الكشف

1- بن عبد القادر (محمد) : تحفة الزائر في أخبار الجزائر والأمير عبد القادر ، بيروت 1964 م ، ص 18 .
2- الزهري (أبي بكر) : كتاب الجغرافية ، تحقيق : محمد حاج صادق ، المركز الاسلامي للطباعة ، الجيزة ، ص 113 - 114 .
3- ابن خلدون (يحي) : المصدر السابق ، ص 09 .
4- الوزان (حسن) : المصدر السابق ، ص 20 .

عن هذه القنوات خوفا من تحويلها إذا ما حوصرت المدينة [1] ، وقد وقع أنه خرج أحد البنائين أثناء حصار تلمسان وقام بإظهار العين المجلوب منها ماء المدينة للسلطان أبي الحسن وكشف عنها فقطعها عن المدينة ، فاكتفى سكان المدينة بالمنابع الموجودة داخل مدينتهم [2] ، حيث أن المدينة بقيت محاصرة مدة ثلاث سنوات ولم تحتاج إلى المياه .

فقد تزودت مدينة تلمسان بالمياه التي تحتاج إليها من الأنهار المنحدرة من أعالي الجبال ، وكثرة الينابيع والعيون التي تقع خارج أسوار المدينة وداخلها من جهة ، وبفضل بناء شبكة محكمة للقنوات داخل المدينة وخارجها من جهة أخرى ، وكانت هذه القنوات تبنى من الآجر ، مغطاة تحت الأرض ، ولا سيما الجزء الذي يكون خارج المدينة [3] ، وهو الأنبوب الرئيسي الذي يصب في الأحواض التي تستعمل في سقي البساتين ، وفي ملأ الصهاريج التي تزود سكان المدينة [4] ، عن طريق قنوات تصل الدور الفخمة والقصور والحمامات والفنادق والمساجد والمدارس والزوايا .

ويدعم الونشريسي وصف منشآت المياه بتلمسان بقوله : " وهو بلد كبير به حمامات ومدارس يجري بها الماء ، كلها يدخل بخارجها من الجهة الفوقية منها ، ويمر بقنوات محكمة البناء ، ويشق في داخل بعض الدور ، ويمر بإزاء بعضها إلى أن يخرج من الجهة السفلية [5] .

فسنقوم بتبيين ذلك من خلال هذه الدراسة التي نعني بها التطرق إلى ذكر المنشآت المائية بالمدينة وتوزيعها من صهاريج وسقايات و والاهتمام بكل من النافورات والميضآت بشتى المباني من مساجد وحمامات وغيرها ، وسنقتصر فقط على المنشآت

1- كربخال (مارمول) : ترجمة محمد حجي وآخرون ، الجزء الثاني ، دار المعرفة ، الرباط 1988 - 1989 م - ص 299
2- العمري (شهاب الدين أحمد بن فضل) : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق د . حمزة أحمد عباس ، الجزء الرابع، المجمع الثقافي أبو ظبي 2002 م ، ص 202 - 206 .
3- الوزان (حسن) : المصدر السابق ، ص 20 - 21 . **وأنظر :** كربخال (مارمول) : المصدر السابق ، ص 299
4- بورويبة (رشيد) : الحياة الفنية في عهد الزيانيين والمرنيين ، ضمن كتاب الجزائر في التاريخ ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984 م ، ص 504 .
5- الونشريسي (أبو العباس أحمد بن يحي) : المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب ، إخراج وتحقيق محمد حجري وآخرون ، الجزء الرابع ، دار الغرب الاسلامي ، 1981 م ، ص 276

الأساسية التي تزود المدينة بالمياه ، أي أن دراستنا في خطواتها هاته ستشمل منشآت ايصال الماء إلى مشارف المدينة من سواقي وقنوات عيون ، وكذا منشآت التخزين والتوزيع من صهاريج و مواجل وفساقي و سقايات وما إلى ذلك ، بداية ب :

4 . <u>المنابع المائية الطبيعية بمدينة تلمسان :</u>

1.4 . <u>المياه الجوفية</u> : ساعدت السلاسل الجبلية الممتدة من الشرق إلى الغرب ، على تساقط كميات معتبرة من الأمطار [1] ، كما أن منطقة تلمسان تتكون جيولوجيا من حجر رملي ، تسمح هذه الأخيرة بتوغل المياه إلى الباطن ، لأن من خصائص هذه الصخور هو تجميع المياه وتخزينها في الباطن ، مما يؤدي إلى توفير نسبة كبيرة من المياه الجوفية ، بالإضافة إلى أن مناخ تلمسان الذي يدخل في تشكيل هذه الثروة ، فهو مناخ متوسطي ، يمتاز بصيف حار ومعتدل ، وشتاء بارد وكثير التساقط من شهر نوفمبر إلى شهر ماي .

2.4 . <u>المياه السطحية</u> : تتزود مدينة تلمسان بمجموعة من الأودية ، منها وادي لوريط الذي يقع بالضواحي الشرقية للمدينة ، يجري في مرتفع جبلي لينزل على شكل شلال يسمى " شلال لوريط " [2] ، ويشير إليها البكري بقوله : " **... وكان الأول قد جلبوا إليها ماء من عيون تسمى لوريط ...** " [3] ، ويذكر الحميري هذه العيون في وصفه للمدينة فيقول : " **... وكان لها ماء مجلوب من عمل الأول من عيون تسمى لوريط**"[4]، ويخبرنا ابن خلدون مؤرخ الدولة الزيانية بأن ماءها مجلوب من عيون لوريط على قيد ستة أميال [5] (الصورة 23) .

1- لعرج (عبد العزيز محمود) : مدينة المنصورة المرينية بتلمسان ، مكتبة زهراء الشرق ، مصر 2006 م ، الطبعة الأولى ، ص 58 .
2- بن رمضان (شاوش محمد) : المرجع السابق ، ص 29 .
3- البكري : المصدر السابق ، ص 76 .
4- الحميري (محمد ابن عبد المنعم) : الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : إحسان عباس ، الطبعة الثانية ، مكتبة لبنان - بيروت 1984 م ، ص 135 .
5- ابن خلدون (يحي) : المصدر السابق ، ص 21 .



الصورة 23 : مسار عين لوريط بمدينة تلمسان .

لتمتد مياهه في مجار صغرى مشكلة وادي الصفصيف ووادي السكاك ، الواقعين في الجهة الشرقية أيضا ، وتتغذى كل هذه الأودية من الحوض الطبيعي الذي يشكل من مرتفعات جبل الشوكة وجبل الناظور [1] ، ووادي متشكانة الواقع بالجنوب الشرقي ، وقد جفت مياهه لغزارة البناء في كل مكان [2] ، بالإضافة إلى وادي المخوخ في الجهة الغربية الذي يتغذى من منحدر لالا ستي ، وبزيادة انخفاضه يصبح يسمى وادي السفاح ، ويشغل هذا الواد مساحة قدرها 1.8 كلم وتدفق مياهه ما بين 8 . 30 م^3 في الثانية ، أما عن العيون فكانت خارج أسوار المدينة ، استغلت لأغراض مختلفة كدباغة الجلود والرحى كعين الدباغ بأقادير مثالا (الصورة 24) ، ومنها عين وانزونة التي تقع خارج باب الجياد في الجهة الجنوبية ، وعين الكسور خارج باب القرمدين في الجهة الشمالية الغربية [3] ، وتتبع من جبال لالا ستي مجموعة من العيون منها : عين الفوارة وعين الجنان وعين العطار[4] ، كما وجدت عيون أخرى داخل أزقة المدينة كان يتوافد عليها

1- نقادي (سيدي محمد) : تلمسان الذاكرة ، منشورات القالة ، الجزائر 2007 ، ص 32 .
2- الطمار (محمد) : تلمسان عبر العصور : ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 2007 م ، ص 11 .
3- فيلالي (عبد العزيز) : المرجع السابق ، ص 150.
4 - Lachachi (Omar) : Le Passé prestigieux de Tlemcen , édition Ibn Khaldoun , Tlemcen , P 63 64

السكان الذين لا تصلهم المياه ولا يملكون آبار في منازلهم [1] ، وحالها حال الأسبلة في أزقة كل المدن الاسلامية ، لكنها تختلف من حيث أشكالها وحجم حياضها وتخطيطها .



الصورة 24: عين الدباغ بأقادير بمدينة تلمسان .

وهذه العيون التي تم الإشارة إليها على غرار عيون لوريط فقد جفّت مياهها واندثرت بالكامل بسبب التوسع العمراني ، ومنها ما حوّل إلى سقايات ويتعلق الأمر بتلك التي كانت في دروب المدينة وأزقتها كعين الدباغ [2].

5 . المنشآت المائية المستحدثة بتلمسان :

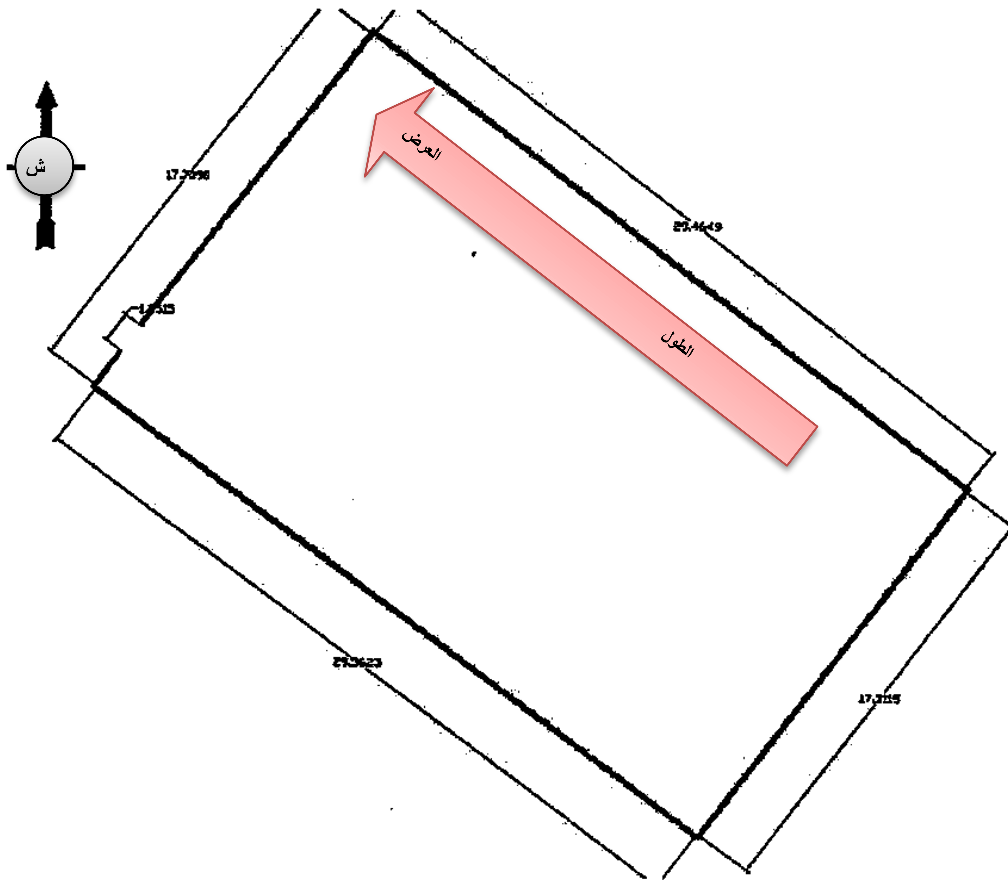
1.5. الآبـار: وتعد من منشآت المياه المستخرجة والتي تكتسي أهمية جد بالغة بالمدن الاسلامية عامة ، وبما أن **مدينة تلمسان يوجد تحتها خزّان مائي على عمق يتراوح ما بين 7 إلى 12 مترا بحسب طبوغرافية الموقع** [3] ، **مما جعلها تمتلك كماً هائلا منها**

1- ابن الأحمر (أبو الوليد إسماعيل) : تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان ، تحقيق هاني سلامة ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة 2001 م ، الطبعة الأولى ، ص 110 .
2- عطار (محمد) : مشروع ترميم المنشآت المائية بمدينة تلمسان ، إشراف : د سيدي محمد نقادي ، ماجستير علم الآثار تخصص صيانة وترميم ، جامعة أبو بكر بلقايد ، 2015 - 2016 م ، ص 40 .
3 - Ben slimane (M) et Hemimed (S) et Seddini (A) : Contribution de l’hydraulique Médiévale dans La dynamique Urbaine du Maghreb « Cas de la Médina de Tlemcen en Algérie « , Larhiss Journal N° 13 .

على غرار المساجد والحمامات والأضرحة ، بل وحتى المنازل لم يكد يخلو أي منزل من بئر بداخله .

2.5 . المواجل : وأمثلة ذلك بالمغرب الأوسط بمدينة تلمسان في موقع المنصورة الذي كشفت الأبحاث الأثرية فيه عن ثلاث مواجل أو أحواض عامة على الأقل ، فضلا عن شبكة التوصيل المكثفة بين مرافق تلك المدينة [1] .

3.5 . الخزّانات : وهي عبارة عن موقع يشيد ويخصص لتخزين مياه الأمطار والانهار لأغراض الشرب والزراعة والري ، وجاءت بتلمسان تقريبا بأشكال متشابهة بين المربّع والمستطيل بأحجام كبيرة (المخطط 11) .



المخطط 11: الخزان الجنوبي لتاقرارت بمدينة تلمسان . عن محمد عطار . بتصرف .

1- لعرج (عبد العزيز محمود) : مدينة المنصورة المرينية بتلمسان ، المرجع السابق ، ص 212 .



الصورة 25 : الخزان المائي جنوب تاقرارت بمدينة تلمسان

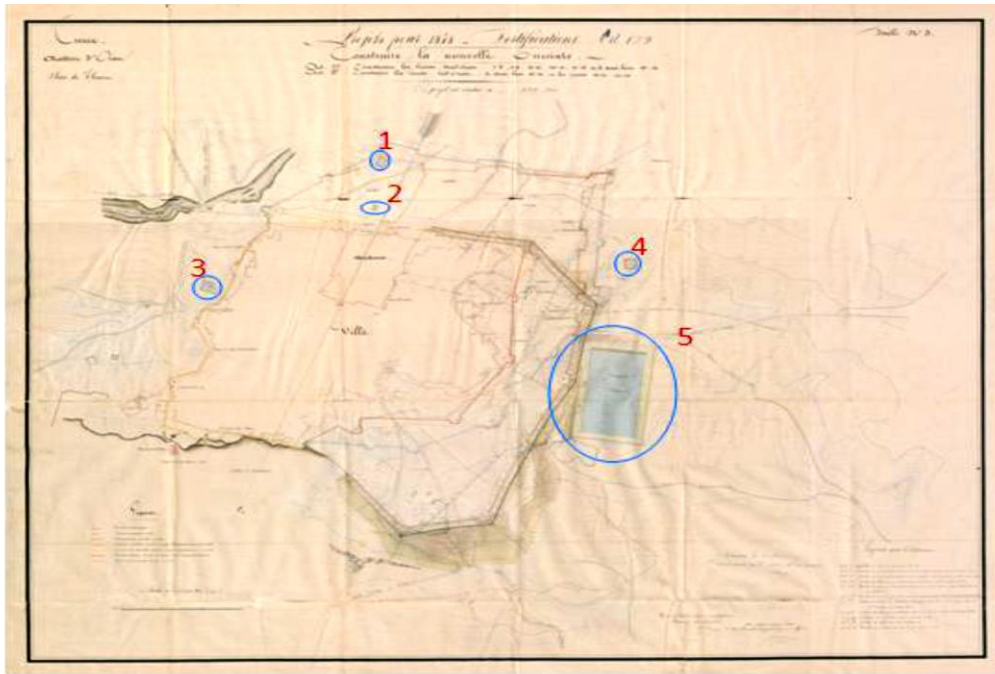
لتكون بذلك الآبار والخزانات المموّل الأول للنافورات بمدينة تلمسان عبر قنوات جر للمياه ، لذلك أدرجنا ذكر أهمها لعلاقتها بموضوع دراستنا .

كما وجدنا قناة تتخلل التحصين الجنوبي لتاقرارت بالقرب من باب الحديد ، والتي تم بناؤها بحجارة رملية مصقولة على شكل كتل كبيرة ، ورصت فوق بعضها البعض باستعمال الملاط في شكل جدارين متوازيين ووضعت حجارة أخرى فوقها فيما يشبه التسقيف (الصورة 26) .



الصورة 26 : قناة تاقرارت لنقل المياه بمدينة تلمسان

4.5 . الصهاريج : وقد احتوت تلمسان على العديد من هذه الصهاريج ، وهي منتشرة بصفة خاصة فبالجهة الجنوبية والجنوبية الشرقية ، حيث نجدها بالقرب من منابع الماء لتقوم بتخزينه ثم توزيعه فيما بعد ، ومن أجل جرد هذه الصهاريج استعنا في عملنا بخريطة قديمة تعود للفترة الفرنسية مبين عليها صهاريج المدينة بالإضافة إلى تقرير يعود لفترة الاستعمار الفرنسي عن مشروع توزيع المياه للمدينة يعود تاريخه إلى 27 جويلية 1864 م ، حيث قمنا بالبحث ميدانيا عما وجدناه في هذين المصدرين ، إضافة أن المدينة احتوت على **خمس صهاريج للماء** (الخريطة 06) [1]، بالإضافة إلى هذه الصهاريج احتوت قلعة المشور أيضا على صهريج لتزويد السلطان وحاشيته بالماء[2]، إضافة إلى صهريج الكيفان .



الخريطة 08 : صهاريج وخزانات تزوّد مدينة تلمسان بالمياه

ـ عن مصالح التموين بالمياه لتلمسان .

1- Services historique de la défense (France) , Tracés de la nouvelle enceinte définie par le génie et tracé de l'enceinte médiévale en 1848 ; Les nombreux bassins sont signalés , dossier 3, feuille 3.

2- ابن مرزوق (محمد الخطيب) : المسند الصحيح في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن ، تحقيق : ماريا بيغيرا ، الجزائر 1981 م ، ص 302 .

وسنتطرق بالدراسة لكل صهريج أو خزان على حدا ، وفقا لترقيمها الذي وضعناه على الخريطة 06 ، وهي كما يلي :

1.4.5. **<u>الصهريج رقم 01</u>** : وهو عبارة عن خزان تحت الأرض بنيت جدرانه بالآجر وسقفه مستو كما تسقف الغرفة ، وهو موجود بالقرب من التحصين الجنوبي للمدينة ، في جنوب المقبرة الأوربية ، ويبعد عن الباب الجنوبي (باب التويتة) بحوالي 350 م ، كانت تفتح قنوات الخزان كل يوم صباحا وتغلق مساءا بحيث يمكن للخزان الامتلاء في الليل لتزويد المدينة في الغد ، حيث أن هذا الخزان هو من يقوم بتزويد قلعة المشور[1]، ويحتوي هذا الخزان على فتحة في الأعلى لها غطاء يفتح من أجل تنظيفه ومراقبة الماء بداخله من طرف المصالح المختصة ، بالإضافة إلى احتوائه على أربع فتحات أخرى موزعة على أركانه الأربعة من أجل التهوية ، وللإشارة فإن هذا الخزان لا يزال يستعمل إلى الوقت الحالي .

2.4.5 . **<u>الصهريج رقم 02</u>** : حسب الخريطة كان هذا الصهريج موجود داخل ثانوية " مليحة حميدو " حاليا ، وحسب المعاينة الميدانية التي قمنا بها فإنه لم يعد له أي أثر .

3.4.5. **<u>الصهريج رقم 03</u>** : بحسب قراءة الخريطة فإن هذا الصهريج كان في الجهة الشرقية لتحصين المدينة ، ولكن لا وجود لأي أثر له وهذا بسبب التوسع العمراني عموما.

4.4.5 . **<u>الصهريج رقم 04</u>** : مكانه في الجهة الجنوبية الغربية لتحصين المدينة قرب عين كيرلت التي سبق الحديث عنها ، لكنه أيضا لم يعد له أي أثر اليوم .

5.4.5 . **<u>الصهريج رقم 05</u>** : الصهريج الكبير و قام ببناءه السلطان أبو يوسف تاشفين، وسنتطرق إليه عند بلوغنا الفصل الخاص بالدولة الزيانية .

1-Services historique de la défense (France) : <u>Les nombreux bassins sont signalés</u> Op.cit , dossier 3, feuille 3 ,.

إضافة إلى **ثلاث صهاريج أخرى** وهي :

6.4.5. صهريج الكيفان : ونجده بالجهة الشمالية الغربية لمدينة تلمسان ، وهو لا يبعد عن الصهريج الكبير إلا بمسافة قليلة ، ويحده من الشمال كلا من الحي الجامعي " بختي عبد المجيد " والإقامة الجامعية 19 ماي 1956 م ، ومن الجهة الشرقية الإقامة الجامعية " بختي عبد المجيد " أيضا ، ومن الغرب بنايات سكنية ، أما من الجنوب فتحيط به مجموعة محلات وبنايات سكنية بنيت على أساس الصهريج ، وشكله رباعي غير منتظم (الصورة 27) .

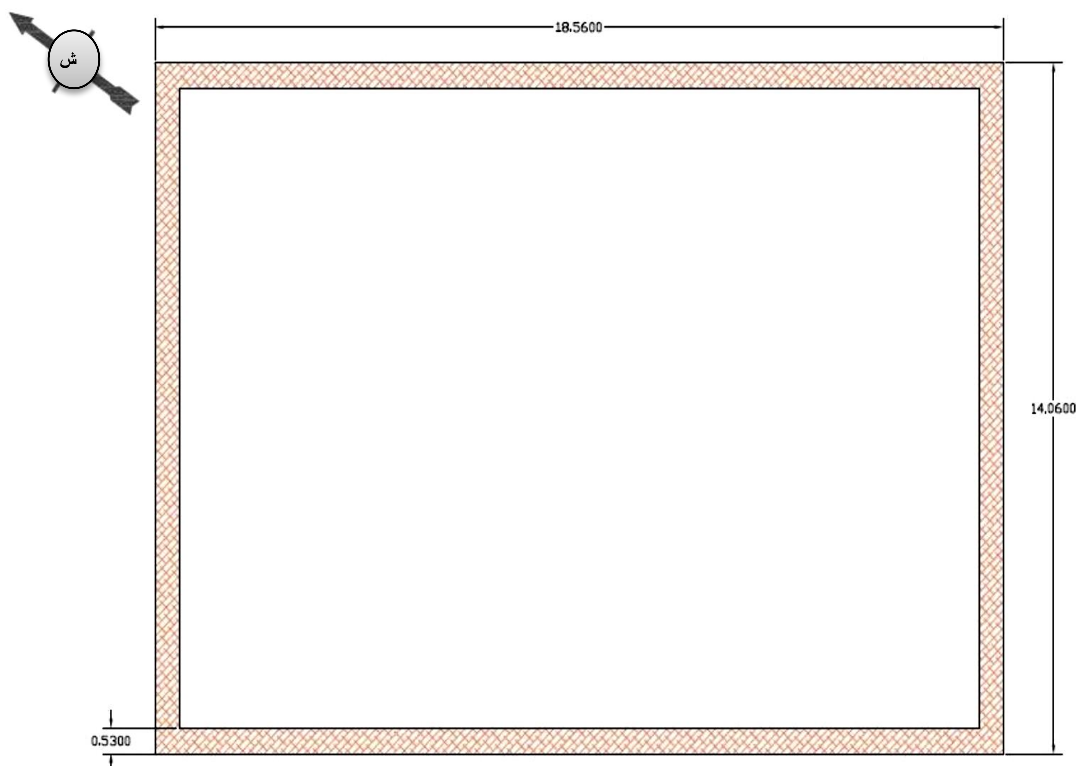


الصورة 27 : بطحاء صهريج الكيفان بمدينة تلمسان .

7.4.5. صهريج أقادير : ويقع بالجهة الشمالية الغربية للمدينة العتيقة أقادير ، قرب ضريح سيدي الداودي (اللوحة 05 : الصورة 01 والمخطط 02) .



الصورة 01 : مظهر خارجي لصهريج أقادير بمدينة تلمسان .



المخطط 02 : صهريج أقادير بمدينة تلمسان . عن محمد عطار . بتصرف .

اللوحة 05 : صورة ومخطط صهريج أقادير بمدينة تلمسان .

7.4.5. صهريج مدينة المنصورة : وسنتطرق إليه عند دراستنا للمنشآت المائية الخاصة بالمرنيين ، إضافة إلى بعض الصهاريج الأخرى المقاربة لحدوده .

إضافة إلى السدود وهي عبارة عن جدران ضخمة لحجز المياه وضبط منسوبها بواسطة بوابات تسمح بتصريف الماء الزائد الذي يخشى منه على جدار السد وأحيانا تكون السدود بدون بوابات مثل السدود الترابية [1] .

ولم تلق السدود اهتماما واسعا في مدينة تلمسان ، لوجود خزان طبيعي في أعاليها والمسمى ب " سدّ المفروش " ، هذا لا يعني خلو مدينة تلمسان تماما من السدود بل هناك العديد منها منتشرة بأحواز المدينة ، والتي استخدمت للري الزراعي [2].

وسنعرض السواقي والقنوات والأسبلة ، كتكملة للمصادر المائية بتلمسان في الفصل الخاص بالدراسة المرينية للمنشآت المائية .

إن تعدد مصادر المياه التابعة لمدينة تلمسان شجعت على استقرار الانسان بها منذ القدم ، وباعتبار الماء محور وأساس الحياة ، اعتمدت عدّة طرق لجلبه ، إما بإنشاء شبكة من القنوات متصلة بالأنهار أو الوديان المجاورة ، كالقنوات التي بناها الرومان على سفح جبل " البعل " المشرف على قرية العباد ، حيث جلبت من وادي لوريط واستغلت لسقي البساتين ومختلف المرافق الموجودة في المدينة من **حمامات ومنازل وغيرها** [3] .

ومع الفتوحات الاسلامية زاد استغلالهم لهذه الثروة الطبيعية ، وذلك لزيادة مرافق المدينة المختلفة كالمساجد والمدارس وغيرها ، بالإضافة إلى زيادة إنشاء الصهاريج وحفر الآبار بعدد كبير لكبر المدينة .

1- نوار (سامي محمد): المنشآت المائية بمصر منذ الفتح الاسلامي وحتى نهاية العصر المملوكي ـ دراسة أثرية معمارية ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ـ الاسكندرية ، ص 162 .

2 - Gsell (Stéphane) : Enquête Administrative sur les Travaux Hydrauliques Anciens en Algérie , Imprimerie nationale , Paris 1902 , P 05 – 06 .

3- بن رمضان (شاوش محمد) : المرجع السابق ، ص 51.

فشكلت مسألة التحكم في المياه ومعالجة نقص الأمطار إحدى أهم مشاكل المدن والقرى الاسلامية منذ القرون الأولى للإسلام ، إلا أن مدينة تلمسان لن تعاني من هذا المشكل على الإطلاق ، وذلك لتناسب موقعها مع العوامل المناخية والتضاريس الطبيعية ونوعية طبقات المياه ، حيث أن هذه العوامل المناخية والطبيعية ساهمت بشكل كبير في وفرة مياه المدينة ، كما أن المنشآت المائية للمدينة لعبت عدّة وظائف ، مما جعلها تشمل جلّ القطاعات الحيوية للمجتمع ، حيث تنوعت مهامها بين الاجتماعي والاقتصادي ، وفي بعض الأحيان يمتد الأمر إلى الجانب السياسي ، إذا فعمارة المياه بالمدينة لم تكتف بتوفير الماء للأهالي فحسب بل تعدته ، بالإضافة إلى النزهة والترفيه، فقد توفرت المدينة على شبكة مياه متكاملة وأدّت وظيفتها على أحسن وجه .

فما يمكن استخلاصه من الدراسة الهيدرولوجية لمدينة تلمسان ، أنها تتوفر على قدر معتبر من المياه الجوفية والسطحية في آبار واحده بسبب طبيعة تكوينها الجيولوجي ، تلك الثروة التي باشر إنسان المنطقة في استغلالها منذ أقدم العصور على حد ما استقرت عليه الدراسات والأبحاث الأثرية ، شأن الآثار الرومانية خلال الفترة القديمة ، والآثار المرابطية ونظيرتيها الزيانية المرينية خلال القرون الوسطى على سبيل الذكر لا الحصر ، أضف إلى ذلك السدود المبنية في الوقت المعاصر ، كسد مفروش المشرف على المدينة من الناحية الجنوبية ، وسد عين يوسف في الشمال وسد بني بهدل وغرارة في الناحية الغربية الجنوبية ، والغربية الشمالية منها .

6 . نافورات العمارة المرابطية وأحواضها بتلمسان :

اهتم المرابطون اهتماما كبيرا بتشييد المنشآت والعمائر خاصة منها العمارة الدينية ، لاسيما بالمغربين الأقصى و الأوسط ، كما يستدل على ذلك من نص **ابن أبي زرع الفاسي** الذي يذكر أن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين لما دخل مدينة فاس في سنة

462هـ/1060م : " ... **أمر ببناء المساجد في أحوازها وشوارعها ، وأي زقاق لم يجد فيه مسجدا عاقب أهله وجهزهم بناء مسجد فيه** ... " [1] ، ومنها المساجد التي ما زال بعضها قائما إلى اليوم ، كالمسجد الجامع بمدينة الجزائر والذي يعتبر أقدم أثر معماري، والمسجد الجامع بتلمسان ، وكذلك المسجد الجامع بندرومة ، وهي المعالم الثلاثة التي خلّدت حكم المرابطين بالمغرب الأوسط .

إلا أنه ما بقي منها حتى اليوم " **المسجد الجامع بتلمسان** " الوحيد الذي احتوى على عناصر للصناعة المائية أصلية و لم تتعرض للتغيير على عكس نظيريه ، والتي تغيرت وتم تجديدها في الفترة العثمانية ، إضافة إلى **حمام الصباغين** .

وفي ذكر الآثار التي تركها المرابطون بتلمسان إلى جانب **المسجد الكبير** يقول الدكتور رشيد بورويبة : " لم يبق من سور تاقرارت إلا باب واحد وهو باب القرمدين الذي يتكون من برجين مستديرين ، أمامهما برجين مربعين ... وبعض البنايات الجنائزية ثمانية الأضلاع تعرف بقبر أو ضريح الأميرة ، ويمتاز بأقواسه المفصصة **وحمام الصباغين** [2] .

1.6 . الجامع الكبير بتلمسان :

ويعتبر هذا المسجد الجامع واحدا من أهم مساجد المرابطين ، وهو يقع في قلب مدينة القديمة تاقرارت تلمسان حاليا ، غرب قلعة المشور [3] .

واختلف المؤرخون حول تأريخ هذا المبنى وذلك **لصعوبة قراءة المؤسس الحقيقي له لأنه طمس** اسم الأمير الذي كان منقوشا على الجص تعرض لتشويهات من طرف الموحدين عند بلوغهم تلمسان ، وما تبقى من الكتابة التأسيسية المنقوشة حول رقبة القبة

1- ابن أبي زرع (أبو الحسن علي بن عبد الله) : المصدر السابق ص 141 .
2- بورويبة (رشيد) وآخرون : الجزائر في التاريخ ، الجزء الثالث ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984 م ، ص 350
3 - بوعزيز (يحي) : المساجد العتيقة في الغرب الجزائري ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، الجزائر 2009 م ، ص 110 .

التي تتقدم المحراب إلا التاريخ فقط ، وهو 530 هـ/ 1135 . 1136 م ، وهذه الكتابة تشير إلى تاريخ الانتهاء من الأشغال الذي كان يوم جمادى الثانية سنة 530هـ ، وسمح هذا التاريخ إلى ارجاع هذا الجامع إلى فترة حكم الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين الذي حكم بداية من سنة 500 . 537 هـ /1106 . 1143 م ، هذا ما أكده الأستاذ بورويبة [1] ، ويضيف أن يوسف بن تاشفين والذي حكم بداية من 500هـ/1087 . 1106 م ، لم يكن مستعجلا لبناء جامعا بالمدينة الجديدة ، لأن أغادير المدينة المقابلة لها كانت تملك مسجدا جامعا ، غير أن جورج مارسي George Marçais يخالف هذا الرأي وينسب تشييد هذا الجامع إلى عهد الأمير يوسف بن تاشفين [2] ، الذي أقامه عند بناء مدينة تاقرارت سنة 475 هـ/1082 م معللا ذلك بأنه من غير المعقول أن هذا الأخير لم يهتم ببناء مسجد جامع بتلمسان ، وهو المؤيد والمبادر إلى بناء كما فعل في مدينة ندرومة ومدينة الجزائر ، وأن علي بن يوسف لم يقم أكثر من توسيع وتزيين هذا الجامع ، أي أن الجامع بدأ بتشييده في عهد يوسف بن تاشفين وأتم إنشاءه أيام ابنه علي ، هذا ما يؤكد الأستاذ الدكتور صالح يوسف بن قربة[3].

ويتخذ هذا الجامع شكلا مستطيلا (المخطط 12) ، يشغل مساحة يبلغ طولها 60 م وعرضها 50 م وبالتالي هو أكبر المساجد المرابطية بالجزائر [4] ، ويمكن أن نعتبر هذا الجامع مكوّنا من قسمين ملتصقين ببعضهما البعض ، وهما المستطيل السوي لبيت الصلاة ، والشبه المنحرف المماثل للصحن والأروقة التي تحيط به ، أي بناء شبه

---

1 - Bourouiba (R) : L'Art religieux ….. , Op.Cit , P 106 .

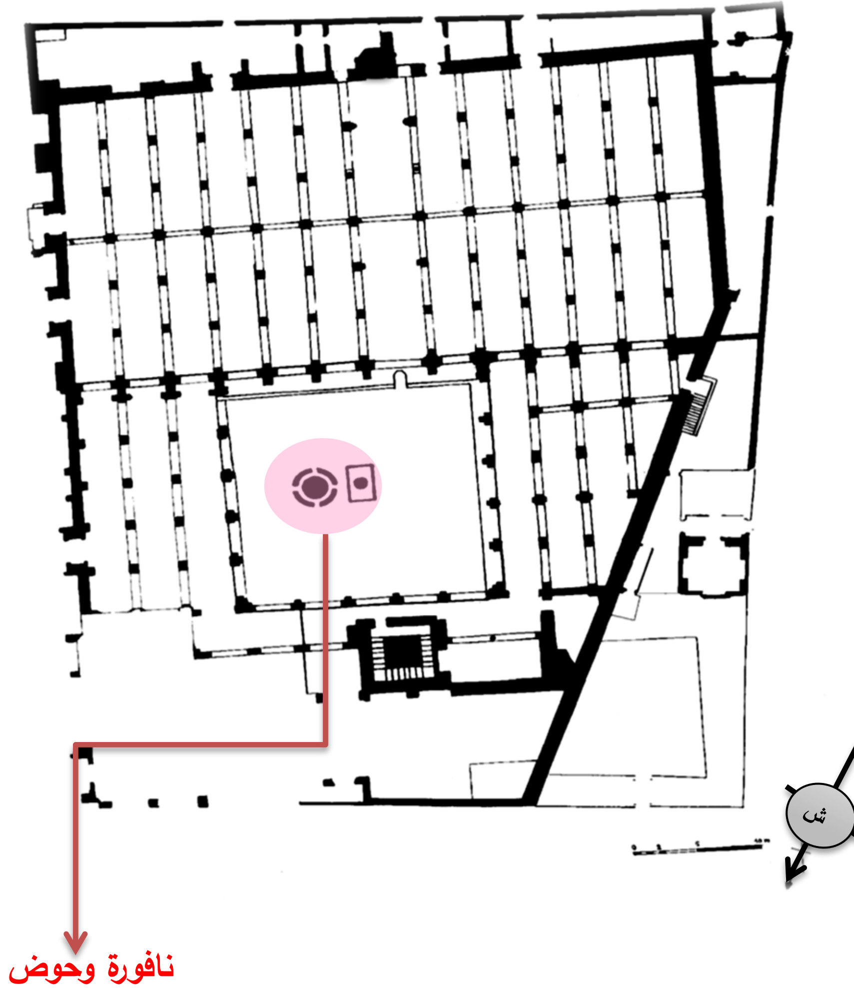
2 - Marçais (G) : L'Architecture ….., Op.Cit, P 196 .

3- بن قربة (صالح يوسف) : من قضايا التاريخ والآثار في الحضارة العربية الاسلامية ، دار الهدى ، عين مليلة الجزائر 2012 م ، ص 424 ، 425 .

4- وتتميز هذه المساجد أنها أكثر اتساعا وأقل عمقا ، وهذه الميزة انفردت بها المساجد المرابطية **وأنظر :**

- Bourouiba(R) : Op.cit, P 109 .

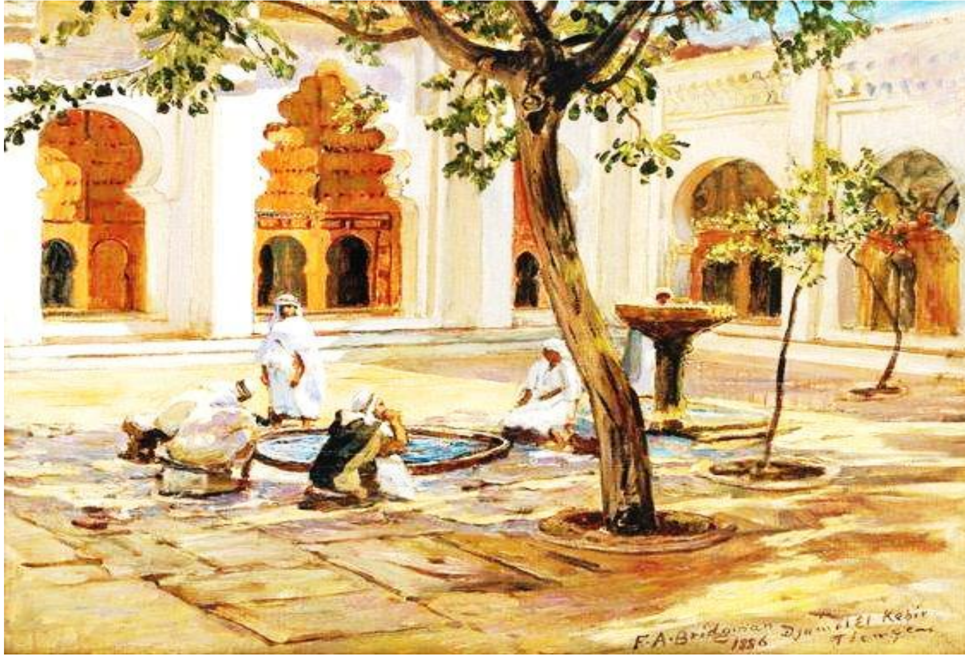
مضلع مساحته حوالي 3674 م² ، إلى جانب المئذنة التي تقع في الجهة الشمالية الشرقية من المسجد [1] .



المخطط 12 : الجامع الكبير المرابطي بتلمسان . بتصرف عن بورويبة L'art religieux .

يحتوي هذا الجامع على صحن مربع الشكل مكشوف ، طوله 16.70 م وعرض 17.50 م فمساحته 292.25 م² ، مبلّط بمربعات من الرخام ، و **يتوسطه نافورة** وحوض دائري **حديث الشكل أخذ** مكان القديم ، ومن بين أدلة ذلك الصورة التي رسمت ما بين سنة 1847. 1982 من طرف Frederick Arthur Bridgman (اللوحة 06 : الصورة 01 و 02) .

1- Marçais (G) : Op.cit , P 192 .



الصورة 01 : لوحة فنية لحوض ونافورة الجامع الكبير بتلمسان القرن 19 م

- عن Arthur Bridgman Frederick-



الصورة 02 : نافورة صحن الجامع الكبير بتلمسان بشكلها الحالي وحوضه المستحدث .

اللوحة06 : نافورة صحن الجامع الكبير بتلمسان وحوضه بشكلها القديم والحديث .

1.1.6 . نافورة الجامع الكبير بتلمسان :

صنعت من الرخام وهي أصلية ، وجاء حوضها الأول مستطيل الشكل وهو حديث من حيث بلاطاته طوله 3.10 م وعرضه ب 2.08 م وارتفاعه 52 سم ، أما سمكه فقدّر ب 27 سم .

يتوسط الحوض المستطيل نافورة بسيطة ارتفاع قاعدتها السفلية 1.50 سم وعرضها ب 12 سم ، أما جذعها الاسطواني البسيط الموالي للقاعدة الأسطوانية البسيطة من حيث بروزها وارتفاعه 74سم وعرضه 68 سم ، ثم وسادة أسطوانية ارتفاعها 6 سم وعرضها 70 سم ، ونجد بعدها تاج ذو شكل مربع بإحدى واجهتيه نتوءات ربما سبّبها التآكل ارتفاعه 26 سم وعرضه 23 سم .

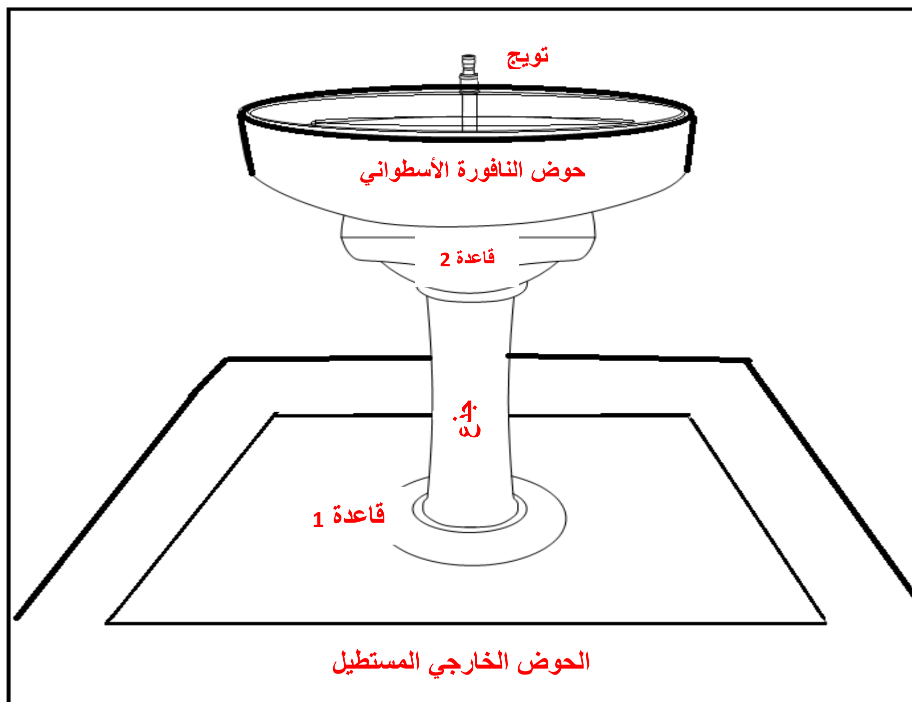
كما وجدنا وسادة ثانية أسطوانية ارتفاعها 6 سم وعرضها 48 سم ، لنجد بعدها قاعدة مربعة ارتفاعها 49 سم وعرضها 51 سم .

ثم الحوض العلوي للنافورة و سمكه 3 سم وقطره 37 سم ، وقد تميز بغلظته في قاع القاعدة مقارنة بحوافه ، التي وجدناها أقل سمكا بكثير ما أودى ببعض الأجزاء منها إلى الانكسار ، يتوسطه تويج بسيط ارتفاعه 32 سم وعرضه بين 2.5 و3.5 سم (اللوحة 07 : الصورة 01 و الشكل 02) .

والنافورة حاليا لا تعمل ، فلا يسيل الماء في قنواتها وأحواضها لأسباب نجهلها رغم أنّها لازالت قائمة بمكانها ، كما وأن قنوات النافورة الأرضية المزوّدة لها بالماء سدّت لتموّل الحوض الدائري المجاور لها .



الصورة 01 : الحوض المستطيل ونافورته بالجامع الكبير بتلمسان



الشكل 02 : الحوض المستطيل ونافورته بالجامع الكبير بتلمسان . من عمل الطالبة .

اللوحة 07 : نافورة صحن الجامع الكبير المرابطي وحوضها المستطيل

ودققنا في وصف النافورة في بطاقة تقنية وجاءت كالتالي :

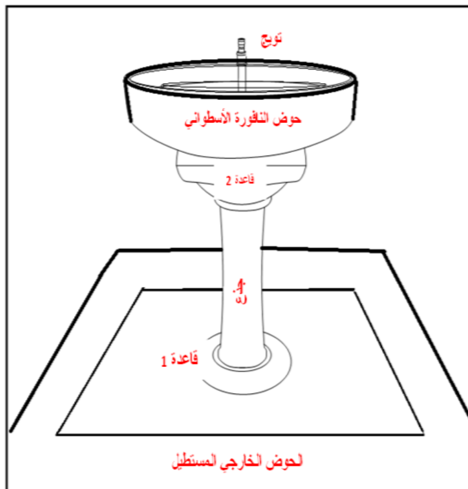
البطاقة التقنية رقم 13 : نافورة الجامع الكبير المرابطي بتلمسان .

رقم الجرد	12
اسم العنصر المعماري	نافورة
التسمية المحلية	فوارة
المادة	رخام
اللون	بني فاتح
الوظيفة	حفظ الماء للوضوء
الفترة	مرابطية
المصدر	الجامع الكبير بتلمسان
المقاسات	طول الحوض الخارجي المستطيل 3.10 م ، وعرضه 2.08 م ، ارتفاعه 52 سم ، سمك 27 سم. ارتفاع قاعدتها السفلية 1.50 سم وعرضها 12 سم ، ارتفاع بدنها الاسطواني 74سم ، عرضه 68 سم . ارتفاع الوسادة الأسطوانية 6 سم ، وعرضها 70 سم ارتفاع التاج المربع 26 سم ،عرضه 23 سم ارتفاع الوسادة الثانية الأسطوانية 6 سم ،وعرضها 48 سم ارتفاع القاعدة المربعة 49 سم وعرضها 51 سم قطر الحوض العلوي للنافورة و37 سم سمكه 3سم. ارتفاع التويج البسيط 32 سم وعرضه بين 2.5 و3.5 سم .
تقنية البناء	مركبة
تقنية الزخرفة	/
مكان الحفظ	صحن الجامع الكبير بتلمسان
طريقة الاكتشاف	بناء لا يزال بصحن الجامع الكبير بتلمسان
حالة الحفظ	متوسطة
الوصف	نافورة بحوض مستطيل الشكل حديث البلاطات تتوسطه نافورة من الرخام وهي أصلية ، بها قاعدة سفلية بدنها اسطواني بسيط موالي للقاعدة الأسطوانية البسيطة من حيث بروزها ، ثم نجد وسادة أسطوانية، بعدها تاج ذو شكل مربع بإحدى واجهتيه نتوءات ربما سببها التآكل ، ثم وسادة ثانية أسطوانية لنجد قاعدة مربعة الحاملة للحوض العلوي بالنافورة ، وقد تميز بغلظته في قاع القاعدة مقارنة بحوافه، التي وجدناها أقل سمكا بكثير ما أودى ببعض الأجزاء منها إلى الانكسار ، و يتوسطه تويج حديدي بسيط .
بيبليوغرافيا	/

الصورة



الشكل



2.1.6 . حوض الجامع الكبير بتلمسان :

دائري الشكل مكان الحوض الأصلي بحجم أصغر، من الرخام الأبيض ، تحيط به مقاعد أسطوانية متقطعة التواصل بفاصل قدّر ب 50سم ، وعددها خمس (5) ارتفاعها 24.50 سم وعرضها 44 سم وطولها 1.85 م وسمكها 2.50سم .

وتلي تلك المقاعد ساقية بارتفاع 11سم وعرض 8 سم ، ثم الساقية الثانية والتي يمثّل ارتفاعها ارتفاع الحوض الدائري والذي قدّر ب 22 سم وسمك قدّر ب 8.50 سم .

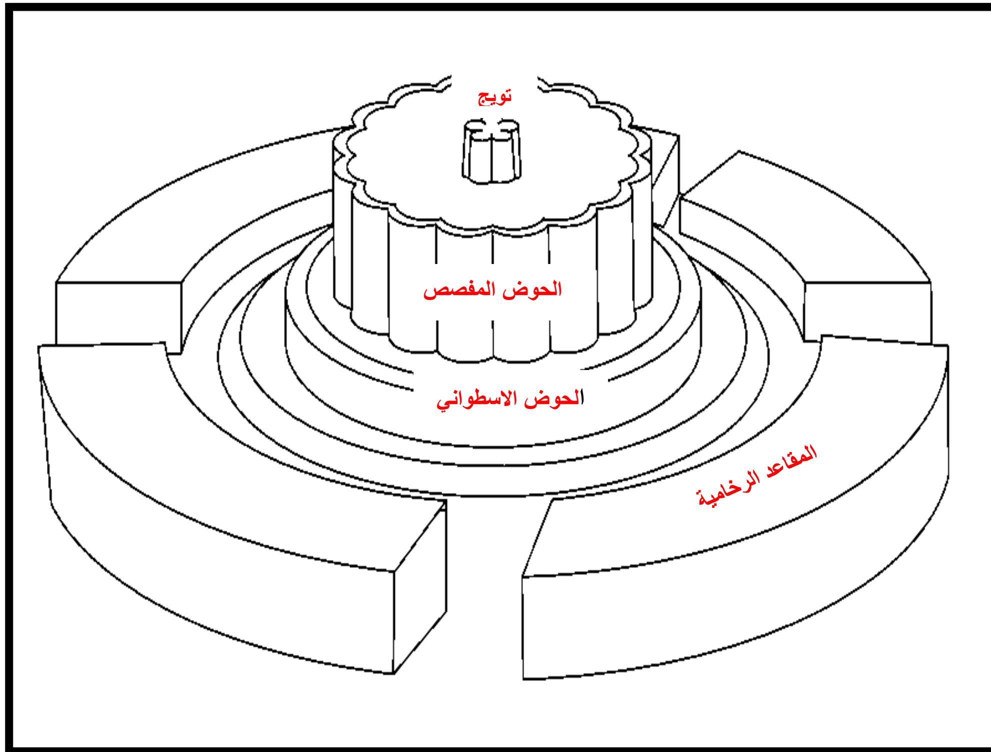
لتتوسط تلك المقاعد والساقيتين والحوض الأسطواني فوارة أو حوض مائي للشرب والوضوء وهو ذو قاعدة أسطوانية ارتفاعها 12 سم وشكل حوضه مقعر من الداخل محدب من الخارج مفصص بأربع وعشرين (24) فصا ، ارتفاعه 20 سم وسمكه 1.50سم ، يتوسطه تويج بشكل بتلة مغلقة لنفس شكل الحوض المفصص طوله 18.50 وعرضه 7 سم (اللوحة 08 : الصورة 01 والشكل 02) .

ويجري لهذا الأخير ماء من الحوض الأول بواسطة قناة مضمرة لا يظهر منها سوى الغطاء الخارجي لها من الرخام الأبيض الذي بلّطت به أرضية الصحن .

كما وكان للمسجد ميضاء منفصل عن مبنى الجامع لكنّه اندثر وعوّض ببناء حديث داخل المسجد بزاوية جهته الجنوبية وهي عبارة عن مراحيض ، لها صحن صغير مكشوف وأحواض للوضوء وعدة بيوت خلاء .



الصورة 01



الشكل 02 . من عمل الطالبة .

اللوحة 08 : الحوض الدائري بالجامع الكبير المرابطي بمدينة تلمسان

ورغم حداثة بناء هذا الحوض إلا أن قاعدته احتلت مكان الحوض الدائري الأصلي ، فأبينا وضع بطاقة تقنية توضيحية له ، وجاءت بصورتها التالية :

. البطاقة التقنية رقم 14 : الحوض الدائري بالجامع الكبير بمدينة تلمسان .

رقم الجرد	13
اسم العنصر المعماري	حوض
التسمية المحلية	فوّارة
المادة	رخام
اللون	أبيض
الوظيفة	الوضوء والشرب
الفترة	مكان الحوض المرابطي أما بناءه حديث
المصدر	الجامع الكبير بتلمسان
المقاسات	تباعد الفواصل بالمصاطب الأسطوانية الخمس قدّر ب 50سم و ارتفاعها 24.50 سم وعرضها 44 سم وطولها 1.85 م وسمكها 2.50سم . ارتفاع الساقية الأولى 11سم وعرض 8سم، ارتفاع الحوض الدائري والذي 22 سم وسمكه 8.50 سم . ارتفاع قاعدة الحوض الأسطوانية 12سم
تقنية البناء	مركبة
تقنية الزخرفة	القالب
مكان الحفظ	صحن الجامع الكبير بتلمسان
طريقة الاكتشاف	ترميم وإضافة بعض الزيادات المستحدثة
حالة الحفظ	جيّدة
الوصف	حوض دائري الشكل مكان الحوض الأصلي ، تحيط به مصاطب أسطوانية متقطعة التواصل ، وهي من الرخام وعددها خمس ، وتلي تلك المقاعد ساقية أولى ، ثم الساقية الثانية والتي تمثّل ارتفاعها ارتفاع الحوض الدائري ، لتتوسط تلك المقاعد والساقيتين والحوض الأسطواني فوارة أو حوض مائي للشرب والوضوء وهو ذو قاعدة أسطوانية وشكل حوضه مقعر من الداخل محدب من الخارج، مفصص بأربع وعشرين فصا ،و يتوسطه تويج بشكل بتلة .
بيبليوغرافيا	/

الصورة

الشكل

كما وجدت الحمامات بمدينة تلمسان في معظم أحياء المدينة ، وكانت تستمد مياهها من الشبكة العمومية أو الآبار ، و بتلمسان ما يعود بعضها للفترة المرابطية كحمام **الصبّاغين** بالمدينة ، **وحمام البالي** الرجالي بندرومة .

2.6. أحواض حمام الصباغين بمدينة تلمسان :

ويعود تشييده إلى منتصف القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي 7هـ/13م ، وورد ذكره في الرحلة المغربية للعبدري عندما زار هذا الرحالة تلمسان وأقام بها سنة 688 هـ / 1289 . 1290م ، وقال عنه " وبه (بلد تلمسان) حمامات نظيفة ومن أحسنها وأوسعها وأنظفها حمام العالية وهو مشهور وقلّ أن يرى له نظير " [1] ، ويقع هذا الحمام في درب كانت به دكاكين الصباغين ، كما يعرف كذلك بحمام سيدي أحمد بن الحسن الغماري المتوفي بتلمسان سنة 874هـ/1469 . 1470م ، وهو من أهم الحمامات التي لا تزال محافظة على بعض آثارها، الواقع في الجهة الشمالية الشرقية للمدينة ، الذي يشتمل على ثلاث قاعات : الأولى لنزع الثياب والراحة و تتوسطها **نافورة ماء**، والثانية دافئة ، أما القاعة الثالثة وهي الأساس مزودة **بقنوات في الجدران أو تحت التبليط ، خصصت لملأ الحوضان بالماء البارد والآخر للساخن ، علما أن قنوات هذه الأخيرة متصلة بقاعة التسخين " بالفرناق"** [2] ، وقد تعذر علينا أخذ الصور والمقاسات لحالة المعلم المزرية وكانت لنا صورة واحدة فقط لواجهته الرئيسية (الصورة 28) أصلا وجدناه مغلقا ، فالحمام ملكية خاصة ولا أحد يعرف كيف الوسيلة للاتصال بملاّكه.

1- العبدري (أبو عبد الله محمد) : الرحلة المغربية ، المصدر السابق ، ص 255 .
2- مارسي (جورج) : تلمسان ، ترجمة : دحماني سعيد ، دار التل ، الجزائر 2007 م ، ص 45 - 46 .



الصورة 28 : مظهر خارجي لحمام الصباغين بتلمسان .

3.6 . <u>أحواض الحمام البالي بمدينة ندرومة</u> :

ويعتبر من أقدم الحمامات على مستوى الجزائر ، ويعود تاريخ بناءه إلى العهد الدولة المرابطية ، ويقع في وسط المدينة القديمة ، بحي التربيعية وراء الجامع المرابطي الكبير، وهو مصنّف وطنيا منذ سنة 1912 م ، وقد أعيد ترميمه سنة 2003م ، ليفتح أبوابه من جديد أمام أهالي المدينة ، ولا يزال يحافظ على ميزاته التي عرفت بها الحمامات العربية الاسلامية في أغلب المدن العربة الاسلامية ، وقد احتوى على : **المدخل** ويتميّز بالباب الخشبية ، أما الهيكل فهو مقوّس ، ويبلغ ارتفاع الباب حوالي مترين ، كما أنه ينحدر نحو الأسفل عبر درجات يقدّر عددها بعشرة .

وتلي **قاعة الاستقبال** المدخل مباشرة ، ويميزها العمودان اللذان يتوسطانها ، وطولهما 1.08 م ، وتنتهي بعقدين اثنين ، أما **قاعة الاستراحة** فهي قاعة صغيرة مقابلة للقاعة الباردة وطولها 5.5 م وعرضها 2.5 م ، وتستخدم للاستراحة بعد الانتهاء من الاستحمام ، وتكون مرفقة ببعض الكراسي يتمدد عليها الزبائن ، ثم **القاعة الباردة** ونجدها بعد قاعة الاستقبال بباب صغيرة ، وتستخدم كذلك لتغيير الملابس ، وهي مربعة

الشكل بأعاد 9 م × 9 م ، تتوسطها أربعة أعمدة طولها 1.80 م، وينتهي كل عمود بعقد، أما السقف فتغطيه قبة مثقبة تسمح بمرور الضوء وبالتالي إضاءة القاعة .

ثم نجد **القاعة الساخنة** وهي مستطيلة الشكل ، وتربطها بالقاعة الباردة باب صغيرة ، ونجد بزاويتي القاعة خزانين أو صهريجين ، بالزاوية اليمنى صهريج يملأ بالماء البارد مربع الشكل حتى بالنسبة للبوابة المربعة التي تشرف عليها ، وسعة الصهريج أو الخزان أكثر من 1000ل، وتمر عبر أنبوب يتصل بقاعة التسخين ، وبالزاوية اليسرى للقاعة نجد أيضا صهريج مربع الشكل وهو مخصص للماء الساخن .

وتوجد بجانبها **قاعة التسخين** ولها مدخل خاص بها وهي مخصصة للقائمين على الحمام ، وهي قاعة مستطيلة الشكل ، بها خزّان كبير للماء البارد عند اليسار ، أما في الوسط فنجد خزانا مائيا من الحديد ، وأسفله مباشرة نجد الفرن الذي يعمل حاليا بالمازوت ، لكن لا يزال جناح خاص بتخزين الحطب الذي كان مصدر الوقود للحمام .

ونستنتج من خلال ما جمعناه من معلومات عنه أنه يحتوي على غرفة باردة بعد مدخل مزدوج الأبواب ، وغرفة وسطى دافئة مدعمة جدرانها وسقفها مقبب نفس ما نجده بالغرفة الساخنة ، هاته الأخيرة بها أحواض لغرف جامعة للماء الساخن والبارد وكذا أحواض صغيرة لغرف الماء المستعمل في الغسل ، **و هذا كله حسب وصف العامل بالحمام وكذا الأستاذ فيسة محمد رابح والذي كان مرافقا لنا أثناء العمل الميداني** ، فقد تعذّر علينا قياسها وتصويرها كونه حمام رجالي وحين زيارتنا له كان قيد العمل ولم نتعرّف سوى على المدخل وقاعة الاستقبال والقاعة الباردة المقببة (الصورة 29) ، وطريقة تسخين الماء به طبيعية عبر حجرة الفرناق بالجهة الخلفية للغرفة الساخنة التي كانت باستعمال الحطب.



الصورة 29 : القاعة الباردة بالحمام البالي . مدينة ندرومة بتلمسان .

ونستنتج أن كلّما انتشر الاسلام وتوسّع المسلمون في فتوحاتهم لشتى أرجاء البلاد ، حيث أصبحت الدولة الاسلامية تضم العديد من المدن في مختلف الأصقاع ، وبمراعاة المستلزمات الأمنية والمعيشة للمسلمين تم ابتكار فكر خاص بتخطيط المدن ، ووضعوا شروطا لاختيار موقع المدينة **ويعتبر الماء شرطا أساسيا** من هذه الشروط ، حيث يقول ابن خلدون : " ... وأما جلب المنافع والمرافق للبلد فيراعى فيه أمور، منها بأن يكون البلد على نهر أو بإزائها عيون عذبة ، فإن وجود الماء قريبا من البلد يسهل على الساكن حاجة الماء وهي ضرورية ، فيكون لهم في وجوده مرفقة عظيمة عامة ..."[1] ، فعرفت بهذا الحضارة الاسلامية تقدما مزدهرا في مجال المنشآت المائية لا تقل أهمية عما عرف في الحضارات السابقة كالإمبراطورية الرومانية وغيرها .

1- ابن خلدون (عبد الرحمان) : المقدمة ، المصدر السابق ، **وأنظر :** ابن أبي الربيع (أحمد) : سلوك المالك في تدبير الممالك ، تحقيق عارف أحمد عبد الغني ، دار كنان الرياض ، ص 106 ، **وأنظر أيضا :** عثمان (محمد عبد الستار) : المدينة الاسلامية، عالم المعرفة ، الكويت 1988 م ، ص 243 .

وقد اشتهر العصر المرابطي بالغنى والثروة التي تعتبر الوقود لقيام أي حركة فنية ، مما أعطى قوة دفع للحضارة الأندلسية وفتح أبواب المغرب ليتلقى مزيد من التأثيرات الأندلسية التي بدأت تتدفق نحو المغرب [1] ، ولأول مرة يرتبط المغرب والأندلس في وحدات فنية وثيقة ، فقد أقام المرابطون الكثير من المنشآت والعمائر خاصة منها الدينية، إذ كان يوسف بن تاشفين يأمر ببناء المساجد ليس في كبريات التجمعات السكانية فحسب [2] .

ومدينة تلمسان تتوفر على ثروة مائية معتبرة ، حيث كانت من بين الأسباب الرئيسية المساعدة على استقرار الانسان بها منذ القدم إلى اليوم من غير انقطاع ، وصبغها بعمران حضاري لعلّ من أبرز محطاته التاريخية مرحلة القرون الوسطى التي عادت فيها مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط برمته طيلة ثلاث قرون من الزمن بحكم أسر خلّفت منشآت مائية كثيرة في هذا الصدد ، لا تقلّ أهميته عن منشآت الأندلس في الحضارة العربية الاسلامية .

ولمنشآت الموحدين المائية وسياستها تأثر ظاهر في ملامحه بسبب الاحتكاك الضروري من خلافات سياسية وغيرها ، ولاشتراكهما في نقطة واحدة ألا وهي مدينة تلمسان ، فتوجب علينا تبيين تلك العلاقة لتتبين لنا أوجه التأثر .

1- بن قربة (صالح يوسف) : المسكوكات المغربية من الفتح الاسلامي حتى سقوط دولة بني حماد ، الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب 1986 م ، ص 519 .

2-بن قربة (صالح يوسف) : المسكوكات في الحضارة الاسلامية (مسكوكات المغرب) ، الجزء الثاني ، الطبعة الأولى ، الجزائر منشورات الحضارة 2009 م ، ص 229 .

7. الموحدون وسياستهم المائية ذات التأثير المرابطي :

تداخلت الأحداث التاريخية في المغرب الأوسط منذ بداية ظهور الموحدين خاصة على أرض تلمسان ، فكان لعبد المؤمن[1] مؤسس الدولة الموحدية [2] علاقة وثيقة بالمدينة فأحوازها شهدت مولده في قرية تاجره [3] ، وأسواقها اختارها والده لبيع الفخار[4] ، ومساجدها كانت منهل العلم له من خلال علمائها [5] ، فمرت ظروف ومواقف معينة دفع الموحدين للتوجه والسيطرة على تلمسان ، وهذه الظروف هي :

– قيام قبيلة زناتة بالتعاون مع قبيلة بني عبد الواد بمواجهته بني ومانوا حلفاء الموحدين وقتل زعيمهم زيري بن ماخوخ ، مما دفع عبد المؤمن بن علي الأمير الموحدي للتحرك نحو تلمسان ودخولها بصحبة تاشفين بن ماخوخ سنة 536هـ/1142م، لفترة قصيرة ثم غادروها [6] .

1 - هو عبد المؤمن بن علي الكومي نسبة إلى كومية ، وهي قبيلة صغيرة كانت تسكن ساحل البحر بضواحي هنين من أعمال تلمسان ، ولد بقرية تاجرة سنة 487هـ/1094 م في عهد يوسف بن تاشفين ، من أب كان يشغل بالطين ، قدّر له أن يسجل اسمه ضمن قائمة العظماء من مؤسسي الدولة في الحضارة العربية الاسلامية ، وقاد الموحدين وفق سياسة حكيمة ودهاء إلى أن توفي سنة 558هـ/1063 م ، **أنظر :** المراكشي (عبد الواحد) : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي ، القاهرة 1949 م ، ص 197 .

2- ظهرت الدولة الموحدية 524 – 668 هـ/1130 - 1269 م على يد محمد بن تومرت بعد عودته من الشرق ، حيث دخل بجاية وخرج منها ، ثم التقى مع عبد المؤمن ابن علي في تلمسان حوالي 510 هـ/1115م ، ثم وجه محمد بن تومرت نحو المغرب الأقصى ومعه أتباعه ومنهم عبد المؤمن ، وبدأ محمد بن تومرت وجماعته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومخالفة المرابطين في بعض الأمور الدينية ، ركز محمد بن تومرت على تجميع كلمة قبائل مصمودة ضد صنهاجة ، وأخذ ابن تومرت وجماعته من قرية تينمل قرب جبال السوس داخل قبيلة هرغة مركزا له ، وبدأ ينظم قبائل مصمودة (التي تتكون من عدة قبائل) تنظيما عسكريا دينيا وجعلهم طبقا ، وبعدها بدأ ابن تومرت بمهاجمة المرابطين ، بعد وفاة ابن تومرت سنة 524هـ/1130 م بايع الموحدون عبد المؤمن بن علي خليفة بعده ، بدأت بعدها عملية تنظيم الدولة الموحدية ، والتوسع على حساب المرابطين ، وسيطر الموحدون على المغرب والأندلس من برقة شرقا إلى الأندلس غربا ، **أنظر :** ابن الخطيب (لسان الدين) : أعمال الأعمال ـ تاريخ المغرب في العصر الوسيط ، تحقيق : أحمد مختار العبادي ومحمد ابراهيم الكتاني ، دار الكتاب ، الدار البيضاء 1964 ، الجزء الثاني ، ص 266 ، و الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص 3 - 18 .

3- ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر) : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، الجزء الثاني ، ص 305 ، **وأنظر :** المراكشي : المعجب ، ص 129 .

4- ابن الخطيب : أعمال الأعمال ، الجزء الثالث، ص 271 ، وأنظر : ابن خلدون (عبد الرحمان) : العبر ، الجزء السادس ، ص 162 .

5 - الفاسي : الأنيس المطرب ، المصدر السابق ، ص 183 .

6- ابن القطان (أبو محمد حسن بن علي بن عبد الملك الكتامي) : نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان ، تحقيق محمد علي مكي ، دار المغرب الاسلامي ، بيروت 1990 ، ص 254 ، الناصري : الاستقصا ، المجلد 1 ، الجزء الثاني ، ص 105 .

– قيام تحالف في المغرب الأوسط ضم قبيلة زناتة والمرابطين ضد التوسع الموحدي في المنطقة ، خصوصا بعد كسب الموحدين ليحي ابن اسحاق المعروف ب" انكمار" والي تلمسان المرابطي ، فبقيام الدولة المرابطية طرد الوالي ، وعيّن محلّه محمد بن يحي بن فانوا واليا جديدا على تلمسان ، مما استدعى تدخل الدولة الموحدية لإنقاذ حليفها الوالي المعزول [1] ، إضافة إلى العلاقة القديمة بين تلمسان وعبد المؤمن بن علي .

دخل الموحدون تلمسان على مرحلتين ، الأولى سنة 538هـ/1144 م بقيادة عبد المؤمن بن علي ، وعسكروا عند جبل الصخرتين قرب كهف الضحاك المطل على تلمسان ، في نفس الوقت تجمع المرابطون في تلمسان قرب باب القرمادين بقيادة تاشفين بن علي ، وبعد مناوشات بين الطرفين دخل الموحدون تاكرارت بعد حصارها عدة أشهر[2].

ذكر المؤرخون [3] أنه بعد دخول الموحدين لتاكرارت قاموا بقتل معظم سكان المدينة ويرى الباحث أن سبب ذلك يعود لطرد سكان وفقهاء تلمسان محمد بن تومرت [4] ، وعبد المؤمن بن علي قبل سنوات بسبب آرائهما الفقهية المخالفة لآراء المرابطين [5] .

في المرحلة الثانية حاصر الموحدون القسم الثاني من المدينة والمعروف باسم أجادير الذي استعد للحصار حيث أغلقت الأبواب وتحصن الناس وراء الأسوار وتأهبوا للدفاع

1- ابن خلدون (عبد الرحمن) : العبر ، الجزء السادس ، ص 22 .
2- الفاسي : الأنيس المطرب، ص 125 ، 166 ، النويري (شهاب الدين أحمد عبد الوهاب) : نهاية الأرب في فنون الأدب : ص 292 ، الناصري : الاسقصا ، المجلد 1 ، الجزء 2 ، ص 70 .
3- مجهول : الحلل الموشية ، ص 125 ، النويري : نهاية الأرب ، ص 291 ، الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، الجزء الثاني، ص 9 .
4- لتفاصيل عن محمد بن تومرت أنظر : القلقشندي : صبح الأعشى ، الجزء الخامس ، ص 115 ، 126 .
5- المراكشي : المعجب ، ص 159 ، وأنظر ابن الخطيب : أعمال الأعمال ، الجزء الثالث ، ص 267 .

عن المدينة أمام الموحدين [1] ، ترك عبد المؤمن مهمة حصار المدينة للقائد ابراهيم بن جامع [2] .

ودام الحصار لأجادير سنة (هكذا) [3] ، نصّب خلالها الموحدون المجانيق وأبراج الخشب ، ولم يستطع الموحدون دخول المدينة إلا بعد خروج الحامية المرابطية منها ، وقد تأثرت تلمسان بالدخول الموحدي إليها ، فقد وصف النويري في نهاية الأرب ذلك قائلا : " ... ونهبت الأموال وسبيت الذراري والحرم ، وبيع من لم يقتل بأبخس الأثمان وأخذوا من الأموال والجواهر مالا يحصى ، وقيل قتل مئة ألف " [4] .

وقد يكون الدليل والسبب في ذلك هو استمرارهم في الحصار حوالي عام ، فكان ذلك بمنزله انتقام من السكان لمقاومتهم ، وحتى تكون المدينة عبره للمدن التي سيتوجه نحوها الموحدون مستقبلا ، إلا أن عدد القتلى الذي ذكره النويري مبالغ فيه ، فبدخول الموحدين للمدينة انخفض عدد السكان فيها بشكل كبير بسبب موت عدد منهم أثناء الحصار ، وقتل قسم آخر أثناء دخول الموحدين المدينة ، وهروب قسم منهم خارج المدينة أثناء الحصار .

اهتمت الدولة الموحدية بتلمسان ، فقد أعاد الموحدون بناء المدينة بعد أن دمروها أثناء الحصار ، وجلبوا إليها الناس وأسكنوهم فيها لإعادة إعمارها ، وأقاموا فيها المباني والقصور الفاخرة ، وحصنوها بالأسوار والخنادق [5] .

1 - النويري : المصدر السابق ، ص 291 .

2 - ابراهيم بن جامع ، أحد المقربين العشرة للخليفة عبد المؤمن الموحدي ، تولى ولاية فاس وتلمسان ، كان مسؤولا عن نقل الغنائم الموحدية من المغرب الأوسط إلى مدينة تينمل ، **أنظر :** الناصري : الاستقسا ، الجزء الأول ، ص 108 .

3- النويري: المصدر السابق ، ص292 ، أما الفاسي في الأنيس المطرب ص 132 فقد ذكر أن الحصار استمر حتى سنة 544هـ .

4 - النويري : المصدر السابق ، ص 291 .

5- ابن خلدون (عبد الرحمان) : العبر ، الجزء السابع ، ص 78 .

وقد أصبحت المدينة مركزا للولاية الممتدة من ملوية غربا إلى نهر مينه شرقا ، عندما قسم عبد المؤمن البلاد بين أبنائه ، خرجت من نصيب ابنه ابي حفص عمر [1] ، وكان الوالي على تلمسان مسؤولا عن القبائل الهلالية ومراقبتها [2] ، وكانت المدينة مركزا للجيوش الموحدية المتجهة نحو الشرق وخاصة أثناء مقاومة ثورة ابن الغانية [3] .

كما أصبحت المدينة أحد المراكز العلمية في الدولة ، وإحدى المدن التي تعلم فيها أبناء الخلفاء والأمراء الموحدين ، كما كان محصنة أيام الموحدين بدليل أنهم استخدموها كمنفى أو سجن للخارجين عن الدولة[4] (الخريطة 08) .

الخريطة 08 : الدولة الموحدية في أوج توسعها . عن أطلس التاريخ العربي الإسلامي . بتصرف

1- ابن صاحب الصلاة (عبد الملك) : المن بالامامة ، تحقيق عبد الهادي التازي ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى 1964 م ، ص 174 ، والنويري : نهاية الأرب ، ص 308 .

2- ابن خلدون (عبد الرحمن) : العبر ، الجزء السادس ، ص 21 ، **وأنظر :** الميلي (مبارك) : تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ص 314 .

3- ابن القطان : نظم الجمان ، ص 225 ، الناصري : الاستقصا : المجلد الأول ، الجزء الثاني ، ص 120 .

4- ابن خلدون (عبد الرحمان) : كتاب العبر ، الجزء السادس ، ص 277 .

و حسب قول صاحب كتاب روض القرطاس بأن الخليفة عبد المؤمن الموحدي بني قناة لتوصيل الماء من العين المسمّاة غبولة Ghaboula إلى الرباط سنة 545هـ/1150 م، وبما كتبه قبله صاحب كتاب الاستبصار من أن الخليفة أبا يعقوب . يوسف بن عبد المؤمن والد يعقوب المنصور . أمر ببناء مدينة كبيرة متصلة بالقصبة التي أحدثها الإمام أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي ، وفي هذه القصبة جامع وقصور وصهاريج للماء أمام الجامع مجلوب من نحو عشرين ميلا [1] .

ويستنتج بذلك باصت Basset أن القناة المعنية هي تلك التي كان يصل عن طريقها ماء عين غبولة إلى المواجل التي تحدث عنها صاحب كتاب الاستبصار ، وهو خاص بتزويد مسجد عبد المؤمن والقصر وكذلك الجيوش المعسكرة في الضواحي ، فهو يشكل نموذجا كثير الأهمية من عمل كبير للصالح العام ، أنجز في وسط القرن الثاني عشر الميلادي[2] .

وبالقرب من مدينة **أغمات** [3] حاضرة المصامدة ، الواقعة بالمغرب الأقصى ، توجد حسب الزهري القرن 6هـ/12م " البركة العظيمة التي تجتمع فيها مياه أغمات كلها ، وهي كثيرة الفواكه والزرع والضرع " [4] .

وقد تم اكتشاف سدا و مواجل قديمة في ممر سيدي بوعثمان في شهر ماي سنة 1947 م [5] ، على بعد 40 كلم من **مراكش** [6] عند حدود السهل ، وفي تعليقه على هذا

1- الاستبصار لمؤلف مجهول ، ص 26 - 27 ، وأنظر :
- Basset (H) : « Un acqueduc almohade à Rabat » , Revue Africaine , Soixante quatorzième année , No 316 - 317 , 3 éme trimestre 1923 , P 526 .
2 - Basset (H) : Op.cit , P 527 , 528 .
3 - أغمات مدينة تاريخية قديمة ، تقع على بعد 37 كلم جنوب شرق مدينة مراكش ، وقد اندثرت اليوم ولم يبق منها سوى بعض الأطلال ، **أنظر :** البكري : المصدر السابق ، ص 153 .
4 - الزهري (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر) : كتاب الجغرافية ، تحقيق محمد صادق ونشره ، L'institut français de Damas , Bulletin orientales ,T XXI , année 1968 , P 117 .
5 - Alain (CH) : Les Citernes et Les Margelles de Sid-Bou-Othman , Espérais , T 38 , année 1951 , 3 et 4 éme trimestre , P 423 .
6 - مراكش مدينة تبعد عن الرباط بمسافة 326 كلم عاصمة جنوب المغرب ، أسسها يوسف بن تاشفين سنة 454 هـ/1062م، **أنظر :** ابن الخطيب (لسان الدين) : المصدر السابق ، ص 77 .

الاكتشاف ذهب إلى القول أنها تذكّر بشكلها وبنائها بمواجل القرن الثاني عشر الميلادي وخاصة مواجل المساجد آنذاك ، وتساءل نفس الباحث ما إذا لم يكن الأمر متعلقا بأحد الأعمال المائية الكثيرة التي أنجزها أبو يوسف يعقوب المنصور الموحدي ، وهذه فرضية يؤكد صحتها في نظره الجسر الذي أقامه الموحدين بمدينة تانسيفت بمراكش ، والمكتشفات الحديثة بالبحيرة من مواجل وساقية اليعقوبية ، وهي تقع في نفس الطريق الذي يربط إمارات المغرب الأقصى بفاس [1] .

ومردّ ظروف هذا الانشاء إلى كون الأمطار النادرة والغزيرة جدا ، عندما تسقط بناحية سيدي بوعثمان أحدثت في النهاية حفرا متصلا بتلعات [2] ، غالبا ما تكون واسعة جدا وهي تزود منخفض السد المسمى أوالمسجون ، والوادي المسمى بوعثمان هو أحد هذه التلعات الهامة ، وقد سدّ بمبنى طوله 105 م لتزويد تسع مواجل تقدر سعتها الاجمالية ب 3254 م³ ، ولتفادي دخول الطمي الذي تحمله مياه الفيضانات إلى المواجل أنشأ ماجلا للتصفية ، بين القناة والخزانات ، طوله 12.50 م وعرضه 06 م وعمقه 1.50م، وهو محفور في الشيست ومجهز من الداخل بكيفية تجعله متماسكا بطلاء من الكلس [3].

ويتم جريان الماء في المواجل المركزية الثلاثة على ارتفاع 70سم من قعر ماجل التصفية ، و المواجل التسعة عبارة عن بيوت متوازية ، لها قباب نصف أسطوانية ومجول طولها 49 م على 45 م وهي موجهة من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي ، والأبعاد الداخلية لكل ماجل تساوي 22 م طولا على 3.6 م عرضا و 4.40 م ارتفاعا ، ويساوي شعاع القبة 1.80 م ، وتتصل كل المواجل ببعضها عن طريق ممرين وسعتها

1 - Alain (CH) : Op.Cit , P 472 , 428 .

2- تلعات : جمع تلعة ، وهي انخفاض تجتمع به المياه في الوادي ، أنظر المنهل ص 999.

3 - Alain (CH) : OP.Cit , P 424, 425 .

الاجمالية تقدّر ب 3254 م³ على العموم ، غير أنها لا تزيد عن 2130 م³ لأن الماء الخارج من ماجل التصفية يسيل فوق قاعدة الجهات المقبّبة بقليل[1] .

وقد ذهب عزّ الدين أحمد موسى إلى القول **بأن الموحدين شرعوا بمجرّد ما استقر لهم الأمر، في اكمال الجهود التي بدأها المرابطون قبلهم** ، وراحوا يستفيدون من تجارب العهد الروماني بالكشف عن آثار الري القديمة وتجديدها والاقتداء بها في أماكن أخرى .

كما استفادوا من خيرات المهندسين الأندلسيين في إجراء المياه في بحائر مراكش ، وقد برز في عهدهم بعض المغاربة في هندسة الري ، فتوفرت لهم من الخبرة ما مكّنهم من استنباط المياه من باطن الأرض وتوصيلها من أماكن توفرها إلى مناطق الزراعة ، وفي هذا الإطار يسجل ما نقله عبد المؤمن من مياه إلى مراكش و **سلا** [2] والرباط ، ويوسف إلى فاس وسبتة ، والمنصور إلى مراكش وفاس ، والناصر إلى هذه الأخيرة [3] .

---

1 - Alain (CH) : OP.Cit , P 426 .

2- سلا مدينة رومانية قديمة على ساحل المحيط الأطلسي في أقصى المغرب ، اهتم ببنائها بنو يفرن الزناتيون واتخذوها قاعدة لهم في القرن 5هـ/11 م ، واهتم بها بعدهم الموحدين في القرن 6هـ / 12 م ، واتخذوا منها قاعدة بحرية عسكرية ، أكثر تفاصيل ، **أنظر :** ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص 165 .

3- أحمد موسى(عز الدين) : النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري ، دار الشروق ، بيروت ـ القاهرة 1403ه/1983 م ، ص 181 ، 182 .

الباب الثاني

النافورات وأحواضها بالعمارة الزيانية والمرينية



الفصل الأول

نافورات وأحواض العمارة الزيانية بتلمسان

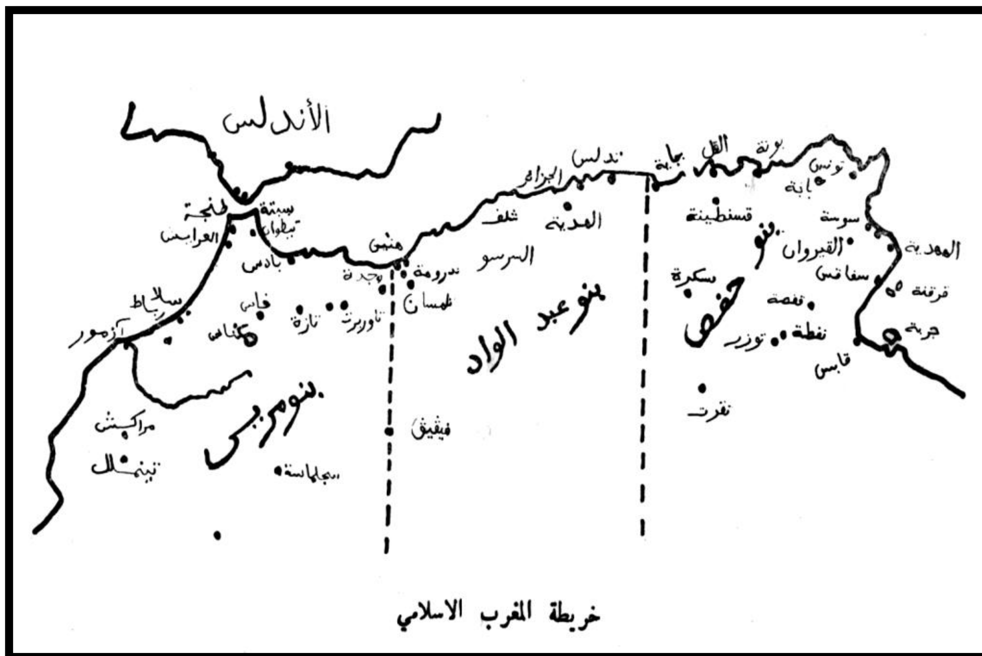
تمهيد

1. علاقة الأحداث التاريخية الموحدية بظهور الدولة الزيانية .
2. المرينيون وعلاقتهم بظهور الدولة الزيانية .
3. مدينة تلمسان والصراعات الزيانية .
4. تاريخ الدولة الزيانية .
5. المنشآت المائية الزيانية .
6. نافورات وأحواض العمارة الزيانية بتلمسان

خلاصة

كان المغرب الاسلامي خلال القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي (7هـ/13م) موحدا تحت راية الدولة الموحدية ، فشهد أثناءها استقرارا سياسيا واجتماعيا استمر حوالي قرن من الزمن ، ثم بعد واقعة العقاب بالأندلس سنة 609هـ/1212 م أخذ الضعف يدب في حكمها لتليها ثورة بني غنية ، ثم كانت وقعة بين الموحدين وبني مرين سنة 612 هـ/1216 م ، ليظهر أيضا تنافس الولاة والأمراء على الرئاسة [1].

فنجم عن ذلك ظهور ثلاث دول مستقلة ، حيث أخضع الجزء الشرقي لسيطرة بني حفص ، والجزء الغربي لبني مرين ، بينما استقر بنو زيان بالجزء الأوسط ، حيث اتخذوا عاصمتهم تلمسان (الخريطة 09) .



الخريطة 09 : المغرب الاسلامي القرن 7 . 10 هـ/ 13 . 16 م . عن عبد الرحمان الجلالي .

1- الطمار (محمد) : تلمسان عبر العصور ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 2007 م ، ص 83 .

1 . علاقة الأحداث التاريخية الموحدية بظهور الدولة الزيانية :

قبل التحدث عن تاريخ الدولة الزيانية والمرينية لابد من الإشارة إلى علاقة أحداثها بالدولة الموحدية [1] ، التي تعد من أعظم الدول المغربية التي شهدها المغرب الاسلامي قوة وسعة رقعة ، وانبساط نفوذ مترامية الأطراف ، استطاعت أن تحافظ على استمرارية وحدة ترابها الممتدة من برقة شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا والبحر الأبيض المتوسط والأندلس شمالا إلى الصحراء جنوبا ، وكان لهذه القوة أثر على الصعيد المغربي والاندلسي ، إذ أصبحت تمثل قوة سياسية فاعلة وقوة عسكرية ضاربة في غرب البحر الأبيض المتوسط ، في الوقت الذي كان فيه العالم الاسلامي يعاني من الحروب الصليبية المدمرة ، والهجوم المغولي الكاسح وحروب الاستيراد الاسبانية ، فقد كان الموحدون رمز التصدي وحماة دار الاسلام ببلاد المغرب والأندلس ، إلا أنه في مطلع القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي (07هـ/13م) ، بدأ الضعف يدب في كيان الدولة وظهر ذلك جليا بعد هزيمة الجيوش الموحدية أمام النصارى الاسبان في معركة العقاب [2] سنة 609 هـ/1212 م ، والتي وصفها البعض على أنها الواقعة التي أفضت إلى خراب الأندلس ، فمنذ سنة 610 هـ 1213 م أخذت مدن أندلسية تسقط بيد اسبانيا النصرانية دون أن يستطيع الموحدون الدفاع عنها .

1- تأسست الدولة الموحدية سنة 524هـ/1129 م على يد المهدي ابن تومرت في شكل دعوة فكرية روحية ، تطورت إلى كيان سياسي على يد خليفته عبد المؤمن بن علي الذي بسط نفوذ دولته على كامل المغرب الاسلامي وبلاد الأندلس ، كانت عاصمتها مراكش ، وبعد مقاومة الاسبان والتصدي لزحفهم المستمر على الديار الاسلامية ، وقد عرفت هذه الدولة العديد من النزاعات الداخلية والخارجية إلى أن سقطت على يد بني مرين سنة 668 هـ/1269 م ، وللمزيد من المعلومات **أنظر :** البيدق (أبو بكر): أخبار المهدي بن تومرت ، تحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ـ الجزائر 1974 م ، **وأنظر:** الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، لمؤلف مجهول ، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمانة ، الدار البيضاء 1979م، **وأنظر :** المراكشي (محمد بن عذاري) : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، الجزء الرابع ، تحقيق محمد ابراهيم الكتاني وآخرون ـ دار الغرب الاسلامي ـ بيروت 1985 م .

2- معركة العقاب هي معركة وقعت سنة 609هـ/1212 م ، وقد شكلت نقطة تحول في تاريخ شبه جزيرة ليبيريا ، تجمعت قوات الملك ألفونسو الثامن من قشتالة ومنافسوه السياسيون (نافارا ، البرتغال ، الأراجون) ضد قوات الموحدين التي تحكم الجزء الجنوبي من الجزيرة الايبيرية ومناطق واسعة من شمال افريقيا ، قاد القوات الموحدية السلطان محمد الناصر التي من شتّى مناطق الدولة للمشاركة في المعركة ، سميت بالعقاب نسبة إلى حصن قديم ينسب إلى الأمويين ، وللمزيد من التفاصيل **أنظر :** ابن أبي زرع (علي) : الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ، الرباط 1999 م ، ص 158 - 160 ، **وأنظر :** الناصري السلاوي (أبو العباس) : الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى ، الجزء الثاني ، دار الكتاب ، الدار البيضاء 1954 م ، ص 196 .

وفي سنة 610 هـ/1213 م هلك محمد الناصر بعد عودته من الأندلس ، ووليّ ابنه يوسف بن محمد بن يعقوب المنصور ابن ست عشرة سنة ، وهو ما يزال شابا يافعا لقّب بالمنتصر بالله فاستبدّ عليه المشايخ لصغر سنه ، ولما كان بعيدا عن أمور الادارة ميالا للهو بدأوا في استبعاد سلطانهم ، فظهر بعد ذلك ضعف الإدارة الموحدية وثارت القبائل وخرج رجالها عن طاعة الموحدين [1] .

ومنذ سنة 615 هـ /1218 م بدأ الانحلال الموحدي وتلاحقت بوادر الضعف والتي من علاماته انحسار نفوذ السلطة في المدن الخاصة وانعدام الأمن في الطرقات بعد ظهور كثرة الفتن بين القبائل ، وظهرت المنكرات وامتناع الشعب من أداء الضرائب ، كما انتاب السلطة المركزية الفوضى واستفحل الصراع على العرش بين أفراد البيت الموحدي وأصبح أشياخها يتلاعبون بخلفائها هذا فيما يخص الحالة الداخلية ، أما من الخارج فتزايدت الأطماع الخارجية وتعرضت عدة مدن ساحلية لهجمات بحرية ، وقد عانت من جراء ذلك الأندلس فافترقت كلمتهم وتحاربوا على الخلافة واستجاروا بجيرانهم، وخلال هذه التقلبات التي مرت بها الأندلس سقطت العديد من المدن والقواعد والحصون بيد اسبانيا النصرانية فساهمت هذه الأوضاع في انحلال الدولة الموحدية وضعف كيانها تدريجيا والذي ادى أخيرا إلى انهيارها وسقوطها [2] .

إلا أن هذه الأوضاع المتقلبة لم تمنع البعض من التخطيط خفية وجهرا لما هو في صالحها ، فاستغلت بعض القوى السياسية والزعامات القبلية هذه الفرصة لإعلان استقلالها عن الخلافة الموحدية ، وانشاء كيانات سياسية تمثلت في ثلاث دول متصارعة ومتنافسة على امتلاك البلاد وفرض سلطانها على كافة أرجاء المغرب الاسلامي ، وسعت كل واحدة منها إلى بسط نفوذها ، وتوحيد البلاد تحت لوائها باعتبار ادّعاء كل واحدة منها في وراثة الموحدين ، وكان بنو حفص أول من انتهزوا فرصة هذا

1- السلاوي : المصدر السابق ، الجزء الثاني ، ص 202 .
2- ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 192 .

الفراغ ، فبسطوا سلطانهم وانفردوا بحكم ولاية افريقية وأعلنوا قيام دولتهم وجعلوا مدينة تونس حاضرة لهم وذلك سنة 625 . 982 هـ/1227 . 1574 م ، فقد أسسها أبو حفص زعيم قبيلة هنتاتة [1] ، امتدت من طرابلس شرقا إلى جزائر بني مزغنة غربا ، أما بالنسبة لبلاد المغرب الأوسط فقد ظهرت الدولة الزيانية وكانت عاصمتها مدينة تلمسان وذلك سنة 633 . 964 هـ/1236 . 1556 م ، على يد يغمراسن بن زيان زعيم قبيلة بني عبد الواد ، امتدت من جزائر بني مزغنة شرقا إلى واد الملوية ومدينة تازا غربا ، بينما ظهر في المغرب الأقصى بنو مرين وجعلوا مدينة فاس عاصمة لهم ، وكان ذلك سنة 668 . 869 هـ/1269 . 1464 م ، امتدت من وادي الملوية شرقا إلى البحر المحيط غربا[2].

وفي ظل هذه الأحداث ظهر بنو زيان أو بنو عبد الواد إلى أحد فروع قبيلة زناتة البدوية منشئ دولتهم يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد بن زيدان بن يندوكسن بن طاع الله علي بن يمل بن برجى ابن القاسم [3] .

كان بنو عبد الواد عبارة عن قبائل استوطنوا الصحراء وانتجعوا مراعيها من سجلماسة إلى أرض الزاب من افريقية ، ولما قام عقبة بن نافع الفهري بحركته في بلاد المغرب فاتحا كانوا أول من أطاعه وساندوه وسارعوا إليه وشكّلوا فرقة من جيشه تابعت معه الفتوحات غربا [4] ، ولما حلّ عرب بنو هلال بالمغرب خلال القرن 5 هـ /11 م اندفع بنو عبد الواد غربا أمام الحملات الهلالية ، واستقروا بالمراعي جنوبي وهران ، وصاروا يرتادون التلّ أكثر من الصحراء لما وجدوا فيه من خصوبة الأرض ، وتوفر المراعي والمياه واستقروا به واتخذوا من بني عبد المؤمن أنصارا فجعلوهم حماة لقطر تلمسان

1- هنتاتة : قبيلة بالمغرب الأدنى ، وقدموا إليه من المغرب الأقصى مع جيوش الموحدين ، فهي من بقايا القبائل الموحدية من المصامدة ، إذ انبثقت منها بعد زوال دولتهم بمراكش ، القلقشندي (أبو العباس أحمد) : صبع الأعشى في صناعة الإنشاء ، الجزء الأول ، المؤسسة المصرية العام للتأليف ، د ـ ت ، ص 17 .

2- المصدر نفسه ، ص 17 .

3- التنسي (محمد عبد الله) : نظم الدر والعقيان ... ، المصدر السابق ، ص 109

4- ابن خلدون (يحي) : كتاب العبر ، المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص 96 .

واكتسبوا نظير ذلك حقا فأقطعهم الموحدون عامة بلاد **بني يلومي** [1] **وبني مانوا** [2] فتوسع نفوذهم في المنطقة واستغلوا اضطراب الدولة الموحدية في أواخر عهدها وسعوا للسيطرة على تلمسان ، فبسطوا النفوذ على أحوازها واقتطعوا أراضيها ، وكان قائدهم حابر بن يوسف بن محمد[3] .

وفي سنة 627 هـ/1230 م استطاع هذا الأخير أن يضع حدّا للاستفزازات والتحرشات التي كان يسلكها والي تلمسان ، كان إذ ذاك أبا سعيد عثمان بن يعقوب المنصور لأخيه المأمون إدريس بن المنصور سنة 624 . 630 هـ/1227 . 1232 م ضد قبيلته ودخل مدينة تلمسان [4] ، وأعاد الدعوة للمأمون الموحدي ، فضبط أمورها واستقل بحكمها إلا ما كان ذكر المأمون على المنبر والسكة وبعث إلى المأمون بطاعته، فكتب له العهد على تلمسان وسائر بلاد الزناتة فاستولى على أحوازها وضمّ بطون بني عبد الواد إلى السلطة ومدن أخرى ما عدا مدينة ندرومة [5] .

و لما أراد اخضاعها أصابه سهم أودى بحياته في أواخر سنة 629 هـ/1231 م ، وبعد وفاته خلفه ابنه الحسن الذي تولى الحكم لمدة ستة أشهر ثم تخلى عنه لعمه عثمان بن يوسف إلا أنه أساء للملك فأخرج من تلمسان واتفق بنو عبد الواد على أبي عزة زيدان بن زيان بن ثابت بإجماع [6] ، امتنع عن مبايعته أحد بطون زناتة وأبناء عمومتهم فحاربهم وقتل في إحدى المعارك سنة 633 هـ/1235 م ، فخلفه يغمراسن بن زيان الذي يعتبر المؤسس الحقيقي للدولة الزيانية .

---

1 - بنو يلومي : كانوا يستقرون على الضفة الغربية لوادي مينا والبطحاء وسيق ، وسيرات وجبل هوارة وجبل بني راشد ، وكانوا في خدمة بني عبد الواد ويخضعون إلى طاعتهم ، **أنظر :** ابن خلدون (عبد الرحمن) : المصدر السابق ، الجزء السابع ، ص 114 .

2- بنو مانوا : تنتسب هذه القبيلة إلى زناتة ، وتتحالف مع إخوانهم وجيرانهم من بني يلومي ، وكان موطنهم شرق وادي مينا بمنداس وأسفل شلف ، ويقطن بعضهم قصور توات بولاية أدرار حاليا ، كانوا يخضعون إلى بني عبد الواد وبني توجين في بعض الأحيان ، **أنظر :** ابن خلدون (عبد الرحمن) : كتاب العبر ، المصدر السابق ، الجزء السابع ، ص 114 .

3-ابن خلدون (يحي) : المصدر السابق ، ص 105 ، و**أنظر** : التنسي المصدر السابق ، ص 112 .

4- ابن خلدون (عبد الرحمن) : المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص 106 - 107 .

5- فيلالي (عبد العزيز) : تلمسان في العهد الزياني ، الجزء الأول ، موفم للنشر ، الجزائر 2007 م ، ص15 .

6- ابن خلدون (عبد الرحمن): المصدر السابق ، الجزء السابع ، ص 153 ، **وأنظر :** ابن خلدون (يحي) : المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص 105 ، **وأنظر :** التنسي (محمد عبد الله) : نظم الدر ، المصدر السابق ، ص 113 .

وتولى يغمراسن بن زيان حكم إقليم تلمسان في عهد الخليفة الموحدي عبد الواحد الرشيد بن المأمون سنة 630 . 640 هـ/1232 . 1242 م ، وتميّز يغمراسن بصفات وخصال أهّلته للقيام بالدور الكبير في وضع الأسس المتينة لدولة بني عبد الواد الناشئة، فتميز بحسن السيرة و بمواقفه الحربية الكثيرة [1] ، استمر عهده حتى سنة 681هـ/1282م ، اتخذ بنو عبد الواد تلمسان حاضرة لدولتهم ، وكان موقعها الجغرافي الذي يتوسط المغربين الأدنى والأقصى جعلها تحتل مكانة سياسية ، تجارية واقتصادية، كما جعلها عرضة للغزو والحصار من جارتيها الحفصية والمرينية ، اللتين كانتا تحاصرانها وتضيقان الخناق عليها .

2 . المرينيون وعلاقتهم بظهور الدولة الزيانية :

لما تمكّن يعقوب بن عبد الحق المريني سنة 656 هـ/1257 م من فاس ومكناس ، وبدأ الصراع بينه وبين أبي دبوس خليفة الموحدين الذي انحصر ملكه في اقليم مراكش أخذ يستعد لمنازلة بني مرين الخارجين عليه ، فكتب أبو دبوس إلى يغمراسن بن زيان يستعين به على يعقوب بن عبد الحق المريني ، فسارع يغمراسن إلى الاستجابة لذاك الطلب فأخذ يشن الغازات على بلادهم فأثار ذلك يعقوب بن عبد الحق المريني فترك حصار مراكش واتجه إلى عاصمته فاس ، حيث جهّز للسير إلى تلمسان ونهض إليها في منتصف محرّم من سنة 666 هـ/1267 م ، وهناك دارت معركة ضاربة تعد من أعنف المعارك بين القبيلتين الزناتيتين الكبيرتين ، وانهزمت فيها الجيوش الزيانية وهلك فيها أبو حفص عمر بن يغمراسن بن زيان وكان كبير أولاده وولي عهده ، إلا أن هذا لم يوقف يعقوب بن عبد الحق المريني ، وطمحت نفسه إلى القضاء على بني عبد الواد وضمّ اقليم تلمسان إلى نطاق ملكه والذي كان سلاطين المغرب الأقصى يرون أنه جزء من دولتهم ، فحشد جموعها من بني مرين وحلفائهم العرب ونهض بهم إلى بني عبد

1- التنسي (علي عبد الله) : المصدر السابق ، ص 115 .

الواد ، حيث خسر يغمراسن بن زيان ابنا ثانيا من أبنائه وهو أبو عنان فارس ، حاصرهم بتلمسان أياما دون أن ينال منها ، فقرّر رفع الحصار والعودة إلى بلاده ، ولعل السبب في ذلك مناعة وحصانة تلمسان وقدرة هذا الموقع على مقاومة عوامل الانهيار ، فهي تقع في موقع وعر بحكم الطريق من قلب الصحراء إلى البحر وقوافل التجارة لابد أن تمر بها والهضبة التي تقوم بها تزيد من مناعتها ، والسهل المحيط بها يقدم لها الميرة ، فقد كان لموقع تلمسان دورا كبيرا في صلابة بني عبد الواد وطول تاريخها الذي قدّر بحوالي ثلاثة قرون فيها [1] .

حكم يغمراسن بن زيان 48 سنة ، عرف من خلالها كيف يبسط نفوذ دولته ويحافظ على حدودها اتّقاء شرّ بني حفص تارة وبني مرين تارة أخرى ، حتى أصبحت ثبت أركان هذه الإمارة في تاريخ المغرب الاسلامي طوال مدة حكمه ، تولى الإمارة بعده ابنه أبي سعيد عثمان بن يغمراسن بن زيان ، وفي هذه الفترة تعرضت العاصمة إلى نوبات من الحصار من طرف المرينيين ، ولكن حصانة المدينة حالت دون سقوطها ، غير أن أشد حصار ضربه المرينيون على تلمسان كان سنة 698 هـ/1299 م ، وقد دام ثمان سنوات وأزيد تعرض خلالها الزيانيين إلى معاناة كبيرة وكان له أثر كبير على تلمسان فاضطروا إلى أكل الجيف والقطط حتى أنهم زعموا أنهم أكلوا فيها أشلاء الموتى من الناس ، وخربوا الأسقف وجعلوها وقودا ، ، وبلغ عدد من مات من أهل تلمسان في هذا الحصار الطويل 120 ألف إنسان ، كما جاء في " البغية " ، ولم ينته إلا بوفاة السلطان المريني أبو يعقوب يوسف سنة 706 هـ/1307 م ، الذي بنى مدينة المنصورة [2] .

وعندما مات عثمان الزياني أثناء الحصار خلفه أبناؤه أبو زيان الأول 703 . 707هـ/1304 . 1308 م ، ثم أبو حمو موسى الأول 707 . 718 هـ/1308 .

1- ابن خلدون (عبد الرحمن) : كتاب العبر ، المصدر السابق ، الجزء السابع ، ص 182 .

2- ابن خلدون (يحي) : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص 125 ، **وأنظر :** ابن خلدون (عبد الرحمن) : المصدر السابق ، الجزء السابع ، ص 128 .

1319م [1] ، ولم يصف الجو للزيانيين طيلة حكم هؤلاء ، إذ كثرت هجمات المرينيين، حتى وصلت إلى حد احتلال المغرب الأوسط في الفترة الممتدة من 753 . 760هـ/1354 . 1361 م ، ولكن **أبا حمو موسى الثاني** [2] استطاع أن يحرر الأراضي من جديد ، ويفك المدينة من الحصار، كما عرف بخصاله وميزاته في الحكم، بالإضافة إلى علمه وأدبه ، مع أن الدولة عرفت في عهده هزات عنيفة إلا أنه استطاع أن يبرزها كقوة اقتصادية وسياسية ، وكمعلم متميز إلى أن قتل في احدى معاركه مع المرينيين سنة 791 هـ/1392 م [3] .

وهكذا انقلب الوضع بالنسبة لدولة المغرب وأصبح التوتر يسوده طوال مدة حكم هذه الدول ، تتخللها فترات من الاستقرار ، وقد ساهم الصراع السياسي بين المرينيين والزيانيين مساهمة كبيرة في هذا التوتر .

3 . مدينة تلمسان والصراعات الزيانية :

لعبت مدينة تلمسان دورا هاما كمركز للصراع الزياني والمريني ، فقد اتخذها بنو زيان مركزا لسلطانهم منذ أن كانوا ولاة عليها من طرف الموحدين ، لكن بعد أن عين الخليفة الموحدي يغمراسن بنو زيان عاملا على تلمسان وبلاد زناتة سنة 624 هـ/ 1226م ، واستطاع هذا السلطان أن يعلن استقلاله سنة 633 هـ/1235 م [4] .

ولم تمض فترة طويلة من الوقت ، حتى تمكن بنو مرين من السيطرة على كامل المغرب الأقصى ، فتوجهوا بعدها بأنظارهم نحو المغرب الأوسط ، فكان الحصار المشهور لمدينة تلمسان والتي كان عثمان بن يغمراسن بن زيان حاكما لها ، وقد دام

1- ابن خلدون (عبد الرحمن) : كتاب العبر ، المصدر السابق ، الجزء السابع ، ص 208 .
2 - عرفت تلمسان في عصر أبي حمو موسى الثاني ازدهارا في الميدان الثقافي لاعتماده على العلماء وتقربه منهم ، فولأهم بوظائف في الدولة ومن أبرز هؤلاء : يحي ابن خلدون الذي تولى كتابة الانشاء ، وأبي عبد الله الشريف الحسني ، الذي شيد له مدرسة عرفت بالمدرسة اليعقوبية ، وكان أول المدرسين بها ، **أنظر :** حسّاني (مختار) : موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية ، الجزء الرابع ، مدن الغرب ، دار الحكمة ، الجزائر 2007 م ، ص 28
3- المرجع نفسه ، ص 621 .
4- ابن خلدون (عبد الرحمن) : كتاب العبر ، المصدر السابق ، الجزء الثالث عشر ، ص 162 .

هذا الحصار الطويل ثماني سنوات وثلاث أشهر من سنة 698 هـ/1298 م ، وأثناء تلك المحنة شيدت مدينة المنصورة ، ولم يفك الحصار على المدينة إلا بعد أن قتل السلطان المريني أبو يعقوب سنة 706 هـ [1] ، وفي عهد السلطان أبي زيان محمد .

شهدت بعد ذلك تلمسان فترة من الاستقرار ، تخللتها فقط الأحداث ، وقد استمر هذا الاستقرار طول مدة حكم السلطان أبي زيان 703 هـ/1303 م إلى سنة 707هـ/1308م، وحكم السلطان أبو حمو موسى الأول الذي حكم من سنة 707هـ/1308 م إلى سنة 718هـ/1318 م ، حتى جاء الحصار الذي ضربه السلطان المريني أبو الحسن إذ استطاع أن يهزم جيش أبا تاشفين ، وأن يدخل مدينة تلمسان سنة 737هـ [2] ، حيث قام بتجديد مدينة المنصورة للإقامة فيها ، ولم يكن استقراره بها طويلا، إذ سرعان ما نصب السلطان أبا سعيد و أبا ثابت على تلمسان [3] .

وبعد وفاة أبو الحسن سنة 752 هـ/1351 م خلفه نجله أبو عنان على عرش بني مرين ، ولم يجلس على عرشه هذا حتى نهض إلى غزو تلمسان ، فبرز لمقاومته أبي سعيد عثمان الزياني ، فانهزم أبو زيان ، واستطاع أبو عنان أن يدخل تلمسان مرة أخرى سنة 758 هـ/1352 م ، وامتدت سيطرته على كامل المغرب الاسلامي لمدة وجيزة ، حتى تمكن السلطان أبو حمو موسى الثاني من اعتلاء عرش أجداده ، من جديد سنة 760 هـ فكان هذا السلطان بمثابة الباعث الجديد لروح الدولة الزيانية ، فانتظمت أحوالها ، وتحسن اقتصاد تجارتها ، و ذلك حتى القرن السادس عشر الميلادي (10هـ/16م) [4] ، حيث أصبح محل صراع بين السعديين والاسبان والأتراك الذين قضوا عليها نهائيا عام 957 هـ/1556 م .

1- ابن الأحمر (أبو الوليد اسماعيل) : المصدر السابق ، ص 19
2- ابن خلدون (عبد الرحمن) : كتاب العبر ، المصدر السابق ، ص 162 .
3- التنسي (محمد بن عبد الله) : المصدر السابق ، ص 149 .
4- المصدر نفسه ، 170 .

4 . <u>تاريخ الدولة الزيانية</u> : 633 . 962 هـ/1235 . 1554 م .

فكما أوردنا سالفا فقد شهدت بلاد المغرب الاسلامي في القرن 7هـ/13 م انقساما سياسيا نجم عنه قيام ثلاث دويلات مستقلة ، ويرجع سبب قيامها إلى انهيار دولة الموحدين وانهزام جيوشها في معركة **العقاب** [1] سنة 609هـ/1212 م ، وهي دولة بني حفص بإفريقية وعاصمتها تونس ، ودولة بني زيان بالمغرب الأوسط وعاصمتها تلمسان، ودولة بني مرين بالمغرب الأقصى وعاصمتها فاس [2] .

وبنو زيان في الأصل هم من أمراء القبائل الرحل التي كانت تجوب صحراء المغرب الأوسط ، ثم أتاحت الظروف أن تكون دولة استمرت زهاء ثلاثة قرون ، تأسست في القرن 7 هـ /13 م ، على يد السلطان **يغمراسن بنو زيان** [3] ، الذي استطاع أن يؤسس دولة المغرب الأوسط عاصمتها تلمسان ، مشكلة بذلك حدا فاصلا عن جاراتها في المغربين الأدنى والأقصى .

وكانت عمليات يغمراسن بن زيان الاستقلالية تقوم على الامتيازات التي حصل عليها الموحدين أنفسهم [4] ،وبويع كأمير سنة 631 هـ / 1233 م .

غير أن وقوع هذه الدولة في مدينة تلمسان جعلها عرضة للخطر الذي يلحق بها شرقا وغربا ، وذلك بسبب المنافسة وإظهار القوة بجانب كل دولة تريد أن تتوسع على حساب الأخرى ، وتفرض السيطرة على المغرب الاسلامي ، وبالتالي تكون الوريث الوحيد

1- تحرك الناصر لدين الله أوائل سنة 608 هـ/1211 م بجيش جرار ودخل مدينة جبان وحصنها ، ثم تركها وعسكر في السهل الواقع أمام مخرج المضيق ، وسهل مليء بالتلال الصخرية وتسمى العقاب ، وتمكن الناصر من الاستيلاء على الحصون القريبة من بلده أبده ، ثم عاد الناصر إلى إشبيلية ليستكمل استعداده وفي سنة 609 هـ/1212 م ، تحرك نحو مخرج المضيق ويسميه العرب مطرد الكلب ، وفي نفس الوقت اتجهت قوات نصرانية نحو هذا الموقع والتقى الجيشان بموقع لعقاب ، فكانت الهزيمة لجيش الموحدين ، وتعتبر هذه الهزيمة النهاية الحقيقية لقوة الاسلام في الأندلس ، **أنظر :** مقلد الغنيمي (عبد الفتاح) : موسوعة المغرب العربي ، المجلد الثاني ، الجزء الثالث ، الطيعة الأولى ، مكتبة مدبولي القاهرة 1994 م ، ص 242 ، 243

2- سالم (عبد العزيز) : تاريخ المغرب ، الجزء الثاني ، ص 867 .

3- يغمراسن بن زيان هو فارس زناتة الأشهر وبطلها الأكبر ، مؤسس الدولة العبد الوادية بتلمسان ، ولد سنة 600 هـ/1203م، وبويع بالإمارة سنة 631 هـ/1233م ، ومات بوادي رهيو سنة 681 هـ/1283 م ، ونقل جثمانه إلى تلمسان ودفن بها ، وكان مزاحما في ملكه لبني عمه مرين ، وبسبب الحروب التي تواصلت بينهم وبين أبنائهما وأحفادهما ضاعت الأندلس وذهبت هيبة أقطار المغرب ومنه تم احتلاله ، **أنظر :** ابن أبي زرع (علي) : المصدر السابق ، ص 382 .

4- الجيلالي (عبد الرحمن) : المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص 142 .

للخلافة الموحدية ، بالإضافة إلى التراث التقليدي بسبب المراعي ومنابع المياه ، لأن الخطر الأكبر كان يشكل عدم الاستقرار **لبني عبد الواد** [1] ، وقد استطاع هؤلاء في الكثير من المرات الوصول إلى تلمسان عاصمة الزيانيين ، وذلك لم يمنع الزيانيين من المحافظة على ملكهم وتأمين دولتهم ، إلى أن جاء السلطان أبو الحسن المريني ، الذي ضرب حصارا طويلا على تلمسان ، وأقام معسكرا ثابتا أمامها ليكون قاعدة هامة للعمليات الحربية .

ولقد اتسع نطاق هذه المعسكرات حتى أصبحت مدينة كبيرة سميت بالمنصورة ، وبعدها سقطت تلمسان في يد المرينيين سنة 737 هـ/1337 م .

وظلت لمدة إحدى عشر عاما مركزا لحكم بني مرين ، إلى أن استعادها بنو عبد الواد بعد أن شق أهلها عصا الطاعة على السلطان المريني ، فدخلها السلطان الزياني أبو سالم ابراهيم أبي الحسن بأمان سنة 761 هـ/1361 م ، وتولى حكم بنو عبد الواد ، وازدهرت مدينة تلمسان في عهدهم بالرغم من العواصف والأنوار حتى أوائل القرن 10هـ/ 16 م ، وما لبثت أن دخلت المدينة في صراع ثاني مع بني حفص في المغرب الأدنى ، إلى أن استطاع السلطان الحفصي أبو فارس العزيز بن أحمد دخولها بعد قتله للسلطان الزياني ، وقد عاود بنو حفص الكر في عهد السلطان أبي عمر وعثمان بن محمد الحفصي .

ومع ذلك فلقد ظلت دولة بني عبد الواد متماسكة تصد كل من يحاول القضاء على عرشها ، وعلى الرغم من الاضطرابات التي واكبت عصر الدولة الزيانية خلال ثلاثة قرون ، فإننا نجد أن الحضارة العمرانية مزدهرة .

1 - عرفت الدولة الزيانية بهذا الاسم نسبة لقبيلة بني عبد الواد التي تعتبر إحدى بطون زناته . فيطلق على هذه الدولة أسماء مختلفة من بينها : العبد الوادية نسبة إلى القبيلة الكبرى بني عبد الواد ، والدولة الزيانية نسبة إلى والد يغمراسن بن زيان ، ويقال أول من أطلق عليها هذا الاسم هو أبو حمو موسى الثاني سنة 760 - 791 هـ/1359 - 1382 م (من خلال ما جاء في المصادر التاريخية مثل : ابن خلدون (عبد الرحمن) : كتاب العبر الجزء السابع ، و التنسي (محمد بن عبد الله) : كتاب نظم الدّر ، وكذا ابن خلدون (يحي) : كتاب بغية الرواد) .

فذلك لم يمنع حكامها من ابراز الجانب الفني لها ، هذا ما تدل عليه الآثار العمرانية القائمة التي ظلت تطاول فترة من الزمن إلى وقتنا الحاضر ، ولقد ظهر فيها الفن الزياني كفن متكامل من حيث الاسلوب والأشكال الفنية والمواضيع المختارة وطريقة البناء ، فخلفوا لنا مباني رفيعة على درجة كبيرة من الدقة والفخامة والاتقان ، فقد استمر بناء الدولة الزيانية أكثر من ثلاثة قرون ، فساهم بذلك الزيانيين أيّما إسهام في انشاء العديد من المعالم التاريخية والعمائر الدينية ، التي تدل على عبقرية الفنان الزياني ، ومن أبرز هذه المعالم المساجد والمدارس الدينية التي شيدها الزيانيين ، خلال مختلف مراحل حكمهم ، والواقع أن العمارة والفن في تلمسان الزيانية يخضع خضوعا يكاد يكون مباشرا للتقاليد الفنية الموحدية ، وهي فكرة عمت جميع أقطار المغرب الاسلامي ، التي ورثت الدولة الموحدية سياسيا وحضاريا مثلما يتضح في العمائر الزيانية [1] .

ولقد اشتهرت مدينة تلمسان في عهد أبي حمو الأول 707 . 718 هـ/1307 . 1318 م ، وابنه أبو تاشفين 718 . 737 هـ/1318 . 1337 م بقصورها الجميلة والعظيمة ومنها : دار الملك ودار أبي الفهر **و قصر المشور**[2] . التي أسهم في بنائها وتزيينها بناؤون ومزخرفون من غرناطة ، ولكن للأسف فإن هذه القصور اندثرت ولم يبق منها سوى أسمائها ، ما عدى قصر المشور الذي أعيد بناءه وفقا لما كان عليه تقريبا .

ومنه نستخلص أن بعد ذلك الصراع ببلاد المغرب الاسلامي ، كان الجزء الشرقي من الدولة الموحدية قد استطاع أن يحافظ على كيانه تحت حكم الحفصيين فإن الجزء

---

1 - Lambert (E) : L’art musulman d’occident des origines à la fin du XV siècle , Paris 1966 , P 107 .

2- سالم (عبد العزيز) : في تاريخ وحضارة الاسلام في الأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع ، الاسكندرية 1985 م ، ص 249 .

- وتعني كلمة المشور قاعة التشاور ، وكان هذا الاسم يطلق على قصور السلاطين في المغرب ، **أنظر :**

- Barges (L’abbé J . L) : Tlemcen ancienne capitale de royaume de ce nom , sa topo graphie , son histoire Ernest la roux , Paris 1859 , P 335

الآخر كان مسرحا لتقاسم ميدانه بين دولة بني مرين في المغرب الأقصى ودولة بني زيان في المغرب الأوسط .

وعليه ففي خضم تلك الظروف ظهرت الدولة الزيانية كقوة ناشئة على مسرح أحداث المغرب الاسلامي خلال النصف الأول من القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي (7هـ/13م) والتي أدت في نهاية الأمر بقبيلة بني عبد الواد التي كانت ترتاد جبال وصحراء المغرب [1] ، إلى الترحيب والاعتراف بالولاء للموحدين الذين فتحوا هذه البلاد فقدمت لهم يد المساعدة في توطيد حكمهم بها ، فنالوا ثقتهم وحصلوا منهم على اقطاعات بأحواز تلمسان مما جعلهم يستقروا بها منذ ذلك الوقت .

وبعد مقتل أبي حمو موسى الثاني تولى ابنه أبي تاشفين الحكم تحت وصاية المرينيين زمنا ، والحفصيين زمنا آخر ، وأصبحت سيادة الدولة ناقصة وما زاد الطين بلة تلك الخلافات الداخلية والانشقاقات العائلية إلى درجة أن بعض السلاطين في تلك الفترة حكم بضعة أسابيع فقط [2] .

ولقد حكم بنو زيان المغرب الأوسط متخذين من تلمسان عاصمة لدولتهم لأكثر من ثلاثة قرون : 633 . 964 هـ/1236 . 1556 م ، عرفت البلاد خلالها فترات ازدهار وتقدم وقابلتها فترات اضمحلال وتدهور ، هذه الظروف انعكست آثارها على جميع مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وحتى الثقافية والفنية .

كانت الدولة الزيانية ذات حدود مطاطية ، مساحتها تضيق وتتسع حين يقوى جيرانها أو يضعفون ويتراجعون كالحفصيين شرقا وبني مرين غربا ، فهذا الاتساع والانتشار على جغرافية المغرب الأوسط ، جعلها عرضة للعدوان ، فتنهزم ردحا من الزمن ، ثم

1- استوطن بنو عبد الواد ناحية تلمسان **حسبما جاء في** بغية الرواد لابن خلدون (يحي) : الجزء الأول ، ص 104 في العشر الثاني من المائة السادسة هجرية ، بعد ما قضوا مدة من الزمان في الصحراء يعيشون الرحل ، لمزيد من التفاصيل **أنظر** : ابن خلدون (عبد الرحمن) : كتاب العبر ، الجزء السابع ، ص 159 .

2- الدراجي (بوزيان) : نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1993 م ، ص 32 - 36 .

تقوم وتتحرّر من جديد ، فكان الترقب للهجمات دائما ، وأصبح الاستعداد العسكري واليقظة عاملان أساسيان للبقاء والاستمرار[1] ، فكان لموقعها الجغرافي الهام الذي يتوسط بلاد المغرب الأدنى والأقصى وهو ما جعلها تحتل مركز تجاري واقتصادي هام ، مما ساعدها في عملية التحكم في التجارة بين الشمال والجنوب من جهة ، وبين الشرق والغرب من جهة أخرى ، لذلك فإن هذا الموقع الهام هو الذي جعلها دائما في مشاكل وعرضة للغزو والحصار من جارتيها ، كل من الدولة الحفصية والمرينية ، اللتان كانتا تحاصرانها وتطبقان عليها[2] .

لكن ورغم هذا فإن الدولة الزيانية خاصة أيام قوتها وعزتها تغير على أراضي جيرانها شرقا وغربا ، إلا أنها وفي نفس الوقت **عانت من المآسي جرّاء الحروب والغارات** لا سيما من بنو مرين الذين تمكنوا من احتلال عاصمتهم تلمسان مرات عديدة خاصة على عهد حكم أبي الحسن المريني سنة 735 هـ/1334 م[3] ، وأمام هذه الهجمات والمآسي لجأت الدولة الزيانية إلى مساندة ملك غرناطة على غرار ما فعله المرابطون والموحدون من قبل ومن ثم **عمل بنو الأحمر من غرناطة على مساعدة الزيانيين** بشتى الوسائل لكي يضعفوا من شوكة المرينيين وينشغلوا عنهم[4] .

وكان من **نتائج هذا التعاون بين بني الأحمر وبني زيان أن ارتبطت تلمسان بغرناطة في مختلف الميادين الحضارية والفنية** ، لكن وكما يقول ابن خلدون فان للدولة أعمار، وهكذا كانت الدولة الزيانية ، إذ مع مرور الزمن دب الصراع على السلطة بين أفراد الأسرة الحاكمة ، فكان السبب المباشر للتدخل التركي الاسباني من خلال الصراع

1- ابن خلدون (عبد الرحمن) : كتاب العبر ، الجزء السابع ، ص 159 .
2- التنسي (محمد عبد الله) : المصدر السابق ، ص 133 .
3- كان من نتائج الحصار على تلمسان الذي استمر أكثر من ثمان سنوات أن ترك آثارا وخيمة على مستوى المعيشة ، فساءت الأحوال وغلت الأسعار وتفشت الأمراض ، ولمزيد من التفاصيل حول هذا الحصار الطويل **أنظر** كتاب العبر لأبن خلدون (عبد الرحمن) ، الجزء السابع ، ص 185 وما بعدها ، و**أنظر** التنسي : نظم الدر والعقيان ، ص 130 وما بعدها .
4- الماحي (علي حامد) : المغرب في عصر السلطان أبي عنان المريني ، دار النشر العربية ، الدار البيضاء 1986 م ، ص 219 .

الثنائي بينهما ، وهو ما عجل بنهاية الدولة الزيانية بعد أن دخل صالح رايس مدينة تلمسان وجعلها جزءا من إيالة الجزائر العثمانية سنة 962 هـ/1555 م .

لتصبح تلمسان جزء من إقليم المغرب الأوسط العثماني ، وهكذا طويت صفحة من صفحات التاريخ في المغرب الأوسط استغرق مدة تحت سيطرة الدولة الزيانية التي عملت على استقلال المغرب الأوسط وسط صراعات إقليمية بين المغربين الأدنى والأقصى ، ومحاولة ايجاد توازن بين هذه القوى التي كانت تطمع في السيطرة على كيان الدولة الزيانية ، وكيف أن هذه الأخيرة التي لم تكن تبق مكتوفة الأيدي أمام إحدى القوتين المرينية و الحفصية .

وفي الفترة الأخيرة من ضعف سلطان الدولة الزيانية ، وأصبحت أراضيها هدفا لهجمات النصارى الاسبان ، عمت الفوضى والاضطرابات في الدولة الزيانية وتطاحن أمراؤها على السلطة ، ففقد العرش الزياني هيبته على سكان المغرب الأوسط وانفصل عنها سكان مليانة والمدية والجزائر وغيرها من المدن ، ولم يعد ملوكها يحكمون إلا تلمسان والمناطق المجاورة ، بعد ذلك انقرضت الدولة الزيانية بعد أن عمّرت ثلاثة قرون عاشت خلالها زوابع الفتن وأهوال الحروب ، ولكن هذا لم يمنع أمراؤها وسكانها من لعب دور حضاري كبير في شتى ميادين الحياة ما زال التاريخ والآثار خير شاهد عليها.

وما يمكننا استخلاصه هو أنه على الرغم مما تعرضت إليه أوضاع الدولة من اضطرابات سياسية في آخر أيامها فإن الجانب العلمي والفني عرفا تفتحا وازدهارا كبيرين حيث تأسست في هذا العصر مدارس ومراكز علمية شهيرة ما تزال آثارها قائمة في أغلب المدن ، ومع كل هذه الظروف وتلك الصعوبات ، كانت الحركة الاقتصادية والثقافية تبدو وكأن لا خطر ، فالحرب والصراع من جهة ، والحركة التجارية والجهود العلمية من جهة أخرى ، فتحولت تلمسان إلى سوق من أكبر أسواق المغرب الكبير يفد إليها من كل حدب وصوب من تجار العاج ، والجلود والتوابل من عمق الصحراء ،

وهذا ما انعكس على الدولة اقتصاديا ومما جعلها تتحول إلى الحضارة والمدنية ، وتنعم فعلا بالازدهار الحضاري .

ولعل في هذا الايجاز للأحداث التاريخية عن الزيانيين ما يساعدنا على فهم الموضوع الذي نحن في صدده وما تعلّق به من آثار كالأحواض وغيرها التي مازال البعض منها قائما رغم عوادي الزمن .

وما يجدر بنا ذكره هو أن الدولة الزيانية خلال فترة حكمها في مدينة تلمسان عرفت رقيا حضاريا وازدهار كبيرا في المجال العمراني ، ولعل أبرز ما ساعدها على ذلك ثروتها المائية التي أحسن الزيانيين استغلالها وتصريفها حيث خصصوا لها منشآت ما زالت بعض آثارها باقية إلى اليوم تشهد على مساهمتهم الفاعلة في باء الحضارة المغاربية .

5 . المنشآت المائية الزيانية : وتنقسم إلى نوعين ، الخاصة منها والعامة واندرجت لنا على النحو التالي :

1.5 . المنشآت العامة :

عرفت الدولة الزيانية نشاطا مكثّفا خصّ المجال الزراعي لوفرة الانتاج وتنويعه ، إذ كانت تسقي أراضيها إما بواسطة الآبار أو قنوات أو سواقي تصب في الأحواض ، حيث يقول عنها ابن خلدون : " ... وبخارجها خمائل الأدقان والأدواج (هكذا) وحدائق غلب بما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ..." [1] .

كما ازدهرت تلمسان في العهد الزياني بزراعة الخضر وغرس أشجار الفواكه بمختلف أنواعها ويصفها حسن الوزان بقوله : " ... حيث الكروم المغروسة الممتازة تنتج عنبا من كل لون طيب المذاق جدا ، وأنواع الكرز الكثير الذي لم أر لها مثيل في جهة أخرى ،

1- ابن خلدون (عبد الرحمن) : كتاب العبر ، المصدر السابق ، ص 86 .

والتين الشديد الحلاوة وهو أسود غليظ طويل جدا يجفف في الشتاء والخوخ والجوز واللوز والبطيخ والخيار وغيرها من الفواكه الأخرى ..."[1] .

كما أنها غنية بزراعة الحبوب بجميع أنواعها تكفي حاجيات السكان ، بالإضافة إلى اتخاذ كميات كبيرة من المطامير بأيام الجفاف والحصارات باعتبار المنطقة كانت على حروب متتالية مع جيرانها خاصة الجهة الغربية[2] .

أما عن الصناعات التي تحتاج إلى تدفق المياه فكانت خارج أسوار المدينة ، وفي الغالب على ضفاف الأنهار والمنحدرات التي ساعدت على كثرة هذه الصناعات وتنوعها، كدباغة الجلود وصباغة الصوف وصناعة القرميد والرحي[3] ، وعن هذه الأخيرة يقول حسن الوزان : " ... وعلى بعد نحو ثلاثة أميال شرق المدينة نرى عدّة أرحاء لطحن القمح على نهر يدعى الصفصيف ، ونرى أخرى قرب المدينة على منحدرات رأس القلعة على جهة الجنوب ... "[4] .

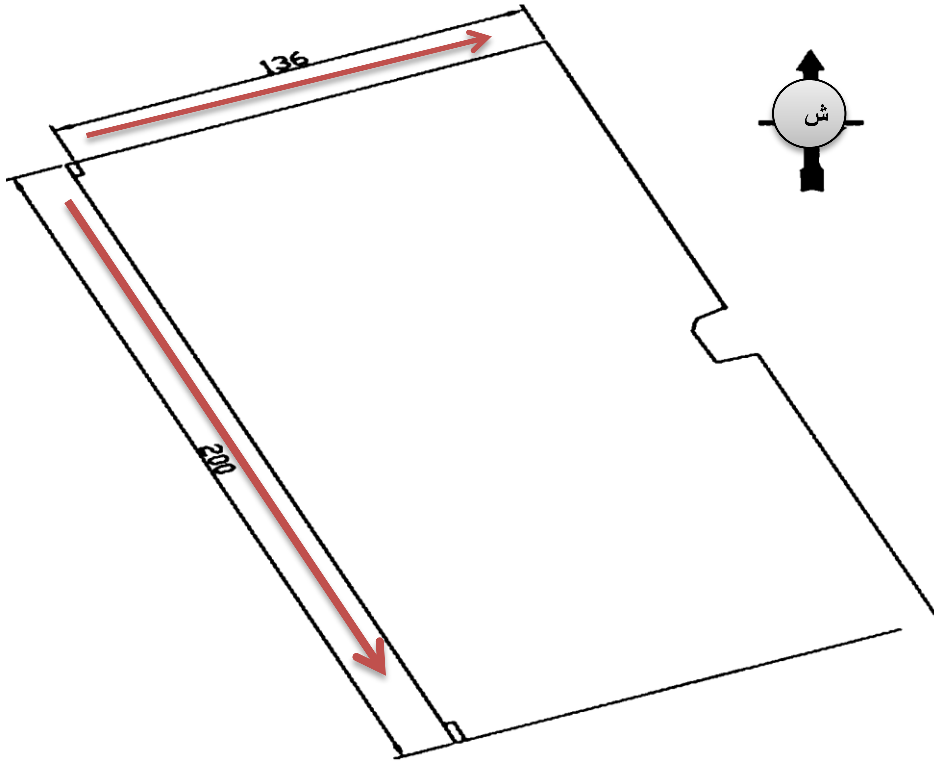
وثمنت هاته الأقوال كلها الشواهد الأثرية القائمة على وجه الخصوص فنجد :

1.1.5 . الصهاريج : وأكثرها المستخدمة كخزان للمياه لسقي الحقول والبساتين ومختلف الأشغال التي عرفتها تلك الفترة ، إضافة إلى تزويد المدينة بالماء .

2.1.5 . الأحواض : وأبرزها **الحوض الكبير** (المخطط 13)، الذي يرجع بناؤه إلى السلطان الزياني أبو تاشفين الأول 737.718هـ/1337.1318 م[5] ، قبل أن يعرف

1- الوزان (حسن) : المصدر السابق ، ص 20 .
2- بن رمضان (شاوش محمد) : المرجع السابق ، ص 321 .
3- حسني (مختار) : تاريخ الدولة الزيانية ـ الأحوال الاقتصادية والثقافية ، دار الحضارة 2007 م ، الجزء الثاني ، الطبعة الأولى ، ص 24
4- الوزان (حسن) : المصدر السابق ، ص 20.
5- فيلالي (عبد العزيز) : تلمسان في العهد الزياني ، موفم للنشر والتوزيع ، الجزائر 2002 م ، الجزء الأول ، ص 116 .

تغيرات محسوسة في وقتنا الحاضر [1] ، وهذا الحوض كان فقط للزينة مثله مثل حوض البحر بقلعة بني حماد .



المخطط 13 : الحوض الزياني الكبير بشكله القديم بتلمسان . عن عطار محمد . بتصرف

ونجده غرب مدينة تلمسان بالقرب من باب كشوط ، وبناءه القديم بلغ طوله 200 م وعرضه 136 م وعمقه 3 أمتار ، واعتمد هذا الحوض بالدرجة الأولى على مياه عين كيرلت [2] التي ذكرناها سابقا ، واستعملت مادة الآجر كدعامات بين قطع قالب الطابية ، بمقاسات 25 سم طولا و 11.5 إلى 13 سم عرضا ، وما بين 4 سم سمكا، ليستغل ماؤه لتموين السكان والجند ، كما كان الفلاحون يستغلونه لسقي حقولهم وبساتينهم وللسباحة ، وقد كانت تنظم بالحوض سباقات الزوارق ، فصار بذلك متنزها وفرجة

1- استغل في وقت سابق من طرف الجيش الفرنسي ثم الجيش الجزائري خلال العقد الأول من الاستقلال كساحة للتدريب ، وهو اليوم حديقة عامة مزودة بمساحات خضراء ، ومصطبة للتمثيل المسرحي والحفلات الفنية ، إضافة إلى محطة للعربات الهوائية ، ضمن الخط الرابط بين المدينة وهضبة لالا ستي .

2 - Larhss Journale : Op.Cit , P 89 . **Voir** ; Lecocq (A) : Histoire de Tlemcen Ville Française , T 1 , éd internationale , S.A ; Tanger 1940 , P 16 .

للناس [1] ، ولا يزال الحوض الكبير إلى يومنا هذا قائما ، إلا أن شكله عرف تغيرا حين استحدث بناءه (اللوحة 09 : الصورة 01 و02).



الصورة 01 : الحوض الزياني الكبير بتلمسان بصورته القديمة . عن جورج مارسي .



الصورة 02 : الحوض الكبير بمدينة تلمسان بصورته الحالية .

اللوحة 09 : الحوض الزياني الكبير بمدينة تلمسان بصورتيه القديمة والحديثة

1- التنسي (محمد بن عبد الله) : المصدر السابق ، ص 34 .

. البطاقة التقنية رقم 15 : الحوض الزياني الكبير بتلمسان بصورته القديمة .

رقم الجرد	14	**الصورة**
اسم العنصر المعماري	حوض	
التسمية المحلية	حوض	
المادة	الطابية والآجر	
اللون	/	
الوظيفة	يستغل ماء الحوض لتموين السكان والجند ، كما كان الفلاحون يستغلونه لسقي حقولهم وبساتينهم وللسباحة ، وقد كانت تنظم بالحوض سباقات الزوارق ، فصار بذلك متنزها وفرجة للناس	
الفترة	زيانية	
المصدر	غرب مدينة تلمسان	
المقاسات	طوله 200 م وعرضه 136 م وعمقه 3 أمتار	
تقنية البناء	حفر وتركيب وتدعيم	
تقنية الزخرفة	/	
موقعه	غرب مدينة تلمسان	
طريقة الاكتشاف	إعادة البناء	
حالة الحفظ	استحدث بناءه وشكله كليا	
الوصف	واستعملت مادة الآجر كدعامات بين قطع قالب الطابية بجدران الحوض القديم المستطيل ، ولا يزال الحوض الكبير إلى يومنا هذا قائما، إلا أن شكله عرف تغيرا حين استحدث بناءه	
بيبليوغرافيا	مارسي (جورج) : كتاب تلمسان ترجمة : دحماني سعيد ، دار التل، الجزائر 2007 م	

ناهيك عن بقية الأحواض التي كانت مقامة على أطراف المدينة بالناحيتين الشرقية والغربية على حد وصف المصادر التاريخية والجغرافية لها ، والتي زالت واندثرت آثارها اليوم كاملة ، إذا ما استثنينا بقايا **حوض بموقع المنصورة** الذي ما يزال مستغلا إلى اليوم من طرف أهل ذلك التجمع السكني لسقي مزروعاتهم وهو يعود للفترة المرينية وسنتطرق إليه لاحقا .

2.5 . المنشآت الخاصة : وتتمثل فيما يلي :

1.2.5 . الآبار والمواجل : حفرت الآبار في الفترة الزيانية ككل الفترات داخل المنازل وخارجها للاستفادة من المياه الجوفية ، حيث استغلت لسقي المزروعات والبساتين ، ووجدت في معظم الحمامات والمنازل ، كما يدل على ذلك بقايا آثار هذه الآبار في بعض المنازل العتيقة بالمدينة إلى اليوم ، وما ينطوي عليه متحف المدينة من بقايا مواجل فخارية التي عادة ما كانت توضع على فتحات الآبار في المنازل بغية سدها ومنع الأطفال الصغار والحيوانات المدجلة الوقوع فيها ، والتي كانت تتمتع بقدر معتبر من الاتقان والزخرفة الملونة الجميلة .

إذ يوجد منها على وجه الخصوص :

أ . ماجل دائري الشكل : به شريط زخرفي في أسفله ، حيث يبلغ ارتفاعه 57 سم وقطره 57.5 سم ، وقاعدته 24 سم وسمكه 2.4 سم ، وهو في حالة جيدة من الحفظ ما عدى بعض الكسور في حافة القاعدة وهو محفوظ بمسجد قلعة المشور بتلمسان (الصورة 30).



الصورة 30 : جزء من ماجل دائري محفوظ بمتحف قلعة المشور بمدينة تلمسان .

ب . <u>ماجل متعدد الأضلاع</u> : مطلي باللون الأخضر ، قاعدته دائرية وبدنه سداسي الشكل ، مركب من مجموعة من الأشرطة مملوءة بالزخارف النباتية ، ارتفاعه 60 سم ، وقطر فوهته 35 سم ، وقاعدته 38 سم وبسمك 3 سم وهو محفوظ بمتحف الفن والتاريخ بمدينة تلمسان (الصورة 31) .



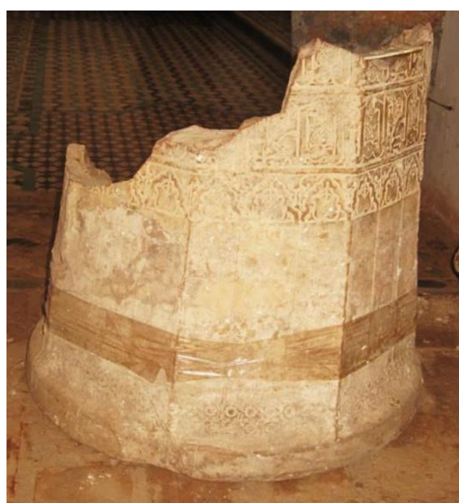
الصورة 31: جزء من ماجل متعدد الأضلاع محفوظ بمتحف الفن والتاريخ بمدينة تلمسان .

ت . <u>ماجل دائري</u> : يشبه الماجل الأول بشريطين يحمل زخارف نباتية تحت الفوهة مباشرة ، ارتفاعه 64 سم وقطر فوهته 43.2 سم ، وقاعدته 48 سم وبسمك 2.5 سم وهو محفوظ بمتحف قلعة المشور بتلمسان (الصورة 32) .



الصورة رقم 32 : جزء من ماجل دائري منفرج محفوظ بمتحف قلعة المشور بمدينة تلمسان

ث . ماجل ثماني الأضلاع : وهو كبير نوعا ما ، به زخارف نباتية وكتابية موجودة بالبدن وأسفل الفوهة المكسرة ، ارتفاعه 56 سم وقطر قاعدته 43.2 سم ، وقطر فوهته 40 سم وبسمك 2.3 سم وهو محفوظ بمتحف قلعة المشور بتلمسان (الصورة 33) .



الصورة 33 : جزء من ماجل ثماني الأضلاع محفوظ بمتحف قلعة المشور بمدينة تلمسان

ج . ماجل دائري الشكل : أبيض اللون به ثقبين دائريين متقابلين في جانبيه ، وهو خال من الزخارف ، له كسر بحافته العلوية ، ارتفاعه 39.7 سم وقطره 49.4 سم وبسمك 3.2سم ، يوجد واحد مثله في مسجد قلعة المشور (الصورة 34) .



الصورة 34 : جزء من ماجل دائري محفوظ بمتحف قلعة المشور بمدينة تلمسان

2.2.5 . شبكة توصيل المياه وصرفها : عرفت مدينة تلمسان في الفترة الزيانية نظام توصيل للمياه غاية في الدقة والتخطيط ، وذلك بإنشاء قناة كبيرة رئيسية تكون خارج أسوار المدينة ومتصلة بمصادر المياه المختلفة ، لتتفرع منها بعد ذلك قنوات وسواقي أصغر ، منها ما يصب في الحياض لسقي البساتين والمزروعات وأخرى في الصهاريج التي تزود سكان المدينة ، وقنوات أخرى مدت إلى المباني العامة والخاصة[1]، وفي هذ الصدد يقول يحي ابن خلدون : " .... وتنصب إليها من أعلى أنهار من ماء غير أسن تتجاذب به أيدي المذانب لأسراب المكفروة (هكذا) خلالها ثم ترسله بالمساجد والمدارس والسقايات فالقصور وعليه دور وحمامات ، فبهم الصهريج ويفقه الحياض ويسقي ربعه خارجها مغارس الشجر ، منابت الحب " [2] .

وكل هذه القنوات الأسطوانية الشكل ، بنيت من الفخار ودفنت تحت الأرض خاصة الجزء الخارجي منها ، حتى لا يتفطن العدو لها فيخربها ويمنع الماء على أهل المدينة[3]

ويحتفظ متحف تلمسان اليوم ضمن طياته أربعة أنواع من قنوات التوصيل وهي :

1- فيلالي (عبد العزيز) : المرجع السابق ، ص 149 .
2- ابن خلدون(يحي) : بغية الرواد ... ، المصدر السابق ، ص 87 .
3- كربخال (مرمول) : المصدر السابق، ص 298 .

أ . **<u>النوع الأول</u>** : قناة كبيرة طولها 58.5 سم وقطر قاعدتها الكبرى 15.4 سم والصغرى 15.1 سم وسمكها 3 سم ، ويرجح أنها تابعة للقناة الرئيسية المتصلة بمصادر الماء ، ويوجد نموذج واحد لهذا النوع في المتحف بقلعة المشور بتلمسان (الصورة 35) .



الصورة 35 : النوع الأول من قنوات توصيل المياه محفوظة بمتحف قلعة المشور بتلمسان

ب . **<u>النوع الثاني</u>** : قناة طولها 30 سم ، قطر قاعدتها الكبرى 11.4 سم والصغرى 7.3سم، وسمكها 2 سم ، وهناك ثلاثة منها في المتحف بقلعة المشور بتلمسان (الصورة36).



الصورة 36 : النوع الثاني من قنوات توصيل المياه محفوظة بمتحف الفن والتاريخ بتلمسان

ت . **<u>النوع الثالث</u>** : قناة طولها 49 سم وقطرها 23 سم وسمكها 4 سم (الصورة 37) ، ويوجد اثنان منها بمتحف قلعة المشور بمدينة تلمسان .



الصورة 37 : النوع الثالث من قنوات توصيل المياه محفوظة بمتحف قلعة المشور بتلمسان

ث . النوع الرابع : وهو عبارة عن قنوات صغيرة جدا طولها 25.2 سم وقطر قاعدتها الكبرى 4.5 سم والصغرى 3.6 سم ، أما سمكها 4 مم (الصورة 38) ، ونجد هذا النوع بمتحف قلعة المشور بتلمسان .



الصورة 38 : النوع الرابع من قنوات توصيل المياه محفوظة بمتحف قلعة المشور بتلمسان

أما عن **شبكة الصرف** فكانت عبر قنوات فخارية أسطوانية الشكل أيضا ، كبيرة الأحجام والمقاسات منها ما يجري فيها مياه الأمطار وتسمى الميازيب تصب فيها إما في المواجل أو خارجا في الأزقة ، وأخرى مخصصة لصرف المياه القذرة كالمراحيض ، وكانت توضع هذه الأخيرة في المنازل بعيدا عن الآبار لمنع تعرضها للتلوث ، وكل هذه القنوات تجري خارج إلى المدينة ، هذا ما لاحظناه عند زيارة تلك المواقع .

ومن القنوات التي لا تزال باقية بمتحف تلمسان نذكر :

أ . **<u>القناة الأولى</u>** : قناة كبيرة بطول 39.4 سم ويبلغ قطر قاعدتها الكبرى 23.2 سم والصغرى 16.1 سم وسمكها 2 سم (الصورة 39) ، وهي موجودة بالمتحف قلعة المشور بتلمسان .



الصورة 39 : القناة الأولى لصرف المياه محفوظة بمتحف قلعة المشور بتلمسان

ب . **<u>القناة الثانية</u>** : بطول 53.2 سم وقاعدتها الكبرى ب 24.3 سم والصغرى 17 سم ، وسمكها 2.3 سم (الصورة 40) .



الصورة رقم 40 : القناة الثانية لصرف المياه محفوظة بمتحف قلعة المشور بتلمسان

كما وجدنا بمعظم أحياء المدينة منازل وقصور إضافة إلى حمامات عمومية ، **والتي كانت تستمد مياهها من الشبكة العمومية أو الآبار ، أما الأحواض في تلمسان كانت أكثرها المتعلقة بالنافورات أو الميضآت أو العيون التي كانت بقربهما .**

6 . نافورات وأحواض العمارة الزيانية بتلمسان :

اشتهرت تلمسان بعدد لا بأس به من المساجد العتيقة والتي تعطي مسحة إسلامية أصيلة لهذه المدينة التاريخية والتي تعتبر بحق تحفة رائعة للفن المغربي الاسلامي ، ومنها ما يهم موضوعنا ويخدمه ، كنافورة أو ميضأة **مسجد سيدي ابراهيم المصمودي وضريحه** ، ومن الروائع الفنية التي خلفها بنو عبد الواد ، **والمدرسة التاشفينية** ، **ومدرسة أولاد الإمام (أو المدرسة اليعقوبية) ، وفنادق بها أحواض مائية كفندق الرمانة والمامي** ، ومعظمها اندثر ولم يبق ما يذكر بها إلا أسماءها ، كما شيدوا القصور العظيمة ومنها **قصر المشور** [1]، وقد عرفت النافورات والأحواض الأصلية به التجديد الكلي ، فكانت **المساجد الأوفر للنافورات وأحواضها** ، وكذا المتاحف التي حافظت على بعض الأحواض الأصلية بعد تجديد بناء تلك المساجد ، وتعتبر من الروائع الفنية التي خلّفها بنو عبد الواد ، إلا أن بعضا من المساجد المرابطية بتلمسان صغيرا في الحجم كما وتفتقر للصحن والمجنبتان ، وبذلك انعدمت بها النافورة أو الميضأة كمسجد أبي الحسن التنسي ، و مسجد أولاد الإمام .

وأهمها حسب ما وجدنا بها من أحواض و نافورات ، وثم تصنيفها بداية بالدينية كونها احتفظت بها بعكس العمارة المدنية ، فوجدنا كلا من مسجد سيدي ابراهيم المصمودي وضريحه ، إضافة إلى المدارس الزيانية .

1- سالم (عبد العزيز) : في تاريخ وحضارة الاسلام ... ، المرجع السابق ، ص 249 .

ومن بين المعالم التي سنتطرق إليها في ذكرنا لنماذج النافورات أو الميضآة وأحواضها الزيانية نجد :

1.6 . نافورة أو ميضأة مسجد سيدي ابراهيم المصمودي بتلمسان :

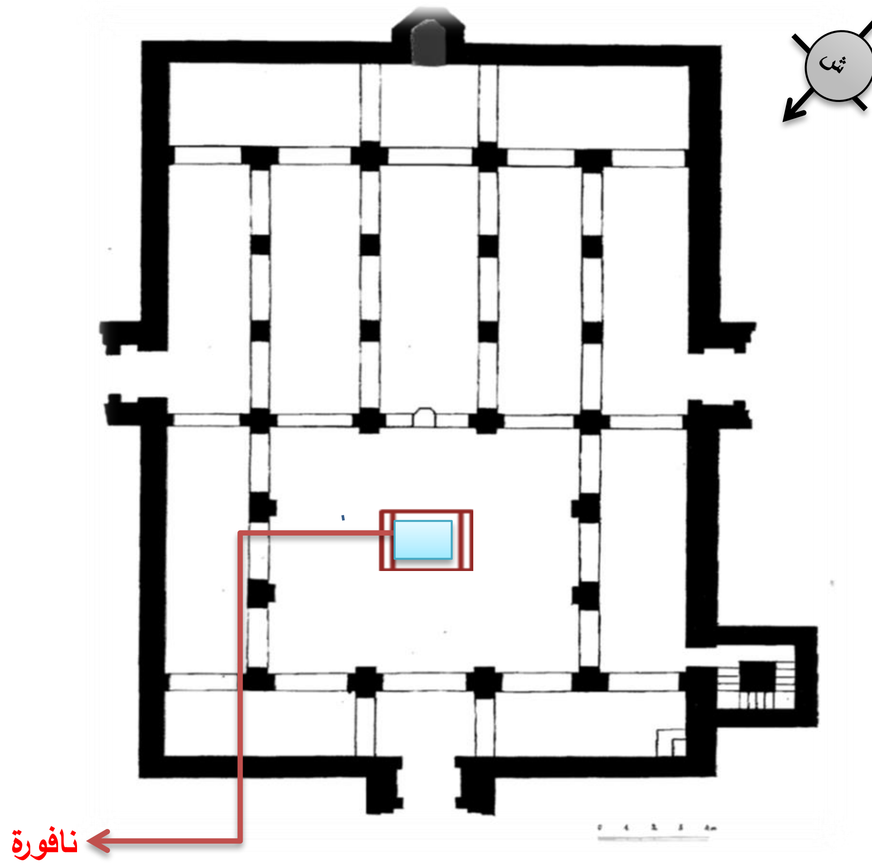
نسبة للشيخ العالم الصالح الولي الزاهد ابراهيم المصمودي أبو اسحاق أحد شيوخ ابن مرزوق الحفيد ، أصله من صنهاجة المغرب قرب مكناس ، ولد وترعرع فيها ، تفرّغ للفرائض الدينية وطلب العلم ، توفي سنة 805 هـ/1405 م ، وحضر جنازته الواثق ماشيا على رجليه ، ودفن بروضة أل زيان من ملوك تلمسان [1] .

وبني المسجد في عهد السلطان أبي حمو موسى الثاني 760 . 791هـ/1360 . 1391 م ، وهو يتألف من قاعة صلاة ذات خمسة بلاطات عمودية على جدار القبلة ، وصحن محاط بأروقة في الجوانب الثلاثة [2] ، ذو شكل مستطيل يبلغ طوله 20 م وعرضه 09.05 م ، وهو بهذا التخطيط يشبه المساجد المرينية (المخطط 14) .

1- ابن مريم (أبو عبد الله) : البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، المطبعة الثعالبية ، الجزائر 1908 م ، ص 65 ، 66 وأ**نظر** :

- Bargés (JJL) : Complément à l’histoire des Béni Ziyan rois Tlemcen la roux , Paris 1887, P 258 , 259 .

2- Bourouiba (R) : L’art religieux musulman, Op.Cit , P 171 .



المخطط 14: مسجد سيدي ابراهيم المصمودي بمدينة تلمسان . بتصرف عن بوروبية .

ويقع هذا المسجد إلى الشرق من مسجد سيدي أبي الحسن التنسي ، وإلى الجنوب الغربي من مسجد وقلعة المشور ، في حي باب الجديد بمدينة تلمسان ، يجمع هذا المبنى الواسع بين المسجد والضريح **والمدرسة** .

أسسه السلطان الزياني أبو حو موسى الثاني الذي تولى الحكم من سنة 760هـ/1360 م إلى سنة 791 . 1391 م ، والضريح الذي أقامه به كان تخليدا لأبيه أبي يعقوب ، وأعمامه أبن سعيد وأبي ثابت[1] .

ويعتقد بروسلار Brosselard [2] على أنه تم بناؤه سنة 765هـ/1364 م ، وأحيط بسور واحد به البساتين ، وجعلت مدرسته خصيصا للعالم والفقيه والمحدث التلمساني

1- فيلالي (عبد العزيز) : المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص 144 .

2- Brosslard (CH) : Mémoire Epigraphique et Historique Sur Les Tombeaux Des Emirs Beni Zeiyan et de Boabdil , dernier roi de Grenade , découverts à Tlemcen , T 7 , P 12 .

المشهور **أبي عبد الله محمد الشريف العلوي الحسني** [1] ليدرس بها ، هو وابنه من بعده أبو محمد ، وتلميذه الشيخ ابراهيم المصمودي والذي دفن بها عندما توفي ، وحاليا لم يتبق إلا بعض من أجزاء المسجد والضريح الأصليان اللذان أصبحا يشتهران تحت اسم الامام ابراهيم المصمودي.

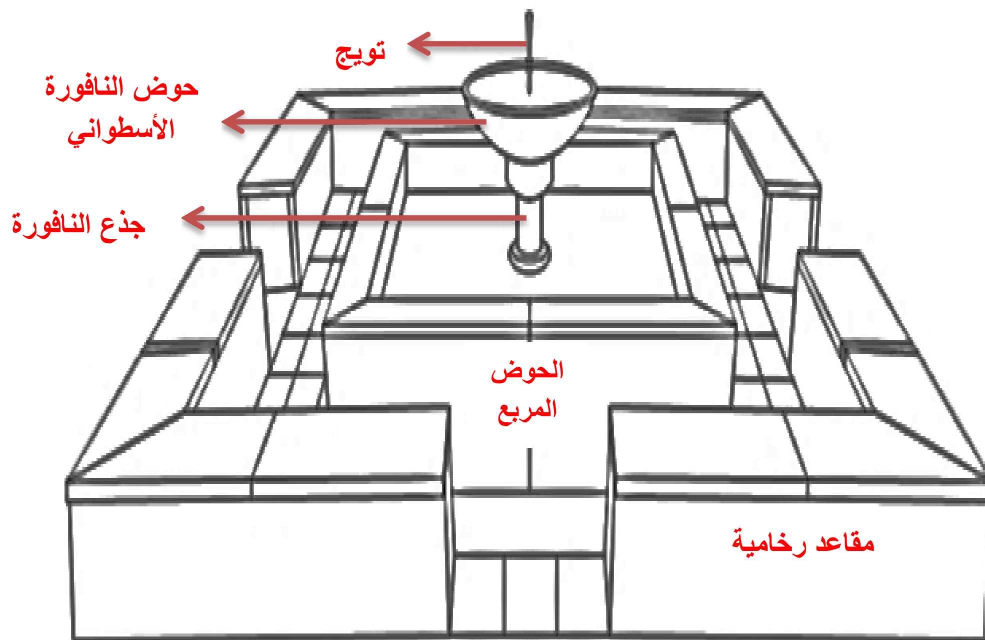
يتوسط صحن المسجد **نافورة أو ميضأة** ، يحيط بها حوضين مربعين من الرخام الأبيض المجزع بشيء من البني الفاتح بمثابة مقاعد أو فواصل أربعة ، متساوية المقاسات طولها 1.25 و عرضها 30 سم وارتفاع المقعد منها 34 سم ، ليليها الحوض الثاني ذو الشكل المربع طوله 1.72 م وعرضه 1.72 م و سمكه 16 سم ، هذا الأخير تتوسطه نافورة أو ميضأة لتأديتها وظيفة الوضوء ، وهي ذات جذع أسطواني مرتكز مباشرة فوق الأرضية طوله 43 سم وعرضه 49 سم فوقه وسادة مسننه بأربع شقوق متباعدة بقدر 6 سم ، ارتفاعها 5 سم وعرضها 50 سم ، ووضع عليها مباشرة تاج مربع بارتفاع 20 سم وعرض 40 سم ، به زخارف بارزة غير واضحة الملامح بسبب تآكلها ، لنجد حوض النافورة الأسطواني من الرخام الرمادي وقطره قدر ب 26 سم ، أما سمك الحافة المتساوية فقدرت ب 4 سم ، يتوسطه تويج من الحديد طوله 30 سم وعرض 06سم ، تنتهي قمته ببتلة طولها 5 سم وعرضها 16 سم ، على شكل وردة بخمسة شموع أو عيون متجهة للأعلى وتعتبر النافذ الأول للماء بالنافورة ولحد الساعة ولكن بحجم ضئيل ، لذلك استحدثت بوسط بدنه (أي التويج) عين لغرض سيل الماء بأكثر قوة (اللوحة 10 : الصورة 01 والشكل 02) . وقد كانت قبلا عيون أربع متقاطعة

1- الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف الحسني التلمساني ولد سنة 710 هـ/1310 م بتلمسان ، حفظ القرآن على يد الشيخ أبي زيد بن يعقوب ، ثم وجهه خاله للعالمين الفاضلين ابني الإمام أبي زيد عبد الرحمن وأبي موسى عيسى ، ليدرس العلوم العربية والاسلامية الدينية واللغوية ، كما لازم الشيخ محمد بن ابراهيم الآبلي ، رحل إلى تونس سنة 740 هـ/1340 م ، للاستزادة ثم عاد إلى تلمسان واشتغل هناك بالتدريس والتعليم ، اختاره السلطان المريني أبو عنان عندما دخل تلمسان كعضو في مجلس علمائه ، فسافر معه إلى فاس ، ثم عاد إلى تلمسان أين بنى له السلطان أبو حمو مدرسة ، حيث دفن بها حين توفي سنة 771 هـ/1370 م . **أنظر :** ابن مريم (أبو عبد الله) : المصدر السابق ، ص 99 .

بسيطة من حيث شكلهما متعاكستان ،عوض عن البتلة والعين الحالية (اللوحة 11 : الصورة 01 و02) .



الصورة 01



الشكل 02 . من عمل الطالبة .

اللوحة 10 : نافورة مسجد سيدي ابراهيم المصمودي بمدينة تلمسان



الصورة 01 : تويج النافورة بشكله الأول ونهايته بأربع عيون متقاطعة .



الصورة 02 : تويج النافورة بشكله الحالي ونهايته بتلة بخمس شوع أو عيون .

اللوحة 11 : تويج نافورة أو ميضأة مسجد سيدي ابراهيم المصمودي بتلمسان

وجمعنا وصف ومقاسات النافورة أو الميضأة بصورة كاملة في بطاقة تقنية ، وكانت على النحو التالي :

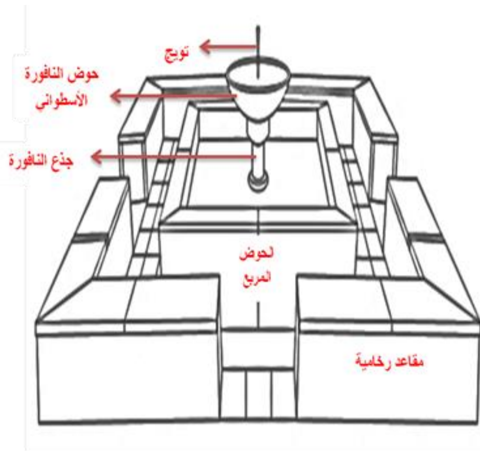
. **البطاقة التقنية رقم 16** : نافورة أو ميضأة مسجد سيدي ابراهيم المصمودي بتلمسان

رقم الجرد	15
اسم العنصر المعماري	نافورة
التسمية المحلية	فوارة
المادة	رخام
اللون	الرمادي الفاتح والأبيض
الوظيفة	حفظ الماء للوضوء والشرب
الفترة	زيانية
المصدر	مسجد سيدي ابراهيم المصمودي
المقاسات	ـ الحوض الخارجي بمقاعد طولها 1.25 عرضها 30 سم ، ارتفاع المقعد 34 سم ، ـ الحوض الثاني المربع طوله 1.72 م وعرضه 1.72 م ، سمكه 16 سم ـ جذع أسطواني طوله 43 سم وعرضه 49 سم ـ وسادة مسننه بأربع شقوق متباعدة بقدر 6 سم ، ارتفاعها 5 سم وسمكها 50 سم ـ تاج مربع ارتفاعه 20 سم وسمكه 40 سم ـ حوض النافورة الأسطواني قطره 26 سم ، أما سمك الحافة 4 سم ـ تويج من الحديد طوله 30 سم وعرضه 06 سم، تنتهي قمته ببتلة طولها 5 سم وعرضها 16 سم
تقنية البناء	مركبة
تقنية الزخرفة	/
مكان الحفظ	صحن مسجد سيدي ابراهيم المصمودي
طريقة الاكتشاف	بناء لا يزال بصحن المسجد
حالة الحفظ	حسنة
الوصف	نافورة أو ميضأة تتوسط حوضان مربعان يحيطان بها من الرخام الأبيض المجزع بشيء من البني الفاتح ، وهما بمثابة مقاعد أو فواصل أربع ، متساوية المقاسات ، وهي ذات بدن أسطواني مرتكز مباشرة فوق الأرضية فوقه وسادة مسننه بأربع شقوق متباعدة ، ووضع عليها مباشرة تاج مربع ، به زخارف بارزة غير واضحة الملامح بسبب تآكلها ، لنجد حوض النافورة الأسطواني من الرخام الرمادي يتوسطه تويج من الحديد ، تنتهي قمته ببتلة ، على شكل وردة بخمسة شموع متجهة للأعلى وتعتبر النافذ الأولى للماء بالنافورة ولحد الساعة ولكن بحجم ضئيل، لذلك استحدثت بوسط بدنه (أي التويج) حنفية لغرض سيل الماء بأكثر قوة
بيبليوغرافيا	/

الصورة



الشك



2.6 . حوض ضريح سيدي ابراهيم المصمودي :

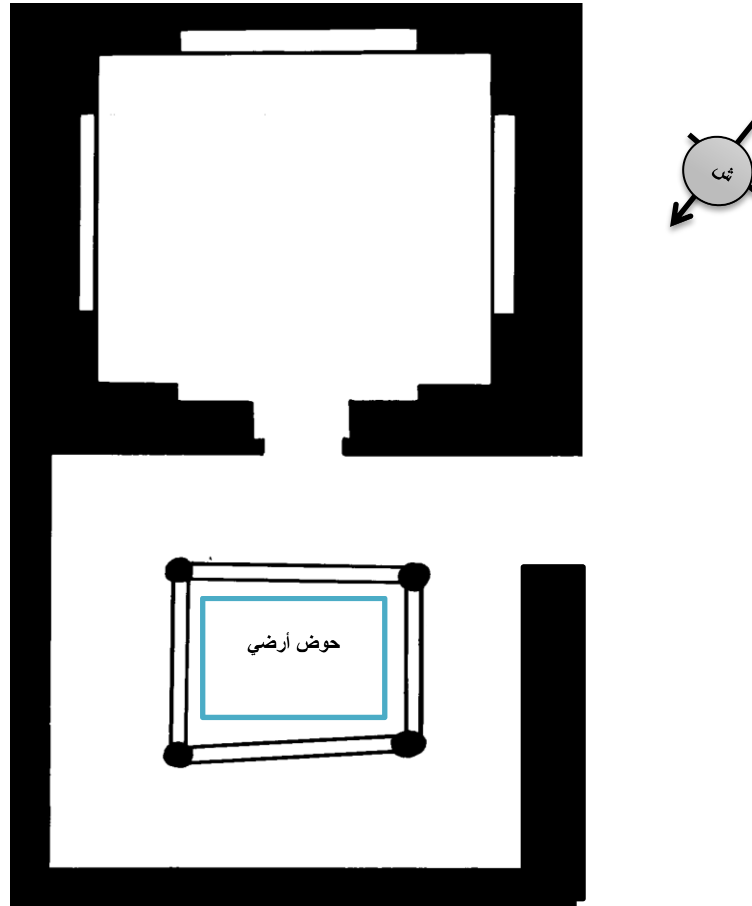
والضريح كلمة مشتقة من فعل " ضرح " بمعنى حفر القبر ، جمعها " أضرحة " وهو الشق في وسط القبر واللحد في الجانب ، وقال الأزهري في ترجمة لحد : " والضريح والضريحة ما كان في وسطه يعني القبر ، وقيل الضريح القبر كله وقال هي قبر بلا لحد " [1] ، وقد وردت عدة مصطلحات للضريح بمختلف أشكالها ومواقع وجودها ، إذ استعملت كلمة " تربة " للدلالة على المدفن في العصر العثماني [2] ، كما أطلق عليه كلمة " مشهد " على كل بناء تذكاري أعد لدفن الشهداء أو أهل البيت ، وهو من العادة مكان للزيارة للعديد من الناس والأتباع ، وفي البلاد العربية أطلق اسم " مقام " على مكان دفن الأولياء والشيوخ والأنبياء ، وفي المغرب استعملت كلمة " مربوط " للدلالة على المدفن ، والولي في ذات الوقت [3]، إضافة إلى أن المسلمين قد أقبلوا إلى استعمال القباب في الأضرحة حتى أطلقت جزءا على الكل وصارت كلمة " قبة " اسم دال على الضريح كله [4] .

كانت تلك الأضرحة تقام على رفات سلطان أو أمير أو رجل صالح أو إنسان له مكانة تدعو إلى تخليد ذكراه ، وقد شهدت تنوعا ، فكان منها البسيط المنفرد الذي يتكون من غرفة واحدة مربعة مقببه تضم التربة وحدها ، ومنها الملحقة أو الملاصقة للمسجد ، أو مدرسة أو خنقاه [5] .

ويقع ضريح سيدي ابراهيم المصمودي على بعد بضعة أمتار غرب المسجد ، يفتح من الجهة الشمالية على صحن صغير مربع الشكل ، ويرى جورج مارسي أن هذا

1- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد) : لسان العرب ، المجلد الثاني ، المصدر السابق ، ص 526 .
2-Diez (E) :L'art de l'islam , Petite bibliothèque , Paris , Sans Dat , P 50 .
3- لمعي (صالح مصطفى) : القباب في العمارة الاسلامية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان ، ص 23 .
4- عبد الجواد (توفيق أحمد) : تاريخ العمارة الاسلامية، الجزء الثالث ، القاهرة 1970 م ، ص 58 .
5- غالب (عبد الرحيم) : المرجع السابق ، ص 256 .

المدخل قد جدّد في فترة غير بعيدة [1] ، وجاءت غرفة الضريح مستطيلة الشكل طولها 14.70 م وعرضه 8 م ، من حجرة خصصت للدفن يتقدمها صحن يقع إلى شمال الحجرة ، وتتجلى أهمية هذا الضريح في الزخارف التي نفذت على جدرانه من الداخل ، وقد جدّد العديد من أجزائه أثناء ترميمه سنة 2005 م (المخطط 15) .



المخطط 15: ضريح سيدي ابراهيم المصمودي بتلمسان وحوض صحنه الأرضي

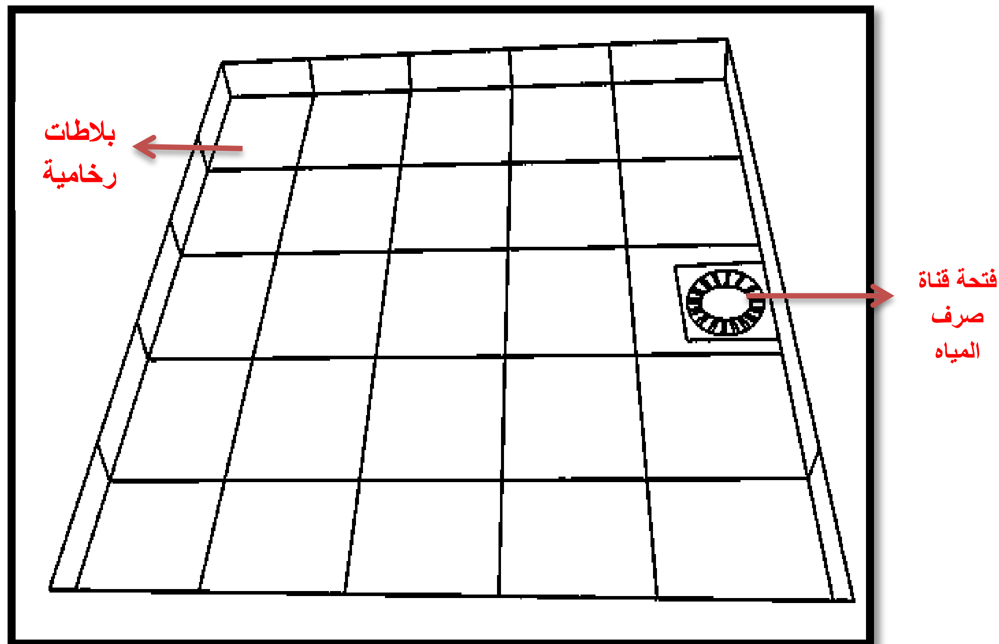
. من عمل الطالبة .

وجد بالصحن حوض أرضي بسيط استعمل للغسل فقط ، استحدثت بلاطاته وكذا منافذه لصرف المياه ببلوعة حديثة ، وهو مربع الشكل طوله 1.52 م وعرض 1.52 م و عمق قدّر ب 10 سم (اللوحة 12 : الصورة 01 و الشكل 02) .

1 -Marçais (w et G) : Les Monuments .... Op.Cit , P 307 .



الصورة 01



الشكل 02 . من عمل الطالبة .

اللوحة 12 : الحوض الأرضي بصحن ضريح سيدي ابراهيم المصمودي بتلمسان .

ورغم بساطة الحوض إلا أنا ارتأينا أن نجمع معلوماته في بطاقة تقنية ، وجاءت في شكلها التالي :

. **البطاقة التقنية رقم 17**: الحوض الأرضي بضريح سيدي ابراهيم المصمودي بتلمسان

رقم الجرد	H 10
اسم العنصر المعماري	حوض
التسمية المحلية	حوض
المادة	حجر مبلط ببلاطات رخامية
اللون	بني فاتح
الوظيفة	تصريف ماء الغسل
الفترة	زيانية
المصدر	ضريح سيدي ابراهيم المصمودي بتلمسان
المقاسات	طوله 1.52 م وعرض 1.52 م و عمق 10 سم
تقنية البناء	الحفر والتبليط
تقنية الزخرفة	/
مكان الحفظ	صحن ضريح سيدي ابراهيم المصمودي
طريقة الاكتشاف	مساحة أرضية لا يزال مكانها بصحن الضريح
حالة الحفظ	جيدة
الوصف	حوض أرضي بسيط مربّع الشكل استعمل للغسل فقط ، استحدثت بلاطاته وكذا منافذه لصرف المياه ببلوعة حديثة كقناة لصرف المياه .
بيبليوغرافيا	/

الصورة

الشكل

بلاطات رخامية

فتحة قناة صرف المياه

إضافة إلى الحياة الثقافية والدينية في بلاد المغرب قد كانت على غرار مثيلتها في بقية بلاد الاسلام ، ويميزها سيطرة الفقهاء المالكيين كمنشطين أساسيين لها ، وكانت تقوم على الدراسات الدينية الفقهية ، والعلوم الاجتماعية ثم العلوم الرياضية والطبيعية .

3.6 . أحواض المدارس الزيانية بتلمسان:

وعرفت مدينة تلمسان في عهد بني زيان ازدهارا ثقافيا ملحوظا ونهضة أدبية كبيرة [1] ، وبسبب الازدهار الاقتصادي الذي شهدته وتشجيع السلاطين الزيانيين للبناء والتعمير ، وحاجة الدولة لتنظيم عملية التعليم ، فقد عمل السلاطين الزيانيون على تشييد **المؤسسات التربوية والتعليمية على نمط المدارس النظامية بالمشرق** ، تخرّج منها علماء ساهموا في انتشار الحركة العلمية بالمغرب الاسلامي .

و اشتقت كلمة " **مدرسة** " من فعل درس بمعنى قرأ ، كما ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى : " **أَلَمْ تَأْخُذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقَ الْكِتَابَ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الحَقْ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ** " [2]، وقوله أيضا : " **وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبيّنه لقوم يعلمون** " [3]، كما أن الحلقات الفقهية التي تقام في المساجد تعرف بالدرس ، وكان يطلق أحيانا على معلم الفقه لقب " مدرّس " [4] .

ويذهب المقريزي إلى تعريف المدرسة أنها تأتي من الفعل " درس الكتاب " يدرسه درسا ودراسة ، والمدرسة هو الموضع الذي يدرّس فيه [5]

وقد ظهرت المدرسة مع تطور العلوم الاسلامية ، بحيث أصبحت تضم علوم أخرى كالفلسفة والأدب واللغة ، ومن هنا أصبح المسجد لا يسع لذلك لأنه كان يتخذ للصلاة ،

1- فيلالي (عبد العزيز) : الجزء الثاني ، المرجع السابق ، ص 317 .
2- القرآن الكريم : سورة الأعراف ، الآية 169 .
3- القرآن الكريم : سورة الأنعام ، الآية 105 .
4- المقديسي (جورج) : مؤسسات العلم الاسلامية ببغداد ، الجزء الثالث ، الأبحاث التي تصدر عن الجامعة الأمريكية ، بيروت 1961 م ، ص 295
5- المقريزي : المصدر السابق ، الجزء الثاني ، ص 362 .

كما أن المدرسة أصبحت تأوي الطلبة الأجانب ، فهي ذات نظام وأسس تستجيب في آن واحد لوظيفة المسجد والخان [1] .

أما مدلول المدرسة معماريا فهي مؤسسة تضم بيتا للصلاة والدراسة في آن واحد حيث تعرف باسم " القبة " كما تحتوي أيضا على صحن مكشوف واسع ، وسكنى للطلبة بها طابق أو طابقين بهما غرف ومرافق أخرى كالمكتبة وغيرها [2] ، وبهذا الصدد اتخذت المدرسة وظيفتها الرئيسية من كونها أعدت لسكن الفقهاء [3] .

ومن خلال ذلك كله يتضح لنا أن المدرسة المستقلّة لها شروط خاصة وتعريفها مستمد من البيوت المخصصة لسكنى الشيوخ والفقهاء والطلبة والعلماء ، فالمدارس الاسلامية اعتمدت على مواصفات ، منها جدار القبلة يعتبر كقاعدة لتخطيط البناء وحدودها الداخلية تنتظم في مستطيل أو مربع قائم على خط ذلك الجدار ، واعتمدت أيضا على وجود بيت للصلاة في كل مدرسة ، ويكون موقعه دائما في الجهة القبلية من المدرسة وهو من أهم قاعدتها وأوسعها [4] .

وكان تأسيس أول مدرسة في تلمسان عهد السلطان الزياني أبو حمو موسى الأول ، حيث أنشأت سنة 710 هـ/1310 م للعالمين الجليلين والفقيهين الشهيرين أبي زيد عبد الرحمن وأبي موسى عيسى ابنيّ الإمام الفقيه أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن الامام [5] من أهل برشك (قوراية حاليا وهي بمنطقة تيبازة) ، **والمسماة بمدرسة أولاد** [6] ، إلا أن الاستعمار الفرنسي هدّمها سنة 1275 هـ/1859 م ، **فالمسجد يفتقر لصحن ، إلا أنه**

---

1 - Hillenbrand (R) : Madrasa , encyclopédie de L'islam T.V , Paris , GP Maisonneuve , 1986 , P 119 , 120

2- الونشريسي : المعيار ، الجزء الأول ، المصدر السابق ، ص 365 .

3- فكري (أحمد) : مساجد القاهرة ومدارسها ، الجزء الثاني ، دار المعارف ، مصر 1999 ، ص 109 - 121 .

4- حيدر (كامل) : العمارة العربية الاسلامية ، نشوء المدارس الاسلامية وخصائصها في العصر العباسي ، الطبعة الأولى ، دار الفكر اللبناني 1990 م ، ص 26

5- التنسي (محمد بن عبد الله) : تاريخ بني زيان ، المصدر السابق ، ص 120 .

6 - Marçais (G) : Remarque sur les Medersas funéraires en Berbérine , mélanges Gaudry de mombins , institut Français , Le Caire 1973 , P 264 .

استحدث له وهو بشكل جد بسيط ، كما جعلت به ميضأة في الناحية الغربية للصحن، ولكونهما مستحدثان فلم نقم بدراستهما .

1.3.6. المدرسة اليعقوبية أو مدرسة سيدي ابراهيم المصمودي :

وبنيت في حدود 763 . 765 هـ/1361 . 1363 م ، على يد السلطان أبو حمو موسى الثاني الذي حكم منذ 760 . 791 هـ/1358 . 1588 م ، على ضريح والده يعقوب وعميه أبي سعيد عثمان وأبي ثابت ، الذين تواليا حكم مدينة تلمسان في الفترة السابقة .

وتقع اليعقوبية بالقرب من المقبرة الزيانية التي تضم ضريح أبي يعقوب والد السلطان أبو حمو موسى الزياني ، فاختيار موقع اليعقوبية لم يكن وليد صدفة بل خضع لاعتبارات أخرى ، وهي أن يضم هذا الفضاء أقدم المباني التي اندثرت معظمها[1] ، أي بجانب ضريح سيدي ابراهيم المصمودي على يد السلطان أبي حمو موسى الثاني [2] .

كان السلطان أبي حمو موسى الثاني ولوع بتشييد المباني من مساجد ومدارس ، حيث تم تأسيس هذه المدرسة مباشرة بعد دفن والده ، وقد دشنت في صفر من سنة 765 هـ/1354 م [3] .

كما أكثر عليها الأوقاف ورتب فيها الجرايات ، ولقد كان الإمام أبو عبد الله الشريف التلمساني واحد من أكابر مدرسيها الذي قدم من فاس ، ولقد اشتهرت باليعقوبية نسبة إلى والد السلطان أبي حمو موسى أبي يعقوب ، بعد أن اكتملت عمارته دعيت باليعقوبية ، كما أطلق عليها " اسم مدرسة سيدي ابراهيم المصمودي " لذي توفي ودفن

1- بن قربة (صالح يوسف) : تاريخ الجزائر في العصر الوسيط ، المرجع السابق ، ص 150 .
2- ابن مرزوق : المسند الصحيح ، المصدر السابق ، ص 406 .
3- ابن خلدون (يحي) : بغية الرواد ، الجزء الثاني ، المصدر السابق ، ص 136 .

بها سنة 805هـ/1402م ، وظلت المدرسة تعرف بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، **ومن سوء الحظ أنها قد اندثرت كغيرها من المدارس** [1].

فقد وصفها صاحب كتاب زهرة البستان بقوله : " ... **فأقيمت مدرسة مليحة البناء وواسعة الفناء بنيت بضروب من الصناعات ووضعت في أبدع الموضوعات ، سمكها بالصبغة مرقوم ، وبساط أرضها بالزليج مرسوم غرس بإزائها بساتين و .... صنع فيها صهريجا مستطيلا وعلى طرفيه من الرخام خصتان يطردان مسيلا فيا لها من بنية ما أبهجها ...** " [2] .

لقد ساهمت اليعقوبية في تنشيط الحركة الثقافية في تلمسان لإيوائها الطلبة ، واحتضانها للحلقات العلمية ، التي كانت لا تتم بمعزل عن جامع تلمسان الذي كان بمثابة جامعة مثل القرويين بفاس والزيتونة بتونس .

لكن بفعل التحولات التي عرفتها البلاد ، أصاب المدرسة نوعا من الفتور ، وجعلها عرضة للاندثار [3] .

والمدرسة الزيانية بصفة عامة هي مؤسسة سلطانية النشأة والتمويل أقيمت خصيصا لإيواء الطلبة وتدريس العلوم ، وخاصة منها المقترنة بالمذهب المالكي لتعزيز مكانته في الدولة ، بتخريج العلماء العاملين بمقتضياته ، وتحقيقا لهذه الغايات الكبرى ، وتقديرا منهم للعلم والعلماء تفنّن الزيانيين في تخطيط مدارسهم فهذا أبو حمو موسى الثاني الذي وجّه عنايته إلى المدرسة الموضوعة على ضريح والده " أبي يعقوب " ، فضاعف فيها الفعلة وأوجب الأبنية ، وأجزل الأوقاف ، وعين الجرايات ورسم فيها الخطط ، فجاءت آية في الحسن والجمال.

1- بن قربة (صالح يوسف) : المرجع السابق ، ص 152 .
2- الغرناطي (أبو عبد الله محمد بن مالك) : زهرة البستان ونزهة الأذهان ، ترجمة وتحقيق : محمد مولود خلف المشهداني ، الطبعة الأولى ، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية 2005 م ، ص 225 .
3- بن قربة (صالح يوسف) : المرجع السابق ، ص 150 .

2.3.6 . المدرسة التاشفينية :

وتأسست هذه المدرسة من طرف السلطان الزياني أبي تاشفين عبد الرحمن بن أبي موسى الأول في الفترة ما بين 718 . 737 هـ/1318 . 1337 م ، تكريما للفقيه أبي موسى عمران المشذالي ، وهي تعدّ ثاني مؤسسة زيانية أسست بالمغرب الأوسط [1] ، سميت في حياته باسمه ، ثم دعيت بالمدرسة الجديدة بعد وفاته [2] .

وموقعها كان بقلب المدينة على بعد 25 م جنوب المسجد الجامع بتلمسان ، بإزائه جنوبا ، فهي توجد في مجال يعتبر النواة الأولى بعد جامع أغادير الذي أسسه إدريس الأول خلال النصف الثاني من القرن الهجري [3] .

وتبيّن من أن اختيار مكان التاشفينية لم يكن صدفة بل كان لاعتبارات أخرى وذلك في رغبة مؤسسها للاستفادة من المجال الحيوي الذي بنيت فيه حتى تستطيع المدرسة أداء رسالتها التعليمية بوجودها في فضاء يضم أقدم المباني [4] .

ليس لدينا تفاصيل دقيقة عن ظروف تأسيس المدرسة ، إلا إشارات من بعض المصادر ، ونذكر كتاب " نفح الطيب " للمقري بقوله : " ... **رأيت مكتوبا بأعلى دائرة مجرى الماء بمدرسة تلمسان التي بناها أمير المسلمين ابن تاشفين الزياني ، وهي من بدائع الدنيا** [5] ، وهذه الأبيات التي أوردها المقري :

وبديع اتقاني وحسن بنائي	**انظر بعينك مهجتي وسنائي**
من نشأتي بل من تدفق مائي	**وبديع شكلي واعتبر فيما ترى**

1- المقري (أبو العباس محمد أحمد بن محمد التلمساني) : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، الجزء الخامس ، دار صادر بيروت 1388 هـ/1968 م ، ص 223 - 224 .

2 - Barges (G.L.L) ; Tlemcen , ancienne capitale du royaume de ce nom , Paris 1859 , P 326 .

3- التنسي (أبو عبد الله محمد) : تاريخ بني زيان ، المصدر السابق ، ص 141 .

4- بن قربة (صالح يوسف) : تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر ، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 م ، الجزائر 2007 ، ص 144 - 145 .

5- المقري : المصدر السابق ، الجزء الخامس ، ص 223 .

صاف كذوب الفضة البيضاء   حسم لطيف ذائب سيلانه

فعدت كمثل الروض غب سماء   قد حف بي أزهار وشي ممقت [1]

وتعد المدرسة التاشفينية من أفخم المدارس في تلمسان ، وذلك حسب ما ذكره المؤرخون ، وظلّت قائمة حتى بعد الاستقلال ، لكنها تعرّضت للهدم والتخريب سنة 1973 م ، لكن قبل التدمير قام المهندس Duthoit مع الرسّام Danjoy بالرفع المعماري والفني ، حيث رسمت لها بعض من فسيفسائها وإحدى واجهاتها [2] .

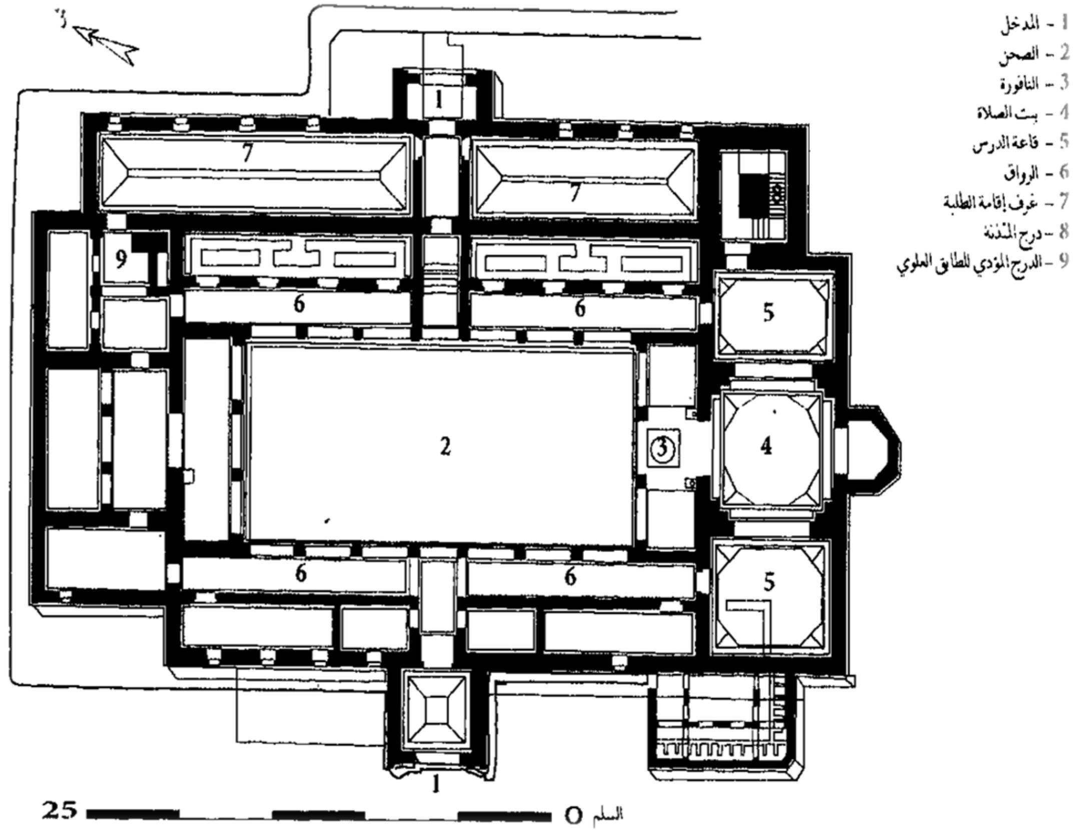
ويعتبر تخطيط المدرسة التاشفينية ذو ميزة لا تشاركه فيه أيّة مؤسسة أخرى ، فالمدرسة فريدة من نوعها في بلاد المغرب و حتى في المغرب الاسلامي ، من حيث تخطيط وتنظيمها المعماري[3] (المخطط 16) ، وفسيفسائها الخزفية والمحفوظة أجزاء منها بمتحف تلمسان [4] .

1- المقري : المصدر السابق ، الجزء الخامس ، ص 224 .

2 -Duthoit (E) : Rapport sur une mission scientifique en Algérie , (Archive des missions scientifiques 1873 , 3 éme série) , T 1 , P 325 .

3 - Marçais (G) : La Madrasa médiévale , Edison 1995 , P 02 , 03 .

4 - Marçais (W) : Musée de Tlemcen , édition Ernest Leroux , Paris 1906 , P 20 .



المخطط 16 : المدرسة التاشفينية بتلمسان . عن جورج مارسي . بتصرف

شيدت المدرسة على أساس محورين رئيسيين إحداهما شمالي شرقي جنوبي غربي ، أما الثاني فهو شمالي غربي جنوبي شرقي يخترق محراب المصلى ، ويحتل مساحة 21م طولا و 9.5 م عرضا [1] .

صحنها مستطيل الشكل تحيط به سبع أروقة من جهاته الأربع ، هذا ما يجعلنا نظن بوجود طابق أعلى لكن ليس لدينا أي معلومات في هذا السياق ، من الجهتين نجد قاعدتين الطول أكبر من العرض وضيقة يمكن أنها استعملت كبيوت إقامة الطلبة .

بنيت **ميضأة المدرسة التاشفينية بالجهة الجنوبية الغربية** ، جاءت ملتصقة ببيت الصلاة ، وتتألف من هيكل بنائي ذو شكل مستطيل يتوسطه فناء يأخذ نفس الشكل ، يحيط به رواق يحتوي على بيوت الخلاء .

1 - Koumas(A) et Nafa(Ch) : L’Algérie et son patrimoine , éditions du patrimoine , Paris 2003 , P 92 .

ولقد تقدّمت مصلى المدرسة التاشفينة **فسقية ذات الشكل الصدفي مصنوعة من المرمر** ، من خلالها كانت تتدفق المياه ، في إطار **مزخرف بضفيرة نباتية رقيقة** ، حيث لم يكن لها نظيرا في المدارس المغربية (سنتطرق إليها في الدراسة الفنية التحليلية) ، إلا ما وجد في زاوية سلا قرب مدينة الرباط [1] ، وهدّمت هذه المدرسة من طرف الاستعمار الفرنسي بحجة توسيع شبكة الصرف داخل المدينة وبنى مكانها دار البلدية [2] .

2.6 . حوض ونافورة قلعة المشور :

وجدت بتلمسان مجموعة من القصور والقلاع الزيانية ، منها ما هو مندثر تقريبا أو رمم كليا فحاولنا فقط ادراجها ولو بشكلها بسيط مع التعرّض لجانبها التاريخي لأهميتها في إدراج الطرز الزيانية من خلال نماذج آثارها ، ومنها القصور والفنادق .

فقد برع الزيانيون في بناء القصور والقلاع وتزيينها ، كتزويدها بمرافق مائية مختلفة من نافورات وصهاريج وأحواض .

و اندثرت معظم تلك القصور ولم يتبق منها إلا ما جدد أو استحدث وفق مخطط قديم، وأهمها **قصر المشور أو قلعته** ، إذ وجدنا فيه حوض متعامد وجملة من نفورات متشابهة الشكل فكان لنا عرضها بداية ب :

حصّنت قلعة المشور كباقي الحصون والقلاع الإسلامية إذ يحيط به سور عالي ، وجدرانها ملاصقة من الداخل لسور المدينة الجنوبي ، وهي من أشهر آثار تلمسان ، **بناه** السلطان يغمراسن بن زيان في أواسط القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي (7هـ/13م) .

وتقع قلعة المشور بالجهة الجنوبية لمدينة تلمسان ، عند منتهى شارع الاستقلال الذي يشق المدينة حاليا .

1- مارسي (جورج) : مدن الفن الشهيرة ، ترجمة سعيد دحماني ، دار النشر التل 2004 ، ص 55 .
2- الرزقي (شرقي) : المرجع السابق ، ص 136 - 137 .

والمشور مشتق من الشورى وهو لفظ مغربي ومعناه الحقيقي المكان الذي يعقد فيه السلطان اجتماعاته مع وزرائه وكتابه وضباطه ، لمناقشة شؤون الدولة والتشاور في أمور الرعية وقت السلم ووقت الحرب [1] .

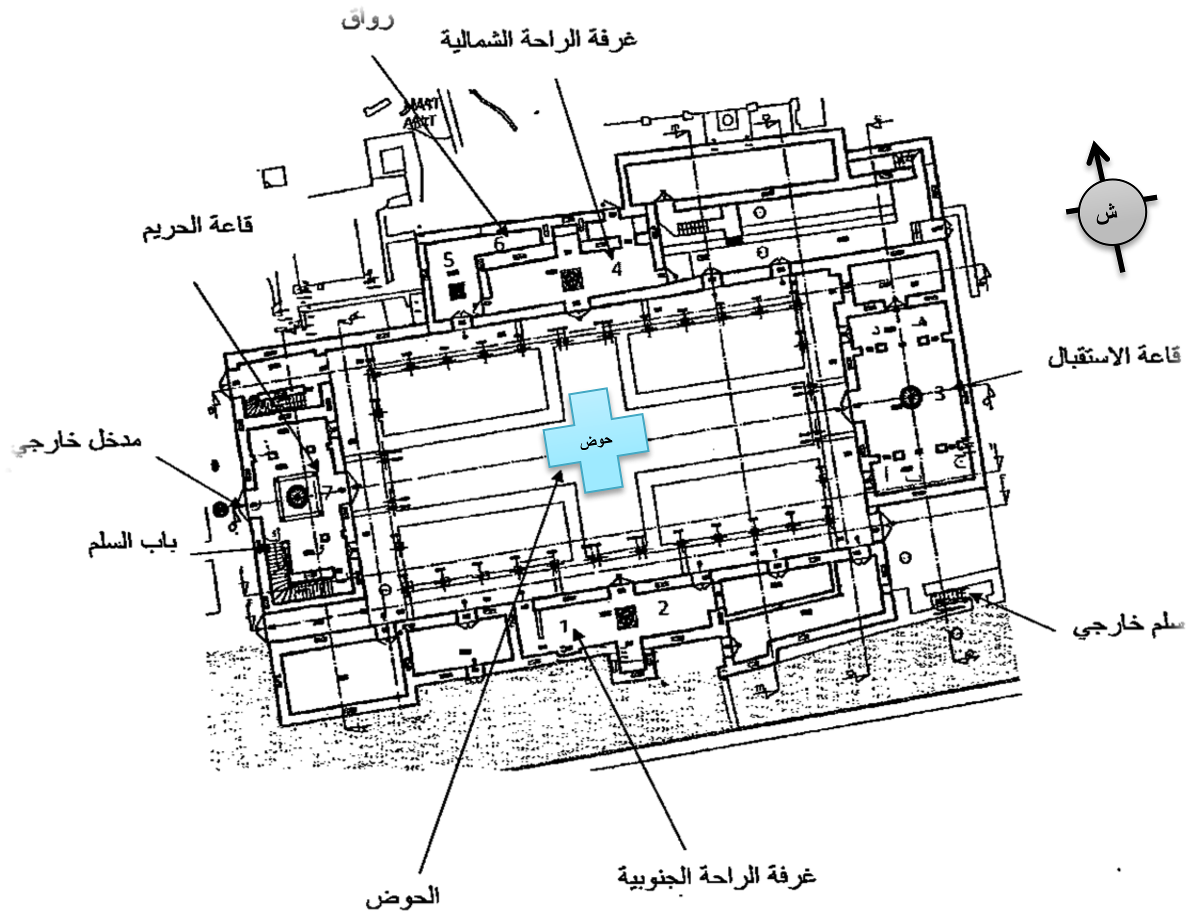
يتربع المشور على مساحة كبيرة قدرها أربعة هكتارات ، في موضع مرتفع قليلا ، ويبلغ طوله 490 م وعرضه 280 م [2] ، يضم إلى جانب قصر السلطان، قصورا أخرى أقل مساحة مبنية بأسلوب معماري فني بديع و مزينة بزخرفة رفيعة .

تحيط بها البساتين و السقايات ، لها بابان أحدهما باب جياد ويقع في الجنوب ، ويطل على البادية ، والثاني باب الغدير ويقع في الشمال الغربي ويؤدي إلى قلب المدينة ، ويقيم بجواره رئيس الحرس وكان بالمشور مجموعة من المخازن والمطامير، لتخزين الحبوب واللحوم والمؤن المختلفة (المخطط 17) .

كما كان له نافورات عديدة لتزيين الساحات ، ووجدت أيضا داخل **المنازل صهاريج استغلت للسقي ، بالإضافة إلى مد قنوات التوصيل والصرف إلى مختلف المرافق الموجودة فيه** [3] .

وعن جمال هذا القصر يقول ابن خلدون : " وكانت قصور الملك بتلمسان لا يعبر عن حسنها **اختطها** أبو حمو موسى الأول وابنه تاشفين واستدعيا الصنّاع والفعلة من الأندلس فبعث إليه أبو الوليد ابن الأحمر بمهرة البنائين واستجادوا لهم القصور والمنازل والبساتين بما أعيا عن الناس بعدهم أن يأتوا بمثله " [4] .

1- بن رمضان (شاوش محمد) : المرجع السابق ، ص 202 .
2- Algérie les guide bleus _ hachette , Paris 1981 , P 309 .
3- كربخال (مارمول) : المصدر السابق ، ص 299 .
4- ابن خلدون (عبد الرحمن) : المصدر السابق ، الجزء السابع ، ص 297 .



المخطط 17 : قلعة المشور ومرافقها بتلمسان . بتصرف عن مكتب الدراسات التقنية .

تعرض المشور عدة مرات للتخريب من طرف بني مرين ، و كان يجدّد و يرمّم بعد كل تخريب و ظل قائما ، إلى أن احتلّته السلطة العسكرية الفرنسية وحولت مرافقه البديعة إلى ثكنات و فندق عسكري[1] ، لتتمكن بعدها الفرق المتخصصة في الحفريات وعلم الآثار للمركز الوطني للبحوث الأثرية للجزائر العاصمة من إعادة تشكيل وبناء القصر الملكي للمشور بتلمسان وإعداده كتحفة معمارية تاريخية شاهدة عن الحضارة الزيانية خلال تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الاسلامية لسنة 2011 م .

قد استوحى الخبراء في إعادة بناء هياكل ومرافق القصر وتزيينه من التصاميم القديمة و الأسوار، و الأعمدة والأقواس وبعض الزخرفة التي بقيت بادية على جدران المبنى ،

1 - Barages (J.J.L) : Op.Cit , P 358 . **Voire aussi** – Bouzina Oufriha (F.Z) : Tlemcen capital musulman le siècle d'or du Maghreb central d' aliment , Algérie 2011 ,P 177 .

واستطاعوا تصور نمط الهياكل وهندسته المعمارية ثم إعادة تطبيقه على أرض الواقع باستعمال أدوات و مواد بناء تقليدية للغاية .

1.2.6 . حوض قلعة المشور المتعامد :

يتميز الشكل الخارجي للقلعة الملكية بالبساطة ، ويتم الدخول إليها عبر باب رئيسي بالجهة الجنوبية الشرقية ، تليها سقيفة بسيطة خالية من كل الزخارف ، و تنتهي بباب على يسار الداخل .ندخل منها إلى فناء مستطيل الشكل يتوسطه **حوض مركزي متعامد الشكل** طوله 29م×15.50 م وعرضه 5 م وجاء بعمق 92 سم (اللوحة 13 : الصورة01 والمخطط 02) ، جاءت حوافه من الرخام و كسيت جدرانه وأرضياته بمربعات من الزليج الملون ، و قد رتبت ألوان الزليج بالتناوب ثلاث معينات بيضاء زرقاء سوداء وصفراء عسلية ، و بين الأضلاع المتعامدة تبرز مساحات مستطيلة تشكل الحديقة الملتفة بالحوض مزودة بقنوات جلب وصرف المياه و في الضلع المتعامد الجنوبي للحوض نجد فتحتين من الرخام ، العلوية منهما لتزويد الحوض بالمياه والسفلى لتصريف الزائد منه .

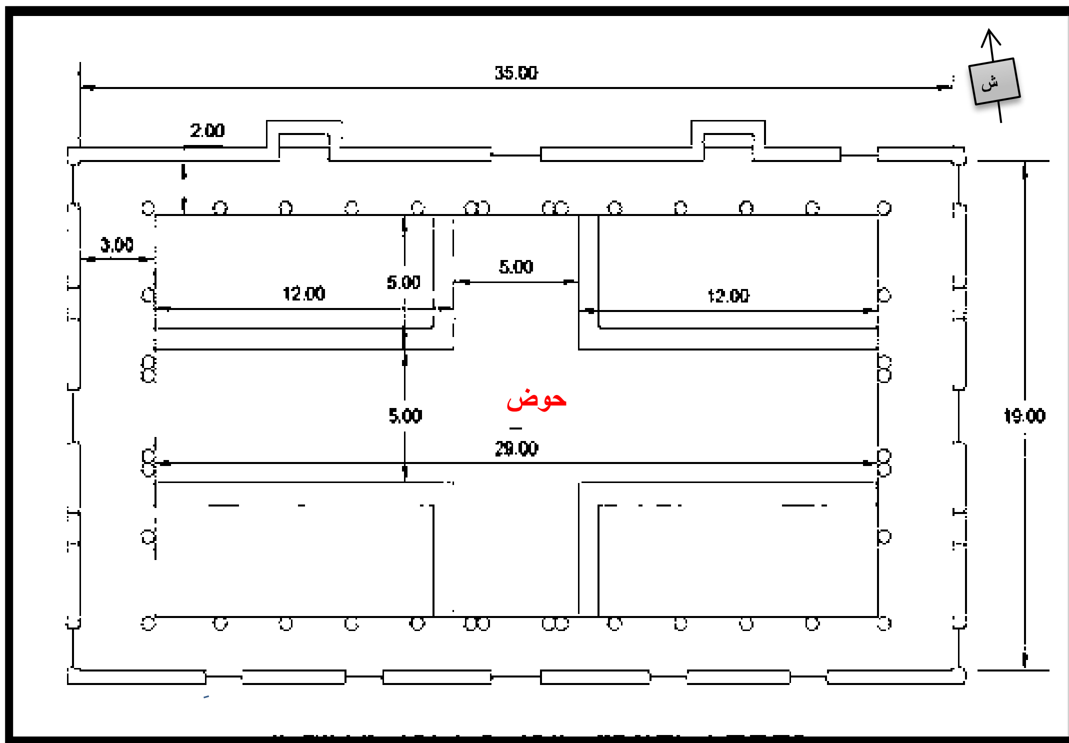
أما فتحة تصريف المياه الأساسية للحوض فتوجد في الزاوية الشمالية الغربية للصهريج الأفقي ، و بمحاذاة الصهريج شرق غرب نجد القناة الرئيسية لتصريف مياه القصر على عمق ما يقرب من 2 م ، تقطع المساحات المزروعة .

و قد تعرض الحوض لبعض التجديدات ، من جراء استحداث بعض الجدران لاحقا أو جعلها أساسات لرفع قنوات المياه .

إضافة إلا أن النافورة التي تتوسط فلم تكن في الأصل موجودة ، بل ضيفة أثناء عمليات الترميم التي عرفتها القلعة في السنوات الماضية .



الصورة 01

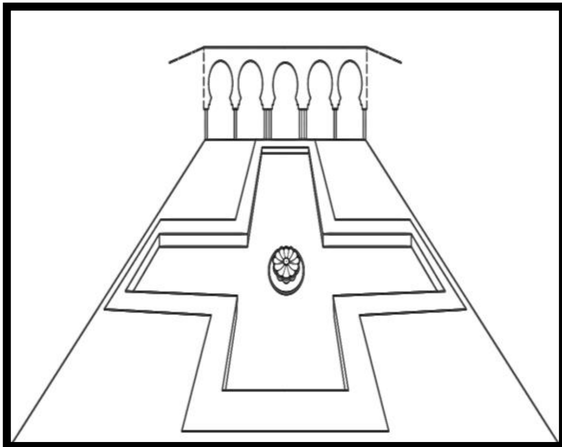


المخطط 02 . من عمل الطالبة .

اللوحة 13 : حوض قلعة المشور الزيانية المتعامد ونافورته بتلمسان .

ولتتضح الصورة عن الحوض أبينا أن نخصّص له بطاقة تقنية وجاءت كالتالي :

. **البطاقة التقنية رقم 18** : الحوض المتعامد بقلعة المشور الزيانية بتلمسان .

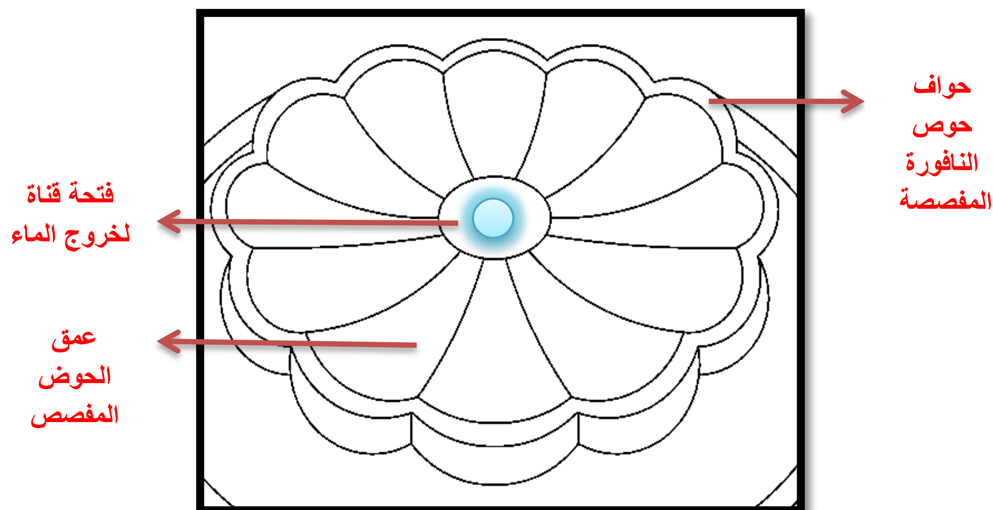
رقم الجرد	H 11	**الصورة**  **الشكل** 
اسم العنصر المعماري	حوض	
التسمية المحلية	حوض	
المادة	رخام وبلاطات من الزليج	
اللون	الأبيض وزليج ملوّن	
الوظيفة	جمالية	
الفترة	زياني الأصل ورمم	
المصدر	قلعة المشور	
المقاسات	الطول : 29م ×12م والعرض : 5 م والعمق : 92 سم	
تقنية البناء	الحفر والتدعيم والتبليط	
تقنية الزخرفة	بلاطات رخامية وزليج ملوّن بالأبيض والأزرق والأسود والأصفر العسلي بالتناوب	
مكان الحفظ	ساحة قلعة المشور	
طريقة الاكتشاف	ترميم وتجديد بعض الأجزاء	
حالة الحفظ	جيدة	
الوصف	حوض مركزي متعامد الشكل، جاءت حوافه من الرخام وكسيت جدرانه وأرضياته بمربعات من الزليج الملون .	
بيبليوغرافيا	/	

2.2.6 . نافورة قلعة المشور :

تتوسط بعض أروقة قاعات قلعة المشور الزيانية **نافورة صغيرة من الرخام الأبيض،** ذات شكل زهرة الأقحوان ب 12 فصّا ، محدبة من الخارج مقعرة من الداخل ، أما النافورة التي تتوسط الحوض فهي حديثة ولم تكن موجودة من قبل به ، فدرسنا إحدى النماذج المعممة بالقلعة لوحدت شكلها ، فكان سمك حافتها 2 سم وارتفاعها عن الأرض قدره 15 سم ، تلتقي فصوصها في نقطة عبارة عن دائرة صغيرة بها فوهة لخروج الماء بقطر 1.5 سم وهي مستحدثة أيضا (اللوحة 14 : الصورة 01 والشكل 02) .



الصورة 01



الشكل 02 . من عمل الطالبة .

اللوحة 14 : نموذج لنافورات قلعة المشور بتلمسان .

وبرفع المقاسات والصورة لنموذج نافورات قلعة المشور بتلمسان ، كان لنا جمعها في شكل بطاقة تقنية وجاءت كالتالي :

. **<u>البطاقة التقنية رقم 19</u>** : نموذج لنافورات قلعة المشور بتلمسان .

رقم الجرد	N 03
اسم العنصر المعماري	نافورة
التسمية المحلية	حوض
المادة	رخام
اللون	أبيض
الوظيفة	جمالية
الفترة	حديثة طبقا للأصلية الزيانية
المصدر	قلعة المشور
المقاسات	سمك حافتها 2 سم وارتفاعها15سم قطر فوهتها 1.50 سم
تقنية الصناعة	القولبة
تقنية الزخرفة	الحفر الغائر والكشط
مكان الحفظ	قلعة المشور
طريقة الاكتشاف	إعادة البناء
حالة الحفظ	جيدة
الوصف	يتوسط الحوض الكبير نافورة صغيرة من الرخام الأبيض ، على شكل زهرة الأقحوان ذات 12 فصّا شبيهة بباقي نافورات القلعة وهي مستحدثة أيضا
بيبليوغرافيا	/

الصورة

الشكل

حواف حوض النافورة المفصصة
فتحة قناة لخروج الماء
عمق الحوض المفصص

قسمت القلعة إلى أربعة أجنحة ، الجناح الشرقي و يتكوّن من قاعة الاستقبال وهي قاعة مستطيلة الشكل بها إيوانان متقابلان و على جانبي كل إيوان غرفة للحرس ، وفي وسط القاعة فوارة من الرخام ، و بالمقابل بالجهة الغربية للقصر نجد مسكن الحريم ، يتكون من طابقين ، الطابق الأرضي عبارة عن قاعة مستطيلة الشكل بها مقصورتان متقابلتان و على يمين المقصورة الواقعة في الجهة الجنوبية الغربية يوجد سلم نصعد منه إلى الطابق العلوي .

أما الجناح الشمالي خصص لراحة السلطان في فصل الصيف ، يتكوّن من ثلاث غرف مختلفة الأشكال ونجد بالغرفة الواقعة بالجهة الشمالية الغربية رواق يؤدي إلى الحمام بينما يقضي أيام الشتاء في الجهة الجنوبية ، بها أيضا ثلاث غرف مستطيلة وصغيرة ، كما نجد بالقصر ثلاثة أبواب أخرى تؤدي إلى مرافق خارجية لم يتم إعادة هيكلتها وبنائها إلى اليوم .

تتميّز قلعة المشور بشكلها وسعتها ومحتواها ، حيث زيّنت بأعمدة من الرخام وزخرفة جصيّة رائعة ، و سقوف خشبية مدهونة إضافة إلى الفسيفساء الملونة التي تكسو جدران القاعات و الأروقة من الأسفل إلى الأعلى بحوالي 1.50 م ، كما استعملت في تبليط أرضيات القاعات و الأروقة و السلالم و الساحات ، وتقدم رسوم هذه القطع الصغيرة و الملونة من الزليج لوحات فنيّة رائعة ، تعتمد على التكرار والتماثل.

و لابد من الإشارة إلى أننا اعتمدنا في تقسيم الغرف و تسميتها أثناء الدراسة الوصفية على المخطط الجديد ، لأنه تعذر علينا الحصول على المخطط القديم للقلعة ككل .

ليبرز لنا من خلال وصفنا هذا لغرف وتقسيمات قلعة المشور نمط آجر لوجه العمارة المدنية بتلمسان الفترة الزيانية وهي الفنادق وما جاء بها من أحواض .

3.6 . أحواض الفنادق الزيانيـة بتلمسان :

تتشابه وظيفة الفندق مع الخان في تخطيطه ، فالفندق أو الخان هي كلمة فارسية الأصل تعني منزل مؤثث أو نزل مفروش معد ومهيأ للطعام والشراب والنوم ، ويقصده عموما المسافرين من التجار والرحالة وغيرهم قصد الإقامة المؤقتة مقابل أجر معلوم ، كما يمكن أن يكون أيضا " دكان " أو " حانوت " كبير [1] .

ومنه خان المدن وهو مخزن التبادلات التجارية والإقامات القصيرة للتجارة ، وهو نهاية الرحلة التجارية للقوافل المحملة بالسلع والمواد المختلفة ، وعرف هذا النوع من العمائر تطورا كبيرا إبتداءا من القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي [2] ، ازدهر بناؤها في بلدان إسلامية عدة كسوريا التي بها " خان العسل " وإيران ، وكان محيطها عبارة عن مناطق واسعة التجارة والعمران وأقرب مثال لذلك " خان يونس " بفلسطين [3].

احتل هذا النوع من الخانات مداخل المدن ، واشتهرت بوظيفة استقبال تجار التجزئة والمستوردين ، كما وقد تكون مقرا لتبادل العملات ، ليتسنى لهم بعد ذلك التبادل التجاري فيما بينهم بالساحات العامة ، كما وارتبط البعض منها باسم التجارة التي اختص بها ، أو باسم حاجيات التجار التي يقصدونها ، أو لحرفة ممارسة فيه ، وقد يسمى باسم مشيده ك " خان خليل " [4] ، فكانت تدفع الاتاوة لحارسها لمدة متوسطة إلى حين انقطاع تجارتهم التي تكون أغلب الأمر من السلع المتاجر بها كالألبسة مثلا ، ما يشبه تجارة الجملة الحالية .

جاء تخطيط خان المدينة بنوعين رئيسيين ، أوله عرف قاعات متطاولة موازية للساحة المركزية ، ليشبه بذلك شكل الإيوان ، وثانيه والمسمى بالنموذج المتوسطي وبه

1- الرازي (محمد بن أبي بكر) : مختار الصحاح ، دار الكتب العربية ، بيروت - لبنان ، ص 340 .
2- رزق (محمد عاصم) : معجم مصطلحات العمارة والفنون الاسلامية ، ط 1 ، مكتبة مدبولي ، 2000 م ، ص 91 .
3- بهنسي (عفيف) : العمارة عبر التاريخ ، دمشق 1987 م ، ص 170 .
4- قاجة (أحمد جمعة) : موسوعة فن العمارة الاسلامية ، ط 1 ، دار الملتقى للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان 2000 م ، ص 160 .

احتلت المداخل والبوابات حيزا كبيرا من الأهمية ، أخذ هذا النوع الشكل المربع ، وساحة مركزية تحيط بها الأروقة [1] .

وهو اصطلاح شاع في المغرب الاسلامي للدلالة على نزل أعد لإقامة الانسان والحيوان ، وقد كان يتكون من فناء أوسط تحيط به من الجهات الأربع ، أبنية ذات طابقين ، خصص الطابق الأرضي منها لإيواء الدواب الناقلة للمسافرين وبضاعتهم ، بينما خصص العلوي لإيواء المسافرين .

وكان لمدينة تلمسان خلال العهد الزياني عدّة فنادق بنيت بالقرب من الأحياء التجارية والأسواق ، مخصصة في الغالب لإيواء التجار خاصة المسيحيين نظرا للنشاط التجاري والاقتصادي الذي عرفته تلمسان في تلك الفترة ، وهي في مجملها تتألف من طابقين أو ثلاثة طوابق ، خصص الطابق العلوي منها للإيواء أما الأرضي فكان للمخازن ، ووجدت فيه **مراحيض وأحواض للشرب وفي الغالب حمامات** [2] .

ومن الفنادق الباقية إلى يومنا هذا وبه بعض اللمسات من المنشآت المائية :

1.3.6 . فندق الرمانة :

ونجده شرق الجامع الكبير بمدينة تلمسان ، و يتكوّن من طابقين العلوي به غرفتان أما الأرضي به دكاكين مغلقة ، ونجد بجانب المدخل مرحاض واحد بجانبه **حوض من ماء صغير تعلوه حنفية ، وقد وجدناه** في حالة مزرية ، إذ ملئ بالتراب كليّا ، وأصبحت تتوسطه شجرة زرعت بقلبه ، وقدّر طوله ب 2.90 م وعرضه 2.38 م وارتفاعه 49 سم ، بني من الآجر وكسي سطحه العلوي ببلاطات خزفية لم يتبق منها إلا أجزاء ، وتعود هذه الأخيرة للفترة الاستعمارية (الصورة 41) .

1- الألفي (أبو صالح) : الفن الاسلامي : أصوله ، فلسفته ، مدارسه ، ط 3 ، دار المعارف ، ص 10 .
2- فيلالي (عبد العزيز): المرجع السابق ، ص 136 ، 137 .



الصورة 41 : حوض فندق الرمانة بمدينة تلمسان

2.3.6 . فندق المامي :

ويقع في الحي الاقتصادي للمدينة ، وتبلغ مساحته حوالي 150 م² ، نلج خلال المدخل إلى ساحته وهي ساحة مركزية شبه مربعة مبلطة بحجارة صلبة ، يحتوي هذا المدخل على غرفتين في جانبيه الايسر ، ويقابله مباشرة في الجدار الشمالي اسطبلات مخصصة لراحة الدواب ، ولها ثلاث فتحات يعلوا كل منها عقد حذوي ، ويمكن اعتبار هذه العقود بوائك لها ثلاث عقود ترتكز على دعامتين في الوسط ، وشبه دعامات في الجوانب مما يشكل شبه رواق ذو مقاسات مختلفة.

يحتوي هذا الرواق على مربط للدواب به 15 حلقة حديدية يعلوها حوض كبير يرتفع عن أرضية الاسطبل بحوالي 1م ، مقسم إلى خمسة أحواض صغيرة مخصصة للعلف ولشرب الدواب ، وقد تعرضت لبعض التغييرات خاصة في استعمال مواد البناء الحديثة في عمليات الترميم ، لكن لم تمس من جوهر المبنى .

وباعتبار أن الأحواض أو الفسقيات من أهم العناصر الأساسية الواجب توفرها في جل الفنادق سواء أكانت فنادق ذات صبغة انتاجية أو تجارية ، كما هو الحال في فندق المامي .

والملاحظ أن هذه الأحواض لم تكن بها النافورات النافذة للمياه عكس ما هو موجود في المساجد ، والغرض من عدم وجود هذه النافورات في الفنادق هو **لغرض وظيفي محظ حيث كانت تستعمل هذه الأحواض لشرب الحيوانات وغيرها ، ولم يكن لغرض جمالي .**

و أغلبية هذه الأحواض وجدت بشكل مستطيل تبنى من مادة الرّخام وتكسى بمربعات خزفية ، كما وجدت جل هذه الأحواض في الطابق الأرضي عند نهاية سقيفة المدخل سواء على الجهة اليمنى أو اليسرى حسب ما تسمح به مساحة المكان ، وقد كانت تخصص لشرب الحيوانات المرافقة للتجّار .

ونظرا لغياب العناية بهذه الفنادق فقد زالت بها معالم الأحواض ، ولم يبق منها إلا أجزاء فقط ، هذا ما في اعتقادنا من خلال ما جمعناه من معلومات من عن كبار الحي التجاري بمدينة تلمسان الذي به موقع الفندق ، وللأسف المكان وجدناه مغلق كونه حوّل إلى مخزن لخلفية دكان يعود لأحد أهالي المدينة .

ومن خلال ذلك كله نستدل أن مدينة تلمسان قد احتوت على منشآت ومصادر مائية جعلت منها منطقة مزدهرة عمرانيا ، حيث وصل عدد بيوتها نحو ستة عشر ألف [1] حسب شهادة حسن الوزان عند زيارته لها ، واقتصاديا كما هو الحال مع صناعة الزليج والجلود التي كانت تصدر إلى اوروبا وغيرها [2] .

1- الوزان (حسن) : المصدر السابق ، ص 17 .
2- حسني (مختار) : المرجع السابق ، ص 94 .

فقد عرف الزيانيون بشغفهم البالغ في تشييد العمائر وخاصة منها المنشآت المائية ، حيث تعددت هذه الأخيرة ما بين منشآت عامة يستغلها كل الناس كالصهاريج ، وأخرى خاصة كالآبار و المواجل و النافورات ، وقد ساعدها على ذلك تعدد أنهارها وأوديتها ، وعلى مقدمتها ينابيع هضبة لالا ستّي .

فبرع هؤلاء في استغلال تلك المصادر عن طريق إنشاء شبكة محكمة البناء لقنوات التوصيل و الصرف ، فكل تلك المنشآت شملت مرافق المدينة العامة منها والخاصة ، وتظهر أهميتها من خلال كثرة العمائر وازدهار النشاطات الأخرى كالزراعة والصناعة.

و يمكننا القول ومن خلال مختلف الأحداث التي شهدها المغرب الاسلامي عقب سقوط الدولة الموحدية في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي(7هـ/13م) والانقسامات السياسية الجديدة ، والتي كانت الدولة الزيانية جزءا منها وعلى الرغم من الاضطرابات التي واكبت عصرها خلال الثلاثة قرون التي عمرت فيهم إلا أن حركة البناء والتعمير لم تعرف ركودا ، فقد اهتم سلاطين بنو عبد الواد منذ أن استلموا زمام الأمور واتخاذهم تلمسان حاضرة ملكهم بالبناء والتشييد ، فاختطوا القصور والمنازل ، واغترسوا الرياض والبساتين وأجروا لها المياه ، وأصبحت من أعظم أمصار المغرب [1] .

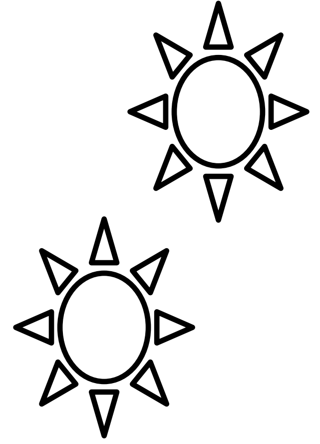
وقد أنشأ أبو حمو موسى الثاني دار الصنعة تموج بالحرفيين ، وهذا ما يؤكد أن السلطة في تلمسان كانت تدعم الحرف والمهن مما أسهم في تفعيل الحركة من المجتمع الزياني[2] ، فالمنشآت العمرانية التي تركها الزيانيون تعتبر أكبر دليل على الاهتمام بالصناع والحرفيين وإننا وإذا راجعنا التاريخ والأحداث المتزامنة لتلك الفترة نجد أنها لا تبتعد عن أحداث سقوط الأندلس في أيدي القشتاليين والبرتغاليين ، فنقلت وفود كبيرة من مسلمي الأندلس واستقروا بمدن المغرب الأوسط بمن فيهم أرباب الحرف ، فوضعوا

1- التنسي (علي عبد الله): المصدر السابق ، ص 105 .
2- الدراجي (بوزيان) : المرجع السابق ، ص 218 .

بصمتهم على المنشآت الزيانية تخطيطا وعمارة وزخرفة ، كأثر اتصال حضارة المغرب بالأندلس .

ومما لا شك أن الاعلان عن قيام الدولة الزيانية لم يكن يعني الاعلان عن ميلاد أسلوب فني زياني جديد بعيد عن الأساليب والطرز السابقة ، وإنما استمر الصنّاع والفنانون ككل مرة ، في أي حقبة من التاريخ الاسلامي نشاطاتهم بالطرق والأساليب القديمة والتي كانت قائمة في العهد الموحدي مع التجديد .

وبتعرّض تلمسان والدولة الزيانية إلى هجمات جارتيها الحفصية في الشرق والمرينية في الغرب ، كانت نهاية تلك الأحداث حصار المدينة و الاستلاء عليها ، وكثرت الحروب والصراعات التي أدت إلى تهديم البنايات والمنشآت المعمارية ، هذا ما جعل أيضا الحكّام ينشغلون عن تأمين وجودهم ، ودليل ذلك قلة المباني والمؤسسات والمرافق العامة التي شيّدت من طرف بني عبد الواد ، رغم ولوع الحكام الزيانيين بالعلم والبناء إلا أن معظمها اندثر ، خاصة المدارس منها .



الفصل الثاني

الأحواض و النافورات المرينية بتلمسان

تمهيد

1. تاريخ الدولة المرينية .
2. المنشآت المائية وتوزيعها بمدينة تلمسان .
3. تقنيات بناء المنشآت المائية بمدينة تلمسان .
4. العمارة المرينية بمدينة تلمسان .
5. أحواض النافورات المرينية المحفوظة بمتاحف مدينة تلمسان .
6. أحواض و نافورات العمارة المرينية بمدينة تلمسان .

خلاصة



بعد انهزام الموحدين في معركة العقاب بالأندلس سنة 609 هـ/1212 م ، ضعفت الدولة الموحدية وهذا ما زاد من طموح المرينيين في تكوين دولتهم على أرض المغرب الأقصى ، وبعد نصف قرن من الحروب استطاع المرينيون بقيادة أبي يوسف يعقوب الاستلاء على عاصمة الموحدين " مراكش " وهذا عام 668 هـ/1267 م [1] .

مرّ بنو مرين بنفس الظروف التي مرّ بها بنو عبد الواد في تأسيس دولتهم ، وساهموا في أكثر الوقائع العربية الموحدية ، الأمر الذي جعلهم يتحصلون على امتيازات سياسية وعسكرية ، سمحت لهم بوضع الأساس الأول لدولتهم ، كما انتهزوا فرصة تسرب الضعف في كيان الدولة الموحدية ، فدخلوا المغرب الأقصى وتمركزوا ببلاد الريف سنة 610 هـ/1210 م ، فكانت الخطوة الأولى لهم [2] .

واستمروا في سيرهم إلى الأمام حاصدين الانتصارات الواحدة تلو الأخرى ، إلى أن فتح الأمير يوسف بن عبد الحق مدينة مراكش ، فقضى على العرش الموحدي .

واستطاعت هذه الدولة منذ قيامها من توسيع حدودها على حساب الدولة الزيانية ، معتبرة نفسها الوريثة الأولى للخلافة الموحدية ، فوصل نفوذها الأندلس ، كما خضع لها المغرب الأوسط مدة طويلة حتى دب الضعف في كيانها ، بسبب ضعف حكامها وتنافسهم على السلطة ، وبالتالي فقدت حدودها وأصبحت عرضة للهجمات الخارجية ، مثل دخول الاسبان في أوائل القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي (10هـ/16م)، التي أثارتها النزاعات السياسية والعصبية القبلية بين بني مرين وعاصمتهم فاس ، والزيانيين وعاصمتهم تلمسان ، وكلاهما ينتسب إلى القبيلة الكبرى زناتة .

1- ابن خلدون (عبد الرحمن) : كتاب العبر ، المصدر السابق ، الجزء السابع ، ص 342 .
2- الجيلالي (عبد الرحمن) : المرجع السابق ، الجزء الثاني ص 98 .

1 . تاريخ الدولــة المرينـية : 688 . 869 هـ/1267 . 1464 م

ينتمي المرينيين إلى قبيلة زناتة وهم رحّل مثل بني عبد الواد ، ولقد قامت دولة بني مرين بعد أن تمكن السلطان المريني **أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق** [1] من دخول مراكش عاصمة الموحدين سنة 668 هـ/1268 م ، وكان مركزهم المناطق الجنوبية للمغرب الأقصى امتدادا إلى بلاد الزاب (بسكرة حاليا) ، وهم قوم مرهوب جانبهم لكثرة جمعهم ، وقد سميت دولتهم بالمرينية نسبة إلى جدهم **مــريـن** [2] ، والوطاسية أيضا نسبة إلى وطاس بن فجوس بن جرماط بن مرين ، وهم فرعان ينتسبان إلى نفس القبيلة البربرية زناتة ، الذين ينتسبون إلى بني عبد الواد [3] .

ينسب المرينيين إلى مرين بن ورتاجن بن ماخوخ الزناتي ، كانوا يسكنون في زاب إفريقية [4] ، وقد شاركوا في الغزوات إلى جانب الجيوش الموحدية ، فتعرضت تلمسان أثناء ذلك إلى كثير من غزوات بني مرين ، إذ ضربوا عليها الحصار لمرات عديدة ، أخطرها الحصار الطويل 698 . 706 هـ/1298 . 1306 م ، وهددوها في وجودها أكثر من مرة ، وتمكنوا من الاستيلاء عليها مرتين : الأولى في الفترة 734 . 750هـ/1334 . 1350 م ، والثانية في الفترة 752 . 758هـ/1352 . 1358 م ، تحدوهم الرغبة في محاولة تحقيق مشروع إعادة توحيد بلاد المغرب ، تحت رايتهم مثلما كان عليها أيام الموحدين .

1- هو أمير المؤمنين يعقوب بن الأمير عبد الحق بن محي بن أبي بكر بن حمامة بن محمد الزناتي ثم المريني الحمامي ، ولد سنة 607 ه/1207م ، وقيل سنة 609 هـ ، لقبه أبو يوسف وتتولى الحكم سنة 656 هـ/1257 م بعد وفاة أبي بكر ، توفي بقصره وبلدته الجديدة من جزيرة الأندلس سنة 685 هـ/1286 م ، ودفن بمسجد شالة برباط الفتح من بلاد العدوة ، **أنظر :** ابن أبي زرع (علي) : المصدر السابق ، ص 388 - 390 - 392 .

2- نسبة إلى مرين بن ورتجان بن مخوخ من قبيلة زناتة التي تقطن أراضي الزاب من بلاد المغرب الأوسط ، **أنظر :** ابن الأحمر (أبو الوليد اسماعيل) : روضة النسرين في دولة بني مرين ، تحقيق : بن منصور عبد الوهاب ، منشورات مطبعة القصر الملكي ، الرباط 1962 م ، ص 38 .

3- سالم (عبد العزيز) : تاريخ المغرب الكبير ، المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص 868 .

4- القيرواني (أبي عبيد الله محمد) : المؤنس في أخبار افريقية وتونس ، الطبعة الثالثة ، المكتبة العتيقة ، تونس 1967 م ، ص 145 .

وأخذ نفوذ بنو مرين ينمو حتى ملكوا بلاد المغرب والأندلس ، وكان استقرارهم بمدينة تلمسان ، حط السلطان المريني رحاله غرب تلمسان ، وأحكم الحصار عليها حيث أحاطها بأسوار ، وحسب ما يصف المؤرخون كان السور يشبه هالة القمر ، فهو جدار عال يحيط به خندق عميق تتخلله ممرات ، تستخدم أثناء الهجمات [1] ، غير أن هذا الحصار أضاق بأهل البلاد وخاصة عند غلاء الأسعار ، ولقد أشار **يحي ابن خلدون** إلى ذلك بقوله : " .... **بلغ فيه ثمن صاع قمحهم إلى دينارين وربع الدينار ، وصاع شعيرهم إلى نصف ذلك ومع هذا فهم صبروا بقضاء الله ورضاه ...** " [2] .

إذ دخل يوسف بن يعقوب سنة 699هـ/1299 م تلمسان ، واختط لنزله مدينة سماها المنصورة كما تشير إليه النصوص التاريخية حيث أنها بنيت في موضع الفساطيط أي المعسكر : " ... واختط بمكان فساطيط المعسكر قصرا لسكانه ، واتخذ فيه **مسجدا لمصلاه** وأدار عليها السور، وأمر الناس بالبناء فابتنوا الدور الواسعة والمنازل الرحيبة والقصور الأنيقة ، واتخذوا البساتين **وأجروا المياه** ثم أمر بإدارة السور سياجا على ذلك سنة اثنين وسبعمائة وصيرها مصرا فكانت أعظم الأمصار والمدن وسماها المنصورة " [3]

2 . المنشآت المائية وتوزيعها بمدينة تلمسان :

ومن أهم ما قام به ملوك وسلاطين الدولة المرينية جلب المياه عليها عبر **السواقي** وغيرها من منشآتهم المائية التي يجب علينا التعرف عليها ، كونها تصب في نفس مجال دراستنا .

تعرضت **الأحواض والصهاريج** المخصصة لسقي المزروعات والبساتين خارج أسوار المدينة أثناء الحصارات المرينية إلى **التخريب والهدم** ، بالإضافة إلى تحويل مجرى

1- بوروبية (رشيد) ، دهينة (عطا الله) : الجزائر في التاريخ من الفتح إلى بداية العهد العثماني ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984 م ، ص 373 .
2- ابن خلدون (يحي) : بغية الرواد ، المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص 210 .
3- ابن خلدون (عبد الرحمن) : العبر ، المصدر السابق ، ص 219 .

القنوات إلى جهات أخرى [1] ، أما التي كانت بداخل المدينة فقد بقيت محافظة نوعا ما على شكلها ، بحكم حصانة المدينة بأسوارها متينة وشاهقة ، حيث يقول عنها **العبدري** : " ... **أسوارها أوثق الأسوار وأصحها ..** " [2] ، ومن أشهر هذه المنشآت الصهريج الكبير، الذي استغل لتخزين المياه لأيام الجفاف والحصارات ، كما استطاع السكان خلال حصار يوسف بن يعقوب سنة 698 هـ من استغلال المساحات التي كانت بين السورين والاستفادة من محصولها ولو بقدر بسيط [3] .

والجدير بالذكر في هذا الصدد أن أول ما تقوم به أي دولة **محاصرة لتضييق الخناق على المدينة المحاصرة ، هو قطع مراكز تزويدها بالمياه ، مما يسهل عملية الاستيلاء عليها ، ولكن مدينة تلمسان وبالرغم من الحصارات المتتالية التي شهدتها ، وما لحقها من خسائر مادية وبشرية ، إلا أنها استطاعت أن تصمد أمام المرينيين الذين حاولوا تطبيق هذا المبدأ ، والفضل في ذلك راجع إلى نظام تزويد المدينة الداخلي بالمياه ، وتوفر المنشآت المائية من آبار ومختلف المرافق الأخرى من جهة ، ومن جهة أخرى ساهمت أسوار المدينة في منع العدو من الوصول إليها ، وكذا طريقة بنائها والمواد المستخدمة في ذلك ، فما كان للزيانيين إلا أن يصمدوا داخل أسوار المدينة لولا توفر المياه ونجاعة منشآتها ، ومن أشهر هذه المنشآت التي تعود لهذه الفترة هي :**

1.2 . صهريج مدينة المنصورة :

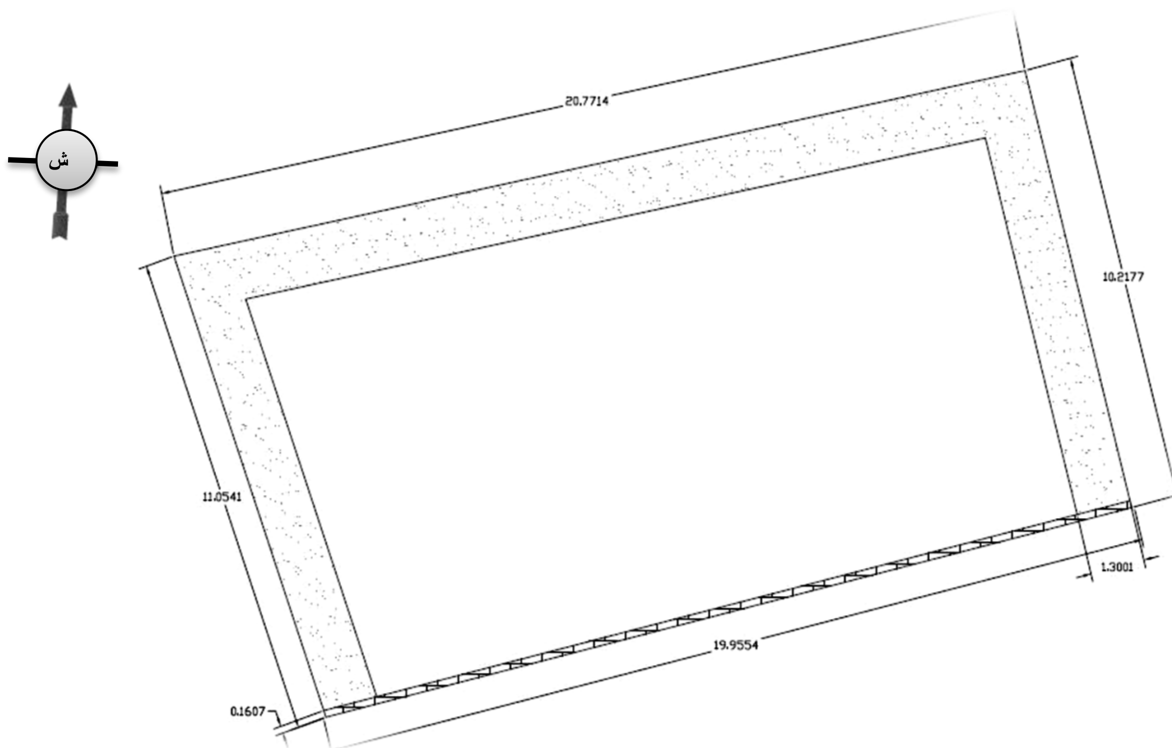
احتوت المنصورة على صهريجين الأول داخل التحصينات في الجهة الجنوبية من المدينة وبالضبط مقابل الباب الجنوبي للمدينة حيث لا يبعد عليه بمسافة كبيرة (اللوحة

1- فيلالي (عبد العزيز) : المرجع السابق ، ص 150 .
2- العبدري (أبو عبد الله محمد) : المصدر السابق ، ص 27 .
3- بن رمضان (شاوش محمد) : المرجع السابق ، ص 86 .

15 : الصورة 01 والمخطط 02) ، ووظيفته بحكم موقعه كانت تزويد الجند والعسكر بماء الغسل فقط .



الصورة 02



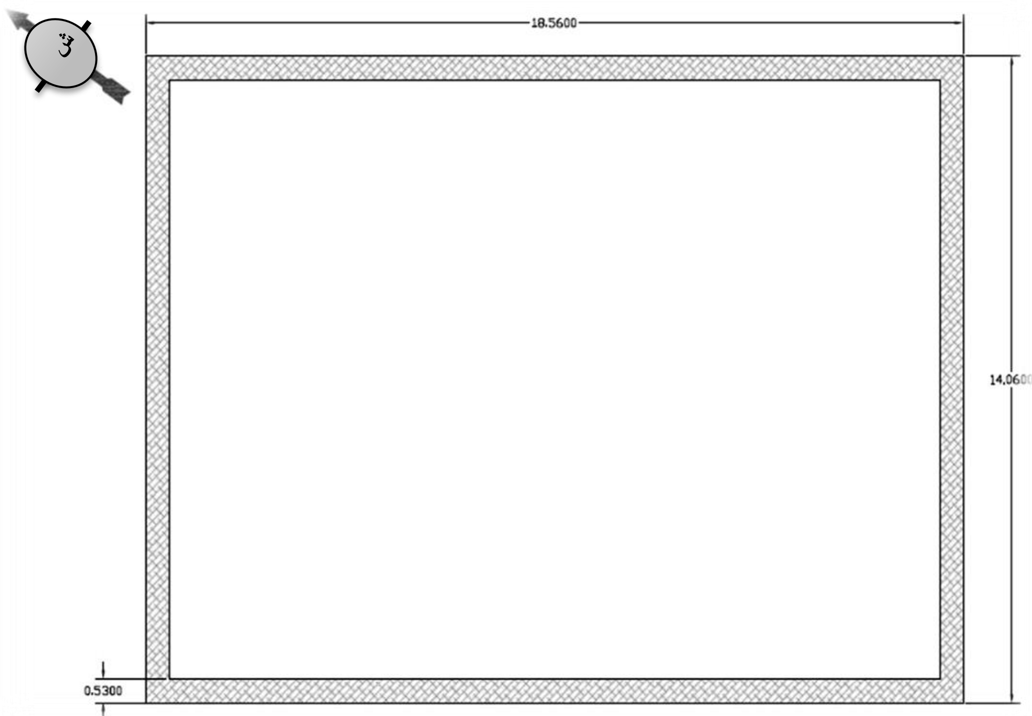
المخطط 02 . عن محمد عطار .

اللوحة 15 : الصهريج الجنوبي للمنصورة بمدينة تلمسان.

أما الصهريج الثاني ويقع خارج التحصينات الشرقية بين تحصينين متقدمين (اللوحة 16 : الصورة 01 والمخطط 02) .



الصورة 01



المخطط 02 . عن محمد عطار .

اللوحة 16: الصهريج الواقع خارج التحصينات الشرقية لمدينة المنصورة بتلمسان .

2.2 . السواقي والقنوات :

الساقية هي فوق الجدول ودون النهر ، وتجمع أيضا بلفظ ساقيات [1] ، أما القنوات فتجمع أيضا قنا وقناء وهي مجرى مبنى تحت الأرض من قرميد أو حجر [2] ، وتصنف السواقي والقنوات ضمن منشآت توزيع المياه في المدينة الاسلامية ، فهي تجلب الماء من أماكن بعيدة ، وعند وصولها مشارف المدينة تتخلل أسوارها في شكل قنوات حيث يصف المؤرخون هاته القنوات والسواقي .

1.2.2 . ساقية النصراني : أو الرومي التي تغنى بها الشاعر الصوفي الأعرف أبي عبد الله محمد بن خميس رحمه الله فقال :

لساقية الرومي عندي مزية   وإن رغمت تلك الروابي الرواشح [3]

و قول **البكري** في وصفه : " **وكان الأول قد جلبوا إليها ماء من عيون تسمى لوريط بينها وبين المدينة ستة أميال** " [4] .

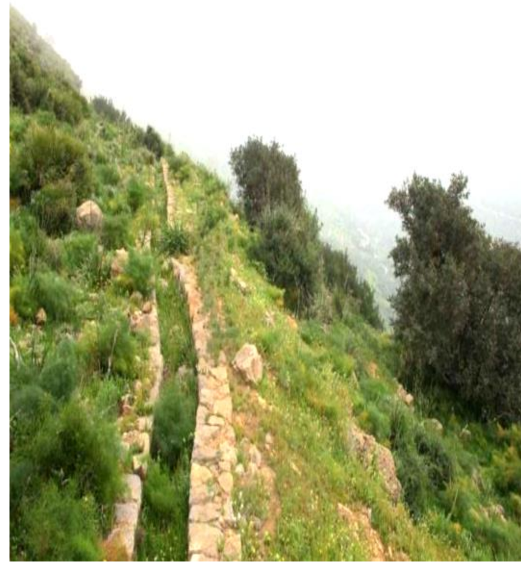
كما ذكرها **مؤرخ الفترة المرينية ابن الحاج النميري** : " عندما دخل أبو عنان تلمسان زار ضريح سيدي أبي مدين ثم اتجه إلى هذه الساقية حيث قال أنه أخذ في صعد حتى استوى إلى ساقية النصراني ... ، دعا بالساقي فشرب من مائها العذب ، وسقى أحد الخواص المستأثرين منه بالقرب ، وأفاض في الثناء على ماء تلمسان وطيب هوائها [5] .

وتشهد هذه الساقية عن عظمة بنائها ودقتها في التخطيط حيث أنها تعبر الجبل المسمى **جبـل البعل** الواقع شرق المدينة والذي يعلوا منطقة العباد ، حيث أنها تبلغ من

1- بن حمو (محمد) : المرجع السابق ، ص 113
2- عثمان (عبد الستار) : الاعلان بأحكام البنيان لابن الرامي دراسة أثرية معمارية ، دار المعرفة الجامعية ، مصر 1988 م، ص 214 .
3- ابن خلدون (يحي) : كتاب العبر ، المصدر السابق ، ص 10 .
4- البكري (أبي عبيد) : المصدر السابق ، ص 76 .
5- النميري (ابن الحاج) : فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة و الزاب ، الطبعة الأولى ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ـ لبنان 1990 م ، ص 286 ـ 287 .

الطول ما يتعدى مسيرة نصف يوم على الأقدام ، بينما يتراوح اتساع عرضها ما بين 43 إلى 90 سم حسب وضعها واتجاهها (اللوحة 17 : الصورة 01) ، فعندما تغير مسارها أو تدور قليلا يزيد اتساعها ليسهل تدفق الماء .

أما عن سمك جدارها فبما أنها مبنية بالحجارة فإن السمك يختلف حسب الحجارة المستعملة وحسب موضعها ، ففي المواضع المنبسطة اكتفى البناء بوضع صف واحد من الحجارة الجيرية التي تم قلعها من نفس المكان المقامة عليه هذه الساقية ، حيث اكتفى البناء بنحتها من الأوجه الثلاث وترك الجانب الخارجي بشكل عادي ، أما بالمواضع شديدة الانحدار فقام بمضاعفة هذا الصف ليضمن عدم تسرب الماء ، وتتعرج هذه الساقية متبعة في ذلك شدة المنحدرات لتسهل من سيلان الماء (اللوحة 17 : الصورة 02) .





الصورة 01 : موضع ساقية النصراني   **الصورة 02 : الحجارة المستعملة في بناء الساقية**

اللوحة 17: موضع ساقية النصراني والحجارة المستعملة في بناءها بتلمسان

2.2.2 . ساقية المنصورة : استفاد المرينيون من بنائهم لمدينة المنصورة من مصادر الماء النابعة لتلمسان الزيانية خاصة ينابيع هضبة لالا ستي [1] ، وعن هذا التوزيع يقول ابن مرزوق : "... **وأجرى لهذا الجامع الأعظم نهرا يشق من أول المدينة إلى الجامع المذكور في ساقية يجري منها ساقيات متعددة** ..." [2] ، ولا تزال أثار هذه الساقية باقية إلى يومنا هذا (الصورة 42) .



الصورة 42 : ساقية المنصورة بمدينة تلمسان .

3.2 . السقايات أو العيون :

لم تخل مدينة تلمسان من السقايات العامة فقد ورد ذكر بعضها في المصادر التاريخية ، ونذكر منها تلك التي أنشأها **السلطان أبو الحسن المريني** بسويقة الجرو [3]، بالإضافة إلى سقايات أخرى في منشر الجلد وسويقة إسماعيل وغيرها [4] .

1- لعرج (عبد العزيز محمود) : مدينة المنصورة المرينية بتلمسان ، مكتبة زهراء الشرق ، مصر 2006 م ، الطبعة الأولى ، ص 100 .
2- ابن مرزوق (أحمد) : المصدر السابق ، ص 200 .
3- ابن مرزوق التلمساني (أبي عبد الله محمد) : المناقب المرزوقية ، دراسة وتحقيق : سلوى الزاهري ، الطبعة الأولى ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء 2008 م ، ص 147 .
4- ابن مرزوق التلمساني (أبي عبد الله محمد) : المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن ، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1981 م ، ص 417 .

فقد قام أبو الحسن المريني عند استلائه على تلمسان 737هـ/1337 م بإيصال الماء إلى أحياء لم تكن فيها قنوات وصهاريج من قبل ، كدرب منشر الجلد وسويقة اسماعيل **ومجمع العباد وسيدي الحلوي** [1] .

ومن هذه السقايات ما هو اصطناعي أي أن الماء لا ينبع منها مباشرة بل يجلب بواسطة قنوات وتهيأ لسقي الناس والدواب ، وإما ينبع منها الماء مباشرة كأن تكون عينا أو منبعا مائيا مجهزا ، ومن هذه المنشآت الخيرية التي لا تزال باقية بالمدينة نذكر :

1.3.2 . سقاية مجمّع سيدي أبي مدين : وتقع بالطريق أو الشارع المؤدي إلى مركب سيدي أبي مدين شعيب غير بعيدة عنه ، وهي عبارة عن عقد نصف دائري ، مبنى بالآجر يتكئ على عمودين مربعي الشكل ، وفي وسط هذا العقد سقاية أو عين يخرج منها الماء ليصب في أرضية صغيرة مجهّز بمنافذ لتصريفه(الصورة 43) .



الصورة 43 : سقاية مجمّع سيدي أبي مدين بمدينة تلمسان

1- فيلالي (عبد العزيز) : المرجع السابق ، ص 151 .

2.3.2 . سقاية مجمّع سيدي الحلوي : وتقع بالمجمع الديني لسيدي الحلوي في الجهة الشمالية للمسجد وهي عبارة عن بناء مستطيل الشكل يتخلله ثقب خروج الماء الذي يتجمع في حوض بني أسفله ليتم تصريفه بعدها ، وقد أعيد بناءه وتبليطه (الصورة 44)



الصورة 44 : سقاية مجمع سيدي الحلوي بمدينة تلمسان

3 . تقنيات بناء المنشأة المائية بمدينة تلمسان :

استعمل البناء التلمساني مواد مختلفة لبناء منشآته المائية ، حسب ما وفرته له المنطقة ، مما يقلل عليه كلفة الجهد والمال ، إلى ملائمة هذه المواد لطبيعة البناء وخواص المدينة المناخية ، كما أنه استعمل في هندسته لهذه المنشآت تقنيات تتماشى مع طبيعة البناء ووظيفته ، هذا يعتبر من الأمور الواجب أخذها بعين الاعتبار بعد تحديد المواد الأساسية في تركيب المبنى .

ومن تلك المواد الأساسية بالنظر إلى طبيعة المنشآت المدروسة وهي منشآت مائية ، الملاط لتبطين القنوات والسواقي وكذا الصهاريج ، ومن المتوقع أن يكون قد تم تحضيره بطريقة أخرى كما ذكرها الدكتور **شاو Dr Shaw** على أنه : " ...ملاط مانع للتسرب وممزوج بالجير والزيت دون إضافة الماء ... " [1] .

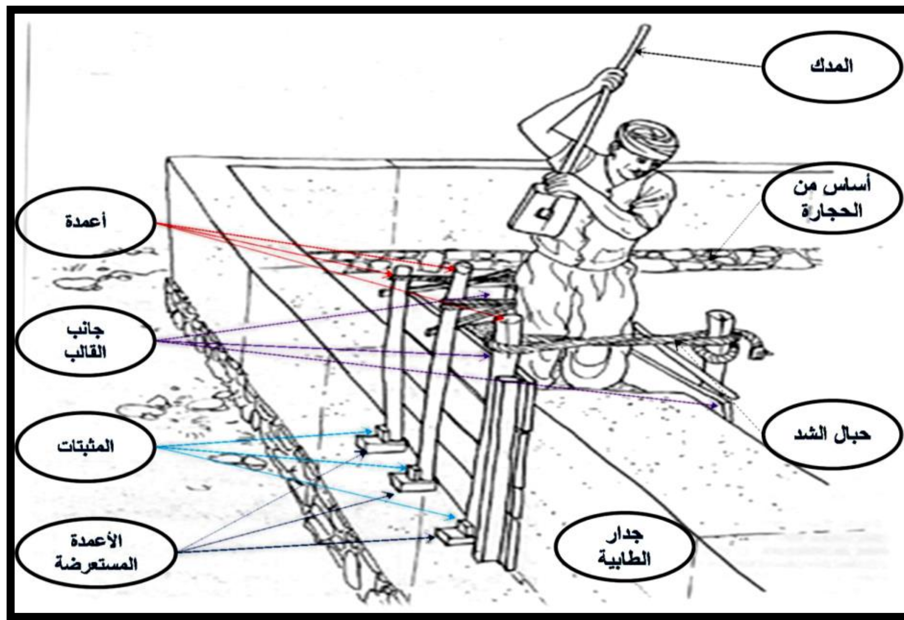
وتقنيات البناء الموظفة في المنشآت المذكورة آنفا هي :

1.3 . تقنية بناء السواقي :

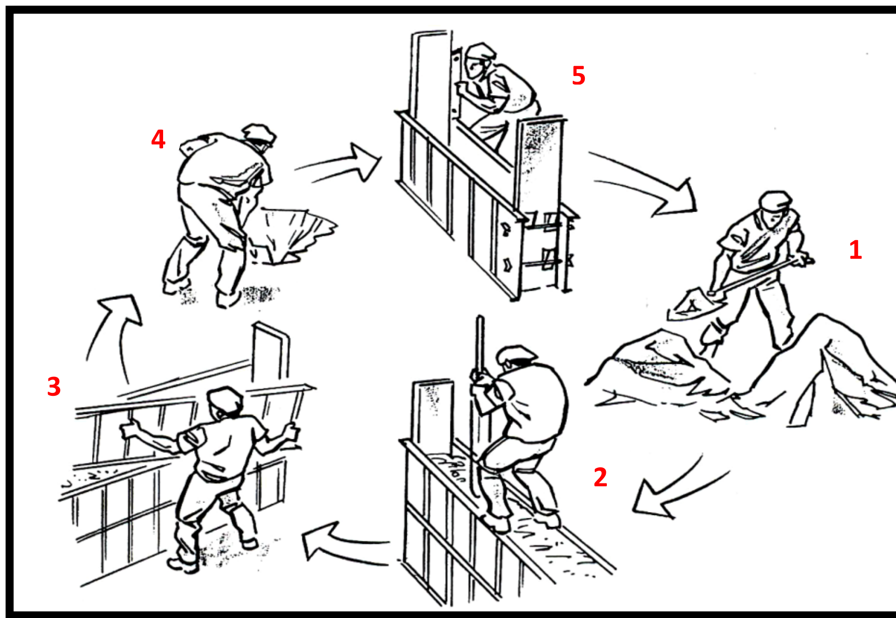
ونجدها بالسواقي التي على مستوى سطح الأرض مباشرة وتتمثل في كل السواقي التي تجلب الماء ، وتكون على مستوى ميل ملائم ، وبنيت هذه الأخيرة مباشرة على الأرض بعد وضع طبقة من الدبش والملاط بمثابة أساس لها ، ولمنع تسرب الماء في جوف الأرض ، ثم تبنى الساقية فوق هذه الطبقة إما بالطابية (اللوحة 18 : الشكل 01) ، كسواقي مدينة المنصورة أو بالحجارة كساقية النصراني .

ويتم الاستغناء في بعض الأحيان عن طبقة الأساس وذلك في حال بناء الساقية على أرض صلبة حجرية كساقية النصراني أي نجد القناة بقالب الطابية فقط دون أساس لها في الأرض (اللوحة 18 : الشكل 02) .

1 -Dr Shaw : Op.Cit , P 104 .



الشكل 01 : تقنية البناء بالطابية . عن J.P Doat .



الشكل 02: قالب الطابية وطريقة تركيبه فوق سطح الأرض . عن J.P Doat .

اللوحة 18: تقنية البناء بالطابية وطريقة تركيب قوالبها على سطح الأرض.

أما بالنسبة للقنوات فقد عثرنا على نموذجين أحدوهما مصنوع من مادة الفخار وشكلها أسطواني ، وهي القناة التي تتخلل التحصين الشمالي لمدينة المنصورة ، ويظهر أن طريقة صنعها تمت بالدولاب (الصورة 45) .



الصورة 45 : قناة لنقل المياه من الفخار بمدينة تلمسان الفترة المرينية .

2.3. تقنية بناء الصهاريج والخزانات :

كل الصهاريج الموجودة بالمدينة تم بناؤها بالطابية ، وتقريبا باستعمال نفس التقنية المبنية سابقا ، مع تدعيمها بأكتاف لدعم الجدران من الخارج أو في بعض الأحيان بناء جدران مزدوجة خاصة بالجهات المعرضة لضغط الماء من أجل التصدي لقوة الماء ، حيث وجدنا هذه التقنية بالصهاريج البارزة عن سطح الأرض كصهريجي الكيفان وأقادير، فبالنسبة للصهريج الكبير فقد تم الفصل بين كتل الطابية بها دعامات من الآجر ، والخزان الوحيد الموجود بالمدينة تم بناؤه بمادة الآجر بتقنية المداميك المنتظمة باستعمال الآجر والملاط ، وهو في تقنية بنائه وتسقيفه يشبه الغرفة بالمنزل .

فاستطاع من خلال ذلك البنّاء التلمساني بفطنته وحسن تدبيره أن يقوم باستعمال المواد المتوفرة من حوله دون تكلف وتكييفها مع طبيعة منشآته ، وربح بذلك الوقت والجهد والمال ، بدون أن يهمل الوظيفة والمتانة ، فركز بشكل أساسي على الجانب

الانشائي الوظيفي مهملا الجانب الجمالي كلية ، لأن طبيعة المنشآت تفرض ذلك ، وقد استطاع الوصول بها إلى تأدية دورها على أكمل وجه وصمودها لأعوام عديدة دليل على قوة ومتانة تقنيات بناءها .

4 . أهم العمائر المرينية بتلمسان التي جاءت بها النافورات والأحواض :

تعددت عمائر هذه الفترة ، فمنها المساجد والمدارس والتي ازدانت كلها بزخارف رائعة ترتاح لها العين [1] ، **هذه المباني تمتاز برشاقتها وشكلها البديع ذو تأثير أندلسي .**

ومن بين هذه العمائر **جامع مدينة المنصورة الجامع** المريني ، ويعتبر من أوسع المساجد في تلمسان ، ونجد بقاياه ضمن بقايا آثار مدينة المنصورة ، وهذه الأخيرة تبعد نحو مسافة 05 كلم غرب مدينة تلمسان ، وتشهد آثارها على ضخامة المدينة المرينية التي عاشت ما يقارب 60 عاما ، ثم تحولت إلى خراب كما هي الآن .

أسّسها السلطان يوسف بن يعقوب كمعسكر لقواته التي فرضت الحصار على مدينة تلمسان أكثر من 08 سنوات ، فأرسل جيشا جرارا ضد تلمسان ، والذي عسكر بالقرب منها وشدّد الحصار عليها ، وقام ببناء مدينة المنصورة تيمنا بتحقيق الانتصار ، كما أمر هذا السلطان ببناء مسجد ، والذي لم يبق منه اليوم إلا الجدار المبني بالتراب المدكوك ، والمئذنة الشامخة التي لا تزال قائمة تقاوم ظروف الدهر وإهمال الانسان .

ويقع هذا المسجد على بعد 550 م من الركن الجنوبي الشرقي لسور المنصورة ، بني حوالي سنة 701 هـ/1301 م من طرف أبي يعقوب بن عبد الحق كما أسلفنا الذكر ، عندما أحاط مدينة تلمسان بالسور ، وهذا ما جاء على لسان ابن أبي زرع الفاسي :

1- مرزوق (محمد عبد العزيز) : الفنون الزخرفية الاسلامية في المغرب والأندلس ، دار الثقافة بيروت - لبنان ، د - ت ، ص 90.

" ..... **وبنى تلمسان الجديدة ومدنها ، وبنى بها الحمامات العظيمة ، وجامعا كبيرا للخطبة أقامه على الصهريج الكبير** ... " [1] ، فقد أسّس مسجد المنصورة أثناء حصار المرينيين لتلمسان .

وبقيت تلمسان تابعة لسلطة بني مرين مدة سبع سنوات إلى أن تمكن الأمير الزياني " أبو حمو موسى الثاني " من انتزاعها من المرينيين عام 760 هـ/1360 م ، حيث قال يحي ابن خلدون في هذا المقام : " ... وجرّ بعد هذا العفاء نيله على الدولة انفطرت سماء ملكها وانكدرت نجومه وملك مرين ولكل أجل كتاب " [2] ، فأصبحت المنصورة خرابا ، حيث أن الزيانيين قاموا بهدم الكثير منها بعد رحيل بنو مرين كما جاء في حديث ابن خلدون عبد الرحمن : " ... وخرّبها آل يغمراسن عند مهلكه ، وارتحال كتائبه عنها ، بعد أن كان بنو عبد الواد قد أشرفوا على الهلاك ، وأدنوا بالانقراض ، فتداركهم من لطف الله ما شأنه أن يتدارك المتورطين في الهلاك والله غالب على أمره " [3] .

بالإضافة إلى **مركّب أو مجمّع العبّاد** الذي ضمّ : **مسجدا** ويعدّ المسجد **الجامع** الثاني **وهو المتصل بضريح الشيخ أبي مدين شعيب بن الحسين الأندلسي** [4] بقرية **العباد** [5] من ضواحي تلمسان ، و **المدرسة المجاورة له** وكذا ضريحه، من منشآت أبي الحسن المريني ، فكانا آيتين في فن العمارة والزخرفة والنقش.

1- ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 387 .
2- ابن خلدون (يحي) : المصدر السابق ، ص 216 .
3 - ابن خلدون (عبد الرحمن) : كتاب العبر ، المصدر السابق ، ص 206 .
4- أبي مدين شعيب بن الحسين الأندلسي : ولد سنة 520 هـ/1126 م ، في قرية تدعى قطنيانة بالأندلس قرب إشبيلية ، ودرس بالأندلس وطنجة ومراكش وفاس ، وتلقى علوم أبي حامد الغزالي على يد بني حرزهم ، بعد العودة من الحج استقر ببجاية ، وأخذ في نشر العلم وبعد أن كثر أتباعه وشي به عند السلطان يعقوب المنصور الذي أمر باحضاره إلى مراكش ، لكن الشيخ أبي مدين مرض أثناء طريقه إلى السلطان ، وقد كان بلغ قرية تقبالت بالقرب من تلمسان ، فتوفي بها ودفن بقرية العباد ، حيث قال : " ما أحلى الرقاد في العباد " وكان ذلك سنة 594هـ/1197 م ، **أنظر** : ابن خلدون (يحي) : المصدر السابق ، ص 125، **وأنظر** : السلاوي (أبو العباس الناصري) : الاستقصا ، المصدر السابق ، ص 297 .
5 - العباد : مفردها عابد ، وأطلقت على ذلك المكان منذ القديم لوجود مقبرة دفن بها الكثير من الفقهاء وعلماء الدين ، وتقع هذه القرية في الضاحية الشرقية لتلمسان ، ويقول حسن الوزان في وصفه لها : " ... مدينة صغيرة تشبه ربض تقع في الجبل على نحو ميل من جبل تلمسان وهي كثير الأزهار ، وافرة السكان والصناع والصناع ومعظمهم من الصباغين ، وبها دفن ولي كبير ذو صيت شهير يوجد ضريحه في مسجد يصل الزائر إليه بعد نزول سلم من عدة درجات ... " ، **أنظر** : الوزان (حسن) : المصدر السابق ، الجزء الثاني ، ص 24 .

ويعتبر المسجد الثالث وهو **مسجد سيدي الحلوي** ، الأول ومن أهم المساجد المرينية لشهرته الدينية والثقافية في عهد **السلطان أبو عنان فارس** [1] ويعود لسنة 754هـ/1354م .

فبينما كان الخير وافرا في معسكر المرينين ، كانت مدينة تلمسان في هذه الأثناء تعاني من الجوع ، وعند حلول فصل الشتاء بنا أبو **يعقوب قصرا ومسجدا ومبان وعمارات احيطت بالسور سميت بالمنصورة** ، كما وسميت تلمسان الجديدة[2]، أما بالنسبة لتحديد سنة تأسيس مدينة المنصورة فقد اختلف في ذلك ، فمنهم من يذكر سنة 698 هـ/ 1229 م ، وراح البعض الآخر من المؤرخين كالسلاوي إلى ذكر سنة 702هـ/1303 كتاريخ التأسيس [3] .

ويرجع بعض العلماء نهاية أعمال البناء إلى نهاية سنة 702 هـ/1303 م ، علما أن السلطان أبو يعقوب أكد على تعمير مدينة تلمسان الجديدة بالمنازل والدور ، وأقام الأسواق ، كما بنى مارستانا (مستشفى) لمداواة المرضى وجرحى الحروب [4] .

5 . أحواض النافورات المرينية المحفوظة بمتاحف مدينة تلمسان :

وكغيرها من الفترات السابقة وكما أسلفنا في سرد الأحداث التاريخية للفترة المرابطية والزيانية وكذا هذه الفترة ، فكان لأثر الحروب والصراعات دور في تخريب المنشآت المعمارية ، فكانت **المساجد المنشآت التي حافظت على عنصر موضوع دراستنا ،**

1- أبو عنان فارس هو ابن السلطان المريني أبو الحسن الذي تم إليه الأمر بعد انتصاره على أبيه ومقتل هذا الأخير سنة 752ه/1351 م ، وما إن تم جلوسه على عرش أجداده حتى قام بغزو تلمسان سنة 753ه/1352م ، وأقام بها مدة لكونه ولوعا بالفن واقتداءه بوالده الذي شيد مسجد سيدي أبي مدين وملاحقه ، فقد شيّد أبو عنان فارس مسجد سيدي الحلوي وملاحقه، ولم يبق لنا اليوم إلا الجامع ، وبانتهاء حكم أبي عنان بوفاته سنة 759هـ/1358م انتهى حكم المرينيين بتلمسان ، **أنظر :** شاوش(محمد) : المرجع السابق ، ص 104 .
2- بورويبة (رشيد) ، دهينة (عطا الله) : الجزائر في التاريخ ... ، المرجع السابق ، ص 373 .
3- السلاوي (أبو العباس أحمد) : الاستقصا في اخبار دولة المغرب الأقصى ، الجزء الثالث ، دار الكتاب ، الدار البيضاء 1955 م ، ص 79.
4- ابن خلدون (عبد الرحمن) : كتاب العبر ، المصدر السابق ، الجزء السابع ، ص452 .

لذلك شملت نماذج الفترة المرينية في بدايتها موقع المنصورة ، خاصة المسجد فوجدنا حوض وجزء من حوض آخر تعود إليه ، فتمثلت معظمها في أحواض نقلت إلى متاحف تلمسان ، إضافة إلى مركب العباد لذي احتوى على المسجد والمدرسة ، زيادة إلى مسجد سيدي الحلوي الشويذي ، وسنتطرق إليها على النحو التالي :

وقد وجدنا بمتاحف تلمسان **أحواضا مرينية** لعبت دورا زخرفيا في السكنات الفخمة ودورا وظيفيا خالصا ، فاستعملت لأغراض عدة نذكر منها الوضوء والشرب وما إلى ذلك ، وقد عرفت اهتماما كبيرا في مظهرها فاتخذت أشكالا مختلفة ، فهي تتوسط ساحات القصور وصحون المساجد والمنازل بطريقة فنية رائعة ، كما يؤكد ذلك جملة أحواضها المحفوظة اليوم بمتاحف تلمسان المحلية ، والتي تم جلبها في وقت سابق من معالم مختلفة بالمدينة ، **كموقع المنصورة في أقصى غرب المدينة** ، **والمدرسة التاشفينية** التي كانت في موضع الساحة العامة بوسط المدينة قبالة الجامع الكبير على سبيل المثال[1] ، وغيرها من المساجد المرينية .

1.5 . الأحواض المرينية المحفوظة بمتحف قلعة المشور بتلمسان :

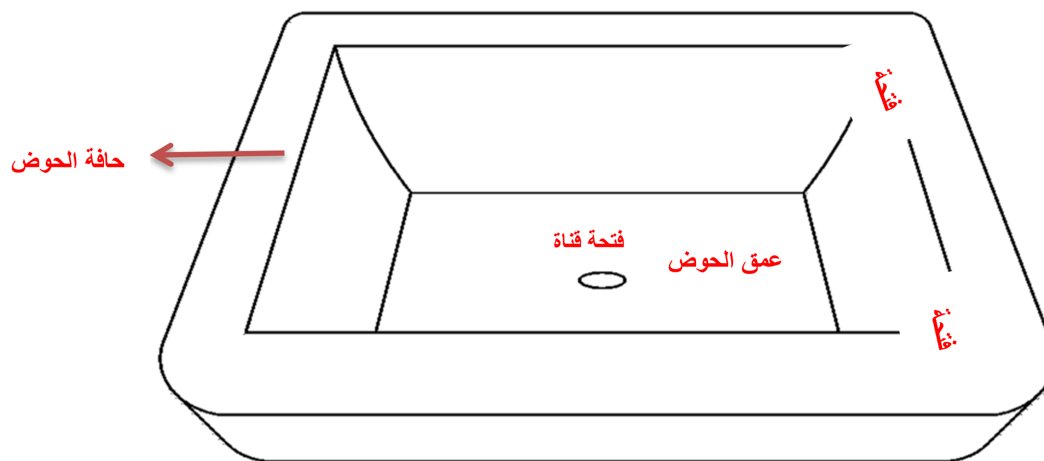
وهذا عرض مختصر لتلك الأحواض ، بداية بحوضين لا نعرف من أين تم جلبهما وهما حاليا بقاعة العرض الخاصة بمتحف أو مسجد قلعة المشور ، وهما :

1.1.5 . الحوض المستطيل : وهو من الرخام الأبيض طوله 93.2 سم وعرضه 60.4 سم وارتفاعه 27 سم ، أما سمكه فلا يتعدى 06 سم ، تتخلله فتحتين على مستوى الأركان العلوية لتدفق الماء بعد امتلائه وهو في حالة متوسطة من الحفظ ، وهو مريني لا نعرف مكانه الأصلي (اللوحة 19 : الصورة 01 والشكل 02) .

1- الرزقي (شرقي) : المدرسة التاشفينية بمدينة تلمسان الزيانية ، المؤتمر العاشر للاتحاد العام للأثريين العرب ، مطابع المجلس الأعلى للآثار ، القاهرة 2007 ، ص 381 .



الصورة 01



الشكل 02 . من عمل الطالبة .

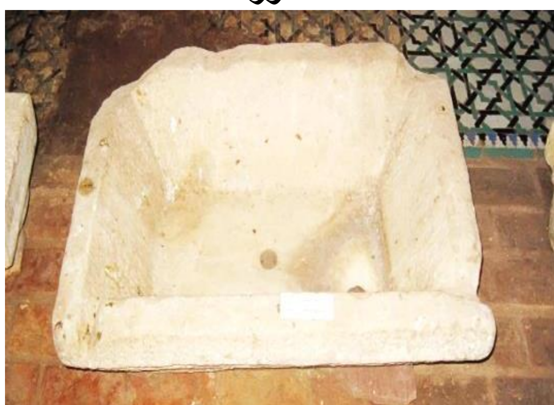
اللوحة 19 : حوض ميضأة مريني مستطيل محفوظ بمتحف قلعة المشور بتلمسان .

وجاءت بطاقته التقنية بالشكل التالي :

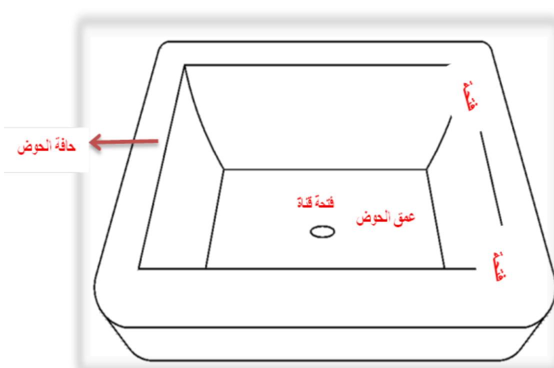
. **البطاقة التقنية رقم 20** : حوض ميضأة مريني مستطيل محفوظ بمتحف قلعة لمشور بتلمسان

رقم الجرد	M 89
اسم التحفة	حوض
التسمية المحلية	حوض
المادة	رخام
اللون	بني فاتح
الوظيفة	حفظ الماء للوضوء
الفترة	مرينية
المصدر	/
المقاسات	طول 93.2 سم وعرض 60.4 سم وارتفاع 27 سم سمكه لا يتعدى 06 سم
تقنية الصناعة	القطع والطرق
تقنية الزخرفة	/
مكان الحفظ	متحف قلعة المشور بتلمسان
طريقة الاقتناء	حفرية
حالة الحفظ	متوسطة
الوصف	حوض ذو شكل مستطيل من الرخام الأبيض تتخلله فتحتين على مستوى الأركان العلوية لتدفق الماء بعد امتلائه ، لكن غير معروف مكانه الأصلي.
بيبليوغرافيا	/

الصورة



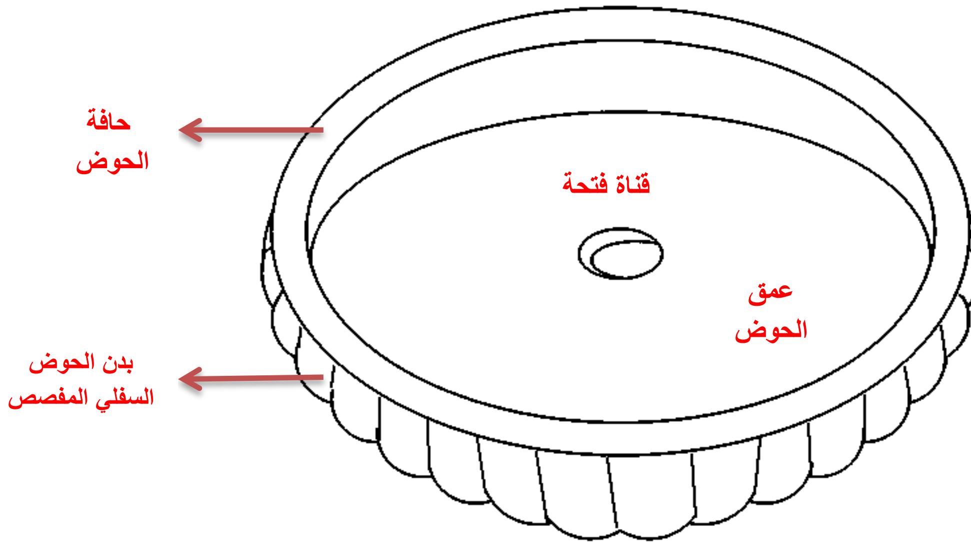
الشكل



2.1.5 . الحـوض الدائـري : وهو من الرخام الأبيض ، بقطر 56.2 سم و سمك 4.1 سم ، شكله أسطواني من الداخل مفصص من الخارج فقط بالجهة السفلية ، أما العلوية منه أو الفوهة وهي واسعة نوعا ما غليظة ملساء خالية من أي نتوء ، وهو في حالة متوسطة من الحفظ (اللوحة 20 : الصورة 01 والشكل 02) .



الصورة 01



الشكل 02 . من عمل الطالبة .

اللوحة 20 : حوض نافورة مريني دائري محفوظ بمتحف قلعة المشور بتلمسان .

لتكون بطاقته التقنية بالشكل التالي :

. **البطاقة التقنية رقم 21** : حوض نافورة مريني دائري محفوظ بمتحف قلعة المشور بتلمسان.

رقم الجرد	19	الصورة
اسم التحفة	حوض نافورة	
التسمية المحلية	حوض	
المادة	رخام	
اللون	أبيض	
الوظيفة	حفظ الماء للوضوء	
الفترة	مرينية	
المصدر	/	
المقاسات	قطره 56.2 سم ، وسمكه 4.1 سم	
تقنية الصناعة	الحفر و الكشط	
تقنية الزخرفة	الحفر البارز	الشكل
مكان الحفظ	متحف قلعة المشور بتلمسان	
طريقة الاقتناء	حفرية	
حالة الحفظ	متوسطة	
الوصف	حوض دائري من الرخام الأبيض شكله أسطواني من الداخل مفصص من الخارج بالجهة السفلية ، أما العلوية منه أو الفوهة وهي واسعة نوعا ما غليظة ملساء خالية من أي نتوء وهو محفوظ في حالة متوسطة من الحفظ	حافة الحوض قناة فتحة عمق الحوض بدن الحوض السفلي المفصص
بيبليوغرافيا	/	

كما وجدنا أجزاء لحوضين يعودان لموقع المنصورة بمتحف الفن والتاريخ بتلمسان

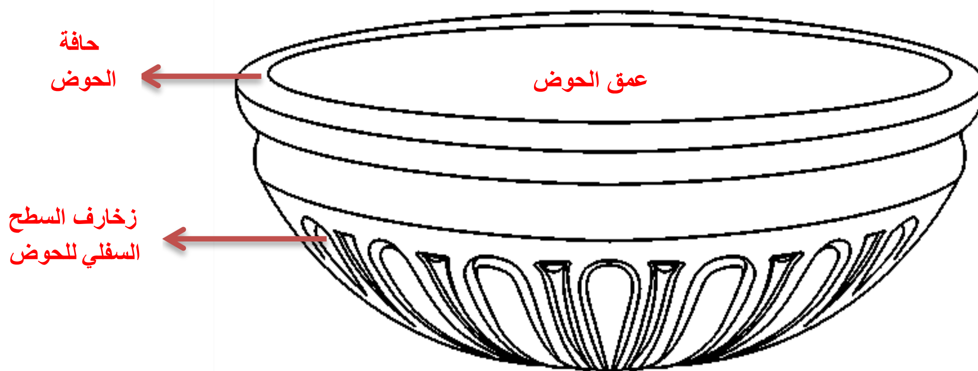
2.5 . الأحواض المرينية المحفوظة بمتحف الفن والتاريخ بتلمسان :

وتمثلت في :

1.2.5 . الحوض الأسطواني : من مادة الرخام الأبيض متوسط الحجم ، ارتفاعه 23 سم وقطره 74 سم أما سمك حافته فيتراوح بين 6 و 7 سم وارتفاعها قدّر ب 10سم، وهي ملساء بارزة نحو الخارج خالية من الزخرفة ، يفصل بينها وبين وسط الحوض أو المنطقة الداخلة وقاعدته فسحة أو مساحة قدرها 5 سم ، وزخرفته عبارة عن حزوز بارزة وأجزاء مكشوطة بأشكال هندسية عبارة عن شكل بيضوي مستطال وممتد على طول الحجم ، تفصل بين تلك الامتدادات خط مزدوج ذو شكل بسيط بنفس امتداد الزخرفة الأولى (اللوحة 21 : الصورة 01 والشكل 02) .



الصورة 01



الشكل02 . من عمل الطالبة .

اللوحة 21 : حوض نافورة مريني أسطواني محفوظ بمتحف الفن والتاريخ بتلمسان .

لتندج صورة بطاقته التقنية كالتالي :

. **البطاقة التقنية رقم 22** : حوض نافورة مريني أسطواني يعود للمنصورة محفوظ بمتحف الفن والتاريخ بتلمسان .

رقم الجرد	M 79
اسم التحفة	حوض نافورة
التسمية المحلية	حوض
المادة	رخام
اللون	أبيض
الوظيفة	حفظ الماء للوضوء
الفترة	مرينية
المصدر	المنصورة
المقاسات	ارتفاعه 23 سم وقطره 74 سم سمك حافته بين 6 و7 سم وارتفاعها 10 سم ،
تقنية الصناعة	القطع والحفر
تقنية الزخرفة	حز غائر
مكان الحفظ	متحف الفن والتاريخ بتلمسان
طريقة الاقتناء	حفرية
حالة الحفظ	متوسطة
الوصف	حوض ذو شكل أسطواني متوسط الحجم ، حافته ملساء بارزة نحو الخارج خالية من الزخرفة ، يفصل بينها وبين وسط الحوض مساحة داخلية من دون زخرفة ، حزوز بارزة وأجزاء منها مكشوط بأشكال هندسية عبارة عن شكل بيضوي ممتد على طول الحجم ، تفصل بين تلك الإمتدادات خط مزدوج ذو شكل بسيط بنفس امتداد الزخرفة الأولى
بيبليوغرافيا	/

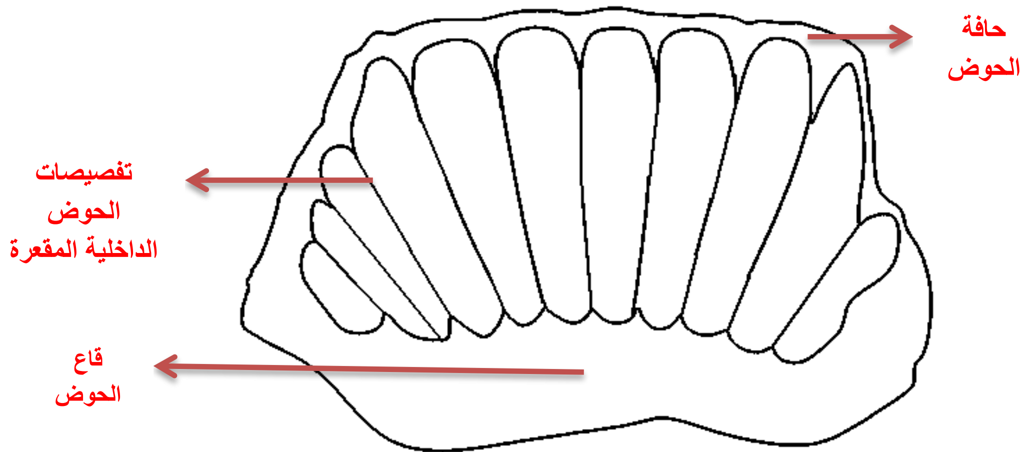
الصورة

الشكل

2.2.5 . الحوض الصدفي : وهو جزء صغير الحجم ، من بقايا حوض يعود لمدينة المنصورة الفترة المرينية . من الرخام الأبيض بارتفاع 49 سم وسمك 19 سم ، ذو شكل صدفي مقعّر من الخارج مفصص من الداخل وفصوصه بارزة خصّت جداره الداخلي فقط ، معروض بإحدى فقاعات متحف الفن والتاريخ بمدينة تلمسان ، وهو في حالة متوسطة من الحفظ (اللوحة 22: الصورة 01 والشكل 02) .



الصورة 01



الشكل 02 . من عمل الطالبة .

اللوحة 22 : جزء من حوض نافورة مريني صدفي يعود للمنصورة

محفوظ بمتحف الفن والتاريخ بتلمسان

ولتتضح الصورة أكثر جاءت بطاقته التقنية بالشكل التالي :

. **<u>البطاقة التقنية رقم 23</u> : جزء من** حوض نافورة مريني صدفي يعود للمنصورة محفوظ بمتحف الفن والتاريخ بمدينة تلمسان .

رقم الجرد	M 80
اسم التحفة	حوض نافورة
التسمية المحلية	حوض
المادة	رخام
اللون	أبيض
الوظيفة	حفظ الماء للوضوء
الفترة	مرينية
المصدر	المنصورة
المقاسات	ارتفاعه 49 سم وسمكه 19 سم
تقنية الصناعة	القطع و التهذيب و الكشط
تقنية الزخرفة	الكشط و الحفر الغائر
مكان الحفظ	متحف الفن و التاريخ بتلمسان
طريقة الاقتناء	حفرية
حالة الحفظ	متوسطة
الوصف	جزء صغير الحجم من بقايا حوض معروض بإحدى قاعات متحف الفن و التاريخ بمدينة تلمسان، و هو في حالة متوسطة من الحفظ ، شكل صدفي مقعر من الخارج مفصص من الداخل وفصوصه بارزة ، خصّت الجدار الداخلي منه دون قلب الحوض .
بيبليوغرافيا	/

الصورة

الشكل

كما وجدنا **أحواض مرينية أخرى معروضة** بمتحف الآثار الاسلامية بتلمسان .

3.5 . الأحواض المرينية المحفوظة بمتحف الآثار الاسلامية بتلمسان :

وتمثلت مجملا في :

1.3.5 . الحوض المستطيل الكبير: من مادة الرخام ذو اللون البني الفاتح جاء طوله 1.75 م وعرضه 1.64 م وارتفاعه 61 سم وسمك حافته الملساء الخالية من الزخرفة بين 8 سم و 10 سم .

و فتحت بالحوض ثلاث فتحات واسعة على مستوى الحافة ، وفتحة واحدة كبيرة مقارنة بغيرها تتوسط قاع الحوض بعرض 18.5 سم .

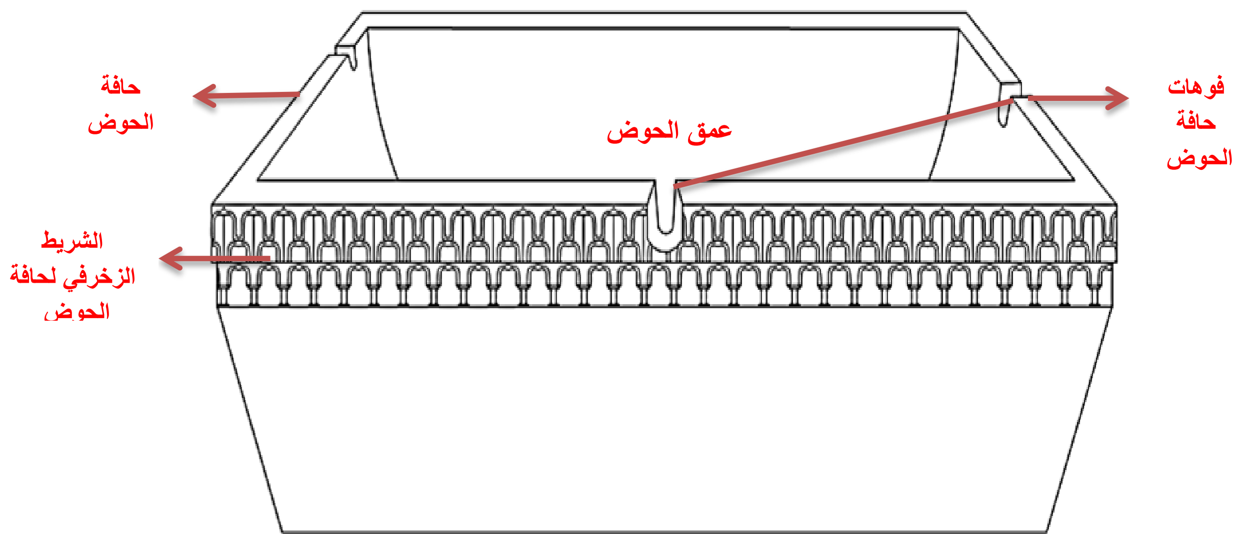
كما جاء شكل الحوض كله ضيّق من الجهة السفلية الخاصة بالقاعدة مقارنة ببدن الحوض إلى أعلاه المنفرج ، فقد كان الاتساع يزيد بالتدريج إلى الأعلى .

يحيط الفوهة العلوية شريط زخرفي بثلاث صفوف متتالية متمثلة أشكالها في عقود نصف دائرية محزوزه ، شبيهة في ذلك بالدلايات التي نجدها بزوايا جدران المباني ، وبجانب تلك الصفوف المعقودة وأعلاها شريط مسنّن شكله يشبه الدعامات .

والحوض غير معروف عنه من أي معلم جيء به ، ما عدى أنه يعود للفترة المرينية (اللوحة 23 : الصورة 01 والشكل 02) .



الصورة 01



الشكل 02 . من عمل الطالبة .

اللوحة 23 : حوض مريني مستطيل كبير محفوظ بمتحف الآثار الاسلامية بتلمسان

وجمعنا مقاسته ووصفه في بطاقة تقنية وجاءت صورتها كالتالي :

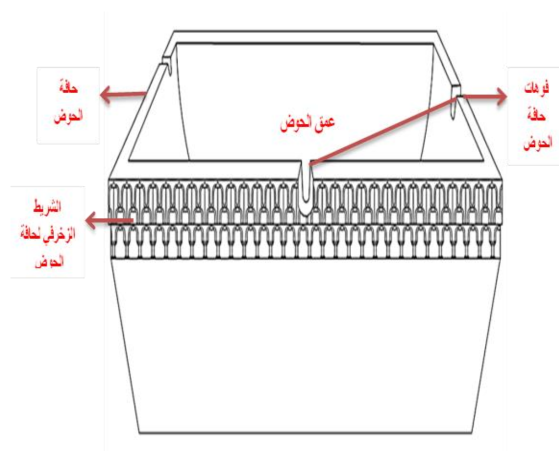
. **البطاقة التقنية رقم 24** : حوض مريني مستطيل كبير محفوظ بمتحف الآثار الاسلامية بتلمسان

رقم الجرد	M 20
اسم التحفة	حوض
التسمية المحلية	حوض
المادة	رخام
اللون	بني فاتح
الوظيفة	حفظ الماء
الفترة	مرينية
المصدر	/
المقاسات	طوله 1.75 م ،عرضه 1.64 م وارتفاعه 61 سم وسمك حافته بين 8 سم و 10 سم ، وعرض فتحته الوسطى 18.5 سم ،
تقنية الصناعة	القطع والحفر
تقنية الزخرفة	الحفر البارز
مكان الحفظ	متحف الآثار الإسلامية بتلمسان
طريقة الاقتناء	حفرية
حالة الحفظ	متوسطة
الوصف	حوض مستطيل كبير ، من مادة الرخام ذو اللون البني الفاتح به حافة علوية ملساء خالية من الزخرفة ، به ثلاث فتحات واسعة على مستوى الحافة ، وفتحة واحد كبيرة مقارنة بغيرها تتوسط قاع الحوض ، وجاء شكل الحوض كله ضيّق من الجهة السفلية الخاصة بالقاعدة مقارنة ببدن الحوض إلى أعلاه ، فقد كان الاتساع يزيد بالتدريج إلى الأعلى ، يحيط بالفوهة العلوية شريط زخرفي بثلاث صفوف متتالية متمثلة أشكالها في عقود نصف دائرية مكشوطة ، شبيهة في ذلك بالدلايات التي نجدها بزوايا جدران المباني ، وبجانب تلك الصفوف المعقودة وأعلاها شريط مسنن وشبيه بالعامات
بيبليوغرافيا	/

الصورة



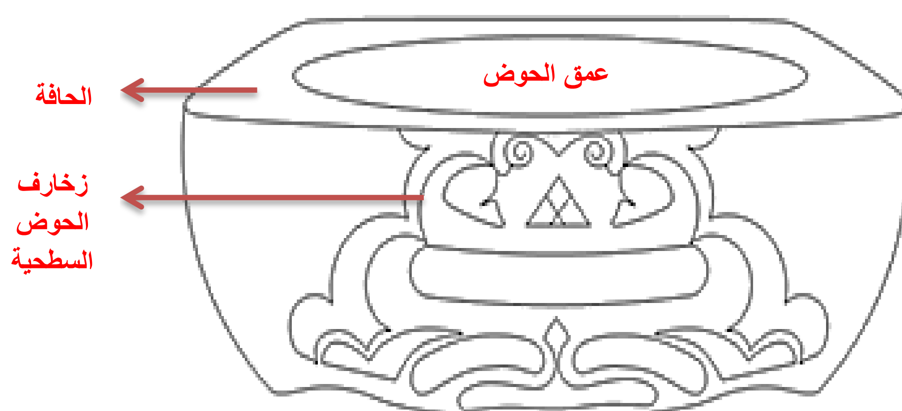
الشكل



2.3.5 . الحوض المربّع : صغير الحجم بطول وعرض قدّر ب 53 .5 سم ، وسمك 5 سم ، من الرخام البني الفاتح وارتفاعه قدره 21.15 سم ، زخرف وسط واجهاته الخارجية الأربع زخرفة على شكل حوض صغير ممثل وكأنه لنفس الحوض موضوع على ورقتين عبارة عن مراوح نخيلية متفرعة تحفه وتحيط به ، في حالة جيدة من الحفظ (اللوحة 24 : الصورة 01 والشكل 02) .



الصورة 01



الشكل 02 . من عمل الطالبة .

اللوحة 24 : حوض مريني مربع محفوظ بمتحف الآثار الاسلامية بتلمسان .

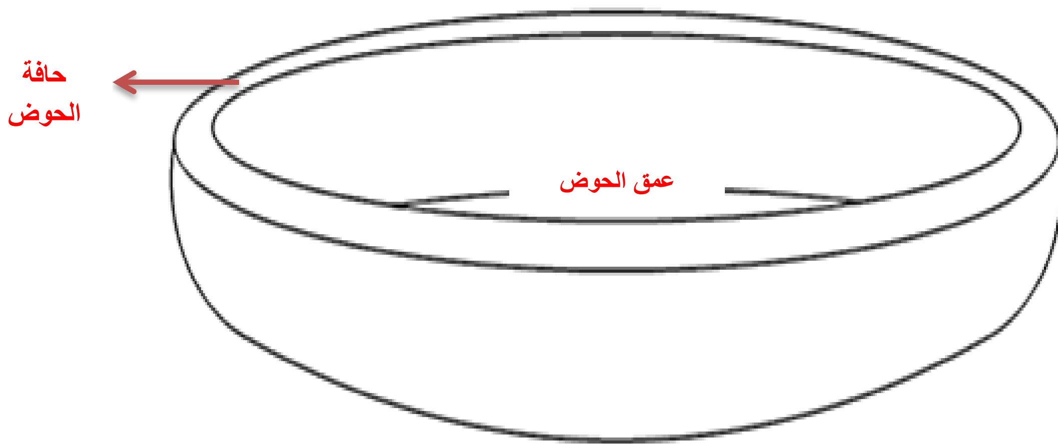
. **البطاقة التقنية رقم 25** : حوض مريني مربع محفوظ بمتحف الآثار الاسلامية بتلمسان .

رقم الجرد	M 85	الصورة
اسم التحفة	حوض	
التسمية المحلية	حوض	
المادة	رخام	
اللون	بني فاتح	
الوظيفة	حفظ الماء	
الفترة	مرينية	
المصدر	/	
المقاسات	مربع طول وعرض : 53 .5 سم ، وسمكه 5 سم ، ارتفاعه 21. سم	
تقنية الصناعة	القطع والحفر	
تقنية الزخرفة	الحز و الحفر الغائر	الشكل
مكان الحفظ	متحف الآثار الإسلامية بتلمسان	
طريقة الاقتناء	حفرية	
حالة الحفظ	متوسطة	
الوصف	حوض مربع الشكل صغير الحجم في حالة جيدة من الحفظ ، زخرف وسط واجهاته الخارجية الأربع بزخرفة على شكل حوض صغير ممثل وكأنه لنفس الحوض موضوع على ورقتين عبارة عن مراوح نخيل متفرعة تحفه وتحيط به .	
بيبليوغرافيا	/	

3.3.5 <u>الحوض الأسطواني</u> : وهو من الرخام الأبيض ، جزء منه فقط محفوظ بمتحف الآثار الاسلامية بتلمسان ، وهو بسيط خال من الزخارف سمكه 7 سم ، وارتفاع قدره 55 سم ، في حالة متوسطة من الحفظ (اللوحة 25 : الصورة 01 والشكل 02).



الصورة 01 : جزء من حوض نافورة أسطواني محفوظ بمتحف الآثار الاسلامية بتلمسان



الشكل 02 : إعادة تصور لحوض نافورة أسطواني محفوظ بمتحف الآثار الاسلامية بتلمسان . من عمل الطالبة .

اللوحة 25 : حوض نافورة مريني أسطواني من خلال جزئه المحفوظ بمتحف الآثار الاسلامية بتلمسان .

لتكون له في الأخير بطاقة تقنية بعناصرها التالية :

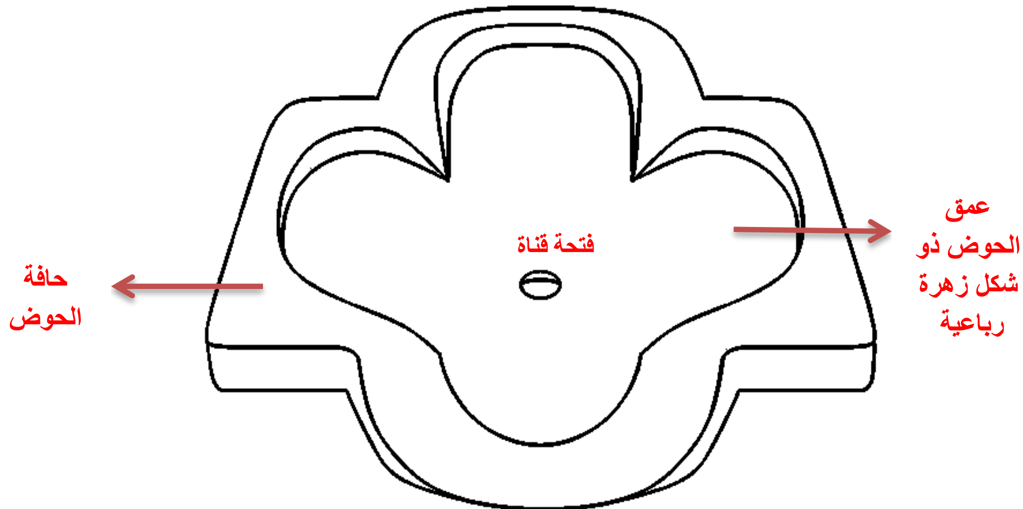
. **البطاقة التقنية رقم 26** : جزء من حوض نافورة مريني أسطواني محفوظ بمتحف الآثار الاسلامية بتلمسان .

رقم الجرد	20	**الصورة**
اسم التحفة	حوض	
التسمية المحلية	حوض	
المادة	رخام	
اللون	أبيض	
الوظيفة	حفظ الماء	
الفترة	مرينية	
المصدر	/	
المقاسات	سمكه 7 سم ، ارتفاعه 55 سم	
تقنية الصناعة	يدوية القطع والتهذيب	
تقنية الزخرفة	/	**الشكل**
مكان الحفظ	متحف الآثار الاسلامية	
طريقة الاقتناء	حفرية	
حالة الحفظ	متوسطة	
الوصف	جزء من حوض ذو شكل أسطواني من الرخام الأبيض ، محفوظ بمتحف الآثار الاسلامية بتلمسان، وهو بسيط خال من الزخارف في حالة متوسطة من الحفظ	حفة الحوض عمق الحوض
بيبليوغرافيا	/	

4.3.5 . الحوض الحجري : وهو مربع القاعدة مفصص البدن على شكل زهرة ذات أربعة بتيلات ، من مادة الحجر الرملي ، صغير الحجم بطول وعرض قدّر ب 35 سم وارتفاع قدره 37 سم ، باطنه أيضا على شكل زهرة رباعية تتوسطه فوهة بعمق 5 سم وقطر 7 سم ، معروض بصحن متحف الآثار الاسلامية بتلمسان وهو في حالة متوسطة من الحفظ (اللوحة 26 : الصورة 01 و الشكل 02) .



الصورة 01



الشكل 02 . من عمل الطالبة .

اللوحة 26 : حوض مريني حجري محفوظ بمتحف الآثار الاسلامية بتلمسان .

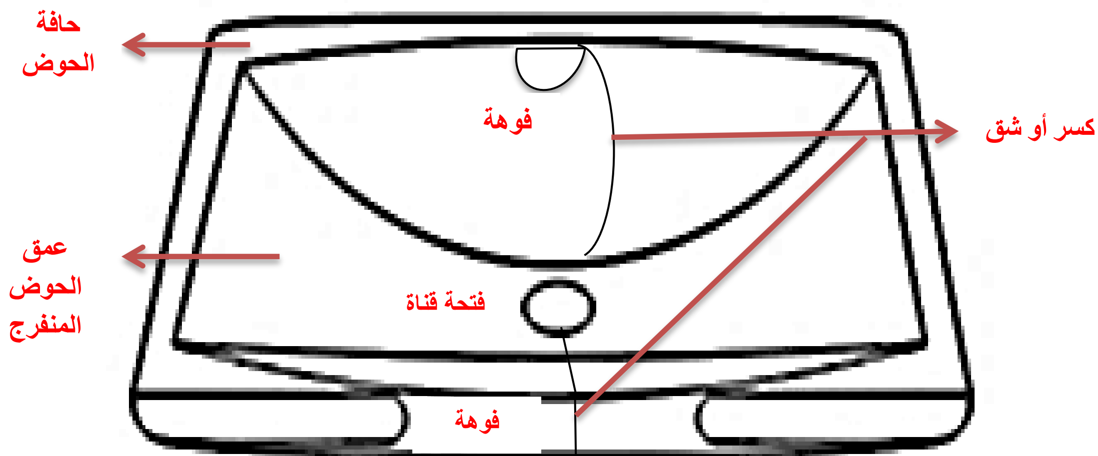
. **البطاقة التقنية رقم 27 :** حوض مريني حجري محفوظ بمتحف الآثار الاسلامية بتلمسان .

رقم الجرد	21	**الصورة**
اسم التحفة	حوض	
التسمية المحلية	حوض	
المادة	حجر رملي	
اللون	بني فاتح	
الوظيفة	جمالية	
الفترة	مرينية	
المصدر	/	
المقاسات	طول و عرض 35 سم ، ارتفاع 37 سم عمق الفرهة 5 سم وقطرها 7 سم	
تقنية الصناعة	القطع والحفر	
تقنية الزخرفة	الحفر الغائر والكشط	**الشكل**
مكان الحفظ	منحف الآثار الاسلامية بتلمسان	
طريقة الاقتناء	حفرية	
حالة الحفظ	متوسطة	فتحة قناة عمق الحوض ذو شكل زهرة رباعية حافة الحوض
الوصف	حوض مربع القاعدة مفصص البدن على شكل زهرة ذات أربعة بتيلات، من مادة الحجر الرملي، صغير الحجم ، باطنه أيضا على شكل زهرة رباعية تتوسطه فوهة معروض بصحن متحف الآثار الاسلامية بتلمسان وهو في حالة متوسطة من الحفظ	
بيبليوغرافيا	/	

5.3.5 . الحوض المستطيل : منفرج الشكل متوسط الحجم ، من مادة الرخام الأبيض، بارتفاع 45 سم وسمك 7 سم ، بطول 1.05 م وعرض 67 سم ، تتوسط قاعدته فتحة بقطر 9 سم وسمك 3.05 سم ، والملاحظ أن هذا الحوض مقعر الشكل من الداخل نحو الأسطواني عن الشكل المستطيل الخارجي للبدن ، كما لا حظنا أن هذا الأخير به كسر نصفي من الحافة إلى الحافة (اللوحة 27: الصورة 01 والشكل 02).



الصورة 01



الشكل 02 . من عمل الطالبة .

اللوحة 27 : حوض مريني مستطيل محفوظ بمتحف الآثار الاسلامية بتلمسان .

ومجمل ما عرضناه عن الحوض من مقاسات ووصف جمعناه في بطاقة تقنية جاءت كالتالي :

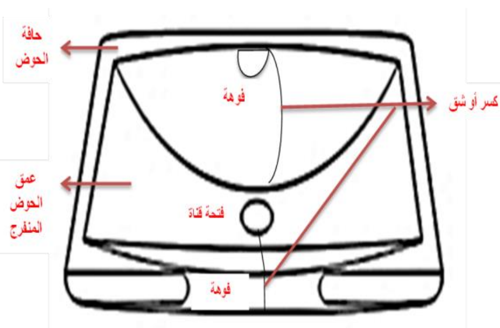
. **البطاقة التقنية رقم 28** : حوض مريني مستطيل محفوظ بمتحف الآثار الاسلامية بتلمسان .

رقم الجرد	22
اسم التحفة	حوض
التسمية المحلية	حوض
المادة	رخام
اللون	أبيض
الوظيفة	حفظ الماء
الفترة	مرينية
المصدر	/
المقاسات	طوله 1.05 م وعرضه 67 سم، ارتفاعه 45 سم وسمكه 7 سم ، قطر الفتحة 9 سم وسمكها 3.05 سم
تقنية الصناعة	التقطيع والحفر
تقنية الزخرفة	/
مكان الحفظ	متحف الآثار الاسلامية بتلمسان
طريقة الاقتناء	/
حالة الحفظ	متوسطة
الوصف	حوض مستطيل منفرج الشكل متوسط الحجم ، والملاحظ أن هذا الحوض مقعر لشكل الداخلي نحو الاسطواني عن الشكل المستطيل الخارجي للبدن، كما لا حظنا أن هذا الأخير به كسر نصفي من الحافة إلى الحافة
بيبليوغرافيا	/

الصورة



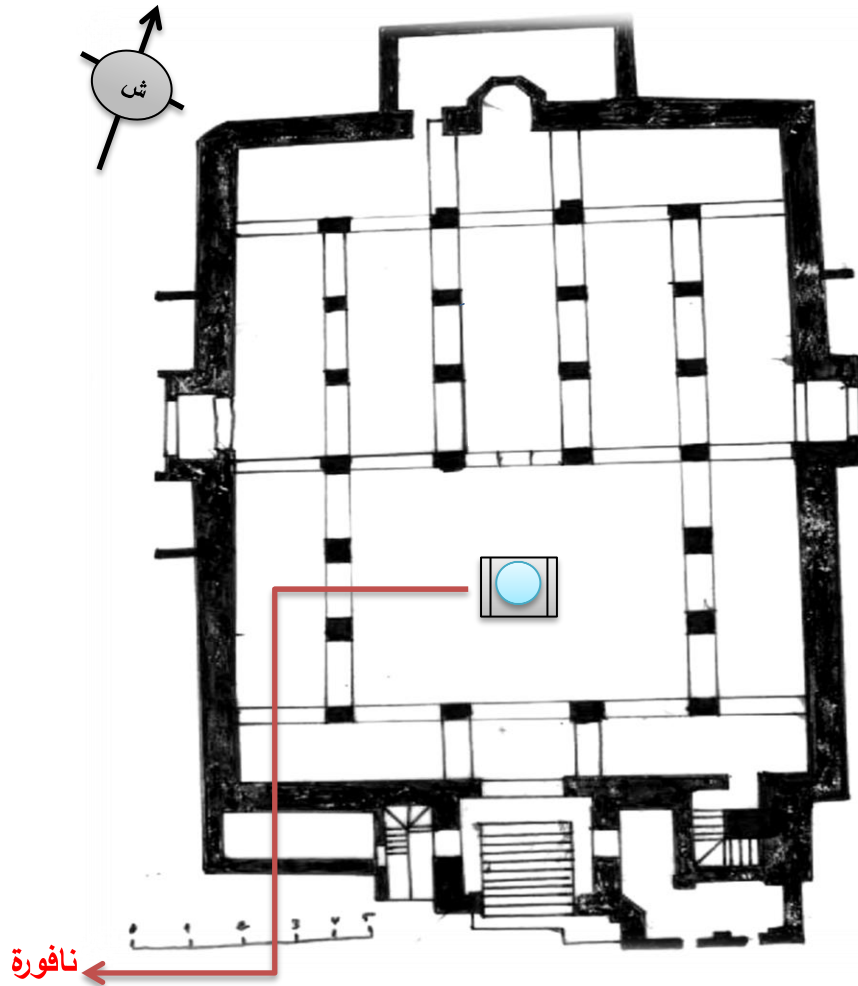
الشكل



6 . أحواض ونافورات العمارة المرينية بمدينة تلمسان : واختصرت في مجملها على ما يلي :

1.6 . نافورة مسجد سيدي أبي مدين (بمرّكب العبّاد) :

وشيّد هذا المسجد من قبل السلطان المريني **أبي الحسن** [1] سنة 739 هـ/1339 م ، ويتخذ المسجد شكلا مستطيلا ، يبلغ طوله 28.45 م وعرضه 18.90م (المخطط 18) .



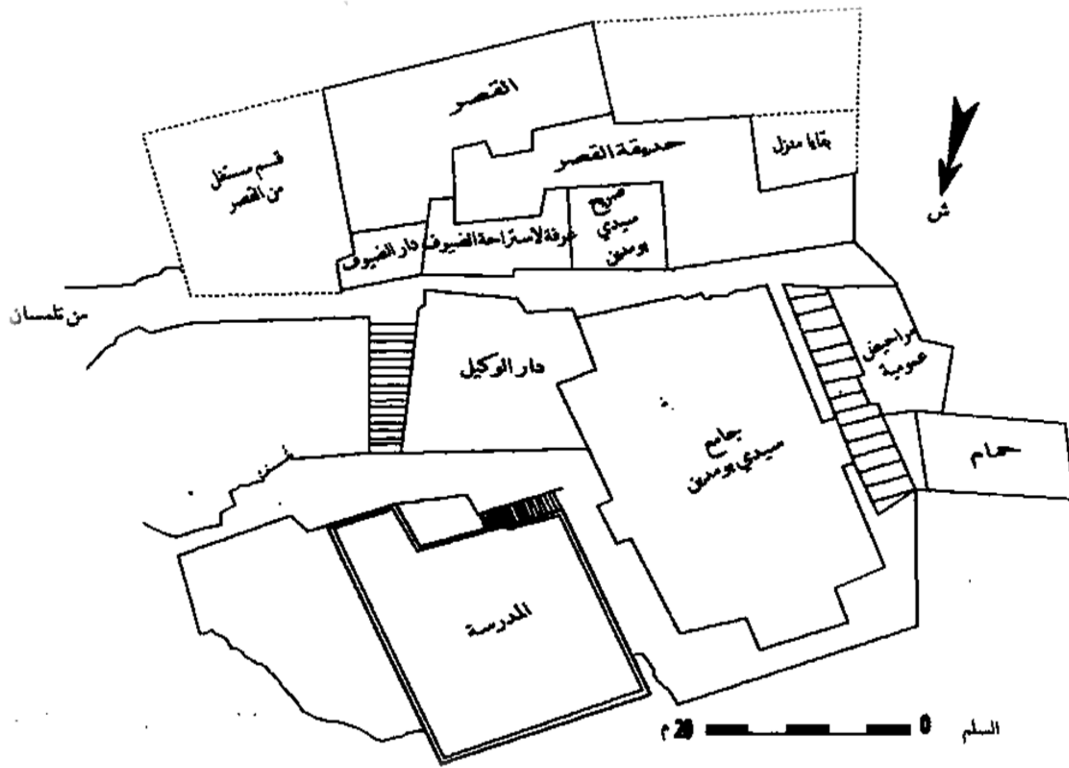
المخطط 18 : مسجد سيدي أبي مدين بتلمسان . بتصرف عن بوروبية Art Religieux .

1- السلطان أبو الحسن المريني 732 هـ/1323 م ، زحف إلى نواحي تلمسان ، نزل بتسالة مهد العاصمة العبد وادية ، ثم حاصر تلمسان سنة 735 هـ1335 م ، وأحكم حصارها إلى أن اقتحم الجيش المريني العاصمة العبد وادية سنة 737 هـ/1337 م ، **أنظر :** حاجيات (عبد الحميد) : المرجع السابق ، ص 62 .

وهو بهجة الناظرين آية في الفن المغربي الأندلسي ، على قول **ابن مرزوق** : "...وأما الجامع الذي بناه حذاء ضريح المشايخ ، وقدوة المتأخرين من المتصوفين أبي مدين شعيب بن الحسين ، وهو الذي عز مثاله واتصفت بالحسن والرشاقة أشكاله أنفق فيه مقدارا جسيما ومالا عظيما ، وكان بناؤه على يد عمي **وصنو أبي الصالح أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق وعلى يدي** "[1] .

ويقع في الجنوب الشرقي للمدينة ، ويحتل هذا المسجد وسط المجموعة المعمارية التي شيّدها هذا السلطان ، بحيث يقابل ضريح سيدي أبي مدين ، ويشرف عليه بواجهته الرئيسية الشمالية الغربية ، وإلى الجنوب الغربي منه أقيمت المدرسة المعروفة بمدرسة سيدي أبي مدين وذلك في مواجهة بيت صلاة المسجد ، فهو إذن يقع في منطقة العباد ضمن مركب يتكون من : **مسجد** و**مدرسة وضريح وقصر** (المخطط 19) .

1. هو عبد الله بن أبي سعيد عثمان بن عبد الحق ، الذي خلف والده سنة 731 هـ/1330 م ، وكان واحدا من أقوى سلاطين عصره ، دخل تلمسان في رمضان سنة 737 هـ/1336 م ، وقتل السلطان أبا تاشفين ، آخر أمراء الأسرة الزيانية واستولى على كل أملاكه ، **أنظر** : بورويبة (رشيد) : الكتابات الأثرية .... ، المرجع السابق ، ص 81 ، و **أنظر** : ابن مرزوق (محمد) : المسند الصحيح ... ، المصدر السابق ، ص 270 .



المخطط 19 : مركّب العبّاد (المجمع المعماري) بتلمسان
. عن لعرج عبد العزيز المباني المرينية .

يتوسط صحن مسجد سيدي أبي مدين الجامع بمركب العباد المربع والمفروش بالفسيفساء المتعددة الألوان ، حوض من الرخام **حديث** ذو لون أبيض مجزع بشيء من البني الفاتح مخصّص للشرب وتزين الصحن وكذا للوضوء ، ويتشكل من حوضين مربعين يتوسطهما حوض أسطواني مفصص حديث .

الحوض الأول الخارجي به مقاعد منفصلة وهو مربع بطول وعرض 1.03 م وارتفاع قدره 30 سم وسمك 40 سم ، قدّر امتداد الفواصل بينها بطول 43 سم وعرض 41سم ، وهي مبلطة من جوانبها ببلاطات خزفية وببلاطات رخامية بالجهة العلوية ،

ويلي هذه المقاعد بعد مساحة قدرها 21 سم حوض مربع بطول وعرض قدره 1.30م وارتفاع 32 سم تتوسطه قاعدة مفصصة ارتفاعها 11 سم ، تستبق الحوض الأسطواني المفصص ب15 فصا طول كلا منه 21 سم وعرضه 16 سم .

أما ارتفاع الحوض الحديث فقدّر ب 21 سم ، يتوسطه مباشرة تويج رخامي طوله 10 سم وعرضه 9.5 سم ، وقاعدته ارتفاعها 3.05سم وعرضها 95 سم ، وهي تأخذ في التدرج بثلاث تدرجات حتى تصل إلى التويج ذو شكل مقبض أسطواني .

ينبع الماء من ثقب صغير يتوسطه ، وهو متصل مع قناة الدفع لتخزين المياه بالأرضية (الصورة 46) .



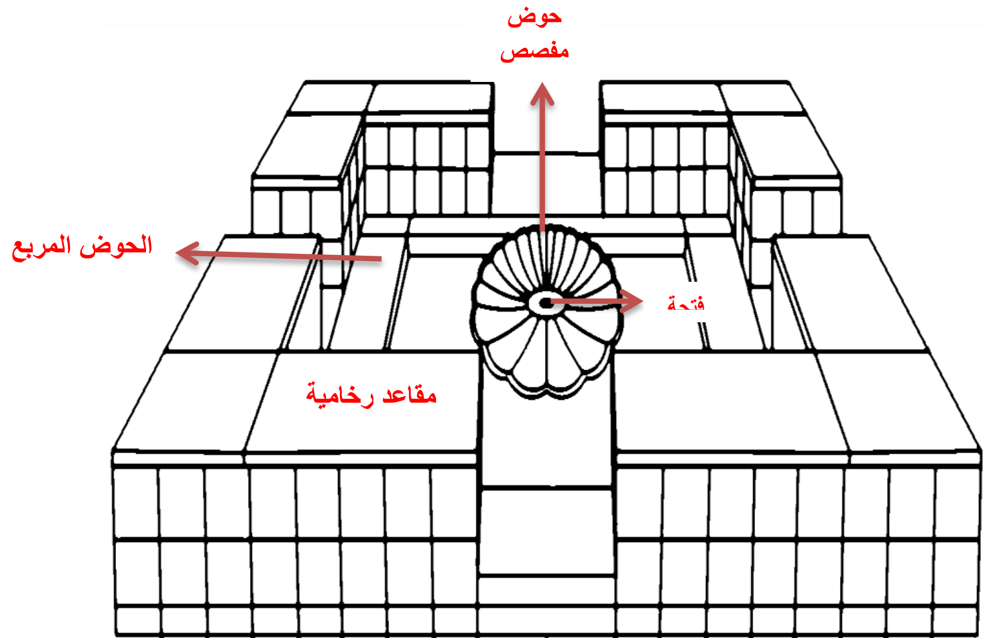
الصورة 46: النافورة أو الميضأة الرخامية الحديثة بصحن مسجد سيدي أبي مدين بمدينة تلمسان

وقد كانت النافورة أو الميضأة بحوضها الأصلي قبل أن يعرف مسجد سيدي أبي مدين الترميمات في السنوات الأخيرة ، وهو محفوظ حاليا بمتحف الفن والتاريخ بمدينة تلمسان ، ومن خلال صورة بكتاب L'algérie Aux Cent Visages، وجدناه بصحن المسجد وتحيط به نفس المقاعد المنفصلة الحالية ، وهي تجسد صورته الحقيقية في بدايات الفترة الاستعمارية (اللوحة 28 : الصورة 01 والشكل 02) .



الصورة 01 : نافورة أو ميضأة مسجد سيدي أبي مدين بمدينة تلمسان قبل الترميمات

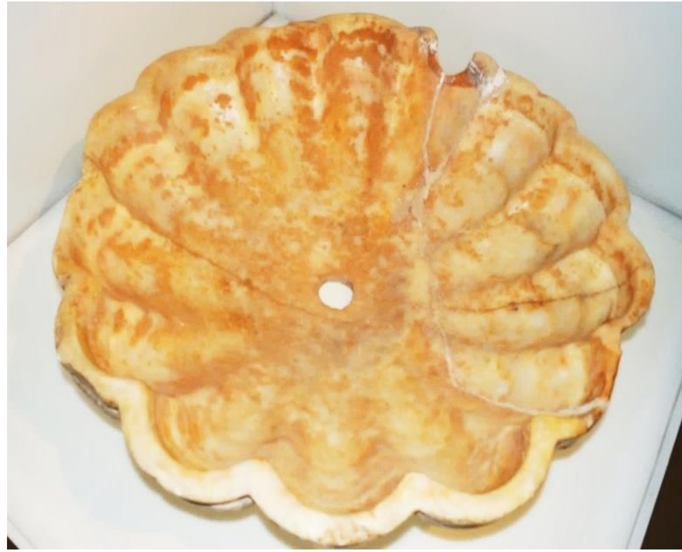
. من كتاب L'Algérie aux cent visages .



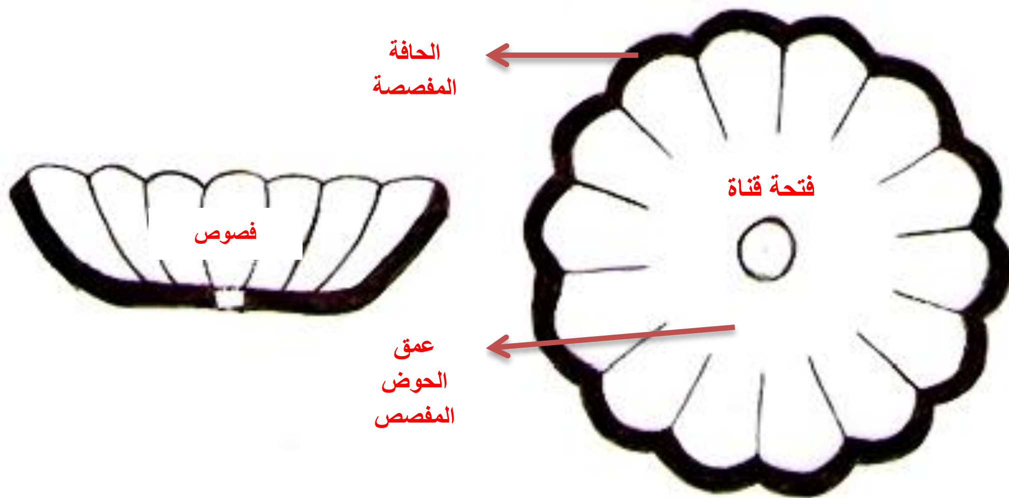
الشكل 02 : إعادة تصور لنافورة أو ميضأة مسجد سيدي أبي مدين بتلمسان . من عمل الطالبة .

اللوحة 28 : نافورة أو ميضأة مسجد سيدي أبي مدين بتلمسان من خلال صورتها و حوضها الأصلي .

1.1.6 . الحوض الأصلي لنافورة مسجد سيدي أبي مدين : وهو حاليا محفوظ بمتحف الفن والتاريخ بتلمسان من الرخام الأبيض بتعريقات البني الفاتح ذو شكل أسطواني مقعر من الداخل مفصص من الداخل والخارج بفصوص متوسطة الحجم متساوية فيما بينها وعددها 14 فصا على شكل زهرة ، ارتفاعه 30 سم وقطره 85 سم وسمك حافته 4.2 سم ، وهو في حالة متوسطة من الحفظ (اللوحة 29: الصورة 01 والشكل 02).



الصورة 01



الشكل 02 . من عمل الطالبة .

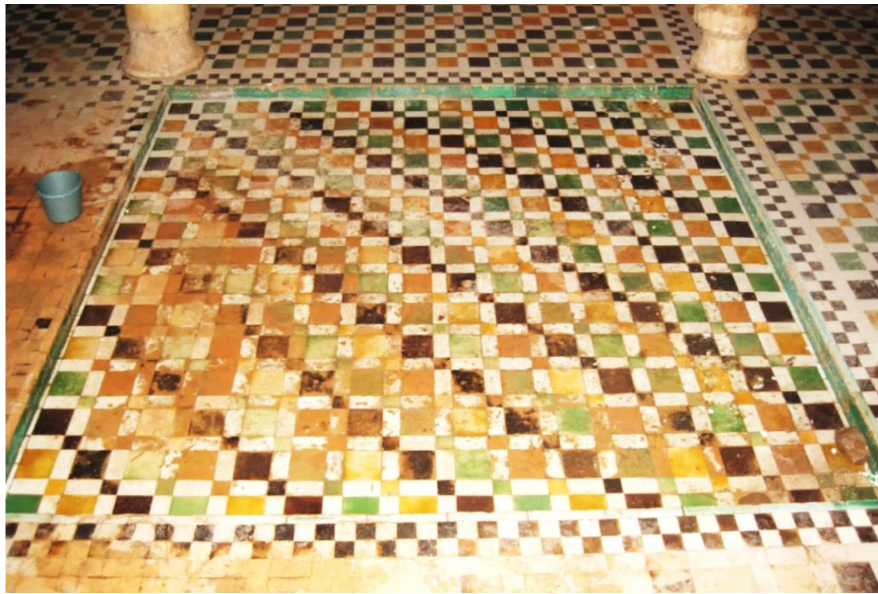
اللوحة 29 : حوض نافورة مسجد سيدي أبي مدين الأصلي المحفوظة بمتحف الفن والتاريخ بتلمسان.

لتكون حوصلت دراستنا للحوض الأصلي لمسجد مركّب العبّاد بتلمسان بطاقة تقنية وهي كالتالي:

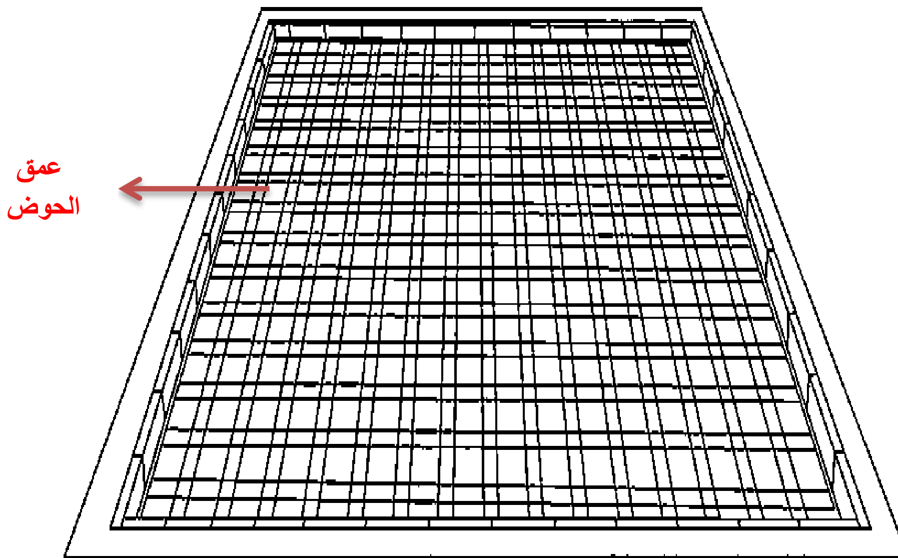
. **البطاقة التقنية رقم 29** : الحوض الأصلي لنافورة مسجد سيدي أبي مدين . محفوظة بمتحف الفن والتاريخ بتلمسان .

رقم الجرد	M 20	**الصورة**
اسم التحفة	حوض نافورة	
التسمية المحلية	حوض	
المادة	رخام	
اللون	أبيض	
الوظيفة	حفظ الماء للوضوء	
الفترة	مرينية	
المصدر	مسجد سيدي أبي مدين بمركب العبّاد بتلمسان	
المقاسات	ارتفاعه 30 سم ـ قطره 85 سم ، سمك الحافة 4.2 سم .	
تقنية الصناعة	الحفر والكشط	
تقنية الزخرفة	الحفر الغائر	
مكان الحفظ	متحف الفن والتاريخ بتلمسان	**الشكل**
طريقة الاقتناء	إعادة بناء وحفظ القديمة بالمتحف	الحافة المفصصة فتحة قناة فصوص عمق الحوض المفصص
حالة الحفظ	متوسطة	
الوصف	حوض أصلي لنافورة مسجد سيدي أبي مدين ، ذو شكل أسطواني مقعر من الداخل ومفصص من الداخل و الخارج بفصوص متوسطة الحجم متساوية فيما بينها وعددها 14 فصا ، على شكل زهرة .	
بيبليوغرافيا	/	

2.1.6 . حوض ضريح سيدي أبي مدين : ونجده مباشرة بعد مدخله بمسافة قصيرة بقايا لحوض أرضي بسيط طوله 2.40 م وعرضه 2.25 م بعمق قدر ب 7سم، به منفذ واحد للماء طوله 10 سم وعرضه 5 سم . وهو **مبلط بقطع خزفية مربعة الشكل مختلفة الألوان** حديثة شبيهة بالقديمة التي لا زالت بجزء منه واضحة للعيان ، تحيط بأركانه الأربع أعمدة من الرخام الأبيض (اللوحة 30 : الصورة 01 والشكل 02) .



الصورة 01



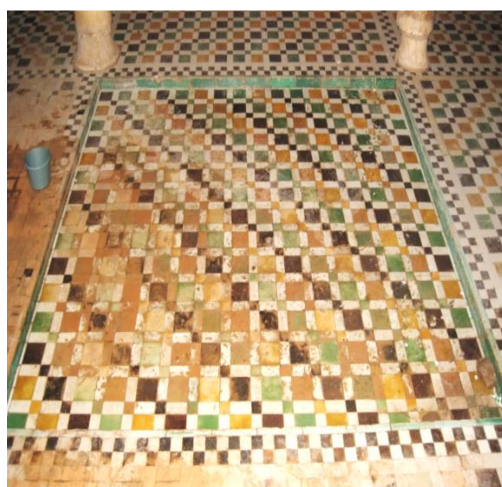
الشكل 02 . من عمل الطالبة .

اللوحة 30 : الحوض الأرضي بصحن ضريح سيدي ابي مدين المريني بتلمسان .

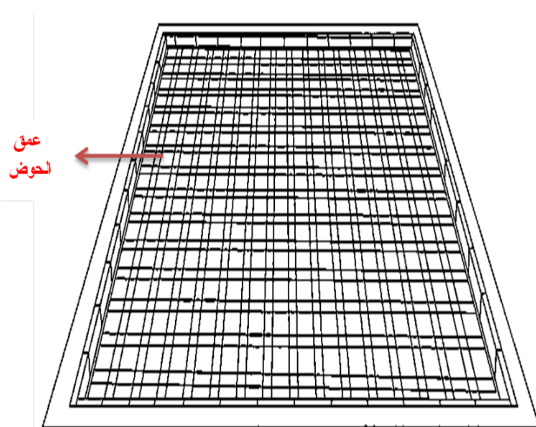
. **البطاقة التقنية رقم 30** : الحوض الأرضي بصحن ضريح سيدي ابي مدين المريني بتلمسان .

رقم الجرد	23
اسم العنصر المعماري	حوض
التسمية المحلية	حوض
المادة	الحجر
اللون	بني فاتح
الوظيفة	تصريف ماء الغسل من البئر المجاور وغيره
الفترة	مرينية
المصدر	ضريح سيدي ابي مدين بمركّب العبّاد بتلمسان
المقاسات	طوله 2.40 م وعرضه 2.25م وعمق 7 سم ، طول منفذه 10 سم وعرضه 5 سم
تقنية البناء	الحفر و التبليط
تقنية الزخرفة	زليج مختلف الألوان
مكان الحفظ	صحن ضريح سيدي أبي مدين بتلمسان
طريقة الاكتشاف	بناء قائم بصحن ضريح سيدي بومدين بتلمسان
حالة الحفظ	جيدة
الوصف	حوض أرضي بسيط وهو مبلط بقطع خزفية مربعة الشكل مختلفة الألوان حديثة شبيهة بالقديمة التي لا زالت بجزء منه واضحة للعيان ، تحيط بأركانه الأربع أعمدة من الرخام الأبيض
بيبليوغرافيا	/

الصورة



الشكل



إضافة إلى بئر بالركن الأيسر للمدخل الأول لضريح سيدي أبي ومدين ، فوهته من الرخام الأبيض (الصورة 47) .



الصورة 47 : بئر ضريح أبي مدين شعيب بتلمسان

ولم تقتصر المباني المرينية على الجانب الديني من المساجد والدفاعي من الأسوار والقلاع ، بل اهتم المرنيون ببناء المدارس أيضا ، حيث أنشأوها بمفهوم جديد حيث لم تكن في المغرب قبل عصرهم ، ولم يقف سلاطين بني مرين عند الاهتمام ببناء المدارس في عاصمتهم فاس فقط ، وإنما أنشأوا المدارس في سائر بلاد المغرب الاقصى والمغرب الأوسط [1] .

2.6 . أحواض مدرسة سيدي أبي مدين بتلمسان :

ظهرت المدارس أول الأمر بالمغرب الأقصى بعد حوالي ثلاثين سنة من ظهورها في المغرب الأدنى ، وارتبطت الوظيفة بها بنشر العلوم والمعارف الدينية اعتمادا على مذهب الإمام مالك ، وتعتبر الدولة المرينية بالمغرب الأقصى أكثر دويلات المغرب

1- الحريري (محمد عيسى) : تاريخ المغرب الاسلامي والأندلس في العصر المريني ، الطبعة الأولى ، دار القلم للنشر والتوزيع 1405 هـ/1985 م ، ص 324 ، 325 .

الاسلامي حيوية ونشاطا في مجال التشييد العمراني بصفة عامة وتشييد المدارس بصفة خاصة ، وأنفق سلاطينها وأمراؤها على عمارتها وتزيينها أمولا كثيرة ، فجاءت على درجة كبيرة من الأبّهة والفخامة [1] .

ونجدها عند المرينيين بالمغرب الأوسط في تلمسان ، وأهم ما تبقى منها مدرسة سيدي أبي مدين ، وهي المدرسة التي لا تزال قائمة باعتبارها أيضا أول مركز علمي وثقافي بالمدينة ، وقد غلب عليها اسم العباد فأصبحت تعرف **بمدرسة العباد** ، كما أطلق عليها أيضا اسم " المدرسة الخلدونية " ، ولقد جاءت هذه التسمية من تعلّم عبد الرحمن ابن خلدون بها [2].

وأنشئت في ظروف سياسية متقلبة امتازت باقتحام المرينيين لتلمسان عاصمة بني عبد الواد ، حيث قتل سلطانهم أبو تاشفين سنة 718هـ/734م ، فأصبحت المنطقة تابعة لمركز الحكم المريني بفاس [3] .

أما بالنسبة لتاريخ المدرسة يوجد ضمن مجموعة أبيات شعرية تتألف من تسع أبيات، تزين رقبة قبة قاعة الصلاة بها ، والتي من خلالها قرأتنا لها تبيّنت أنها بنيت بتاريخ السابع (7) من شهر ربيع الثاني من سنة 749 هـ/1347 م .

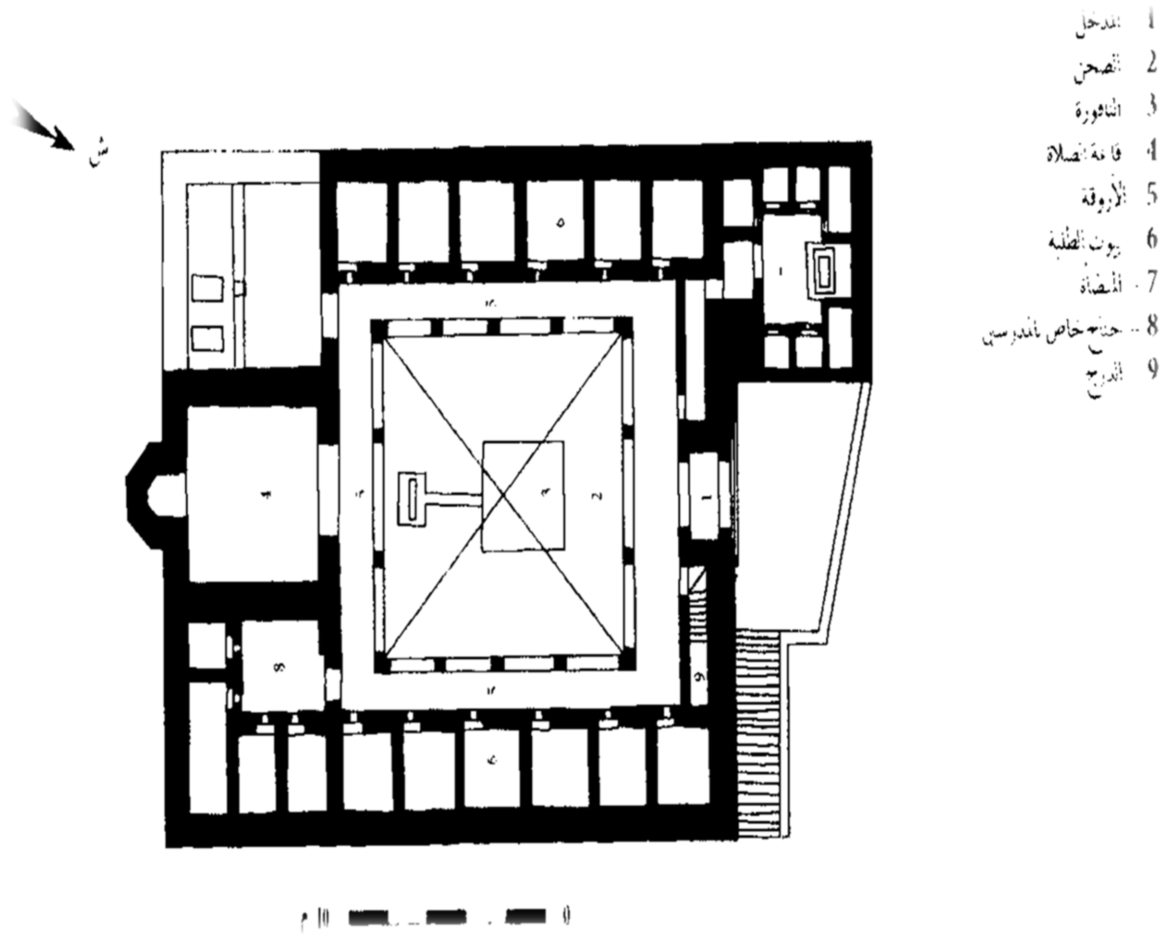
ونجد المدرسة بالجهة الغربية من المسجد الجامع ، فوق هضبة صغيرة على مستوى أعلى منه ويفصلها عنه رواق معقود ، وقد ذكرت المدرسة واسم مؤسسها والأوقاف المحبسة عليها على لوحة رخامية مثبتة في بدن الدعامة الاولى على يسار بلاطة المحراب ، العمودية بالجامع المجاور لها ونقرأ عليها : " **الحمد لله رب العالمين والعاقبة**

1 - Marçais (G) : L'architecture musulman …. , Op.Cit , P 285 .
2- Marçais (G) et (W) : Les Monuments Arabes de Tlemcen , Paris 1905 , P 274 .
3- الطمار (محمد ابن عمرو) : تلمسان عبر العصور ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984 م ، ص 125 .

للمتّقين ، أمر ببناء هذا الجامع المبارك والمدرسة المتصلة بغربيه مولانا السلطان الأعدل أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبو الحسن"[1].

فصممت فوق مسطح مرتفع ، ويصل إليها عبر درج صاعد من 15 درجة ، نلج من خلالها غلى ساحة فسيحة تتقدم المدرسة .

تأخذ المدرسة شكلا مستطيلا (المخطط 20) ، يتوسطها صحن مكشوف مستطيل الشكل عمقه أكثر من عرضه بطول 16 م وعرض 14 م ، و تحيط به بائكة من العقود من جهاته الأربع بطول 3.20 م وعرض 2.60 م .



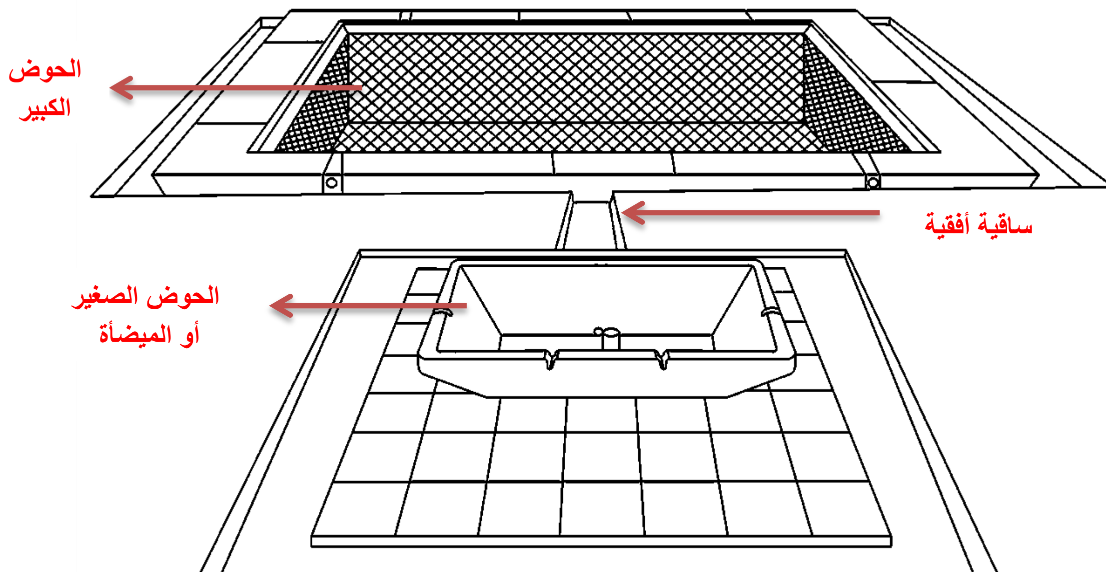
المخطط 20 : مدرسة سيدي أبي مدين بتلمسان . عن لعرج عبد العزيز المباني المرينية .

1- بورويبة (رشيد) : الكتابات الأثرية ، المرجع السابق ، ص 83 .

1.2.6 . الحوض الكبير بصحن مدرسة سيدي أبي مدين : يتوسط صحن المدرسة حوضان مستطيلان أحدهما كبير على مستوى سطح الأرض والآخر صغير بارز عنه ببدن رخامي (اللوحة 31 : الصورة 01 والشكل 02) .



الصورة 01



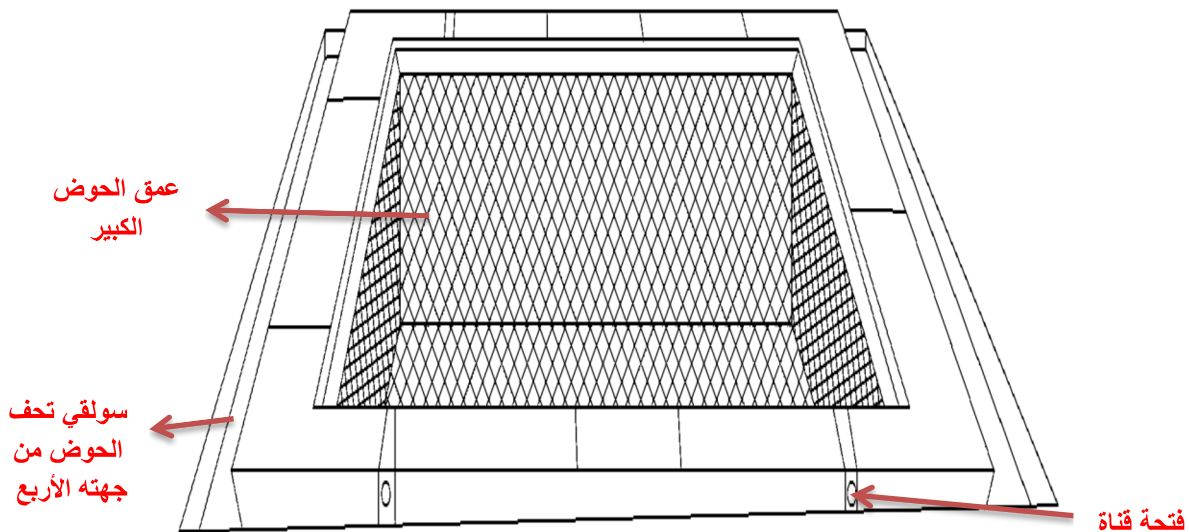
الشكل 02 . من عمل الطالبة .

اللوحة 31 : حوضا صحن مدرسة سيدي أبي مدين بمدينة تلمسان .

أما **الحوض الكبير** المستطيل (اللوحة32 : الصورة رقم 01 والشكل 02) جاء بطول 3.20 م وعرض 2.60 م وعمق 60 سم ، تحف به من جهاته الأربع سواقي لتسهيل توزيع الفائض ، ويستمد هذا الحوض مياهه من الحوض الصغير الرخامي عبر ساقية .



الصورة 01



الشكل 02 . من عمل الطالبة .

اللوحة 32 : الحوض الكبير بصحن مدرسة سيدي أبي مدين بتلمسان .

. **<u>البطاقة التقنية رقم 31</u>** : الحوض الكبير بصحن مدرسة أبي مدين بتلمسان .

رقم الجرد	24	
اسم العنصر المعماري	حوض أرضي	
التسمية المحلية	حوض	**الصورة**
المادة	بلاطات رخامية وزليج	
اللون	أبيض وزليج مختلف الألوان	
الوظيفة	جمع الماء وحفظه وتوزيعه	
الفترة	مرينية	
المصدر	مدرسة سيدي أبي مدين شعيب بالعباد بتلمسان	
المقاسات	طول 3.20 م وعرض 2.60سم وعمق 60 سم	
تقنية البناء	الحفر والتبليط	
تقنية الزخرفة	/	**الشكل**
مكان الحفظ	صحن مدرسة سيدي أبي مدين شعيب بالعباد بتلمسان	عمق الحوض الكبير
طريقة الاكتشاف	بناء قائم وسط صحن مدرسة سيدي بومدين بتلمسان	سواقي تحف الحوض من جهته الأربع
حالة الحفظ	جيدة	فتحة قناة
الوصف	حوض مستطيل يتوسط صحن المدرسة تحف بأطرافه الأربع سواقي ، ويستمد مياهه من الحوض الرخامي عبر ساقية أفقية تربطهما ببعض	
بيبليوغرافيا	/	

2.2.6 . <u>الحوض الصغير أو ميضأة صحن مدرسة سيدي أبي مدين</u> : ذو شكل مستطيل طوله 76 سم وعرضه 30سم وارتفاعه 32 م وسمك حافته قدّرب 9 سم، وهو رخامي ذو لون أبيض ، نجده بصحن المدرسة أمام بيت الصلاة .

ونجد بحافة بدن الحوض المقابلة للغرفة بالمدرسة منفذين للمياه إذا امتلأ الحوض ، ومنفذ واحد فقط بالحافة المقابلة للحوض الكبير والساقية .

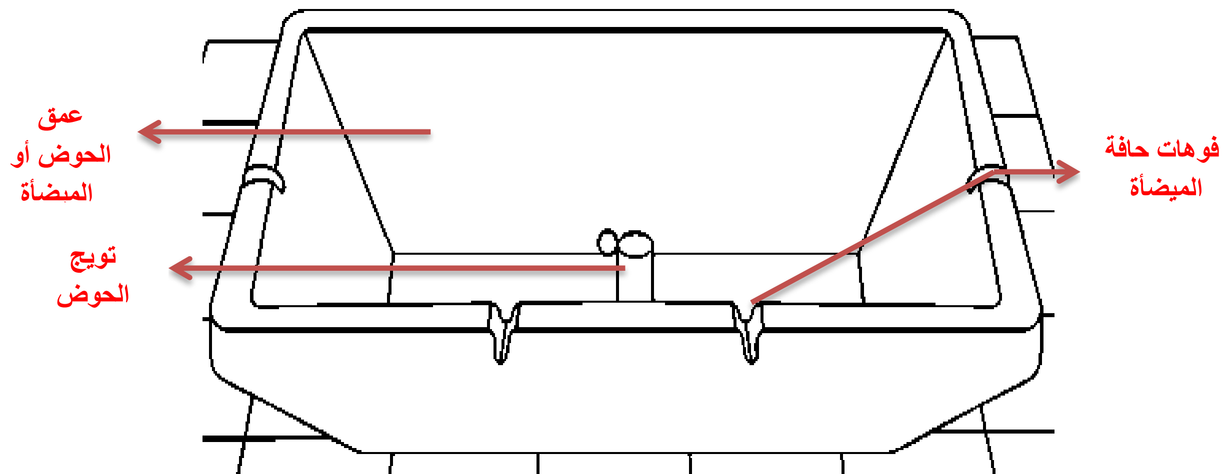
كما وجدنا أيضا منفذ أسفل بدن الحوض من جهته المطلة على الساقية البسيطة المموّلة للحوض الكبير والتي حفرت على الأرضية بطول 1.70 سم وسمك 4 سم ، والغرض منه توزيع الفائض المائي من الحوض الصغير.

ويتوسط هذا الأخير تويج من الحديد بجنبه منبع صغير للمياه من باطن الأرض بحجم العين .

ليؤدي بذلك دور ووظيفة الميضأة ، كونه الحوض المستعمل ماءه للوضوء والشرب ، وهو حديث الصنع بنفس شكل ومقاسات الأصلي (اللوحة 33 : الصورة 01 والشكل 02).



الصورة 01



الشكل 02 . من عمل الطالبة .

اللوحة 33 : الحوض الرخامي الصغير أو ميضأء صحن مدرسة سيدي أبي مدين بتلمسان

ولتتضح الصورة أكثر ألممنا بما ذكرناه آنفا عن الحوض في بطاقة تقنية جاءت كالتالي :

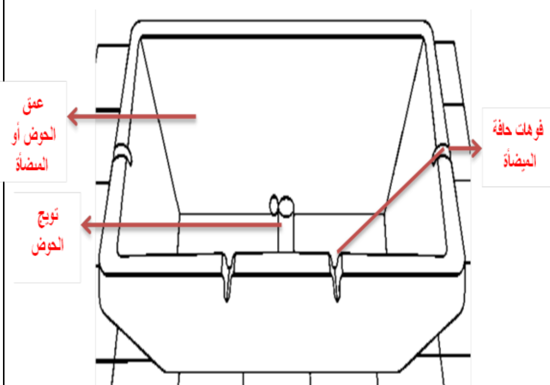
. **البطاقة التقنية رقم 32** : الحوض الرخامي الصغير أو ميضأة صحن مدرسة سيدي أبي مدين بمركب العبّاد بتلمسان.

رقم الجرد	25
اسم العنصر المعماري	حوض نافورة أو ميضأة
التسمية المحلية	حوض / ميضأة
المادة	رخام
اللون	أبيض
الوظيفة	حفظ الماء للشرب و الوضوء وتوزيعه للحوض الكبير
الفترة	مرينية
المصدر	مدرسة سيدي أبي مدين شعيب بمركّب العبّاد بتلمسان
المقاسات	طوله 76 سم وعرضه 30سم وارتفاعه 32 م وسمك حافته 9سم الساقية الأرضية طولها 1.70 سم وسمكها 4 سم ،
تقنية الصناعة	القطع و الحفر
تقنية الزخرفة	/
مكان الحفظ	صحن مدرسة سيدي أبي مدين شعيب بمركب العبّاد بتلمسان
طريقة الاكتشاف	مستحدث بصحن مدرسة سيدي بومدين بتلمسان
حالة الحفظ	جيدة
الوصف	حوض رخامي مستطيل ، ذو لون أبيض وبه منفذين للمياه بكل حافة منه إذا امتلأ الحوض ، ومنفذ واحد فقط بالحافة المقابلة للحوض الكبير، كما وجد أيضا منفذ أسفل بدن الحوض من جهته المطلة على الساقية البسيطة المموّلة للحوض الكبير والتي حفرت على والغرض منه توزيع الفائض المائي من الحوض الصغير
بيبليوغرافيا	/

الصورة



الشكل



وغطيت أرضية الصحن بقطع من الزليج الحديثة متوسطة الحجم مربعة الشكل بطول وعرض 10 سم ، مختلفة الألوان من الأخضر والأبيض والبني ويقطعهم الأسود على شكل خطوط مكوّنة من اتصال مربعات سوداء ببعضها .

ومنفذ صرف المياه الفائضة من هذين الحوضين نجده بالجدار الخارجي للمدرسة وهو بالجهة السفلية للمدخل الرئيسي بعد درج أو سلم سالك للشارع (الصورة 48) .



الصورة 48 : قناة خارجية لصرف الماء الفائض بحوضا مدرسة سيدي أبي مدين بتلمسان

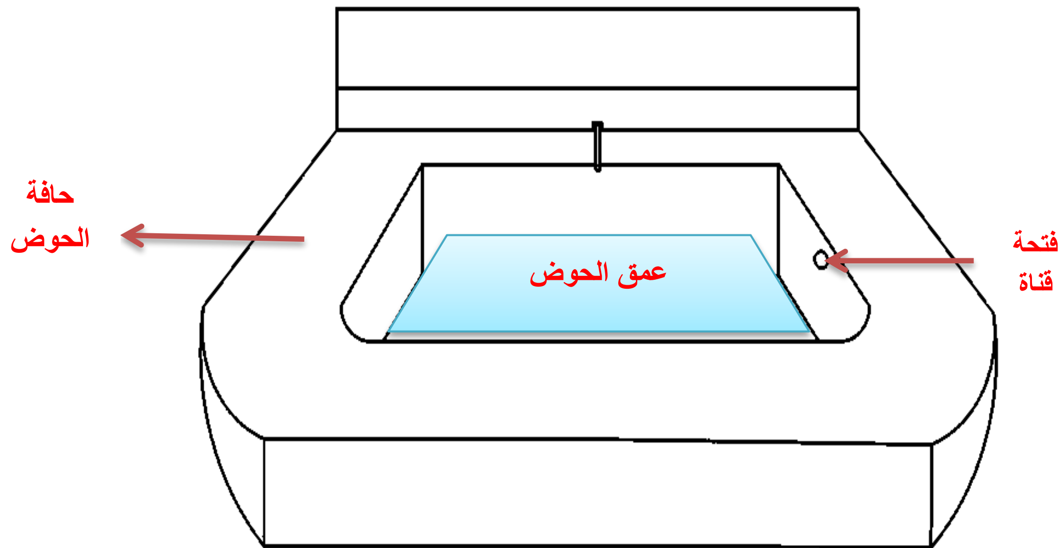
وبعد الاعمال الميدانية التي قمنا بها من أخذ صور و مقاسات الأحواض المعروضة بالمتاحف ، ومقارنتنا بين شكل ومقاسات هذا الحوض والحوض المستطيل المعروض بمسجد قلعة المشور بتلمسان أو شبيهه بالمعروض بصحن متحف الآثار الاسلامية بتلمسان ، رجحنا أنه من الممكن جدا أن يكون هو نفسه الأصلي .

3.2.6 . <u>حوض ميضاء مدرسة سيدي بومدين :</u> بنيت بالمدرسة **ميضاء** بالركن الشمالي الغربي عبر مدخل جانبي مع عدد من المراحيض ، وهي عبارة عن نتوءا بارزا يقدر ب 5.50 م ، تتركب من 8 غرف صغيرة الحجم ومستطيلة ، الركنية مقاساتها 1.60 م طولا و 1 م عرضا ، بينما الأربع الأخرى طولها 1.40 م ، كلها ذات مداخل صغيرة بعرض 0.50 م ، تعلوها فتحات للتهوية والإنارة ، أما الحوض

الذي يتوسط هذه الغرف فهو مستطيل من الحجر المملّس طوله 2.10 م وعرضه 1.50 م ، ويعلوه عقد حدوي متجاوز (اللوحة 34 : الصورة 01 والشكل 02) .



الصورة 01



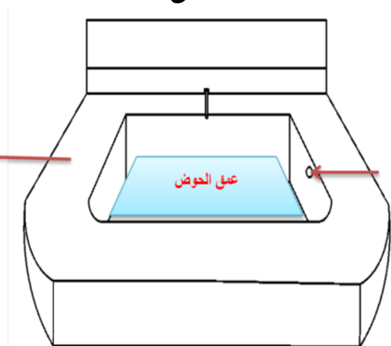
الشكل 02 . من عمل الطالبة .

اللوحة 34 : حوض ميضاء مدرسة أبي مدين بتلمسان .

واستخدام الميضأة في المدارس يختلف من حيث الوظيفة عن ميضآت المساجد ، لأن استخدامها يختص بالطلبة المقيمين بها ، وهذا يعود لقوانين المدرسة .

لتكون حوصلة ما ذكرناه سابقا بطاقة تقنية جاءة بصورها التالية :

. <u>البطاقة التقنية رقم 33 :</u> حوض ميضاء مدرسة سيدي أبي مدين بتلمسان .

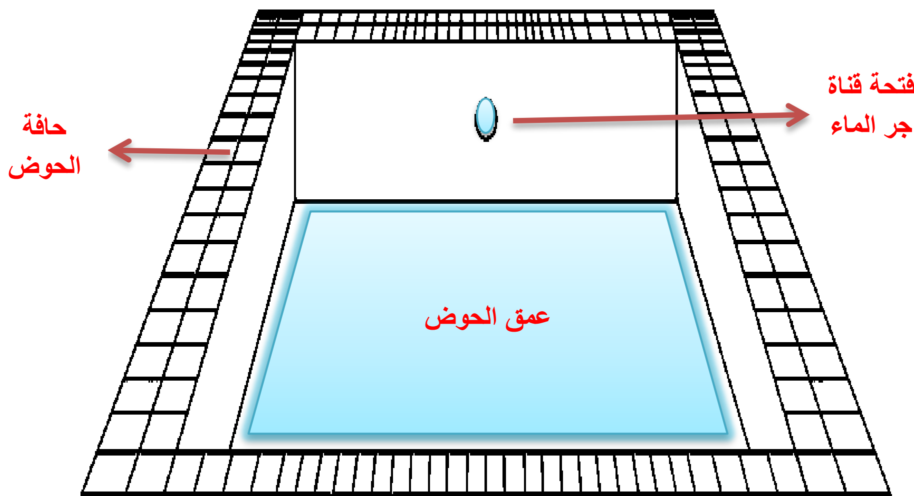
رقم الجرد	26	الصورة
اسم العنصر المعماري	حوض ميضاء	
التسمية المحلية	حوض	
المادة	الحجر	
اللون	بني غامق	
الوظيفة	حفظ الماء للغسل	
الفترة	مرينية	
المصدر	مدرسة سيدي أبي مدين شعيب بمركّب العبّاد بتلمسان	الشكل
المقاسات	طوله 2.10 م وعرضه 1.50م	
تقنية البناء	الحفر و التبليط	
تقنية الزخرفة	/	
مكان الحفظ	ميضاء مدرسة سيدي أبي مدين شعيب بمركّب العبّاد بتلمسان	
طريقة الاكتشاف	قائم بمبنى ميضاء مدرسة سيدي أبي مدين بتلمسان	
حالة الحفظ	جيدة	
الوصف	حوض مستطيل من الحجر المملّس، ويعلوه عقد حدوي متجاوز	
بيبليوغرافيا	/	

كما وجدنا حوض يتوسط صحن قصر العباد الموالي مباشرة لضريح سيدي أبي مدين بتلمسان .

4.2.6 . <u>حوض قصر مركّب العبّاد بتلمسان</u> : باطنه من الحجر المملس ذو شكل مستطيل طوله 3.84 م وعرضه 2.90 م وعمق قدر ب 7سم ، تحف بجوانبه الثلاث سواقي بسيطة عرضها 13 سم وعمقها 6 سم ، ما عدا الجهة الجنوبية لم تكن بها ساقية بل وجدنا قاعدتين مربعتين ربما كانتا لعمود من أعمدة الصحن ، وللحوض منافذ للماء جانبية من الداخل وقدّر أكبرها سمكا ب 4 سم (اللوحة 35 : الصورة 01 و الشكل 02) .



الصورة 02



الشكل 02 . من عمل الطالبة .

اللوحة 35 : حوض قصر مركّب العبّاد بمدينة تلمسان .

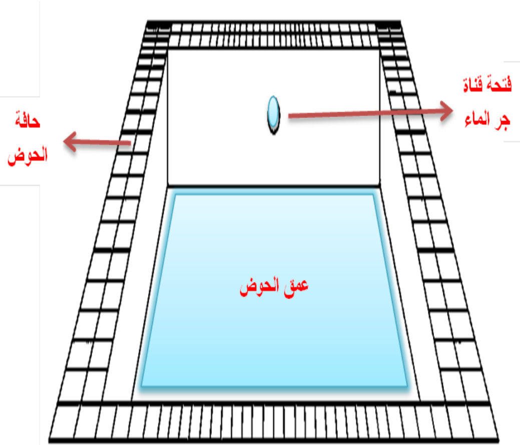
. **البطاقة التقنية رقم 34** : حوض قصر مركّب العبّاد بمدينة تلمسان

رقم الجرد	27
اسم العنصر المعماري	حوض
التسمية المحلية	حوض
المادة	حجر وآجر
اللون	بني فاتح وأحمر أجوري
الوظيفة	حفظ الماء
الفترة	مرينية
المصدر	قصر العبّاد بمدينة تلمسان
المقاسات	طوله 3.84 م وعرضه 2.90 م وعمق قدر ب 7سم وعرض سواقيه 13 سم وعمقها 6 سم ، سمك أكبر منافذها الداخلية سمكه ب 4 سم
تقنية البناء	الحفر و التبليط
تقنية الزخرفة	/
مكان الحفظ	ساحة قصر العبّاد بتلمسان
طريقة الاكتشاف	قائم بصحن قصر العباد بمدينة تلمسان
حالة الحفظ	جيدة
الوصف	حوض مستطيل الشكل باطنه من الحجر المملس تحف بجوانبه الثلاث سواقي بسيطة ، ما عدا الجهة الجنوبية لم تكن بها ساقية بل وجدنا قاعدتين مربعتين ربما كانتا لعمود من أعمدة الصحن ، وللحوض منافذ للماء جانبية من الداخل
بيبليوغرافيا	/

الصورة



الشكل



3.6 . نافورة وأحواض مسجد سيدي الحلوي [1] :

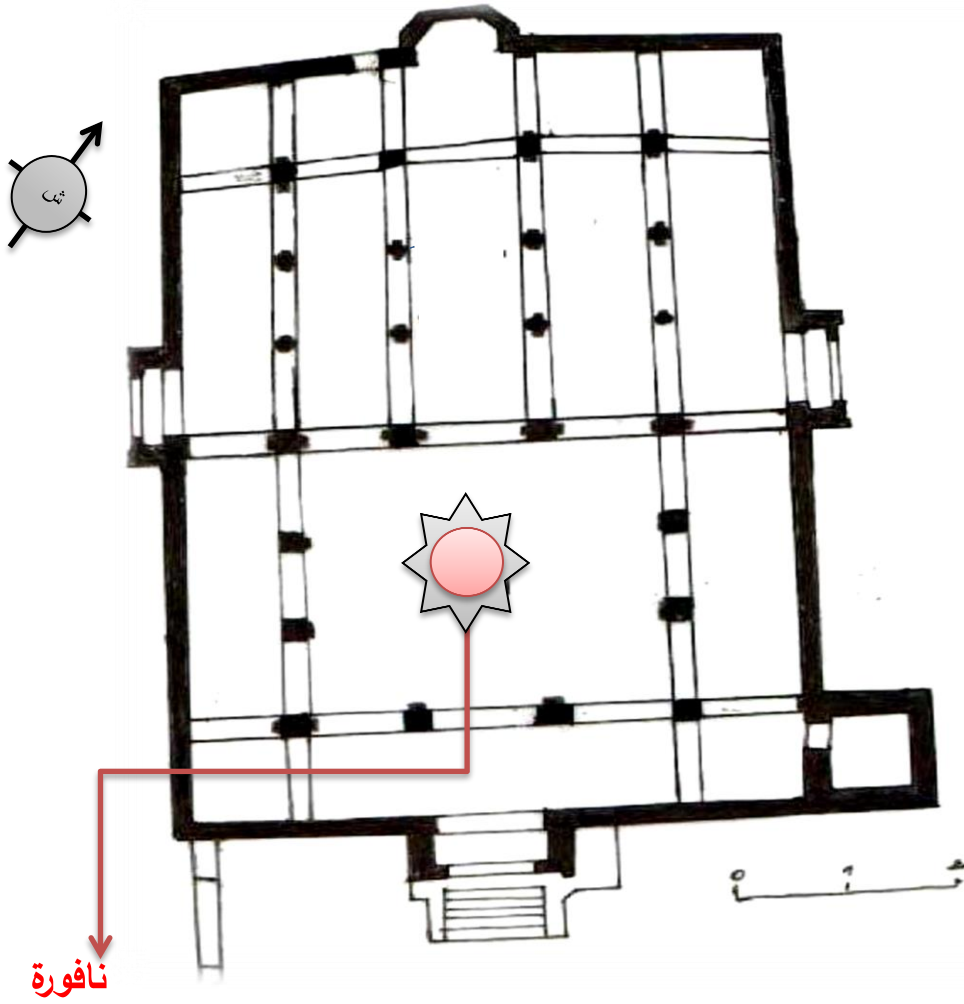
وشيّد هذا المسجد السلطان أبو عنان فارس سنة 754 هـ/1353 م ، وهذا حسب الكتابة الأثرية الموجودة على العقد الذي يعلو مدخل الجامع ، و نصّه : " **الحمد لله أمر بتشييد هذا الجامع المبارك مولانا السلطان أبو عنان فارس بن مولانا السلطان أبي يوسف بن عبد الحق أيّده الله ونصره عام أربع وخمسين وسبعمائة** " ، وهي مكتوبة بخط أندلسي مغربي ، ويعتبر هذا المسجد تحفة معمارية منقطعة النظير (المخطط 21).

وقد أهدي هذا الجامع إلى روح الشيخ القاضي الأندلسي أبي عبد الله الشوذي الإشبيلي المعروف عند أهالي مدينة تلمسان بالحلوي ، وقد كانت وفاته بها سنة 737هـ/1337م .

وصحن المسجد مربع الشكل تقريبا بطول 10.62 م وعرض 10.20 م ، مبلط **بقطع خزفية مربعة مختلفة الألوان** كمثيلتها بحوض ضريح سيدي أبي مدين ، ويحيط به أروقة من الجانبين والمؤخر .

1- واسمه الحقيقي هو أبو عبد الله الشويذي ، وقد كان أندلسيا من إشبيلية ، جاء إلى تلمسان حوالي سنة 665 هـ/1266 م ، في عهد حكم يغمراسن بنو زيان ، وقد انتهج سيدي الحلوي لشدة ذكائه وفطنته أسهل الوسائل وأقربها للشعب من أجل ايصال رسالته ونشر أفكاره ، إذ ظهر المهرج المرح فتسارع إليه الأطفال منبهرين بحلوياته وحركاته ، ومن شدة حبهم له أصبحوا يلقبونه بابا الحلوى ، ولقد كان أبو عبد الله الشويذي متمكنا في العلوم التشريعية ، كما أنه كان قاضيا بإشبيلية ، **أنظر :**

- Borsselard (CH) : Op.Cit , P 164 , 165 .



المخطط 21 : مسجد سيدي الحلوي بتلمسان . من عمل الطالبة .

1.3.6 . نافورة أو ميضأة مسجد سيدي الحلوي :

تتوسط صحنه نافورة ذات شكل نجمة ثمانية بها فاصلين من الجهة الشرقية والغربية، استعمل بدنها كمقاعد للمتوضّئين وهي بارتفاع 39 سم وطول ما بين 72 و 74 سم ، يليها الحوض الأول الوحيد بالنافورة أو الميضأة الأصلي قطره 1.04 م و ارتفاع قدّر ب 18.5 سم ، من الرخام الرمادي ذو الشكل الأسطواني بفوهة مزدوجة غليظة بارزة منتفخة بسمك 13.5 سم (اللوحة 36 : الصورة 01 و الشكل 02).



الصورة 01



الشكل 02 . من عمل الطالبة .

اللوحة 36 : الحوض الأصلي بنافورة أو ميضأة مسجد سيدي الحلوي بتلمسان.

وبه فتحة تزود الحوض بالماء طوله 8 سم وسمكه 2 سم (أنظر الصورة رقم 49) ، ومن خلال تلك القناة يمكننا تصنيف الحوض ضمن عمل النافورة .



الصورة 49: فتحة تزويد الحوض الأصلي بنافورة مسجد سيدي الحلوي بتلمسان

كما وجدنا مقاعد رخامية بيضاء بإحدى جوانب الصحن وعددها أربع كان مكانها حول الحوض الرخامي الرمادي ، ارتفاعها 34 سم وقطرها 27 سم ، تؤدي دور المقعد النجمي الحالي (الصورة 50) .



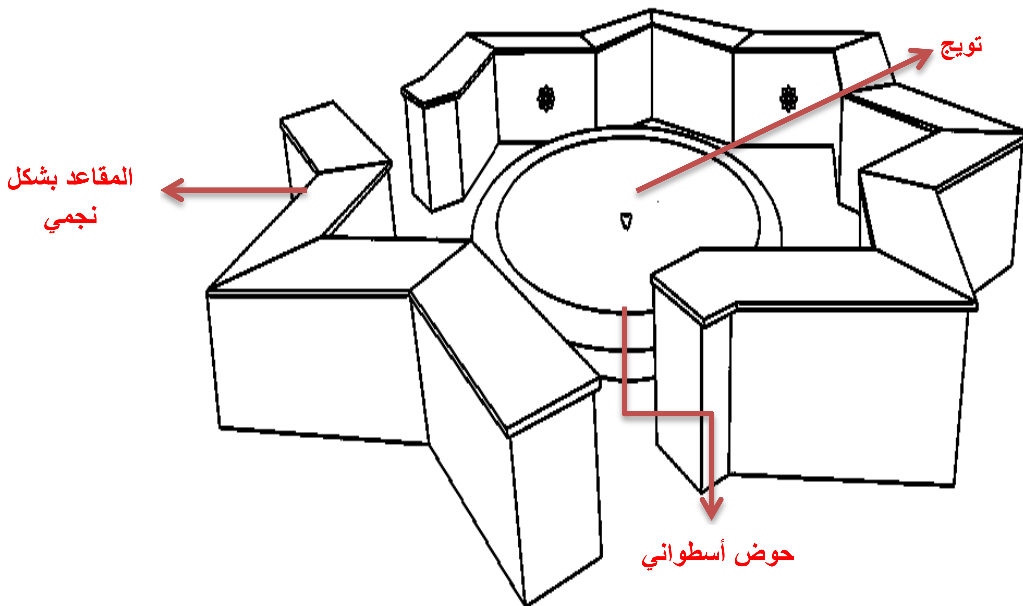
الصورة 50 : المقاعد الرخامية الأولى لحوض نافورة أو ميضأة مسجد سيدي الحلوي بتلمسان

واحتوت قبل تجديد بعض أجزائها بشكلها الحالي من خلال صورتها القديمة على حوضها الأسطواني بقاعدة بسيطة .

ويتوسطه تويج لخروج الماء، ويحف به الحوض النجمي الذي يؤدي وظيفة المقاعد (اللوحة 37 : الصورة 01 والشكل 02) .



الصورة 01 : ميضأة أو نافورة مسجد سيدي الحلوي بشكلها الأول . عن كتاب دفاتر تلمسان .



الشكل02 : إعادة تصوّر ميضأة أو نافورة مسجد سيدي الحلوي بشكلها الأول . من عمل الطالبة.

اللوحة 37 : نافورة أو ميضأة مسجد سيدي الحلوي بشكلها الأول من خلال صورة قديمة لها .

كما وأضيفت للنافورة أو الميضأة أجزاء رخامية ذات لون أبيض ، إثر **التجديدات التي شهدها المسجد** ككل والنافورة سنة 2000م ، من حوض ثان وجذع وكذا قاعدة له .

فيتوسط ذلك الحوض قاعدة من الرخام الأبيض بشكل نجمي ثماني ، ارتفاعها 16سم وعرضها1.21 م .

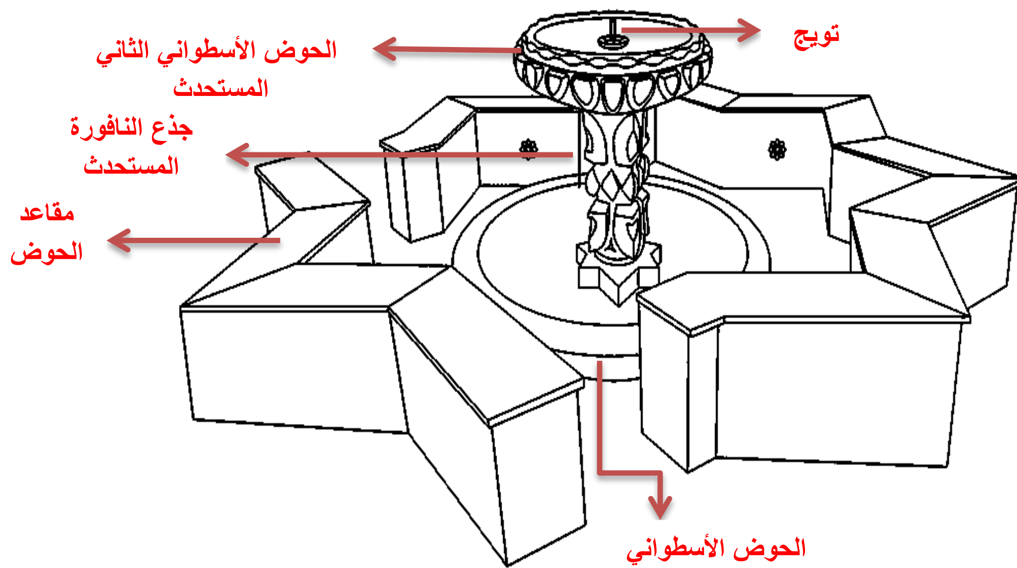
لنجد بعدها وسادة أسطوانية بسيطة ارتفاعها 7 سم وعرضها 66.07 سم ، وينبثق منها جذع مربع من نفس المادة وبنفس اللون ارتفاعه 47.5 سم وعرضه 19.5 سم ذو شكل ساق الوردة بأشواكها .

لتليها وسادة سداسية الأجزاء ثانية بسيطة أيضا ارتفاعها 5 سم وعرضها 67سم ، يرتكز عليها حوض أسطواني أقل حجما من الأول بكثير ، مقعر مفصّص بتفصيصات وردة قطره 72 .5 سم ، وسمك التفصيصة 4 سم ونهايتها حافة ملساء بارزة نحو الأعلى ب 4 سم ، خالية من الزخرفة ما عدا تموّجات مسننة متدرجة داخلية موالية للتفصيصات السابقة سمكها 6.5 سم .

و يتوسط هذا الحوض تويج أسطواني بسيط الشكل من الرخام الأبيض ارتفاعه 13.5سم ، يخرج منه منبع الماء الحديدي بارتفاع 4.3 سم وقطر 2 سم (اللوحة 38: الصورة 01 والشكل02) .



الصورة 01



الشكل 02 . من عمل الطالبة .

اللوحة 38 : الصورة الحالية لنافورة أو ميضأة مسجد سيدي الحلوي بتلمسان .

وقد حصرنا مجمل ما وجدنا بالنافورة أو الميضأة بما فيها الحوض الأسطواني الأصلي في بطاقة تقنية جاءت في الشكل التالي :

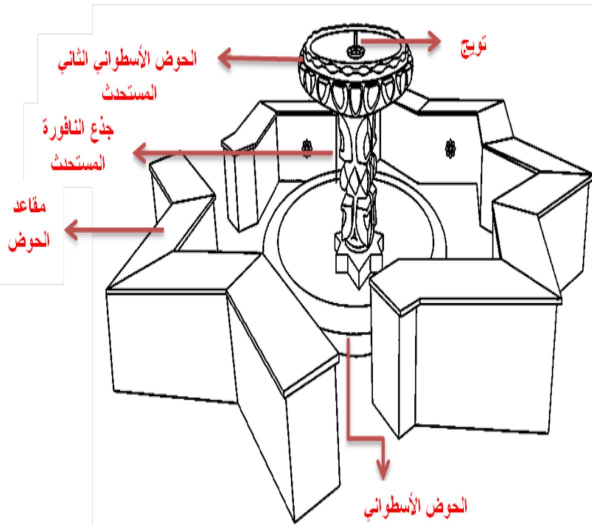
. **البطاقة التقنية رقم 35** : نافورة أو ميضأة مسجد سيدي الحلوي بتلمسان .

رقم الجرد	28
اسم العنصر المعماري	نافورة أو ميضأة
التسمية المحلية	نافورة / ميضأة
المادة	رخام
اللون	رمادي /أبيض
الوظيفة	حفظ الماء للوضوء وشرب
الفترة	مرينية
المصدر	مسجد سيدي الحلوي بتلمسان
المقاسات	ارتفاع المقاعد 39 سم وطولها ما بين 72 و 74 سم قطر الحوض الأصلي بالنافورة أو الميضأة 1.04 م و ارتفاع قدّر ب 18.5 سم ، سمك الفوهة 13.5 سم طول القناة المزود له بالماء 8 سم وسمكها 2 سم .
تقنية البناء	التركيب والقولبة والتبليط
تقنية الزخرفة	/
مكان الحفظ	صحن مسجد سيدي الحلوي بتلمسان
طريقة الاكتشاف	ترميم ولا يزال قائم بصحن مسجد سيدي الحلوي بتلمسان
حالة الحفظ	جيدة
الوصف	نافورة حوضها الخارجي بشكل نجمة سداسية بها فاصلين من الجهة الشرقية والغربية ، استعمل بدنها كمقاعد للمتوضّئين ، وكانت قبلا عبارة عن مقاعد رخامية بسيطة ، يليها الحوض الأول الوحيد بالنافورة أو الميضأة الأصلي من الرخام الرمادي ذو الشكل الأسطواني بفوهة مزدوجة غليظة بارزة منتفخة به قناة تزود الحوض بالماء ، وباقي الأجزاء مستحدثة إثر ترميمات المسجد الجامع سنة 2000م
بيبليوغرافيا	/

الصورة



الشكل



والجدير بالذكر أن منبع مياه نافورة أو ميضأة هذا الجامع كانت خارج أسوار الحي كله ، ومن مكان منخفض مقارنة بمكان الميضأة والجامع ككل ، عبر قناة لجر المياه وفق معايير طبيعية دقيقة إذ ينتقل الماء من مرحلة منخفضة إلى مكان مرتفع لن يكون إلا وفق حسابات وأساليب خاصة وأكثرها متمثل في قوة الدفع التي تضخ الماء عبر القناة ما يمكّنها من الوصول إلى المكان المخصص لها .

إلى جانب ذلك هناك تقنية استخدمت لتوزيع المياه داخل المسجد من خلال وضع منافذ صغيرة أو قنوات مفوهة ، مرتبطه مباشرة بقنوات جر المياه من الفخار ، وعددها ثلاث، مكانها بعمق الجدار الخارجي للمسجد ، وخصّصت لها فجوة جدارية بشكل نصف دائرة مغطاة بجهته السفلى بسياج من الداخل ، و بغطاء حديدي جزئي من الخارج (الصورة 51) .



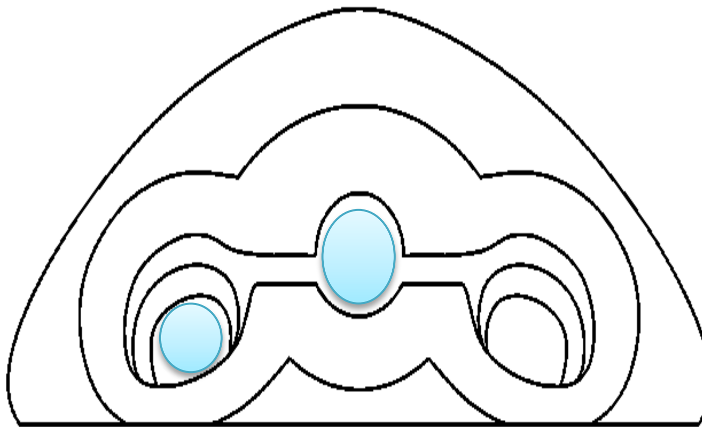
الصورة 51 : الفجوة الجدارية المحاذية للباب الرئيسي بمسجد سيدي الحلوي بتلمسان

نجدها مباشرة على اليمين إذا واجهنا المدخل الرئيسي للجامع ، اليمنى منها خصّصت لاستغلال مياه الأمطار وتوزيعها ، فهذه الأخيرة مرتبطة بقنوات سطحية أو جانبية بجدار المعلم تنقل فائض مياه الأمطار على سطح الجامع للصرف خارج الجامع

عبر قنوات أرضية إلى أحواض أخرى جانبية بالرواق المقابل أو بالميضأة ، فهي تصرفه مباشرة نحوها ، قطرها 9.5 سم وسمك حافتها 9 سم ، أما القناتين المتبقيتين أي الوسطى واليسرى هما مرتبطتان بسيل الفائض من النافورة ، والوسطى مرتفعة مقارنة بمثيلاتها بقدر 45 سم وسمك حافة فوهتها قدّر ب 3 سم ، مع بروز أو انتفاخ قدّر ب 5 سم ، إذ يتوزع الماء منها عند امتلائها إلى الفوهة اليسرى التي ترتبط بها مباشرة ، لتنفذ عبر قناة أرضية نحو المراحيض الموجودة بالميضأة المقابلة للمسجد (اللوحة 39: الصورة 01 والشكل 02).



الصورة 01



الشكل 02 . من عمل الطالبة .

اللوحة 39 : الفوهات الموزعة للفائض المائي عبر قناة رابطة داخل مسجد سيدي الحلوي بتلمسان.

2.3.6 . <u>الحوض الداخلي بمبنى ميضاء مسجد سيدي الحلوي</u> :

يقابل مسجد سيدي الحلوي **بيت للوضوء** ، وهو أقدم **ميضاء** وصل إلينا في حالته الأصلية ، ويرجع تاريخه إلى العهد المريني .

وبالميضاء سبعة مراحيض مقابلة للمدخل الرئيسي بالميضأة ، التي تعلوها قبة نصف كروية الشكل مزينة بمضلعات نجمية وورود منقوشة في الجص مخرمة على شكل نجوم سداسية أو ثمانية الزوايا تدور حول فرجة على شكل نجم ذي إثني عشر فرعا .

ويتكون المبنى مجملا من قاعة مربعة يبلغ طول ضلعها 4.20 م ، فيها **حوضان مستطيلان** .

الأول نجده بغرفة صغيرة على يمين مدخلها ، يسيل الماء إليه طبيعيا عبر منفذ بسيط بطول الجدار .

والحوض من الحجر مستطيل الشكل طوله 1.82 م وعرضه 70 سم وعمقه 60سم، وهو المموّل لعيون الميضأة التي لا يتوقف الماء عنها ليلا نهارا عبر خرطوم مزوّد بسخان كهروبائي (اللوحة 40 : الصورة 01 والشكل 02) .



الصورة 01



الشكل 02 . من عمل الطالبة .

اللوحة 40 : الحوض الداخلي بمبنى ميضاء مسجد سيدي الحلوي بتلمسان .

وقد ارتأينا أن نوضح مقاساته ووصفه في بطاقة تقنية جاء شكلها على النحو التالي :

. **<u>البطاقة التقنية رقم 36</u>** : الحوض الداخلي بمبنى ميضاء مسجد سيدي الحلوي بتلمسان

رقم الجرد	29
اسم العنصر المعماري	حوض
التسمية المحلية	حوض
المادة	حجر
اللون	بني فاتح
الوظيفة	حفظ الماء للغسل و الوضوء وتوزيعه
الفترة	مرينية
المصدر	ميضاء مسجد سيدي الحلوي بتلمسان
المقاسات	طوله 1.82 م وعرضه 70 سم وعمقه 60 سم
تقنية البناء	التبليط و التدعيم
تقنية الزخرفة	/
مكان الحفظ	ميضاء مسجد سيدي الحلوي بتلمسان
طريقة الاكتشاف	بناء قائم بالغرفة الداخلية لميضاء مسجد سيدي الحلوي بتلمسان
حالة الحفظ	جيدة
الوصف	حوض مستطيل الشكل ، وهو المموّل لعيون الميضأة التي لا يتوقف الماء عنها ليلا نهارا عبر خرطوم مزوّد بسخان كهروبائي .
بيبليوغرافيا	/

الصورة



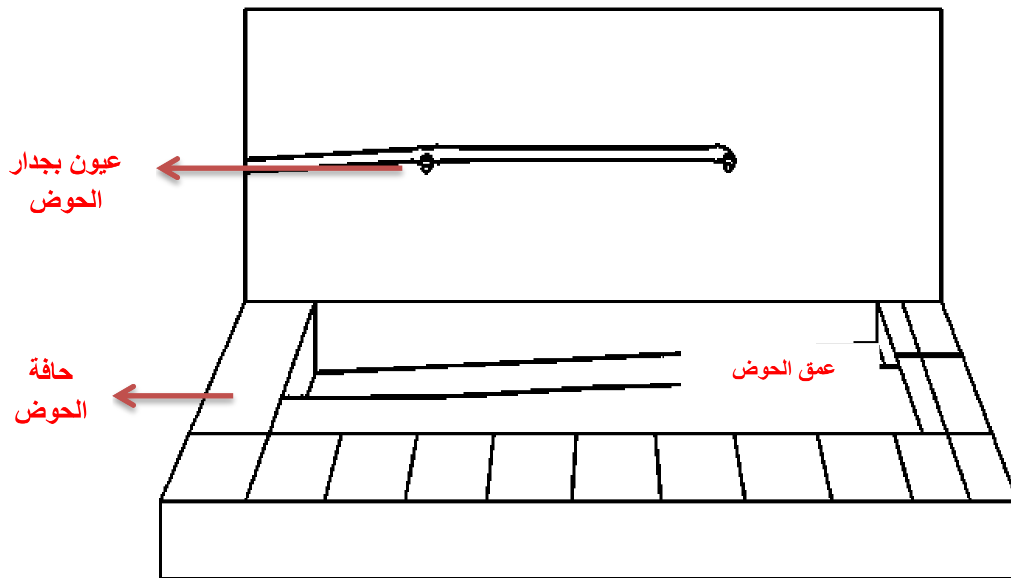
الشكل



3.3.6 . الحوض الثاني بمبنى ميضاء مسجد سيدي الحلوي : نجده أسفل العيون مباشرة تحت قبة بعد المدخل الرئيسي للمبنى بالجهة اليسرى ، أي بين الحوض الداخلي والمراحيض ، وهو مخصّص للغسل والوضوء ، ذول شكل مستطيل من الحجر طوله 2 م وعرضه 45 سم ، ارتفاعه عن الأرض ب 40 سم وسمكه 12 سم (اللوحة 41 : الصورة 01 والشكل 02) .



الصورة 01



الشكل 02 . من عمل الطالبة .

اللوحة 41 : الحوض الثاني بمبنى ميضاء مسجد سيدي الحلوي بتلمسان .

. البطاقة التقنية رقم 37 : الحوض الثاني بمبنى ميضاء مسجد سيدي الحلوي بتلمسان.

رقم الجرد	30
اسم العنصر المعماري	حوض
التسمية المحلية	حوض
المادة	حجر
اللون	بني فاتح
الوظيفة	تصريف ماء الغسل أو الوضوء
الفترة	مرينية
المصدر	ميضاء مسجد سيدي الحلوي بتلمسان
المقاسات	طوله 2 م وعرضه 45 سم ، ارتفاعه عن الأرض ب 40 سم وسمكه 12 سم
تقنية البناء	التبليط و التدعيم
تقنية الزخرفة	/
مكان الحفظ	ميضاء مسجد سيدي الحلوي بتلمسان
طريقة الاكتشاف	بناء قائم بالساحة المقابلة لمسجد سيدي الحلوي بتلمسان
حالة الحفظ	متوسطة
الوصف	الحوض الثاني بميضاء المسجد مخصص للغسل والوضوء أسفل العيون وهو ذو شكل مستطيل من الحجر استحدثت بلاطاته الخارجية وهي من الآجر كما زيدت من منافذه لتسهيل تصريف الماء
بيبليوغرافيا	/

الصورة

الشكل

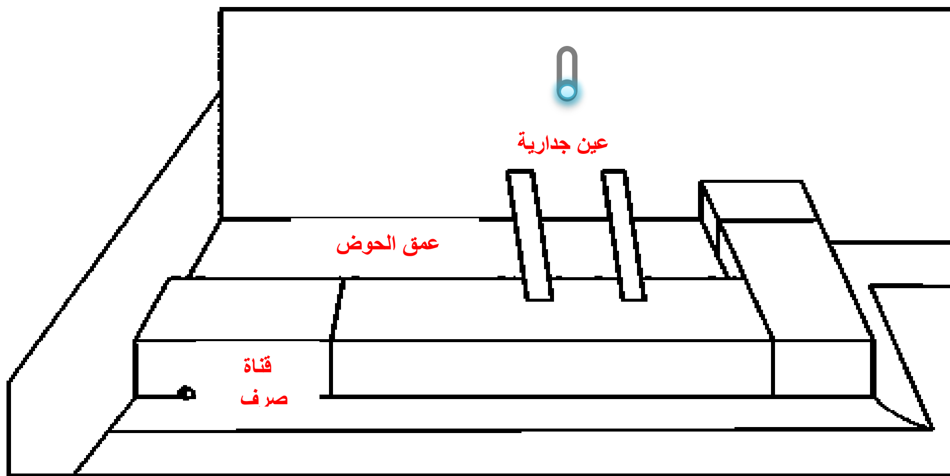
إضافة إلى ذلك وجدنا أحواض خارجية ملازمة للجدار الشرقي لمبنى الميضاء وعددها إثنان ، قديمة أصلية تمول عامة الناس من أهل الحي بالماء .

4.3.6 . الحوض الأول بالجدار الخارجي لميضاء مسجد سيدي الحلوي :

فالحوض الأول مفصول عن الاثنين به عين وهو بحجم أصغر مقارنة بغيره ، وطوله 1.42 م وعرضه 60 سم وارتفاعه 21 سم ، تحفه ساقية لصرف الماء بعرض 23 سم (اللوحة 42 : الصورة 01 والشكل 02) .



الصورة 01



الشكل 02 . من عمل الطالبة .

اللوحة 42 : الحوض الأول بالجدار الخارجي لميضاء مسجد سيدي الحلوي بتلمسان

. **<u>البطاقة التقنية رقم 38</u>** : الحوض الأول بالجدار الخارجي لميضاء مسجد سيدي الحلوي بتلمسان .

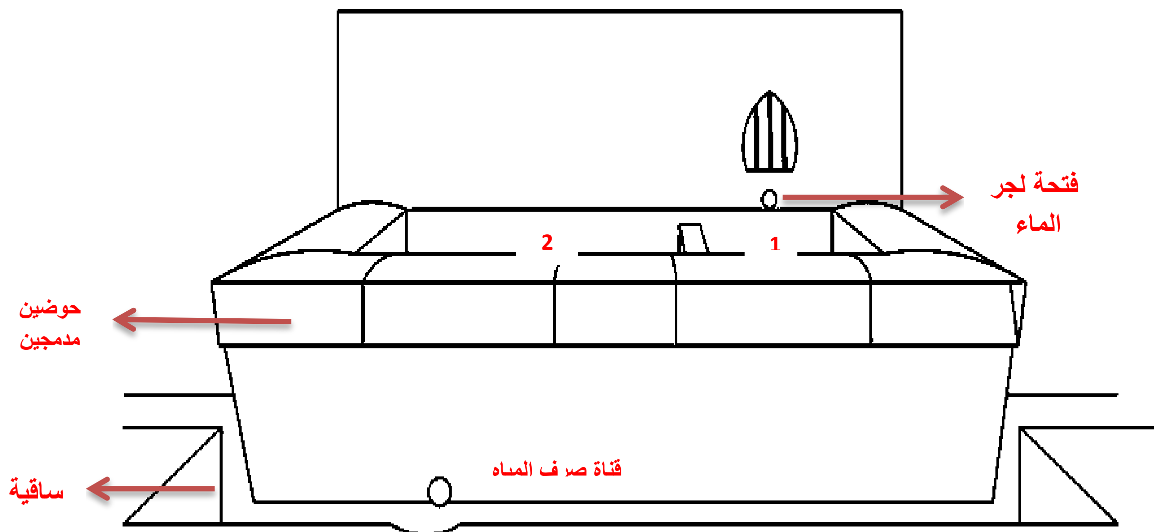
رقم الجرد	31	**الصورة**
اسم العنصر المعماري	حوض	
التسمية المحلية	حوض	
المادة	حجر	
اللون	بني فاتح	
الوظيفة	المساعدة على ملأ الماء من عينه ، وتصريف ماء الغسل	
الفترة	مرينية	
المصدر	الساحة المقابلة لمسجد سيدي الحلوي بتلمسان	
المقاسات	وطوله 1.42 م وعرضه 60 سم وارتفاعه 21 سم	
تقنية البناء	التبليط والتدعيم	**الشكل**
تقنية الزخرفة	/	
مكان الحفظ	بناء بالساحة المقابلة لمسجد سيدي الحلوي بتلمسان	
طريقة الاكتشاف	بناء قائم بالساحة المقابلة لمسجد سيدي الحلوي بتلمسان	
حالة الحفظ	متوسطة	
الوصف	من الأحواض الخارجية الملازمة للجدار الشرقي لمبنى الميضاء وهو مفصول عن الثاني ، به عين وهو بحجم أصغر مقارنة بغيره تحفه ساقية لصرف الماء .	
بيبليوغرافيا	/	

5.3.6 . <u>الحوض الثاني بالجدار الخارجي لميضاء مسجد سيدي الحلوي</u> :

وهو بدوره ينقسم إلى قسمين وقدّر طول قسمه الأول 1.60 سم وعرضه 1.02م ، وحوافه مبلّطة بقطع من الرخام الأسود ، ونجد بجانبه مباشرة القسم الثاني للحوض غير مزوّد بعين إذ كان الغرض منه ولا يزال هو الغسل فقط وهو بطول 3.27م وعرض 1.37 م ، وارتفاعهما عن الأرض ب 69 سم ، وسمكهما 40.05 سم (اللوحة43: الصورة 01 والشكل 02) ، به فتحة بقاع الحوض منفذها مباشرة في أرضية المكان ، وأخرى بجداره المقابل ينفذ نحو ساقية خارجية تؤدي لقناة الصرف الصحي ، وهو أيضا من الحجر ومبلط ببلاطات رخامية سوداء اللون ، وهذين الحوضين ملتصقين ببعضها .



الصورة 01



الشكل 02 . من عمل الطالبة .

اللوحة 43 : الحوض الثاني بالجدار الخارجي لميضاء مسجد سيدي الحلوي بتلمسان .

. **البطاقة التقنية رقم 39** : الحوض الثاني بالجدار الخارجي لميضاء مسجد سيدي الحلوي بتلمسان.

رقم الجرد	32
اسم العنصر المعماري	حوض
التسمية المحلية	حوض
المادة	حجر ورخام
اللون	بني فاتح وأسود
الوظيفة	الغسل
الفترة	مرينية
المصدر	الساحة المقابلة لمسجد سيدي الحلوي بتلمسان
المقاسات	الطول 4.78 م والعرض 2.39م وارتفاعه 69سم ، وسمك حافته 40.05 سم
تقنية البناء	التبليط والتدعيم والتركيب
تقنية الزخرفة	/
مكان الحفظ	الساحة المقابلة لمسجد سيدي الحلوي بتلمسان
طريقة الاكتشاف	بناء قائم بالساحة المقابلة لمسجد سيدي الحلوي بتلمسان
حالة الحفظ	متوسطة
الوصف	الحوض الثاني ويشتمل على قسمين ، بلّطت حوافه بقطع من الرخام الأسود ، القسم الأول به عين جدارية ومنفذ خارجي نحو ساقية أرضية وآخر للقسم الثاني من الحوض ، هذا الأخير استغل لغسل أشياء متعددة لعامة الناس
بيبليوغرافيا	/

الصورة

الشكل

و ما يتّضح لنا أو ما نستنتجه هو اختار السلطان المريني مكانا منحدرا عبارة عن حي سكني ، تشرف عليه أسوار تلمسان الشمالية الشرقية لانجاز المركب المعماري الكبير الذي يتألف من المسجد **والمدرسة والزاوية والضريح** [1] .

ومدرسة مجمّع سيدي الحلوي هي الثانية التي تأسست في مدينة تلمسان الأثرية بعد المدارس الزينية ، وبناها السلطان أبو عنان فارس ابن أبي الحسن سنة 754هـ/1350م، وهي تقع بجوار ضريح الولي الصالح المتصوف أبي عبد الله الإشبيلي المعروف بسيدي الحلوي[2].

فهي تتصل بالمسجد الجامع كما هو الحال للزاوية التي ظلت قائمت حتى أوائل القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي [3] ، فتلك المنشآت المعمارية اندثرت معالمها ولم يبق منها إلا الجامع الذي لايزال يحتفظ بزخارفه الرائعة والميضأة .

ولقد عبّر ابن مرزوق عن جمال مدارس أبي الحسن المريني قائلا : " .... وكلها قد اشتمل على المباني العجيبة والصنائع الغريبة والمصانع العديدة والاحتفال في البناء والنقش والجص والفرش على اختلاف أنواعه من الزليج البديع والرخام المجزع والخشب المحكم النقش والمياه النميرة ... " [4] .

أما فيما يخص هندستها فلقد أعطى مارسي وصفا تشترك فيه المدارس المرينية بقوله **أيضا** : "... **إن** أوصاف المدرسة المغربية شبيهة بأوصاف الرباطات ، فأول ما يواجه الداخل للمدرسة هو صحنها الذي يختلف من حيث السعة والضيق حسب مساحة

---

1 - Marçais (G) et (W) : Les Monuments arabes .... P 258 .

2- النميري (ابن الحاج) : فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة و الزاب ، دراسة وإعداد محمد بن شقرون ، الرباط 1999 م ، ص 279، و **أنظر :** ابن خلدون (يحي) : بغية الرواد ، المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص 127 .

3- ابن مريم : المصدر السابق ، ص 33 .

4- ابن مرزوق (محمد) : المصدر السابق ، ص 303 .

المدرسة ، ويتصدر الصحن في اتجاه القبلة ، التي هي بمثابة مكان للصلاة وقاعة لإلقاء الدروس... " [1].

وأمام القبة يتوسط الصحن عين رخامية للوضوء وقد ذكرناها آنفا عند إدراجنا لذكر السقايات ، وفي كل مدرسة يحيط بالصحن من ثلاث جهات غير جهة المصلى . حجرات معدة لسكن الطلبة تتكون من طابقين سفلي وعلوي .

كما تميزت المدارس المرينية في المجالات الفنية والتنظيمية وأيضا في الدور الفكري، وتأثر المرنيون بما كان سائدا في المشرق الاسلامي ومغربه من انشاء المدارس على يد السلاجقة والأيوبيين والحفصيين .

فقد بذل المرينيون جهود جبارة في ميدان العمارة ، وتشهد على ذلك مآثرهم العمرانية الخلابة التي ما زالت تنطق بذلك ، وتتجلى الميزة الأساسية لحضارة المرنيين في أسلوبهم الخاص في فن البناء والزخرفة حيث أدرك الفن الأندلسي المغربي قمته في عهدهم ، فساد أسلوب فني رائع مزج بين الغرناطي نسبة إلى " غرناطة " الأندلسية ومدينة تلمسان ، فظهرت خواصه في مدينة " المنصورة " ، وتفننهم في تشييد المدارس كما هو الحال في مدرسة سيدي أبي مدين التي تعتبر الشاهد الأول بتلمسان .

فكان تأسيس المدارس المرينية ، هدف وهو شغل الفراغ الديني الذي تركه الموحدون، فأنشأوا مدارس عديدة التي لعبت دورا كبيرا للنهوض بالحركة العلمية والثقافية بالمغرب إلى جانب تكوين أطر متخصصة في المذهب المالكي .

وخلال **الحصار الطويل للمرينيين** وفترة احتلالهم شيّدوا منشآت معمارية وعمرانية وفنية عديدة في تلمسان ، محاولة التأثير منهم على سكانها ليألفوا وجودهم ، وزينوها بأبهى حلّة فنية وجمالية ، هي خلاصة ما توصل إليه **الفن الاسلامي المغربي الأندلسي**

---

1 -Marçais (G) et (W) : Les Monuments arabes .... P 259 .

من تطور وازدهار ، وأرقى ما حققه من جمال وجمالية ، وتنوعت مواضيعه واختلفت أشكاله، وعبر من خلاله الفنان عن روح المجتمع المغربي في تلاقيه مع أمته الاسلامية وتواصله معها ، مساهما بذلك في الحضارة العربية الاسلامية بما توفر لديه من امكانيات وقدرات تقنية وخبرات وتجارب فنية هي رصيده الموروث الحضاري للفن الاسلامي والفن المغربي الأندلسي الذي انتهى اليه في ذلك العصر [1] ، لكن للأسف فلم نكد نظفر بآثار عمرانية إلا القليل ، منها ما سجله التاريخ من تخريب وتدمير ، وما شيدته يد الحضارة الاسلامية بهذه الديار ، رغم ذلك كله فإنها لا تزال بعض معالم المدينة من آثار هذه الدولة ماثلة للعيان قائمة بالمغربين الأقصى والأوسط والأندلس .

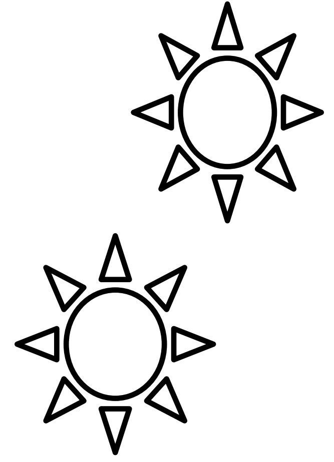
ونستخلص بذلك مما عرضناه آنفا أنّ طول فترة حكم الزيانيين والمرينيين عمل بنو الأحمر على تأييد بني زيان وبنو مرين بشتى الوسائل والحيل ، فارتبطت تلمسان وغرناطة ببعضها ارتباطا سياسيا وثيقا انعكس مليا على مباني تلمسان ومساجدها ومدارسها وطبعت بالطابع الأندلسي ، إلا أن هذا النشاط في حركة البناء والتعمير لم يكن وليد الصدفة وإنما نتيجة أجواء ساعدت على ازدهاره كالخليط المتنوّع والمشكل للمجتمع الزياني وكذا المريني وقبلا بالمجتمع المرابطي ، من أعراق عربية وأمازيغية ، ووافدين أندلسيين ، ويهود ومسيحيين و أفارقة ، الحاملين لتقاليد وعادات وثقافات مختلفة، والمنتمين إلى طبقات اجتماعية متباينة هذا المزيج والذي اختار لنفسه تلمسان عاصمة ومركزا تتلاقح فيه الثقافات وتتقاطع الطرق التجارية فيها ، ابتغاء الرزق ومنهم من كانوا أسرى حرب .

و بعد مرور فترة الوجود الزياني والمريني الحافل بالأحداث التاريخية والمخلفات المعمارية ، برزا القائدان " بابا عروج " و " خير الدين بربروس " اللذان كان لهما دور هام في تاريخ الجزائر في بداية العصر الحديث وذلك بتكوينهما دولة مستقلة وقوية لها

1- لعرج (عبد العزيز) : جمالية الفن الاسلامي في المنشآت المرينية بتلمسان ، الطبعة الأولى ، دار الملكية 2007 م ، ص 04

كيان ووحدة جغرافية وحدود ثابتة [1] ، و كذا مدينة تلمسان منذ 1555 م بعد أن فتحها " القائد عروج" حين استنصر به " أبو زيان " من بني عبد الواد ، حينما أخذ الضعف والاضمحلال يتسللان إلى الدولة الزيانية وللحماية أيضا من عمه " أبو حمو الثالث " الذي انتزع منه الحكم [2] .

1- عبد القادر (نور الدين) : صفحات من تاريخ مدينة الجزائر ، الطبعة الثانية ، مطبعة البعث ـ قسنطينة 1965 م ، ص 43
2- بن رمضان (شاوش محمد) : المرجع السابق ، ص 104 .



الفصل الثالث

دراسة فنية تحليلية

تمهيد

1. عرض للنافورات أو الميضآت المدروسة وأحواضها .
2. دراسة فنية للعناصر الزخرفية التي زيّنت النماذج المدروسة .
3. دراسة تحليلية لنماذج النافورات أو الميضآة المدروسة وأحواضها .

خلاصة

اجتمعت بنماذج دراستنا التسميتان " **نافورة** " **أو**" **ميضأة** " في عنصر واحد ، ما عدا بيت وضوء أو ميضاء مسجد سيدي الحلوي الخارجي بمدينة تلمسان ، والنماذج التي اجتمعت فيهما التسميتان جاءت بسيطة عموما ذات حوض واحد مع وضع مقاعد منفصله أو متصلة كحوض خارجي مربع أو مستطيل الشكل مزدوج أو منفرد ، وهي تعمل وفق الدائرة المفرغة ما عدى نافورة أو ميضأة صحن مسجد سيدي الحلوي بتلمسان ، التي تعمل وفق استحالة الدائرة المفرغة ، كما أن زخارف الحوض عموما بسيطة إما ذات حزوز لزخارف بسيطة من الجهة الخارجية ، أو الحوض في ذاته زخرفة جوانبه وبدنه الداخلي .

وجاءت النافورة أو الميضأة وأحواضها عموما في ثلاث مجموعات ، مجموعتان تعودان للفترة التاريخية التي ينصب فيها بحثنا ، ومجموعة خاصة تمثلت في النماذج التي استحدثت أجزاء عليها مع ابقاء جزء أصلي بمكانه ، ويمكننا عرضها كالتالي :

1 . المجموعة الأولى :

وتشكلت نماذجها من نافورات وأحواض ثابتة بمختلف الأشكال والأحجام ، وضعت على الأرضية مباشرة فوق خزان الماء ، وتمثلت عموما في فسقية قصر المنار ، والأحواض الموجودة بمواقع عمارة قلعة بني حماد كالحوض المربّع وحوض عين السلطان المفصص ، بعد إعادة تصور لهذا الأخير من خلال بعض البقايا من أجزائهما البسيطة ، وكذا من خلال ما وصلنا من دراسات في فترة مرّت ، والحوض الأسطواني بصحن الجامع الكبير بتلمسان ، وكذا حوض قلعة المشور ذو الشكل المتميز رغم استحداثه ، ونافورة قلعة المشور الزيانية رغم حداثتها ، ونافورة أو ميضأة مسجد سيدي أبي مدين وميضأة مدرسته ، ونافورة أو ميضأة مسجد سيدي الحلوي بتلمسان قبل أن تعرفا التغييرات أو الترميمات ، إلى جانب أحواض أخرى متفرعة عن النافورات أو مزودت لها بالماء .

وكذا أحواض النافورات المنقولة إلى المتاحف منها الفسقية الرخامية التي تعود لقصر البحر وهي محفوظة بمتحف قلعة بني حماد ، وأخرى أكثرها مرينية ، بمختلف الأحجام والزخارف والتي منها أيضا حوض مدرسة سيدي أبي مدين الذي استحدث بنفس شكله ووظيفته حاليا . وسنفصّل في عرضها في الدراسة التحليلية لها ، إلى جانب أحواض أخرى بسيطة الشكل والوظيفة .

2. المجموعة الثانية :

ونماذج هذه المجموعة عرفت أجزاء عديدة ، فجدنا بنماذجها القاعدة بسيطة يرتكز عليها الحوض الأرضي ، ويتمركز في منتصفه التويج بعد بروز جذع بسيط بأشكال مختلفة ، ومن أمثلتها نافورة الجامع الكبير المرابطي بتلمسان ، ونافورة أو ميضأة مسجد سيدي ابراهيم المصمودي .

3 . المجموعة الثالثة :

وتضم النماذج الخاصة والمتكونة عموما من خمسة أجزاء أساسية وهي : قاعدة وحوض أرضي يتوسطه جذع حامل للحوض الثاني الذي ينتهي بوسطه تويج يلج منه الماء ، ونماذج هذه المجموعة مستحدثة نجدها بنافورة أو ميضأة سيدي الحلوي بتلمسان.

فالأحواض الأصلية بنافوراتنا أو ميضآتنا ، منها ما هو مختفي لم نجد له أثر كالحوض الأرضي الأسطواني لصحن الجامع الكبير بتلمسان المحاذي للنافورة والذي استحدث كليا مؤخرا والاصلي مجهول المصير ، أو ما هو محفوظ بالمتاحف حيث استبدلت تماما كنافورة أو ميضأة مسجد سيدي أبي مدين شعيب وحوض ميضأة مدرسته المستطيل ، أو لاتزال في مكانها لكنها مدمجة مع بعض الزيادات الحديثة وأمثلتها نافورة أو ميضأة مسجد سيدي الحلوي الجامع بتلمسان بحوضها النجمي تأثرا بأشكال أحواض

نافورات المغرب الأقصى التي تعود للفترة المرينية كنافورة المسجد الأعظم بسلا(الصورة 52).



الصورة 52 : نافورة الصحن الجنوبي بالمسجد الأعظم بسلا المريني (المغرب الأقصى) .

1. عرض للنافورات أو الميضآت المدروسة وأحواضها :

وقد جاءت حسب الفصل فيها آنفا إلى مجموعتين ، والهدف من ذلك هو توضيح صورة النماذج الشكلية وكذا الفنية حين قسمناها ، وهي :

1.1 . نماذج المجموعة الأولى من النافورات الثابتة وأحواضها :

وجاءت في مجملها بسيطة تشكلت عموما في حوض أرضي وهي :

1.1.1 . نافورة أو فسقية الأسود بقصر المنار بقلعة بني حماد : عبارة عن حوض أرضي حجري، استعمل أيضا للوضوء لقربه من المسجد الملحق بقصر المنار[1]، يمثل حوض مفصص بعقود نصف دائرية وتتخلل زواياه الأربع مشكوات أعمق بقليل عن العقود .

---

1 - Bourouiba (R) : Notes sur une vasque , Op.Cit , P 122 .

2.1.1 . الحوض المربّع بقلعة بني حماد : وهو عبارة عن بناء أرضي من الدبش والملاط ، يمثل حوض مفصص بعقود نصف دائرية وتتخلل زواياه الأربع مشكوات أعمق بقليل عن العقود .

3.1.1 . حوض عين السلطان المثمن بقلعة بني حماد : من خلال ما جمعناه من بحوث أقدم من فترتنا فالموقع للأسف انحصرت فيه أطلال فقط ، فقمنا بإعادة تصوره ليكون بشكل أرضي مربع من الخارج دائري من الداخل ، وعرفت دائرته الداخلية ثمان فصوص .

4.1.1 . الحوض الأسطواني بصحن الجامع الكبير بتلمسان : رغم استحداث بنائه إلا أنه أحتل المكان نفسه ، وإن كان بسعة أقل من الأصلي ، وزيد له الحوض الثاني فوق الأسطواني ، وهو عبارة عن حوض مفصص محدّب من الخارج مقعر من الداخل ، وكذا المقاعد أو الفواصل كونه استغلّ كميضأة للمصلين بالجامع .

وكذا حوض قلعة المشور بتلمسان الفترة الزيانية رغم اعادة بناءها إلا أننا أبينا دراسته وتبيين مميزات شكله المنفرد .

5.1.1 . حوض قلعة المشور المتعامد : احتل مجمل مساحة صحن القلعة ، فجاء متوسطا للغرف التي شيّدت بها ، ليتخذ شكلا متعامدا بعمق كبير مقارنة بباقي الأحواض بعمائر مدينة تلمسان ، تتوسطه نافورة حديثة لم تكن بالحوض من قبل ، بسيطة كإضافة تزينية لا أكثر ، جاءت بشكل نافورات القلعة ككل مع ارتفاع في قاعدتها فقط بسبب عمق أرضية الحوض .

6.1.1 . نافورة قلعة المشور: أعيد بناءها حسب الأصلية وفي نفس الأماكن المخصصة لها ، وجاءت بشكل منفرج عبارة عن حوض أرضي مفصص مقعّر من الداخل والخارج تتوسطه فوهة لخروج الماء مباشرة عبر قناة من الخزان الأرضي .

7.1.1 . نافورة أو ميضأة مسجد سيدي أبي مدين : وتتمثل في حوض خارجي به فواصل استخدمت كمقاعد للمتوضئين، أما الداخلي منه مربع يتوسطه الحوض الأصلي ذو الشكل الأسطواني ، مقعر من الداخل ومفصص من الداخل و الخارج بفصوص متوسطة الحجم متساوية فيما بينها وعددها 14 فصا من الرخام الأبيض بشيء من البني الفاتح .

8.1.1 . حوض ميضأة مدرسة سيدي أبي مدين : حوض رخامي مستطيل ، ذو لون أبيض وبه منفذين للمياء بكل حافة منه إذا امتلأ الحوض ، ومنفذ واحد فقط بالحافة المقابلة للحوض الكبير، كما وجد أيضا منفذ أسفل بدن الحوض من جهته المطلة على الساقية البسيطة المموّلة للحوض الكبير والتي حفرت على والغرض منه توزيع الفائض المائي من الحوض الصغير

9.1.1. حوض نافورة أو ميضأة مسجد سيدي الحلوي : جاءت في شكل حوض خارجي نجمي الشكل استحدث كمقاعد للمصلين . وكانت في الأصل عبارة عن مقاعد رخامية منفصلة بسيطة محفوظة اليوم بصحن الجامع ، أما الحوض الاصلي الوحيد بالنافورة أو الميضأة فهو من الرخام الرمادي ذو الشكل الأسطواني بفوهة مزدوجة غليظة بارزة منتفخة نحو الخارج .

إضافة إلى أحواض أخرى بسيطة الشكل وأخرى بها زخارف مختلف نقلت لمتاحف عديدة وهي :

2.1 . أحواض نافورات المجموعة الأولى المنقولة :

بداية بحوضين منها مجهولة الأصل، وجدناهما **بمتحف قلعة المشور** بتلمسان الذي حوّل إلى قاعة للعرض وهما :

1.2.1. <u>الحوض المستطيل</u> : متوسط الحجم من مادة الرخام الأبيض ، تتوسط قاعه فوهة، حافته غليظة ، والحوض خال من الزخرفة .

2.2.1. <u>الحوض الدائري</u> : وهو من الرخام الأبيض ذو شكل أسطواني من الداخل مفصص من الخارج فقط بالجهة السفلية ، أما العلوية منه أو الفوهة وهي واسعة نوعا ما غليظة ملساء خالية من أي نتوء .

إضافة إلى **أجزاء لحوضين بمتحف الفن والتاريخ بمدينة تلمسان تعود لموقع المنصورة بالفترة المرينية** ، وهي معروضة بإحدى قاعات المتحف في حالة متوسطة .

3.2.1. <u>الحوض الأسطواني</u> : من مادة الرخام الأبيض متوسط الحجم ذو شكل أسطواني ، فوهته ملساء بارزة نحو الخارج خالية من الزخرفة ، يفصل بينها وبين وسط الحوض أو المنطقة الداخلة وقاعدته ، فسحة أو مساحة وهي أيضا من دون زخرفة ، ونجد هذه الأخيرة فقط في الجزء السفلي من الحوض إذ تحيط ببدنه الخارجي .

4.2.1. <u>الحوض الصدفي</u> : وهو جزء صغير الحجم ، من بقايا حوض يعود لمدينة المنصورة . الفترة المرينية . من الرخام الأبيض ، ذو شكل صدفي مقعر من الخارج مفصص من الداخل .

كما وجدنا **أحواض تعود للفترة المرينية بمتحف الآثار الإسلامية بتلمسان :**

5.2.1. <u>الحوض المستطيل الكبير</u> : ذو حجم كبير مقارنة بغيره من الاحواض ، من مادة الرخام ذو اللون البني الفاتح ، به ثلاث فتحات واسعة على مستوى الحافة ، وفتحة واحد كبيرة مقارنة بغيرها تتوسط قاع الحوض ، وجاء شكل الحوض كله ضيّق من الجهة السفلية الخاصة بالقاعدة مقارنة ببدن الحوض إلى أعلاه ، فقد كان الاتساع يزيد بالتدريج إلى الأعلى .

6.2.1 . الحوض المربّع : صغير الحجم ، من الرخام البني الفاتح ، زخرف وسط واجهاته الخارجية الأربع زخرفة على شكل حوض صغير ممثل وكأنه لنفس الحوض موضوع .

7.2.1 . جزء من الحوض الأسطواني : من الرخام الأبيض ، جزء منه فقط محفوظ بمتحف الآثار الإسلامية بتلمسان ، وهو بسيط خال من الزخارف .

8.2.1 . الحوض الحجري : حوض مربع القاعدة مصنوع من مادة الحجر الرملي ، صغير الحجم ، بدنه على شكل وردة رباعية .

9.2.1. الحوض المستطيل المنفرج : مستطيل منفرج الشكل متوسط الحجم ، من مادة الرخام الأبيض ، تتوسط قاعه فوهة ، والملاحظ أن هذا الحوض مقعّر للشكل الاسطواني الداخلي عن الشكل المستطيل الخارجي للبدن ، به كسر نصفي من الحافة إلى الحافة .

إضافة إلى الحوض الأصلي لنافورة أو ميضأة مسجد سيدي أبي مدين المحفوظ بمتحف الفن والتاريخ بمدينة تلمسان .

10.2.1. النافورة أو الفسقية الرخامية لقلعة بني حماد : أو حوض من الرخام الرمادي تعود لقصر البحر ، لها شكل مستطيل ، عمقها غير منحوت بصورة منتظمة ، مزخرفة حوافها العلوية والجانبية .

11.2.1 . الحوض الأصلي لنافورة أو ميضأة مسجد سيدي أبي مدين :
وتتمثل في حوض خارجي به فواصل استخدمت كمقاعد للمتوضئين، أما الداخلي منه مربع يتوسطه الحوض الأصلي ذو الشكل الأسطواني ، مقعر من الداخل ومفصص من الداخل و الخارج بفصوص متوسطة الحجم متساوية فيما بينها وعددها 14 فصا من الرخام الأبيض بشيء من البني الفاتح .

إلى جانب حوض فسقية أو نافورة تعود لقلعة بني حماد وهي محفوظة بمتحفها :

3.1. نماذج المجموعة الثانية من النافورات وأجزائها :

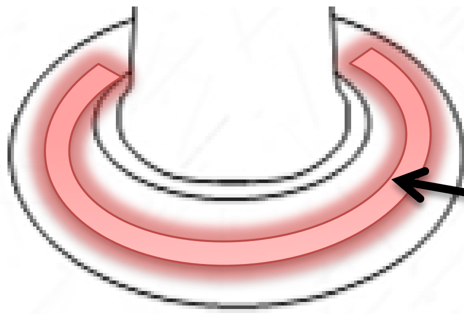
وتشكلت مجملها من أربعة أجزاء وهي : قاعدة وجذع ، وحوض وتويج ، وجاءتنا في ثلاث نماذج ، وسنعرضها بحسب أجزاءها ، و احتوت نافورات موضوع دراستنا على قاعدتين بسيطتين في شكلهما ، بين الاسطوانية والمربعة ، وقد تنحت القاعدة مع الجذع أو تكون من قطعة منفصلة ، وهي في أغلب الحالات خالية من الزخارف بحكم أن هذا الجزء غير ظاهر ، فقد جاءت كما يلي :

1.3.1. قاعدة الجذع الحامل لنافورة الجامع الكبير بتلمسان وحوضها :

القاعدة الأولى السفلية أسطوانية تسبق الجذع ببروز بسيط فتعتبر بذلك سند له (اللوحة 44 : الصورة 01 والشكل 02).



الصورة 01



الشكل 02 . من عمل الطالبة .

اللوحة 44 : قاعدة الجذع الأولى الحاملة لنافورة المسجد الكبير بتلمسان .

أما القاعدة الثانية العلوية فهي مربعة ، بإحدى واجهتيها نتوءات ربما سببها التآكل ، وهي تسبق حوض النافورة الأسطواني (اللوحة 45 : الصورة 01 والشكل 02) .



الصورة 01



الشكل 02 . من عمل الطالبة .

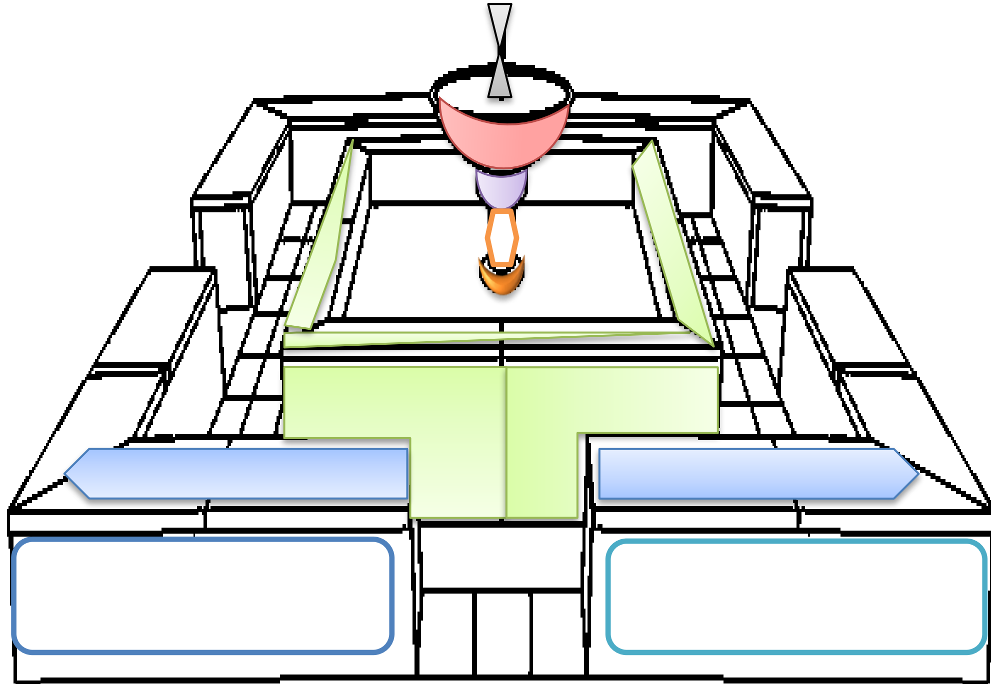
اللوحة 45 : قاعدة الجذع الثانية الحامل لحوض نافورة المسجد الكبير بتلمسان.

2.3.1. قاعدة ميضأة أو نافورة مسجد سيدي ابراهيم المصمودي بتلمسان :

وتمثلت في قاعدتين أسطوانيتين ، الأولى السفلية تسبق الجذع ببروز بسيط ، أما القاعدة الثانية العلوية تسبق حوض النافورة أو الميضأة الاسطواني ، وضعت مباشرة على وسادة اسطوانية مسننة ، بها زخارف بارزة غير واضحة الملامح بسبب تآكلها (اللوحة 46 : الصورة 01 والشكل 02) .



الصورة 01 : القاعدة العلوية لحوض نافورة أو ميضأة مسجد المصمودي بتلمسان

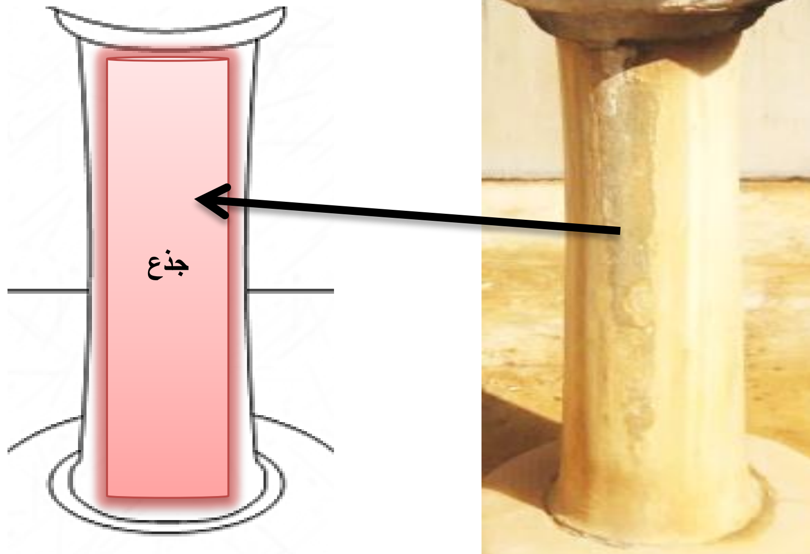


الحوض الخارجي — حوض النافورة الأسطواني
مقاعد المتوضئين — القاعدة السفلية للنافورة
الحوض الداخلي — القاعدة العلوية للنافورة
جذع النافورة — تويج النافورة

الشكل 02 : عناصر نافورة مسجد سيدي ابراهيم المصمودي بمدينة تلمسان . من عمل الطالبة .

اللوحة 46: القاعدة العلوية وعناصر أخرى بنافورة مسجد سيدي ابراهيم المصمودي بتلمسان

3.3.1 . جذع نافورة الجامع الكبير بتلمسان : اختلف شكل الجذع وحجمه وارتفاعه وطريقة زخرفته من نافورة إلى أخرى ، فجذع نافورة الجامع الكبير المرابطي بتلمسان جاء أسطواني الشكل بسيط موالي للقاعدة الأسطوانية البسيطة من حيث بروزها (اللوحة 47 : الصورة 01 والشكل 02).



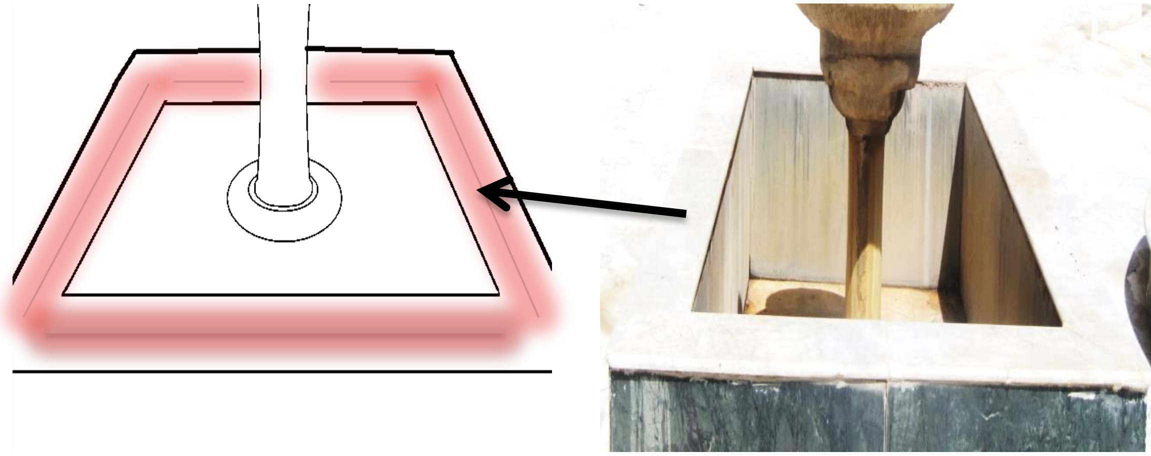
الصورة 01   **الشكل 02 . من عمل الطالبة .**

اللوحة 47 : جذع نافورة المسجد الكبير بتلمسان .

4.3.1 . جذع ميضأة أو نافورة مسجد سيدي ابراهيم المصمودي بتلمسان :

أسطواني مرتكز مباشرة فوق قاعدة بسيطة (اللوحة 46 الشكل02) .

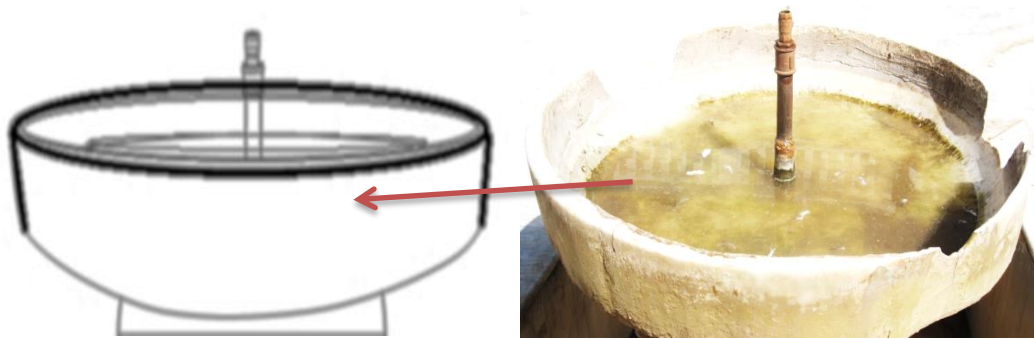
5.3.1. حوض نافورة الجامع الكبير بتلمسان : اختلفت أشكال أحواض نافورات موضوع دراستنا بين المربع والأسطواني وقد اجتمعت عموما في حوضين ، فجاء حوض الخارجي بنافورة الجامع الكبير بتلمسان مستطيل الشكل (اللوحة 48 : الصورة 01 والشكل 02) .



الصورة 01　　　　الشكل 02 . من عمل الطالبة .

اللوحة 48 : الحوض السفلي المستطيل لنافورة المسجد الكبير بتلمسان .

أما الحوض العلوي للنافورة فقد تميز بسمكه الكبير في قاع القاعدة مقارنة بحوافه ، ووجدناها أقل سمكا بكثير ما أودى ببعض الأجزاء منها إلى الانكسار (اللوحة 49: الصورة 01 والشكل 02) .



الصورة 01　　　　الشكل 02 . من عمل الطالبة .

اللوحة 49 : الحوض العلوي الأسطواني بنافورة المسجد الكبير بتلمسان .

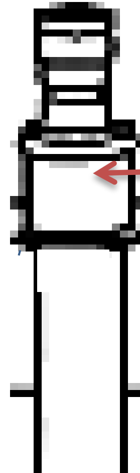
6.3.1 . حوض ميضأة أو نافورة مسجد سيدي ابراهيم المصمودي : يحيط بالنافورة أو الميضأة حوضين مربعين من الرخام الأبيض المجزع بشيء من البني الفاتح بمثابة مقاعد أو فواصل أربعة متساوية المقاسات ، ليليها الحوض الثاني ذو الشكل المربع ، هذا الأخير يتوسطه حوض أسطواني (الصورة 53) .



الصورة 53 : الحوض الأسطواني لنافورة أو ميضأة مسجد المصمودي بتلمسان .

7.3.1. تويج نافورة الجامع الكبير بتلمسان : ويعد هذا العنصر من أهم العناصر في النافورة المائية ، لذلك نجد الفنان المسلم اهتم بشكله وزخرفته ، وقد اختلفت أشكاله في نماذج دراستنا فجاء تويج نافورة الجامع الكبير بتلمسان بسيط الصنع مركّب من قطع متعددة من الحديد الغرض من وجوده إخراج الماء النافذ للنافورة ، لكنها حاليا غير مستعمله (اللوحة 50 : الصورة 01 والشكل 02).





الصورة 01 الشكل 02 . من عمل الطالبة .

اللوحة 50 : تويج نافورة المسجد الكبير بتلمسان .

8.3.1 . تويج نافورة أو ميضأة مسجد سيدي ابراهيم المصمودي بتلمسان :

مركب الأجزاء من الحديد ، استحدثت فيه البتلة التي تعلوه حيث كانت في مكانها حنفيتان متعاكستان في اتجاهما ، كما جعلت العين أو الحنفية الحالية في بدن التويج الحديدي (الصورة 54) .



الصورة 54: تويج نافورة أو ميضأة مسجد المصمودي بتلمسان .

2 . دراسة فنية للعناصر الزخرفية التي زينت النماذج المدروسة :

وجد الفن الاسلامي لخدمة حاجات المسلمين والترفيه عليهم وتجميل حياتهم ، وقد استوحى في نشأته وتطوره روح الإسلام وتعاليمه ، هذا الأخير الذي يدعو إلى الإتقان والإجاد ، ومن المعروف أن المبالغة في الاتقان تؤدي بطبيعتها إلى التنميق والتزويق ، كما أنه تأثر بدافع الرغبة في تجميل الحياة والاستمتاع بزينتها .

وقد نشأ هذا الفن على أساس مخلّفات شعوب ما قبل الإسلام ، فنجده في ايران أنه قام على أساس الفن الساساني ، وفي الشام اعتمد على الفن البيزنطي والهلينستي ، وفي مصر استمد من الفنون القبطية الفرعونية ، إلا أن الفن الإسلامي تفوق على جميع هذه الفنون فيما بعد ، فإن المسلمين لم يلبثوا أن طوّروا الأشكال التي أخذوها وابتكروا أشكالا زخرفية ذات طابع اسلامي متميز ، تعبّر عن الروح الفنية الإسلامية ، سواء أكانت هذه

الزخرفة هندسية أو نباتية أو حيوانية أو أشكال تجمع بين نوعين أو أكثر من هذه الأنواع[1] ، إضافة إلى الزخرفة الكتابية التي تعتبر ابتكارا إسلاميا محضا .

فاحتوت نماذج أحواض النافورات أو الميضآت موضوع دراستنا على زخارف نفذت بأساليب متنوعة تتماشى وطبيعة المادة التي نفذت عليها ، فمنها ما نفذ بطريقة النحت والنقش على الرخام والجص ، إضافة إلى البلاطات الخزفية التي تزين الأجزاء الملحقة بالنافورة أو الميضأة والأحواض أكثر شيء ، والمقاعد المنفصلة التي وجدناها من الرخام.

وتتمثل هذه العناصر الزخرفية أساسا في :

1.2 . العناصر الزخرفية النباتية :

شاع استخدامها في العصور الاسلامية المختلفة ، وأخذت مكانها منذ البداية كعنصر هام من عناصر الطبيعة ، وتعتبر أحد المواضيع التي لجأ إليها الفنان المسلم تلبية لنداء العقيدة الإسلامية ، حيث عرفت النباتات في القرآن الكريم أنها ميزة الجنة ، كما عرفت بالروضتين وجنة النعيم وجنة عدن وأشجار مظللة وفواكه طيبة ولذيذة ، كما أن نباتات الجنة تثبت حدود الفضاء الافتراضي حيث تتقيد نباتات الدنيا .

ولهذا بلغت شأنا كبيرا من الجودة والإتقان والتنوع ، ويبدو أن المسلمين أسرفوا في استخدامها لكراهية الإسلام محاكاة الخالق ولاسيما الأشكال الآدمية والحيوانية [2] ، فأتقنوا ووفقوا فيها توفيقا كبيرا ، فجاءت على أيديهم أكثر مرونة وقربا من الطبيعة حيث نلاحظ أن الموضوعات الزخرفية النباتية أخذت تميل إلى صدق تمثيل الطبيعة بصفة عامة .

---

1. الباشا (حسن) : موسوعة العمارة والآثار والفنون الاسلامية ، المجلد الثاني ، الطبعة الأولى ، 1999 م ، ص 95 . 96
2. زكي (محمد حسن) : الفنون الاسلامية ، دار الرائد العربي ، بيروت 1981 م ، ص 27 .

وقد احتلت الزخارف النباتية الصدارة في نماذج النافورات أو الميضآت إذ تعود صدارتها إلى ارتباطها بعنصر الماء ذا العلاقة الوثيقة بالنافورات المائية ، كدليل على تواصل الحياة وجمالها ، وتميزت الزخارف النباتية الواردة على مجموعة النافورات المدروسة في عناصرها ومن أهمها :

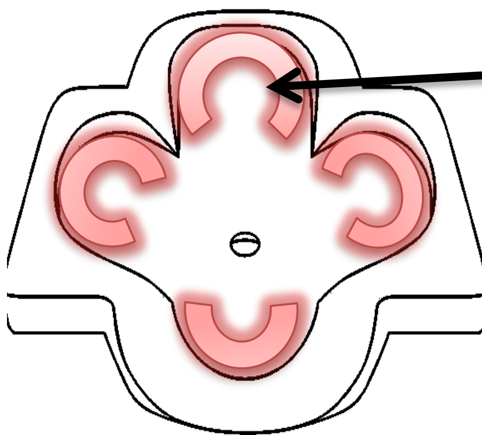
1.1.2 . الأزهار: وتعد الأزهار ذات الفصوص المختلفة ظاهرة قديمة في فنون العصور السابقة على العصر الاسلامي ، مثل الزهرة الرباعية التي كانت بالزخرفة المصرية القديمة ، ثم انتقلت إلى الفن الاسلامي والقبطي ، والزهرة ذات البتلات الخماسية والسداسية والثمانية التي تشبه إلى حدّ كبير زهرة الأقحوان المصرية والآشورية أو البابلية [1] .

كما ونفذت عموما في شكل الحوض الداخلي المفصص بفصوصها ، ومن أنواع الأزهار التي نفذت على نماذج النافورات موضوع دراستنا نجد :

أ . الزهرة الرباعية : حوض مربع القاعدة من مادة الحجر الكلسي، صغير الحجم بدنه على شكل **زهرة رباعية** تتوسطه فوهة (اللوحة 51 : الصورة 01 والشكل 02) .



الصورة 01

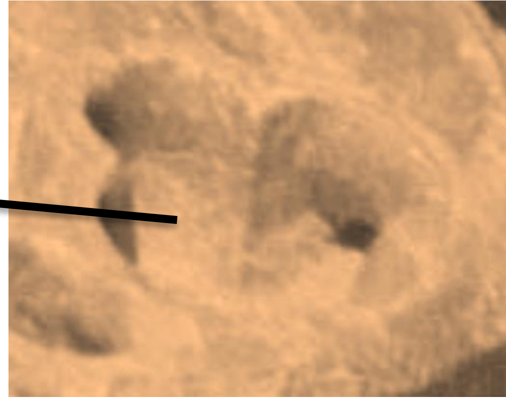


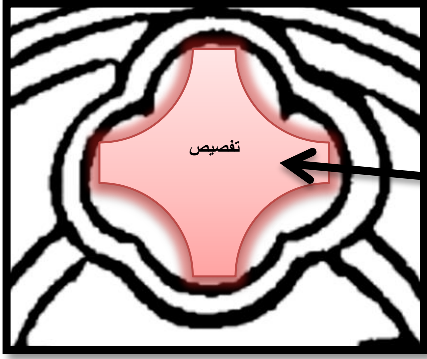
الشكل 02 . من عمل الطالبة .

اللوحة 51: الزهرة الرباعية بأحد الأحواض المحقوظة بمتاحف تلمسان .

1. رزق (عاصم محمد) : المرجع السابق ، ص 132 .

. **ونجدها ايضا** : بزوايا فسقية موجودة بالصحن الغربي لقصر المنار من الحجر ، ويجري الماء في وسط جدول يقوم بدورة على **شكل رباعي التفصيص** (اللوحة52: الصورة 01 والشكل 02) .

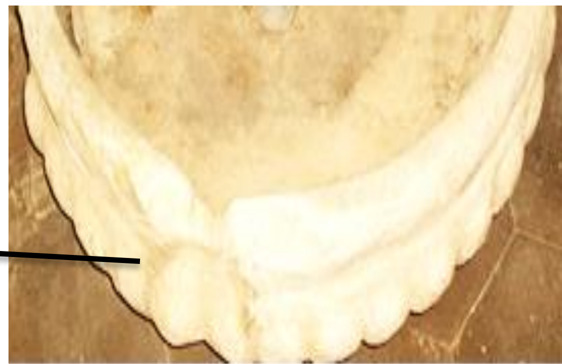


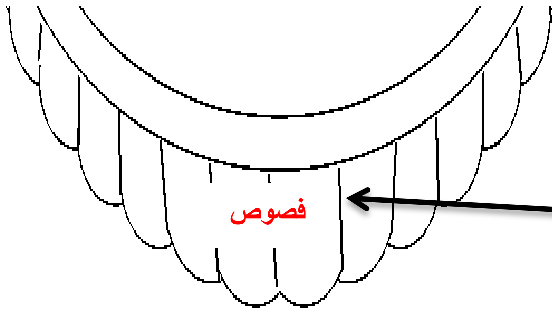


الصورة 01 **الشكل 02 . من عمل الطالبة .**

اللوحة 52: تفصيص رباعي يتوسط فسقية قصر المنار بقلعة بني حماد .

ب . <u>فصوص الزهرة بشكل نصفي</u> : وجدت بحوض من الرخام الأبيض ذو شكل أسطواني من الداخل **مفصص** من الخارج فقط بالجهة السفلية ، أما العلوية منه أو الفوهة وهي واسعة نوعا ما غليظة ملساء خالية من أي نتوء (اللوحة 53: الصورة 01 والشكل 02) .

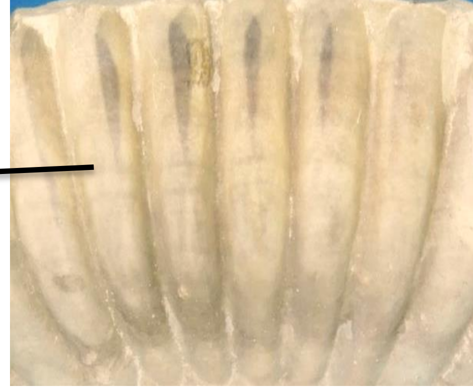




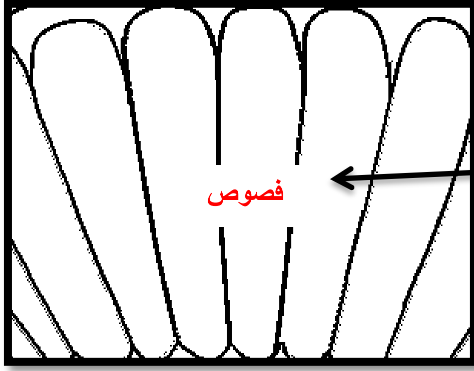
الصورة 01 **الشكل 02 . من عمل الطالبة .**

اللوحة 53 : فصوص نصفية بأحد الأحواض المحفوظة بمتاحف تلمسان .

إضافة إلى جزء صغير من بقايا حوض يعود لمدينة المنصورة الفترة المرينية . من الرخام الأبيض ، ذو شكل صدفي مقعر من الخارج مفصص من الداخل . **وفصوصه بارزة** خصّت جداره الداخلي دون داخله (اللوحة 54: الصورة 01 والشكل 02) .



الصورة 01



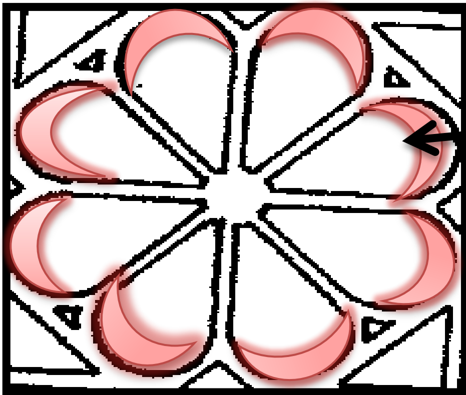
الشكل 02 . من عمل الطالبة .

اللوحة 54 : فصوص الحوض المريني المحفوظ بمتحف تلمسان .

ت . <u>زهرة الأقحوان</u> : زخرفت فسقية قصر البحر **بعقود نصف دائرية بالحافة العلوية** مشكلة زهرة **الأقحوان** (اللوحة 55 : الصورة 01 والشكل 02) .



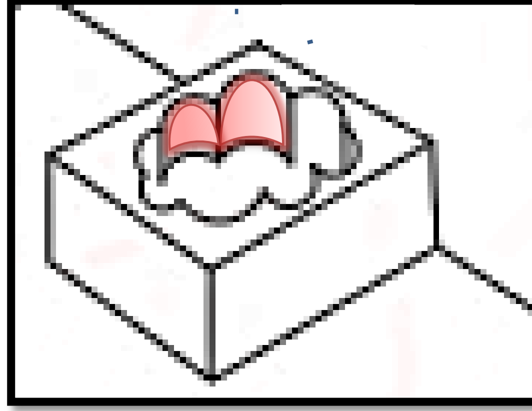
الصورة 01



الشكل 02 . من عمل الطالبة .

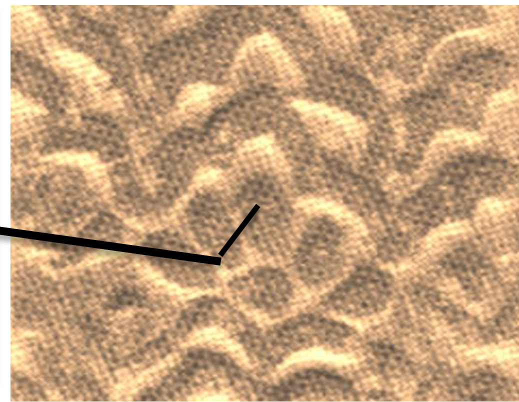
اللوحة 55: عقود نصفية بالحافة العلوية على شكل زهرة الأقحوان لفسقية قصر البحر بقلعة بني حماد .

وكذا حوض عين السلطان بقلعة بني حماد الصغير من الدبش والملاط ، ذو شكل دائرة ذات **ثمانية فصوص** (حسب ما جاءنا من وصف بالدراسات الاثرية السابقة وقد ذكرناها بالدراسة الوصفية ، وقد أعدنا تصوّره (الشكل 18) .

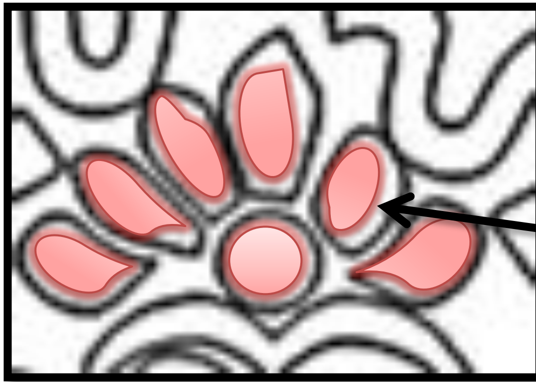


الشكل 18: الفصوص الثمانية لزهرة حوض عين السلطان الصغير . من عمل الطالبة.

كما زخرف قعر القناة الأولى من شاذروان قلعة بني حماد إذ نحتت في المركز **زهرة أقحوان خماسية البتلات** (اللوحة 56 : الصورة 01 والشكل 02) .



الصورة 01

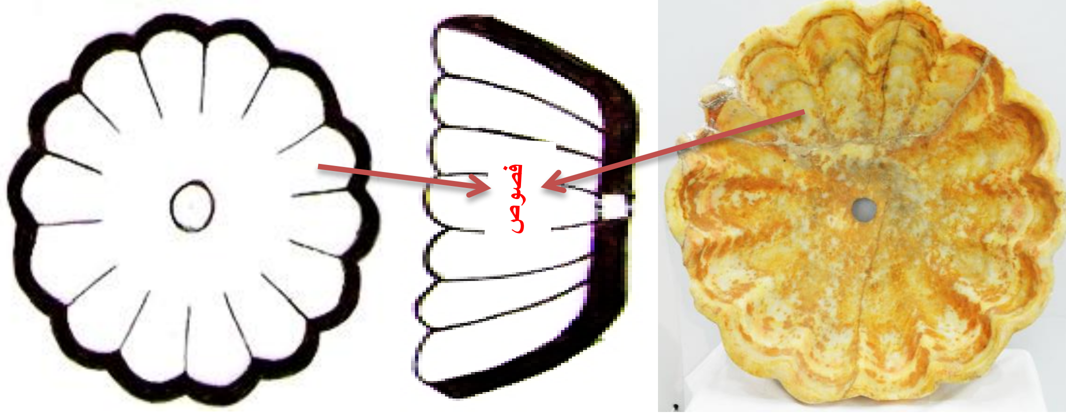


الشكل 02 . من عمل الطالبة .

اللوحة 56 : زهرة الاقحوان خماسية البتلات بشاذروان قصر المنار بقلعة بني حماد .

ونجدها أيضا بالحوض الأصلي لنافورة أو ميضأة مسجد سيدي بومدين بتلمسان وهو مقعر من الداخل ومفصص من الداخل و الخارج بفصوص متوسطة الحجم متساوية

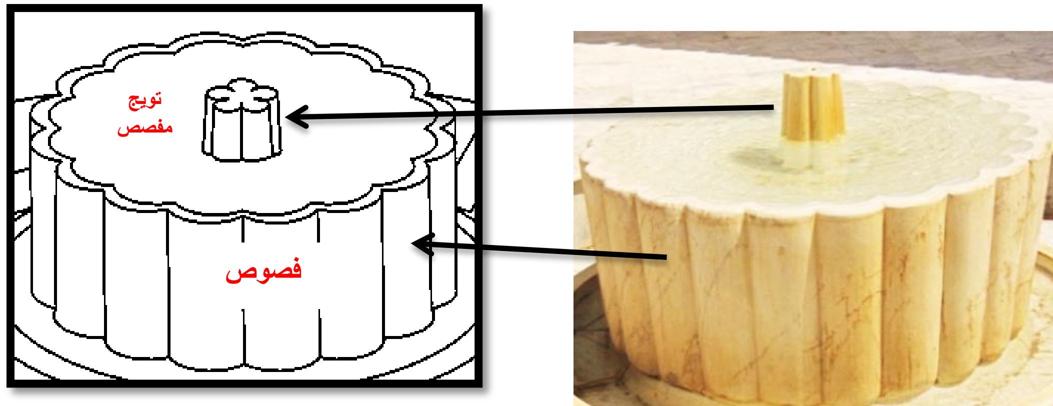
فيما بينها وعددها 14 فصا مفلطحة **على شكل زهرة الأقحوان** ، من الرخام الأبيض بشيء من البني الفاتح (اللوحة 57 : الصورة 01 والشكل02) .



الصورة 01 الشكل 02 . من عمل الطالبة .

اللوحة 57 : فصوص حوض نافورة مسجد سيدي أبي مدين الأصلية بتلمسان .

كما نجدها أيضا **بحوض ميضأة الجامع الكبير المستحدث** بحجم أكبر ، وشكله مقعر من الداخل محدب من الخارج مفصص بأربع وعشرين (24) فصا ، يتوسطه تويج بشكل بتلة مغلقة لنفس شكل الحوض المفصص (اللوحة 58: الصورة 01 والشكل02) .

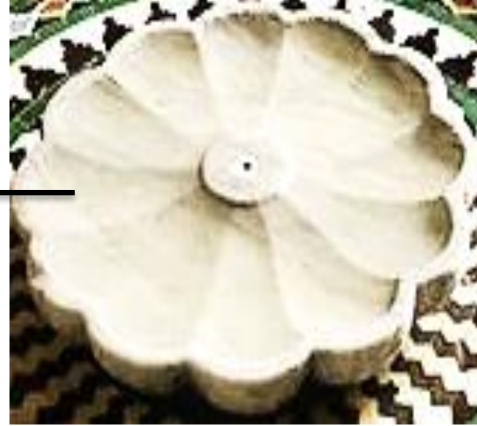


الصورة 01 الشكل 02 . من عمل الطالبة .

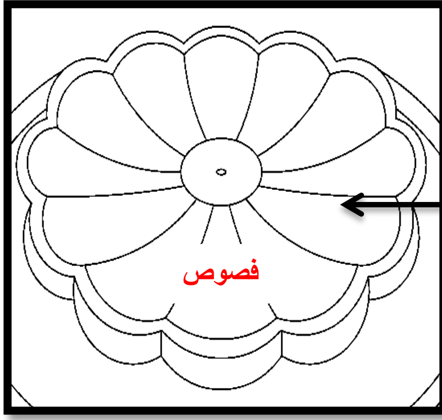
اللوحة 58 : فصوص حوض الجامع الكبير المستحدث بتلمسان .

إضافة إلى حوض نافورة قلعة المشور الرخامي الصغير ، ذو شكل زهرة الأقحوان ذات 12 فصّا ، محدب من الخارج مقعر من الداخل مفلطح ، وتلتقي فصوصه في

نقطة عبارة عن دائرة صغيرة بها فوهة لخروج الماء وهي مستحدثة أيضا (اللوحة 59 : الصورة 01 والشكل 02) .



الصورة 01



الشكل 02 . من عمل الطالبة .

اللوحة 59 : فصوص حوض نافورة قلعة المشور الزيانية المستحدثة بتلمسان .

2.1.2 . الأوراق : وتعد الأوراق من أهم عناصر الزخرفة النباتية ، وردت على هيئة أوراق بسيطة أو مفصصة بفصين أو ثلاثة فصوص ، ولعل من أهمها المراوح النخيلية وتفريعاتها ونجدها بالحوض المربع المحفوظ بمتحف الآثار الإسلامية بتلمسان .

أ . المراوح النخيلية وتفريعاتها : وجدت بحوض مربع صغير الحجم من الرخام البني الفاتح ، زخرف وسط واجهاته الخارجية الأربع زخرفة على شكل حوض صغير ممثل وكأنه لنفس الحوض ، موضوع على **أوراق النخيل الملساء وتفرّعاتها** إذ تحفه وتحيط به (اللوحة 60 : الصورة 01 والشكل 02) .



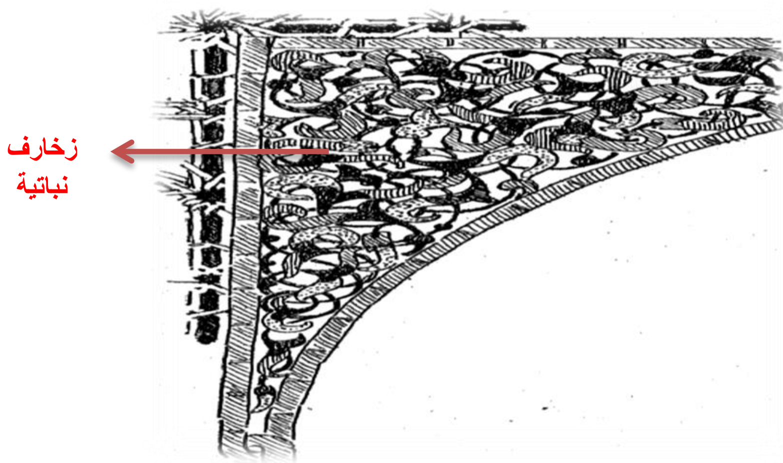
الصورة 01



الشكل 02 . من عمل الطالبة .

اللوحة 60 : مراوح نخيلية وتفريعاتها بحوض رخامي محفوظ بمتحف مدينة تلمسان

وقد تقدّمت مصلى المدرسة التاشفينة **فسقية ذات الشكل الصدفي مصنوعة من المرمر** ، من خلالها كانت تتدفق المياه ، وقد تأطرت **بزخرفة نباتية رقيقة مظفورة** ، حيث لم يكن لها نظير في المدارس المغربية ، إلا ما وجد في زاوية سلا قرب مدينة الرباط [1] (الشكل 19) ، إلا أنها المدرسة هدّمت من طرف الاستعمار الفرنسي بحجة توسيع شبكة الصرف داخل المدينة وبنى مكانها دار البلدية [2] .



الشكل 19 : زخرفة نباتية متشابكة تؤطر فسقية المدرسة التاشفينية بتلمسان . بتصرف عن جورج مارسي .

1- مارسي (جورج) : مدن الفن الشهيرة ، ترجمة سعيد دحماني ، دار النشر التل 2004 ، ص 55 .
2- الرزقي (شرقي) : المرجع السابق ، ص 136 - 137 .

2.2 . العناصر الزخرفية الهندسية :

وتعد من أقدم أنوع الزخارف التي استعملها الانسان ، وقد عرفت في جميع الحضارات القديمة ، ولكنها كانت محدودة الاستعمال كما كانت رسوماتها تدل على فقر الخيال ، حيث استخدمت في الغالب كإطار لغيرها من الزخارف.

وقد كان لها الحظ الوافر في الفن الاسلامي ، فتطورت تطورا عظيما وتنوعت تنوعا كبيرا من خطوط مستقيمة ومقوسة ومتداخلة ومتقاطعة إلى أنواع مختلفة لا حصر لها من المثلثات والمضلعات والدوائر والخطوط المجدولة ، كما أخذ الفنان المسلم يطبق خياله عند استخدامها في الزخرفة ، فيقسمها ويجزئها ويحولها إلى خطوط ومنحنيات تتكرر وتتعاقب ، وتمتد إلى مالا نهاية حتى لا يكاد الناظر يحدد بدايتها أو نهايتها ، وقد دفعت هذه المقدرة لدى الفنان المسلم البعض إلى القول بأن هذه البراعة لم تكن أساسا للشعور والموهبة فحسب بقدر ما كانت لعلم وافر بالهندسة العلمية .

إن الأساس في رسم الزخارف الهندسية هو المربع أو الدائرة ، حيث يمكننا رسم أشكالا عديدة لا حدود لها في الزخارف الهندسية [1] ، والتي تتكون في الغالب من الخطوط بأنواعها المستقيمة والمنكسرة والمغلقة والمنحنية والحلزونية البسيطة منها والمعقدة ، ومن الأشكال التي تنشأ أساسا من عنصري الخط والزاوية كالمثلث والمربع والمستطيل والمعين والمضلعات الخماسية والسداسية والثمانية والأطباق النجمية بالإضافة إلى الدائرة .

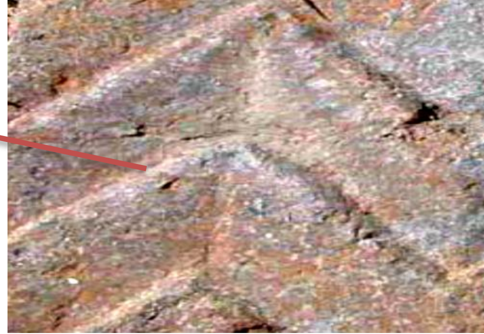
وجاءت الزخارف الهندسية بالنماذج المدروسة متآلفة و الزخرفة النباتية التي تتناسب مع العناصر ، نظرا لارتباط كل من النافورة والنبات بعنصر الماء كما أشرنا من قبل ، ومن بين العناصر الزخرفية الهندسية التي زينت بها هذه النافورات نذكر :

---

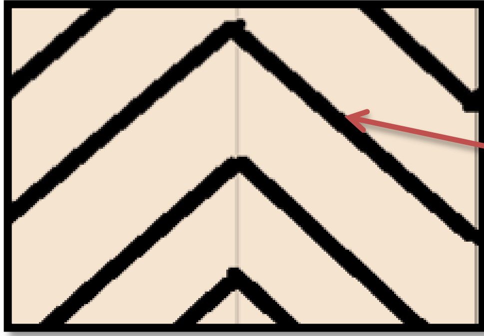
1. حسين (خالد) : الزخرفة في الفنون الاسلامية ، دار البحار للطباعة والنشر ، بيروت ، ص 93 .

1.2.2 . <u>الخطوط</u>: وتحتوي نماذج دراستنا على أنواع مختلفة من الخطوط منها : المنكسرة والعمودية .

ونجد من أمثلة الخطوط في الزخارف ما جاء على شكل شارات بقطعتين من شاذروان الرخام الرمادي والتي تعود لقصر السلام بقلعة بني حماد ، وقد نفذت بطريقة الحفر البارز أو الكشط الغائر (اللوحة61 : الصورة 01 والشكل 02) .



الصورة 01



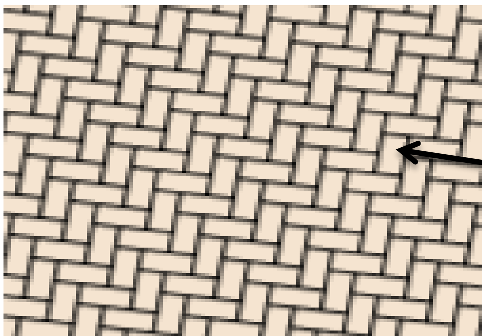
الشكل 02 . من عمل الطالبة

اللوحة 61 : حزوز شاذروان قصر السلام الرخامي بقلعة بني حماد .

كما وجدنا بلاطات بشكل مستطيلات صغيرة مرصوصة بشكل السنبلة بأرضية حوض البحر بقلعة بني حماد (اللوحة 62 : الصورة 01 ، والشكل 02) .



الصورة 01



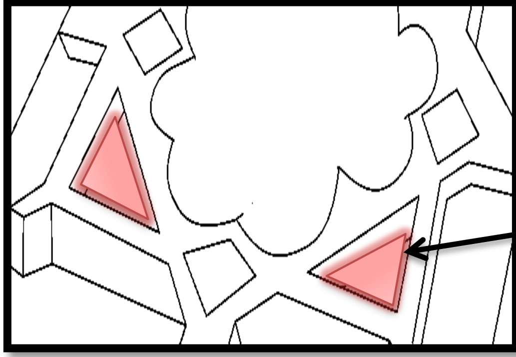
الشكل 02 . من عمل الطالبة .

اللوحة 62 : تبليط بتقنية السنبلة على شكل خطوط منكسرة بأرضية حوض قصر البحر بقلعة بني حماد .

2.2.2 . <u>المربعات والمثلثات</u> : و تمثلت في الزخرفة التي نفذت بشكل بارز على السطح الخارجي للأحواض ومن أمثلتها : زخرفة فسقية قصر البحر **بمربعات وكذا مثلثات بشكل هرمي في زواياها الأربعة** (اللوحة 63 : الصورة 01 والشكل 02).



الصورة 01



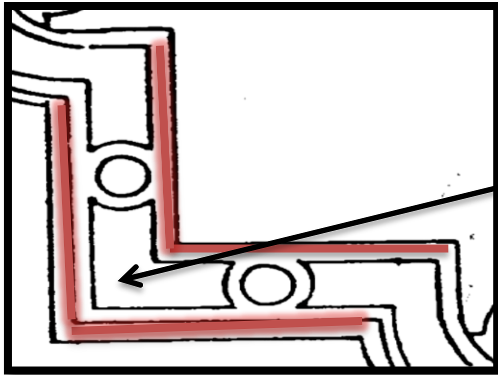
الشكل 02 ـ من عمل الطالبة ـ

اللوحة 63 : زخارف هندسية بأركان فسقية قصر المنار بقلعة بني حماد .

إضافة إلى **شكل المثلث** الذي احتوته فسقية الصحن الغربي لقصر المنار بقلعة بني حماد (اللوحة 64 : الصورة 01 والشكل 02) .



الصورة 01



الشكل 02 . من عمل الطالبة .

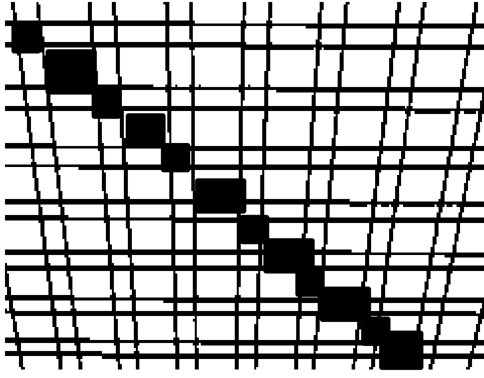
اللوحة 64 : نموذج لشكل المثلث بإحدى زوايا فسقية قصر المنار بقلعة بني حماد.

كما نجد المربّع بمختلف الأحجام غطت نموذج من أحواض دراستنا الأرضية وهو حوض ضريح سيدي أبي مدين بتلمسان ، وهي أصلية حتى وإن رممت بعض الأجزاء

منها ، وضعت بالتناوب بين الأخضر والأبيض فالبني ويقطعهم اللون الأسود على شكل خطوط مكوّنة من اتصال مربعات سوداء ببعضهما (اللوحة 65 : الصورة 01 والشكل 02) .



الصورة 01



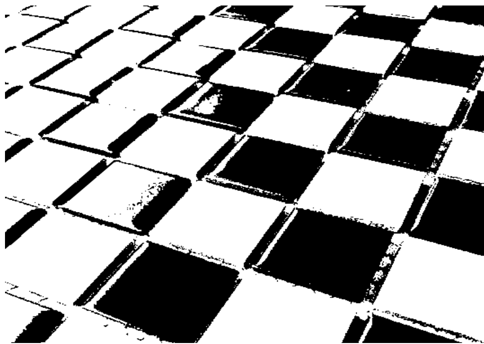
الشكل 02 . من عمل الطالبة .

اللوحة 65 : بلاطات خزفية بأشكال وألوان مختلفة الحجم من المربع بحوض سيدي أبي مدين بتلمسان

إضافة إلى بلاطات خزفية مربعة غطت قاع حوض قصر المشور ، وصحن كلا من مسجد سيدي أبي مدين وسيدي الحلوي بتلمسان (اللوحة66 : الصورة01 والشكل 02)



الصورة 01



الشكل 02 . من عمل الطالبة .

اللوحة 66 : بلاطات خزفية مربعة بحوض قلعة المشور وصحن المساجد المرينية بتلمسان

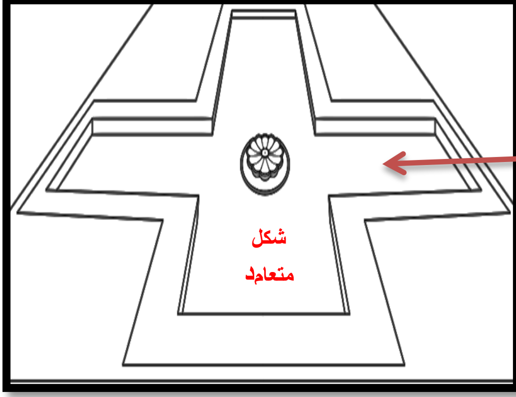
فقد استعمل كلا من الزيانيين و المرينيين بلاطات خزفية على نطاق واسع خاصة في تزيين واجهات المآذن والقباب والأرضيات وكذا الجدران ، وتميزت بلاطاتهم بتنوعها بين قطع مربعة لونت باللون الأخضر والأبيض والبرتقالي وهي ذات تأثير مغربي [1] .

1 - Bouruiba (R) : L'art Religieux Musulmane ... , Op.Cit , P 199 , 200 , 201, 202.

إلى جانب حوض صحن قلعة المشور ذو الشكل المتعامد ، وقد أعيد بناءه حسب النموذج الأصلي الذي يعود إلى الفترة الزيانية ، إحدى الأشكال الزخرفية الرمزية ، إذ تشبّه بشكله المتقاطع شكل الصليب (اللوحة 67 : الصورة 01 والشكل 02) .



الصورة 01



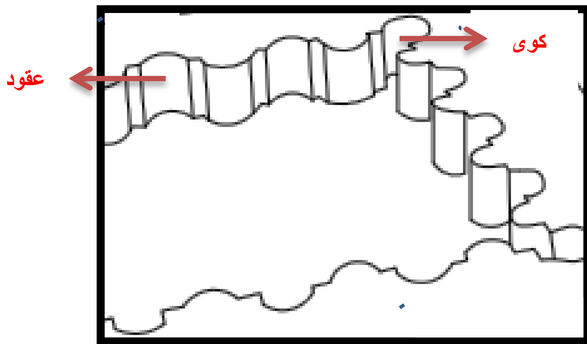
الشكل 02 . من عمل الطالبة .

اللوحة 67 : الحوض المتعامد المستحدث بصحن قلعة المشور بتلمسان .

3.2.2 . <u>العقود والكوى :</u> نموذج وجدناه بالحوض المربع بقصر المنار بقلعة بني حماد ، حيث تتخلل بدن الحوض من الداخل عقود نصف دائرية وبزواياه الأربعة نجد كوى نصف دائرية القعر (اللوحة 68 : الصورة 01 والشكل 02) .



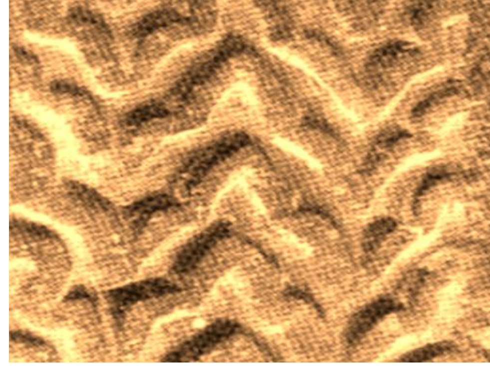
الصورة 01



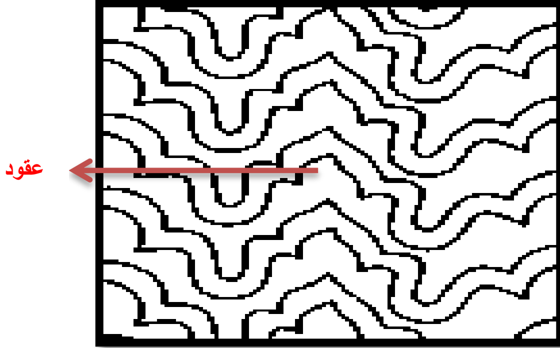
الشكل 02 . من عمل الطالبة .

اللوحة 68 : عقود وكوى نصف دائرية بحوض قصر المنار بقلعة بني حماد

كما وجدنا نموذج آخر بشاذروان قصر المنار بقلعة بني حماد تمثل في شارات مركبة من **عقود موجهة نحو الأعلى**[1] (اللوحة 69 : الصورة 01 والشكل 02) .



الصورة 01



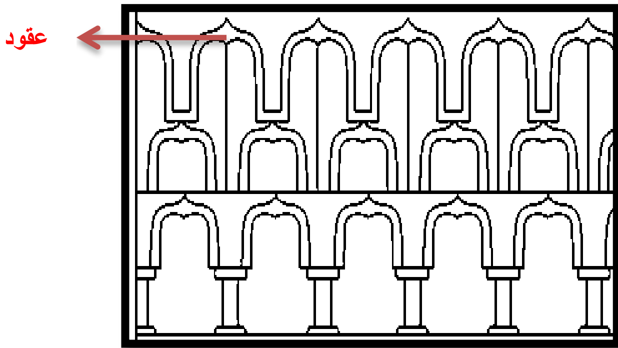
الشكل 02 . من عمل الطالبة .

اللوحة 69 : زخارف هندسية بشاذروان قصر المنار بقلعة بني حماد .

ونموذج آخر بالحوض الرخامي الكبير ذو اللون البني الفاتح ، إذ يحيط بالفوهة العلوية **شريط زخرفي بثلاث صفوف متتالية متمثلة أشكالها في عقود متجاوزة محزوزه** ، شبيهة في ذلك بالدلايات التي نجدها بزوايا جدران المباني ، **وبجانب تلك الصفوف المعقودة وأعلاها شريط مسنن وكأنها دعامات** (اللوحة70 : الصورة 01 والشكل 02).



الصورة 01

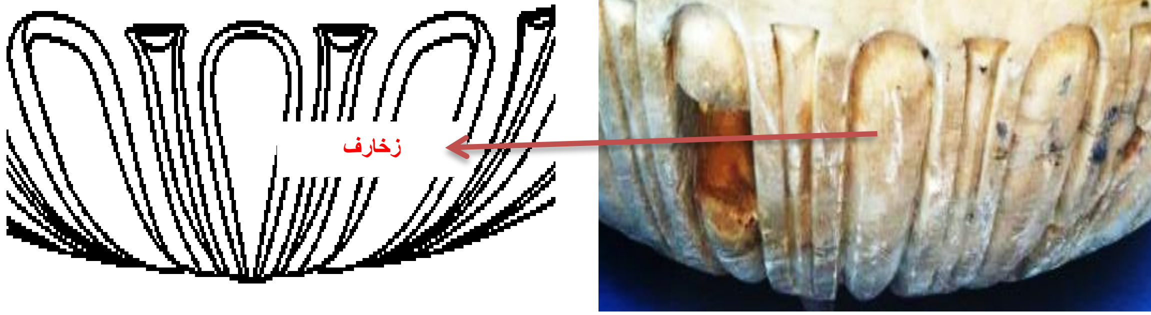


الشكل 02 . من عمل الطالبة .

اللوحة 70: الشريط الزخرفي المعقود بحوض مريني محفوظ بمتحف الأثار الاسلامية بتلمسان

1 - Golvin (L) : Recherches Archéologiques ..., Op . Cit , P 123 .

كما وجدنا بالحوض الرخامي المحفوظ بمتحف الفن والتاريخ بتلمسان زخرفة تحيط بدنه الخارجي . وتمثلت في **حزوز بارزة وأجزاء مكشوطة بأشكال هندسية عبارة** عن **شكل بيضوي مستطال** وممتد على طول الحجم ، تفصل بين تلك الامتدادات خط مزدوج ذو شكل بسيط بنفس امتداد الزخرفة الأولى (اللوحة71: الصورة 01 والشكل 02) .



الصورة 01 **الشكل 02 . من عمل الطالبة .**

اللوحة 71 : زخارف هندسية بحوض مريني محفوظ بأحد متاحف تلمسان .

3.2 . العناصر الزخرفية الحيوانية :

نفر الفنان المسلم في بداية ظهور الإسلام من رسوم صور الحيوانات والإنسان ، ربما كان مرجعية ذلك لنهي الدين عنها لعلاقتها بالوثنية ، ثم أخذت رسومات الحيوانات تظهر شيئا فشيئا من خلال الزخارف النباتية معها أو صور مثل حيوانات قد حوّرت أرجلها أو أجنحتها بتفريعات نباتية ، ثم أخذت رسوم الانسان تظهر أيضا في الزخارف، لكن هذه الرسوم ذات مسحة زخرفية واضحة بعيدة عن صدق تقليد الطبيعة ، وكانت تستخدم بشكل واسع في تزيين المخطوطات التي سميت بعد ذلك باسم المنمنمات الاسلامية [1] ، لأغراض توضيحية ، كما أنه كان يستخدمها كعناصر زخرفية يكيفها ويحورها بحيث يحقق أغراضه الجمالية البحتة ، ومن بين العناصر الزخرفية للكائنات الحية التي نفذت على نماذج دراستنا من أحواض النافورات عنصر **السمك** و**الأسد** .

1. حسين (خالد) : المرجع السابق ، ص 400 . 401 .

1.3.2 . السمك : ويرمز عند الشعوب القديمة للماء والوحدة والتآزر لأنه يعيش في جماعات ، كما يرمز عند المسلمين إلى الثروة والازدهار والرفاهية والخصوبة لكثرة بيضه .

نفّذ هذا العنصر الزخرفي على نموذج واحد من نماذج دراستنا والموجود بقلعة بني حماد ، تمثل أساسا في نحت الجزء الجانبي من شاذروان قصر المنار ، محورة الشكل نفذت بطريقة الحفر البارز والمائل ، وضعت بشكل متتالي على السطح الخارجي لبدن الشاذروان ، وفي مجملها **ثلاثة أسماك كبيرة تسير عكس التيار ، والسمكة الوسطى أكبر حجما مقارنة ببقيتها** (اللوحة 72 : الصورة 01 والشكل 02) .

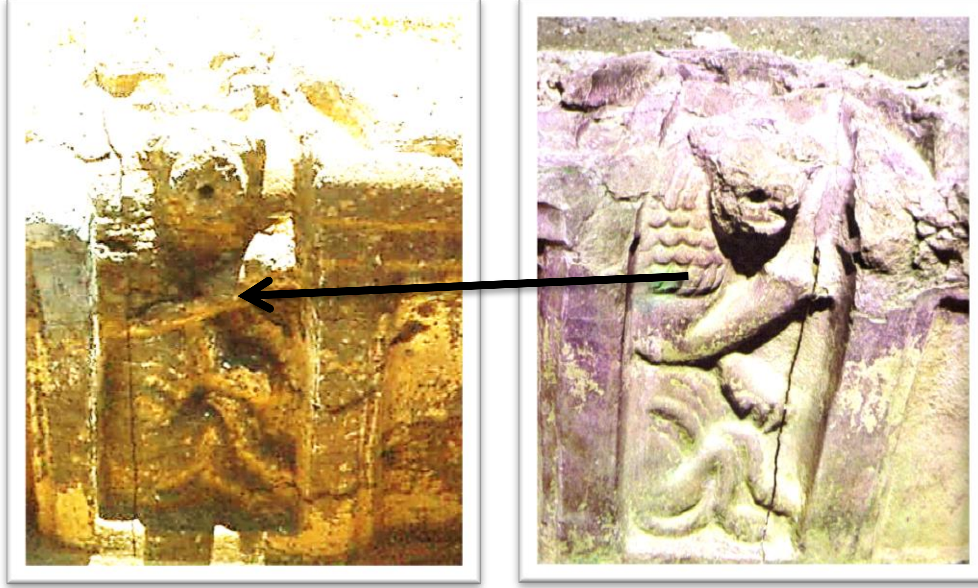


الصورة 01 **الشكل 02 . من عمل الطالبة .**

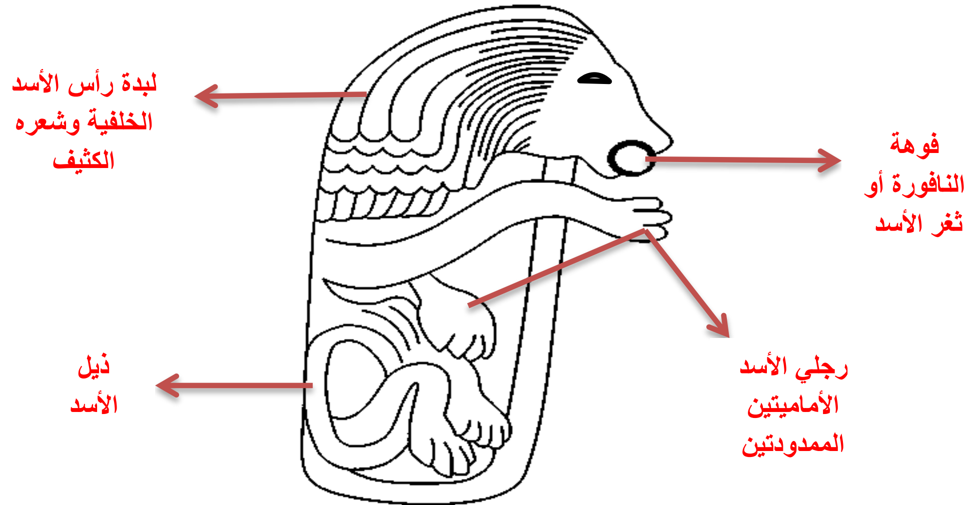
اللوحة 72 : زخرفة بشكل أسماك بشاذروان قصر المنار بقلعة بني حماد .

2.3.2 . الأسد : ونجده بنماذج دراستنا في **نموذجين** ، **الأول** منهما بزخرفة فسقية الصحن الغربي لقصر المنار داخل الفصوص إذ تنزوي كوات مستطيلة تحتوي على أسود منحوتة ، توجد هذه الحيوانات في وضعية مدهشة بحيث أنها جالسة على مؤخرتها وذات مظهر جانبي وذيلها تحت رجليها الخلفيتين في حين أن رجليها الأماميتين ممددتين كما لو أن هذه الحيوانات تتكأ على الكوات ، أما رأسها فمغطى بلبدة كبير ، التي ويخترق عيونها ووجهها ثقب مخصص لجريان المياه يحيط به

خطوط مشعة تجسد الأسنان ، زين العنق والأجزاء العلوية للجسد بزخرف هندسي وبصف من العناصر النصف دائرية (اللوحة 73: الصورة 01 ، 02 ، والشكل 03)



الصورة 01 الصورة 02



الشكل 02 . من عمل الطالبة .

اللوحة 73 : الأسد المزخرف بباطن فسقية قصر المنار بقلعة بني حماد وفوهتها .

زودت هذه الفسقية بتقنية للهندسة المائية المتطورة تمكّن من ضمان جريان دائم ، يجري الماء داخل ساقية تحيط بالفسقية التي تتوزع فيها منعطفات ودوائر محفورة بثقوب في محور المجرى تترجح بعضها إلى رأس الأسد حيث يجرى الماء من فمه .[1]

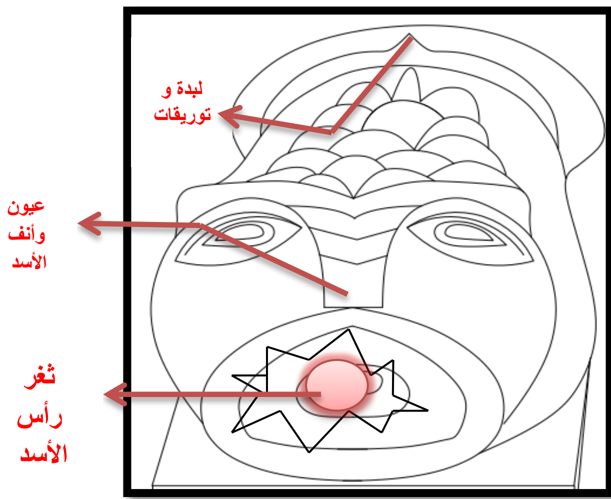
كما تمثّل **النموذج الثاني** لشكل الأسد بفوهة لنافورة تعود لقلعة بن حماد ، والشكل عبارة عن نقش أسد نائم بذيل موضوع على الجانب .

يبين وجه الأسد ثغره المفتوح حيث تظهر الأسنان الممتدة على حنكيه ، يعلو العينين الجاحظتين حاجبان كثيفان ، أما الظهر فتعلوه لبدة تم تشكيلها على شكل توريقات .

صممت القطعة بفنية كبيرة تتميز بالبساطة وقلة الزخارف ، وتدل الفتحة المصممة داخل ثغر الأسد على استعمال القطعة في فوهة نافورة ، وهي بذلك ترمز إلى حياة البذخ والرخاء داخل قلعة بني حماد (اللوحة 74 : الصورة 01 والشكل 02) .



الصورة 01



الشكل 02 . من عمل الطالبة .

اللوحة 74 : فوهة نافورة برأس أسد تعود لقلعة بني حماد

. محفوظة بالمتحف الوطني بسطيف .

1 - Bourouiba (R) : « Note sur une vasque de pierre trouvée au palais du Manar de la Kalaa des Baní Hammad », in *B.A.A.*, Paris : Éd. E. de Bocard, T.V, 1971-1974, p. 235-245 .

على غرار نماذج أخرى لفوهات نافورات على شكل أسد جاءت في أبحاث تعود لقلعة بني حماد (اللوحة 75 : الصورة 01 ، 02 ، 03) .





الصورة 01 : منظر جانبي وواجهة لفوهة نافورة على شكل أسد من الرخام الرمادي عثر عليها بقلعة بني حماد . عن قولفان Golvin .



الصورة 02 : فوهة نافورة على شكل أسد من الرخام الرمادي عثر عليها بقلعة بني حماد . عن قولفان Golvin .



الصورة 03 : فوهة نافورة على شكل أسد من الحجر الكلسي عثر عليها بقلعة بني حماد . عن قولفان Golvin .

اللوحة 75 : فوهات برأس أسد لنافورات تعود لقلعة بني حماد . عن قولفان Golvin .

3 . دراسة تحليلية لنماذج النافورات أو الميضآة المدروسة وأحواضها :

وما يمكننا قوله واستخلاصه بالاطلاع على النماذج السابقة ومثيلاتها ، هو أن الفضل الكبير يرجع لصنهاجة عامة وفرع الحماديين خاصة في انتشار مظاهر التمدّن والتحضر والعمران ، فلطالما اقتصرت على **افريقية أيام الأغالبة والفاطميين الذين سعوا إلى محاكاة عظمة الأمويين و العباسيين ببغداد وحضارة العراق** [1] .

فتفنّنوا في العمران وبناء القصور والريّاض ، ولم يقف عند ذلك فقط بل جسّدوا أعظم منشآت العمارة الدينية والمدنية ذات المنفعة العامة ، المتمثلة في سقاية المدن وتوفير الماء الشروب لسكان حواضرهم ومدنهم لما له من مغازي كثيرة ، كالتقرب لله في إغاثة العباد وإحلال السلام في البلاد بتواجد العنصر الأساسي للحياة .

فأضحت قلعة بني حماد في منتصف القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي (5هـ/11م) ملجأ للنازحين من المغرب ككل هروبا من الغزو الهلالي ، فكانت الهجرة الجماعية دافعا لنمط معيشي جديد في القلعة ، فأجهزة جر المياه واستغلال المجاري المائية من أودية وعيون وتوجيهها نحو المدينة ، لتشبه بذلك المعروفة في القيروان بتونس مع فارق في الضخامة والعظمة ، فهو في شكله العام من الناحية التقنية لا يخرج عن نطاقه كاستعمال القنوات والتي بدورها أخذت من الرومان والبيزنطيين ، كما تشهد عليه مخلّفاتهم في تونس والشرق الجزائري [2] ، وهي على كل حال أقدم ما نعرفه منها .

وقد تحدّدت أشكالها منها المستطيل الفسيح ومنها المستدير والمربع ، وفيها القائم على مستوى الأرض والقائم فوق مستواها والمنحوت في جوفها ، وكلّها عنوان الدقّة والمهارة ومثار الدهشة والإعجاب [3] .

1- فكري (أحمد) : و زبيس (مصطفى) : آثار تونس الاسلامية ومصادر الفن الاسلامي بإفريقية وتونس وليبيا ، تقديم : عمر سعيدان ،الطبعة الأولى ، عن مؤسسة سعيدان للطباعة والنشر ، سوس ـ تونس ، 1949 م ، ص 27 .

2 - Birebent (J) : Aquae Romanie ; Recherche sur l'hydraulique Romaine dans l'est Algérien, service des antiquités del'Algerie.1962, P 234 .

3 - فكري (أحمد) ، و زبيس (مصطفى) : المرجع السابق ، ص 27 .

إضافة إلى ذلك ، دافع حل مشكلة قلّة المياه ببناء الأحواض لتجميع المياه وتقسيم وظائفها ، من أحواض للتصفية وأخرى للتخزين ، وصهاريج لإغتراف الماء وسحبه واتخاذ البرك الاصطناعية لتخزين كميات هائلة من المياه للمواجل والألعاب المائية من شاذروان و فسقيات ، فنجد أن منشآت القلعة استمرارية للتقنية الإفريقية في المغرب الأوسط .

وبتقصينا للمنشآت المختلفة التي استغلها الحماديون عبر البقايا المادية من قنوات تبين مدى الجهد المبذول في ترويض المجاري المائية وتحويل قسم منها إلى المدينة ، حيث أن المهندس الحمادي استغل في سقاية القلعة مجاري مختلفة من أودية وعيون معتمدا في ذلك على معايير الجاذبية ، أي استغلال فوارق الارتفاع بين المنابع وأحياء المدينة، وذلك لإمكانية جر المياه دون اللجوء إلى أعمال تسوية وتسطيح مكلفة أو اتخاذ النواعير لرفع المياه إلى القنوات ، كتلك التي استعملت في فاس والأندلس وفي تلمسان فيما بعد أيضا .

فكان الموقع الجبلي للقلعة سببا في سهولة تموينها من المجاري المائية المحيطة بها، فقد زودت القلعة عبر ثلاثة قنوات رئيسية قادمة من مختلف الضواحي من واد الجفين شمالا ، وواد فرج شرقا ، و الزرايف غرب جبل القرين .

كما توقفنا أيضا على مدى تحكم المهندس في سرعة وضغط المياه باتخاذ القنوات لكسر سرعة انسياب الماء لتجنّب تصدّع القنوات وانفجارها خاصة في المناطق شديدة الانحدار .

فأعطت لنا هذه الشبكة من القنوات الرئيسية نموذجا رائعا للعمارة المدنية عند الحماديين حيث استغلال هذه المجاري يوفر الماء الشروب للمدينة وينفّس عن أهلها دون انقطاع ، مما يجعل القلعة في مأمن من العطش .

فحرص بذلك الحمّاديون على توفير كميات هائلة من المياه داخل أسوار المدينة وبرعوا في ذلك ، فكانت منشآتهم نموذجا رائعا في العمارة .

وبعد دراسة المنشآت وقصور المدينة وما اتخذوه من منشآت مائية مختلفة الأحجام والوظائف ، تبين لنا خلال تتبع منشآت قصر البحر النظام الذي كان يتم به تموين أجنحة القصر المختلفة فالماجل يوفر الماء الدائم وبدوره يموّن الصهاريج الأرضية وحدائق القصر ويتصل بالبحر أو الصهريج الكبير الذي اتخذه الحماديون في أسفل القصر لأغراض وظيفية وترفيهية فهو يلطّف الجو ويمثل مخزونا ضخما من المياه ويضفي على القصر الفخامة والجمال .

وأعطى لنا قصر المنار بعض مظاهر الأبهة عند الحماديين باتخاذ نافورة الأسود في وسط الصحن الغربي للقصر قبالة القاعة الشرقية .

كما أن الحماديين كانوا حريصين على توفير المياه لرعاياهم ، كما تدل عليه المنشآت العمومية كعين السلطان وجب حي جراوة وجب المسجد الجامع الذي يجسد التقرب إلى الله وطلب الأجر وذلك بتوفير الماء للوضوء والشرب في الأحياء والمساجد ، وهذا تقليد اتبعه ولاّة الأمور من خلفاء وملوك وسلاطين وأمراء منذ صدر الاسلام .

فظهرت فكرة اتّخاذ البحيرات الاصطناعية الضخمة لتخزين المياه لأول مرة في بلاد المغرب في افريقية أيام الأغالبة فقد بنى الأمير زيادة الله الثالث 290-296هـ/903-909م، في رقادة قصر أسماه بدار البحر ، ولقد ذكر **البكري** : "... لقد رأيت بإفريقية شيئين لم أر مثلهما في الشرق ، الحفير الذي بباب تونس (ويقصد به ما جل أبو ابراهيم الأغلبي) والقصر الذي بمدينة رقادة المعروف بقصر البحر ... " [1]، فقد بنى الأمير الأغلبي قصره حوضا ضخما سمّاه بالبحر ومنه استوحي بحوض القلعة مع وجود فارق في السعة والشكل الشبه المنحرف مقارنة الأول بالأخير .

1- البكري (أبو عبيد الله) : المغرب في أخبار إفريقية والمغرب ، المصدر السابق ، ص 26 .

واستوح الأغالبة بدورهم الفكرة من الأحواض الرومانية الضخمة المعروفة بالنوماشيات Noumachies ، ولعل ذلك كان من خلال رحلاتهم الدبلوماسية وحملاتهم العسكرية إلى جنوب إيطاليا ، حيث أعجبوا بتلك الأحواض كحوض القيصر وحوض أغسطس [1] .

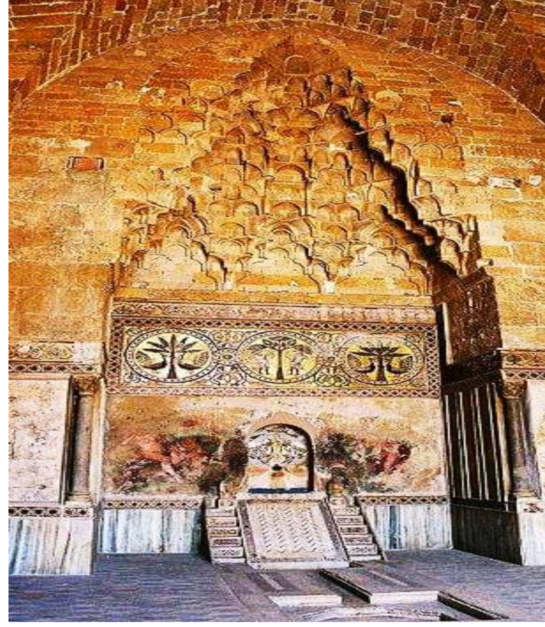
ودار البحر أو قصر الأمراء يمثل تجسيدا لأبهة إفريقية في المغرب الأوسط ، فبحر القلعة نسخة ناجحة تمكن المهندس الحمادي من محاكاة منشآت الفاطميين والأغالبة قبلهم وإن كانت بمقاسات أصغر إلا أنه يمثل الاستمرارية لهذه النماذج من المنشآت ودور الماء في اضفاء الجمال والبهجة في أروقة أجنحتها .

ونجد أحواض أخرى في المغرب الأوسط والمغرب الأقصى بعد انقضاء دولة الحماديين كالصهريج الأعظم بتلمسان الذي بناه السلطان الزياني أبو تاشفين ، وحسب ما نقل عن مشايخ تلمسان أنه كانت تقام فيه ألعاب الزوارق ، ويتدرب فيه الجند على القتال البحري والسباحة [2] .

وقد شغف الملوك النورمنديّين في صقيلية بالفن الحمادي فقصورهم التي بنيت في القرن الثاني عشر استوحيت من قصور بجاية والقلعة ، ومن تصميم مهندسين حمّاديين، فالنافورة التي لا تزال مائلة إلى يومنا هذا والتي بنيت في مداخل قصر العزيز تذكر بالنافورة التي تقع في الزاوية الشرقية بقصر البحر وتعطي لنا صورة واضحة على الشاذروانات الجدارية التي ظهرت في القلعة ثم انتشرت في باقي بلاد المغرب (اللوحة 76 : الصورة 01 و02 و03) .

1- Solingnac (M) : Recherches sur les installations hydraulique de kairaunet des steppes Tunisiennes du VII au XII siècle , publication de ; L L.E .O.C , XXI , Alger 1952/53 ; P 5 - 273 .

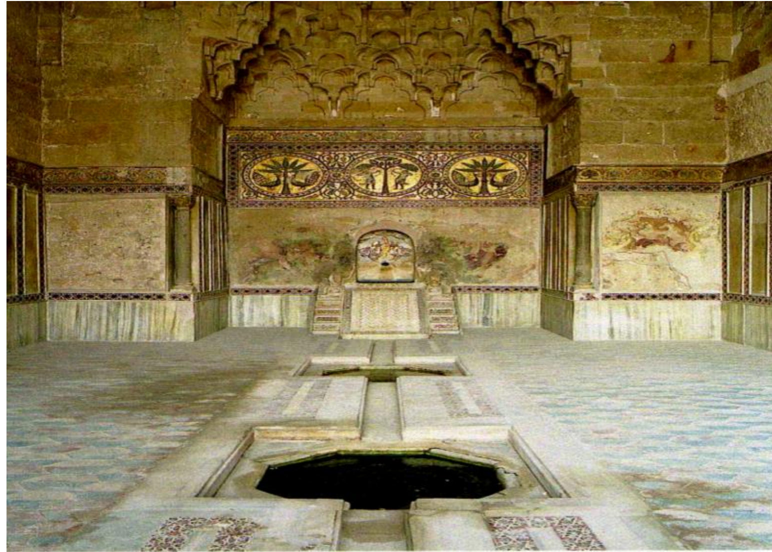
2 - Barges (J.J.L) : Telemcen ancien capital royaume du même nom , Dupart , Paris 1859 , P 59 .



الصورة 01 : شاذروان قصر العزيز بصقيلية



الصورة 02 : نافورة قصر العزيز بصقيلية



الصورة 03: شاذروان ونافورة قصر العزيز بصقيلية .

اللوحة 76: نماذج من شاذروان ونافورة النورمنديين ذات التأثير الحمادي بصقيلية .

وبعد دراسة المنشآت المائية المختلفة من شبكة القلعة من قنوات وصهاريج وأحواض ، تبين أن المعماري الحمادي استعمل تقنيات بسيطة تتماشى مع القواعد العامة للبناء ، فلم يراعي في بناء الصهاريج والأحواض التكلّف والتنميق بل كان يركز أساسا على الوظيفة .

ويمكننا إذا تخيل الجمال والرونق الذي كان يخيّم على عمائر القلعة ، ما أمكننا القول دون مجازفة أن الماء كان له دور في ذلك الجمال ، فهو يذكر بجنة الخلد التي تجري من تحتها الأنهار ، ورغبة المعماري والفنان المسلم الحمادي تجسيدها أو محاكاتها في الدنيا قبل الآخرة .

ويمكن مقارنة شكل الأسود بفوهات فسقيات و نافورات قلعة بني حماد بتحف أخرى معاصرة **كأسد اللوفر المصنوع في إسبانيا** (الصورة 55) .



الصورة 55 : أسد اللوفر المصنوع بإسبانيا . الأندلس .

وتدل كلها على الاستعمال المألوف لهذا الحيوان في زخرفة النافورات واستعمال هذا التقليد لدى الدول التي حكمت في الفترات اللاحقة كالدولة الناصرية بالأندلس ، فسواء في الشرق أو في الغرب ، الأسد كرمز وكشكل زخرفي، حاضر على جميع المواد وبأشكال مختلفة منقوشة ومنحوتة ومصبوغة ومنسوجة [1] .

1- Marçais, G., L'art musulman , Paris : PUF, 2 éd., 1962 . **Et voire** : Pujo, N., (dir), Venise et la Vénétie, Paris : Hachette Livre, 2006, P 94 .

وشكل الأسد دائما مرتبط بالسلطة والقوة كما أنه رمز قديم جدا بحضارات بلاد الرافدين ومصر والإغريق والرومان ، وكذا بالعالم الإسلامي منذ الفترة الأموية ، فتحتوي حمامات قصر خربة المفجر (بفلسطين) بواجهتها على تمثال للسلطان واقفا على قاعدة يحملها أسدان .

كما أن العنصر حاضر أيضا بالعمارة والتحف الفاطمية ، فالأسود المزدوجة كانت على مر الأزمان رمزا للقوة الوقائية من الشر، فكانت تعلق على الأبواب والأسوار خاصة عند الأيوبيين [1] .

إذ يعد الأسد رمزا إيجابيا في العالم الإسلامي ، والسقايات المزينة بالحيوانات كانت منتشرة بالبلدان المتوسطية كما تشهد على ذلك **صنابير السقايات البرونزية التي تتخذ شكل الأسد كعين مدينة الزهراء بالأندلس .**

إضافة إلى فسقية قصر الحمراء وهي رخامية يحملها اثنا عشر 12 أسدا، فوهة سقايتها على هيأة أسد (اللوحة 77 : الصورة 01 و 02) .

1- Marçais G : L'art musulman , Op.Cit , P 95 .



الصورة 01 : الساقية والحوض الأرضي المرتبط بنافورة الأسود بقصر الحمراء



الصورة 02 : حوض وفوهات نافورة الأسود بقصر الحمراء .

اللوحة 77: نموذج للتأثير الحمادي لنافورة الأسود بقصر الحمراء بغرناطة ـ الأندلس .

أما الشكل الهندسي للمربع ذو أربعة فصوص معروف خلال العصور القديمة والبيزنطية ، وقد أعاد المسلمون استعماله في سامراء (العراق) ، ويعتقد أنه مر من بلاد الرافدين إلى مصر الفاطمية ثم صقلية بالغرب المسيحي خلال القرن 7هـ/13 م ، كما نجدها عند الفاطميين **بقصر القائم بالمهدية (تونس) حيث تزين الفسيفساء الأرضية .**

ونجد في القاهرة هذا الشكل منقوشا على خشب محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة وبمنزل يعود للقرن 5 هـ/11م على شكل فسقية شبيهة بتلك التي عثر عليها بالقلعة [1].

كما أن الشاعر بن حمديس الصقلي بوصف بركة في قصر الأمير الحمادي المنصور بن الناصر بن علناس ببجاية أعطى لنا وصفا رائعا للفخامة والأبهة التي اتصفت بها القصور الحمادية خاصة عهد المنصور وجسّد هذا الشاعر بصفة دقيقة للأسود التي زينت هذه البركة في قوله :

وضراغم سكنت عرين رآسة تركت خرير الماء فيه زئيرا
فكأنما غشى النضار جسومها وأذاب في أفواهها البلورا
أسد كأن سكونها متحرك في النفس لو وجدت هناك مثير

ولا غرابة في ذلك فإن هذا الحيوان جسد كثيرا عند الحماديين ، فقد كشفت أعمال التنقيب المختلفة كثيرا لهذا النوع من الزخارف الحيوانية ، وتتمثل كما أشرنا آنفا في تماثيل لأسود استعملت كفوهات أو صنابير لنافورات ، ولعل فسقية الساحة الغربية لقصر المنار نموذج حي لشيوع اتخاذ هذا الحيوان في العمائر والزخارف المختلفة [2] .

ومن خلال ذلك كله يمكننا القول أن أحواض و فسقيات الفترة الحمادية ، كانت نتاج تأثر وتأثير بين **حضارة المشرق وإفريقية وبلاد المغرب الأقصى والأندلس وصقيلية** فيما بعد تحول القلعة إلى حاضرة المغرب وانتقل إليها سكان إفريقية التي تظهر قرائن حضورهم في اللمسات الفنية الرائقة التي كشفت عنها أعمال التنقيب ، **فأحواض الأغالبة**

1 - Marçais (G) : « Les figures d’hommes et de Bêtes dans les bois sculptés d’époque fatimide conservés au Musée arabe du Caire », in Mélanges d’histoire et d’archéologie de l’occident musulman, Alger : Imprimerie officielle, 1957, p. 81-92

2- الهاشمي (أحمد) : جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ـ لبنان 1999م ، ص 428 .

في القيروان و رقادة والفاطميين بعدهم كانت مصدر إلهام المهندسين الحماديين الذين نقلوا مظاهر التحضر والتمدّن إلى المغرب الأوسط .

وكان بذلك للقلعة دور مهم في استمرارية تقنيات إفريقية في المغرب الأقصى فقصور الموحدين في مراكش وبني مرين حافظوا على التقاليد المعمارية التي ترعرعت في المغرب الأوسط ، واستمرت في ربوع تلك الديار ، فكانت جلّ القصور تذكر في نمطها العام لدار البحر وصهريجها ، فقد كرّس هذا التقليد ببناء الأحواض الضخمة .

فكانت القلعة قناة التحضر التي وصلت بصماتها إلى صقلية وجنوب ايطاليا ، فيعد تأمل قصور النورمان في بالرمو Palerme وقصر العزيز وغيرها ، من المعالم التي وسمت بسمة الفن على عمائر القلعة .

فيمكننا القول دون مجازفة أن **الماء كان له دورا مهما في هذا الجمال فهو يذكر بجنة الخلد التي وعد المتّقون والتي تجري من تحتها الأنهار وأحب المعماري المسلم تجسيدها أو محاكاتها في الدنيا والآخرة .**

كما **واستجلب يوسف ابن تاشفين المرابطي من قرطبة عددا من الصنّاع إلى مدن المغرب الأوسط لبناء وترميم مساجدها وسقاياتها وحماماتها وخاناتها [1] ، وقد استفاد المرابطون من التقاليد المعمارية الأندلسية ، واقتبسوا أنظمتها الفنية المعمارية ، فظهرت بصمات المهندسين والفنانين الأندلسيين بمدينة تلمسان في الناحية العمرانية منذ العهد الموحدي و المرابطي[2] .**

وانتعش هذا التطوّر في وقت مبكّر بسبب استقدام خبراء من الخارج ، جاءوا معهم بالمعرفة الفنية المجربة التي يملكها سكّان المدن ، فنحن نعرف في الواقع أن مدينة فاس وغيرها من مدن المغرب الأقصى والمغرب الأوسط ، جاءها في الربع الأول من القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي (3هـ/9م) ، أي بعد تأسيسها بمدّة قصيرة ، فئتان من

1- رزوق (محمد) : الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب ...المرجع السابق ، ص 37
2 - فيلالي (عبد العزيز) : تلمسان في العهد الزياني ، ج 1 ، المرجع السابق ، ص 174 .

المواطنين الذين دخلوها على التوالي بعد أن أخرجوا من قرطبة والقيروان لأسباب سياسية ، ومن المعروف أنه كان بين الآتين من قرطبة على الأقل عدد كبير من الصنّاع ، وهكذا فقد كان هناك فن قيرواني أي شرقي ، ولعلّه كان فيه بقيّة من أثر البيزنطيين ، وفن قرطبي شرقي الأصل أيضا ، إلا أنه متأخر بما كان عند الرومان والايبريين ، وفن بربري ولا شك لأن القسم الأكبر من سكان المغرب الأوسط كانوا من البربر في بادئ الأمر .

فالتقنية الصناعية في المغرب الأوسط كانت منذ العهد المرابطي متأثرة إلى درجة بعيدة **بالأثر الأندلسي** ، وبقيت على ذلك أيام بني مرين وما بعدهم ، ويمكن التوكيد أيضا على أن الاندفاع ، فمن بين الصنائع التي كانت بالفترة المرينية كان هناك العاملون في قطع الرخام أو بتبليط عرصات البيوت ، فتشابهت العناصر المعمارية في المغرب الإسلامي خاصة النافورات منها والأحواض وكذا الفسقيات وإن استحدثت كانت دوما تحاف فيها على الشكل الأول (الصورة 56) .



الصورة 56 : نافورة أو ميضأة صحن جامع القرويين المرابطي بفاس . المغرب الأقصى .

كما وقد جاءت نماذج الأحواض المستطيلة المرينية كحوض مدرسة سيدي أبي مدين بالمغرب الأوسط ، شبيهة بأحواض مدارس المغرب الأقصى كحوض مدرسة بن يوسف بمدينة مراكش والتي شيدها السلطان أبو الحسن المريني عام 747هـ، 1346م (الصورة 57) [1] .



الصورة 57 : حوض مدرسة ابن يوسف بمراكش . المغرب الأقصى .

ولا ريب أن يكون ضمن الطبقات الاجتماعية التي ذكرها حسن الوزان فئة الأندلسيين الذين صاروا جزءا مهما للنسيج الاجتماعي في مملكة بني زيان وفئة بارزة من المجتمع الزياني[2] ، بحيث يصعب التمييز بينهم وبين الفئات الاجتماعية الأخرى بسبب الامتزاج والاندماج التدريجي في التركيبة السكانية لمدينة تلمسان ، ولكن هذا لا يعني أن الأندلسيين قد تخلّوا عن جميع عاداتهم وتقاليدهم الأندلسية ، ومن غير المستبعد أنّهم ظلّوا متمسكين بهذه العادات ، وفي الوقت نفسه ومع مرور الزمن تأثروا بالمحيط الاجتماعي لمدينة تلمسان الزيانية ، فحدث الامتزاج والاختلاط مع الفئات التلمسانية الأخرى .

1 - Meunier (j) et Terrasse (H) : Recherches archéologique à Marrakech publication de l'institut des hautes études marocaines , T. L . V , Art et Métiers graphiques , Paris , 1952 , P 52 .

2 - الوزان (حسن) : المصدر السابق ، ص 175 .

تطابقت تقنيات البناء والتخطيط الهندسي والعمراني المتشابهة بين المعالم التلمسانية والأندلسية ، خاصة الموجودة منها بإشبيليا وقرطبة وغرناطة و طليطلة و سراغوسة [1] ، وكانت لمنطقة المغرب الأوسط حظ من الهجرات الأندلسية ، وبالأخص في جناحها الغربي تحت حكم الزيانيين بمدينة تلمسان ، فقد كان عدد الوافدين عليها أكثر بسبب موقعها السياسي والاقتصادي ، وكونها من أبرز وأهم حواضر المغرب الأوسط خاصة والمغرب عامة ، فتلمسان كانت العاصمة السياسية والاقتصادية والثقافية للمملكة الزيانية.

فبعد سقوط الخلافة الأموية و دخول بلاد الأندلس في عصر الفتن ودويلات ملوك الطوائف ، بدأ الأندلسيون بالهجرة نحو عدّة مناطق من العالم الاسلامي ، وبالأخص بلاد المغرب القريبة منهم جغرافيا ومنها إقليم المغرب الأوسط ، إذ تحوّلت الهجرة الأندلسية إلى هذا الاقليم من نزوح فردي إلى نزوح جماعي في شكل جاليات كثيرة العدد خصوصا خلال القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي (7هـ/13م)، فقد كان للجالية الأندلسية تأثير واضح في الحياة الثقافية .

إذ نلمس مظاهر ذلك من خلال كل نشاط ثقافي أو ازدهار فكري أو أدبي أو فني في المغرب الإسلامي ، وبالخصوص في حواضر المغرب الأوسط ، فقد وفد على حاضرة تلمسان أندلسيون كانوا متفوقين على غيرهم في العلوم والفنون والآداب والصناعات ، فكان حضورهم النوعي والمعرفي بحاضرة تلمسان الزيانية له فائدة كبرى على الحركة الثقافية ، وكانت آثاره البارزة سببا في نشوء نشاط علمي وفكري وأدبي كبير وواسع ، يتضح في ميادين الصناعة والزراعة والتجارة .

ولم تبق تلك الوفود مجتمعة في مكان واحد ، بل توزّعوا في نواحيها وجهاتها ، بحسب ما برعوا فيه من المهن والحرف والأعمال ، وقاموا بمشاركة سكان المملكة الزيانية في

1- موساوي (عبد المالك) : تطابق فن الزخرفة بين تلمسان والأندلس ، الطبعة الأولى ، دار السبيل للنشر والتوزيع ، الجزائر 2012 م ، ص 7 .

زراعتهم وصناعتهم ، بل فاقوا من حيث الإتقان والجودة والسرعة في انجاز العمل ، ولأجل هذا كانت اليد العاملة الأندلسية هي المفضلة في تلمسان بدل اليد المحلية .

فاعتبر الأندلسيون بذلك من أبرز العناصر السكانية بسبب دورها الفكري وتأثيرها العمراني . من بناء وجمالية شكله وحسن زخرفته ، الذي مسّ جميع أنواع البنايات سواء كانت تابعة للسلاطين والدولة كالقصور والأسوار والأبراج والحمامات أو معالم دينية وتعليمية مثل المساجد والمدارس وكل عناصرها المعمارية التي منها عنصر النافورات و الميضآة و الفسقيات .

واستمر هذا التأثير العمراني الأندلسي في حضارة مدينة تلمسان بالعهد الزياني ، حيث وفد على سلاطين بني زيان مجموعة من المهندسين والبنائين من الأندلس ، والتي بعثها السلطان الغرناطي أبو الوليد (713 . 725 هـ/1313 . 1325 م) إلى الأمير الزياني أبي حمو موسى وابنه الأمير ابن تاشفين .

اتّسم استخدام المسلمين لهذه النوافير والقنوات المائية **بالرقة والاتّزان** حيث كان **الماء ينساب من هذه النوافير ضمن أحواض أو قناة المائية** وذلك لسببين وهما **ندرة الماء في البيئة المحيطة ، إضافة إلى أن الاسلام حثّ المسلمين على الاقتصاد وخاصة الماء.**

كما لعب الماء عنصر الحركة والصوت دورا كبيرا في تشكيل العناصر المائية للصحن ، حيث يضفي العنصر المائي للمبنى الإسلامي عنصر الصوت الجمالي من حيث أن انسياب الماء من الشاذروان أو القنوات التي بالفسقيات يضفي صوتا هادئا يذكي الحواس ، كما أن ارتباط الماء بالحركة والجريان عائد إلى وصف الماء في الجنة في قوله تعالى : " أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجّر الأنهار خلالها تفجيرا " [1] .

1- القرآن الكريم ، سورة الاسراء ، الآية 91.

وقد استخدم المصمّمون المسلمون عدد من التقنيات في **إظهار حركة الماء ، فمن استخدام النوافير الرقيقة التي تلقي الماء ضمن إطار الحوض ، إلى الشلالات التي ميّزت انسياب ماء الشاذروان ، وفي المسطحات المائية الكبيرة التي من الصعب تحريكها ، فاستخدم انعكاس العناصر المعمارية في المبنى على سطح الماء لإعطاء انطباع جمالي خاص ، فعمل الماء كمرآة تكرّر الزخارف والأشكال وتكسبها أبعادا جديدة خارقة للطبيعة ، وأن هذا التأثير جيد سواء استخدم في المناطق المغلقة أو المفتوحة [1] .**

كما أن جريان الماء في النافورة والقنوات يمثّل التجدّد الأبدي بينما تمثل البركة انعكاسا لإقامتنا المستقبلية في الجنة ، وبالتالي فإن الحوض الذي يتوسط المبنى الإسلامي تمثل البوابة لجنات عدن الموعودة [2] ، كما هو الحال بحوضي مدرسة بن يوسف بمراكش وحوض مدرسة سيدي أبي ومدين بتلمسان.

1 - Grube (Ernst) et other : Architecture of the Islamic world , The History and social Meaning , Hong Kong , Thomas and Hudson , 1996 , P 157 .

2 - Maurieres (Arnold) : and Eric Oscar ; Paradise Gardens landscape , Gardening in the Islamic Tradition , U.K.I.B , Tauris , 2001 , P 64 .

الخاتمــة

استخدم المصمّمون المعماريون بالمغرب الأوسط عدد من التقنيات في إظهار حركة الماء ، فمن استخدام القنوات الرقيقة التي تلقي الماء ضمن إطار الحوض ، إلى الشلالات التي ميزت انسياب الماء كما هو الحال بالنافورات أو الميضآت و بالشاذروانات، وكذا بالأحواض المائية الكبيرة التي تتوسط بعض المنشآت ، واستخدمت لانعكاس المبنى على سطح الماء لتعطي انطباعا جماليا خاصا ، و كأن الماء يقوم بدور مرآة تكرر الأشكال والعناصر والزخارف فتكسبها أبعادا جديدة خارقة للطبيعة ، وهذا التأثير جيّد سواء استخدم في المناطق المغلقة أو المفتوحة .

وجريان الماء في النافورة يمثل التجدّد الأبدي ، بينما تمثل الانعكاسات في الأحواض انعكاسا لإقامتنا المستقبلية في الجنة فهي بمثابة بوابات لها ، لذلك اهتم بها المسلمون وأوجدوها بمنشآتهم ، ليتّسم استخدامهم لها بالرقة والاتزان لما تحمله من قيمة .

كما تتجلى أهمية المنشآت المائية في رفاهية المدن ، من خلال كثرة العمائر داخلها خاصة المساجد والحمامات ، حيث تشير إلى وفرة المياه ودقة توصيله إلى الخارج ، مما يبين مدى رفاهيتها ، لأنها تعكس صورة حقيقية عن نجاعة تخطيط المدينة الإسلامية .

واتضحت لنا أيضا العلاقة الشكلية والوظيفية المشتركة بين **الحوض و النافورة أو الفسقية أو الميضأة** .

فمنها ما يعود للفترة الحمادية إذ وجدنا فسقية بقصر المنار وأخرى بقصر البحر بقلعة بني حماد بالمسيلة ، والأحواض الممولة لها بالماء والمنتشرة بعمارة القلعة ، و أكثر مبانيها **اندثرت** ولم يبق منها إلا المكان وبعض الأطلال كإشارة لوجودها ، وما يعود للفترات الأخرى والتي لازالت قائمة منها : المرابطية بتلمسان إذ نجد نافورة بصحن الجامع الكبير والحوض الدائري رغم حداثة بناءه إلا أنه حلّ محل القديم ، و بالفترة الزيانية بتلمسان النافورة أو الميضأة التي تواجدت بصحن مسجد سيدي ابراهيم المصمودي ، وحوض قلعة المشور الصليبي ونافورته التي تعد نموذجا لباقي نافورات القلعة ، ورغم

حداثتهما إلا أننا قمنا بدراستهما على أساس الشبه بالأصل ، إضافة إلى الفترة المرينية لنفس المدينة فنجد نافورة أو ميضأة بمسجد سيدي أبي مدين ومدرسته وأخرى بمسجد سيدي الحلوي ، وإن كانت بأشكال متفاوتة نوعا ما خاصة من حيث عناصرها ، إلا أننا وجدناها لنفس الوظيفة عموما ألا وهي الوضوء بالعمارة الدينية والتزيين بالعمارة المدنية ، **مع ذكر أيضا المزود الرئيسي للماء لمدينة تلمسان عبر الفترات الثلاثة الأخيرة ، فوجدناه يختلف عن قلعة بني حماد التي اعتمدت على الأحواض بأحجام وأشكال مختلفة عكس مدينة تلمسان مزودات نافوراتها وأحواضها كانت من مياه الخزّانات والآبار ، لنوضح بذلك مدى تفاعل العنصران " النافورة والحوض " وظيفيا .**

ومن خلال دراستنا و التي عنت النافورات المائية بالمغرب الأوسط وما تعلق بها من أحواض ، بداية من الفترة الحمادية إلى غاية نهاية الفترة المرينية ، تعرّضنا لعدة عناصر هامة تدور في الحيز المكاني والزماني للموضوع ، وقد شملت هذه الدراسة مجموعة من الأحواض و النافورات و الميضآت المتواجدة بالعمائر الدينية والمدنية والعسكرية من أجل الزينة وتلطيف الجو بالمقارنة بينهما ، وتوصلنا إلى نتائج عامة كانت من خلال المقارنة بين نماذج الدراسة ، ونتائج خاصة جاءت من خلال دراسة كل نموذج على حدى لنستنتج مجموعة من الخلاصات وأهمها:

– وجدنا النافورات بالعمائر معظمها في الصحن ، فبالمساجد كانت لوظيفة الوضوء بالدرجة الأولى وكعنصر معماري تزييني بالدرجة الثانية ، لذلك وجدنا نوعين منهما ، ذات الشكل البسيط التي تحتوي على تويج غير مرتفع ، والتي تستعمل حوضها لغرف ماء الوضوء ، و النوع الثاني وهو المستعمل كعنصر معماري تزييني والذي يستخدم الحوض الأرضي للنافورة لغرف ماء الوضوء ويكون مزود في الأرضية المحيطة به بمصاريف للمياه .

- توحدت وظيفة النافورات بداخل صحون بعض المساجد والمدارس مع الميضآة ، وانعدمت النافورات بالمساجد البسيطة .

- وتحاط أغلب الميضآت بمقاعد من الحجر أو الرخام المزدانة ببلاطات خزفية ، والمقاعد قد تكون بشكل متواصل أو متقطع التواصل .

- أما النافورة بالعمارة المدنية فإنها تستعمل لتلطيف الجو والزينة ، فهي ذات هدف تجميلي بالدرجة الأولى ، حيث تتوسط أو تحتل ركن من أركان صحونها ، وكما تتوسط الأفنية الداخلية للقصور حيث تكون بمثابة معدل للحرارة أيام الحر ، كما تضع بالقرب من أماكن الجلوس من أجل التمتع بمنظر المياه المتدفقة .

- معظم النافورات موضوع دراستنا صنعت من مادة الرخام لنظارة وجمال هذه المادة، كما أنها كانت تتشابه إما من حيث الشكل أو مادة الصنع أو بنوعية الزخرفة .

- تعدّ النافورة من بين العناصر المعمارية ذات هدف وظيفي إضافة إلى أنها ذات هدف تزييني ، فقد اختصت بها منشآت الأثرياء والحكام والطبقات العليا من المجتمع دون طبقات المجتمع الأخرى .

- تركيب أجزاء مستحدثة للنافورة أو الميضأة ، حيث يختلف نوع الرخام بالحوض الأصلي عن نوع الحوض الحديث أو أجزاء الجذع والحوض الثاني المضاف ، بسبب الترميم العشوائي .

واحتلت الزخارف النباتية والهندسية مكان الصدارة بين الزخارف الأخرى على نماذج موضوع دراستنا ، ويعود ذلك إلى ارتباط عنصر النبات مع الماء ذو العلاقة الوثيقة مع النافورات ، كما وجدت أنواع أخرى من الزخارف ، والتي كانت في الغالب عبارة عن أطر لزخارف نباتية ، أما الزخرفة الحيوانية فقد نفذ منها عنصر له علاقة وطيدة مع الماء والمتمثل في عنصر السمك وجدناه بزخارف شاذروان قصر المنار بقلعة بني حماد ، إضافة إلى شكل الأسد وفوهته التي وظفت كقناة لخروج الماء بفسقية قصره .

تلك هي بعض النتائج التي تم التوصل إليها من خلال دراستنا لنماذج من النافورات والتي احتوت عليها عمائر ومدن فترة بحثنا المتواضع ، وأهمها قلعة بني حماد ومدينة تلمسان .

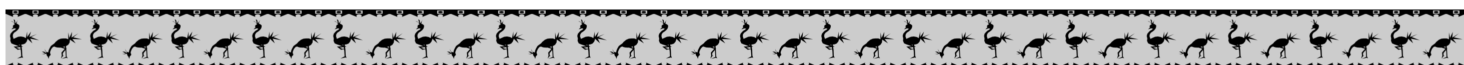
إضافة إلى بعض الملاحظات التي يجب إدراجها والإشارة إليها خاصة وأن معظم تلك المعالم الأثرية التي احتوت على الأحواض والنافورات تعاني قلة الاهتمام والترميم والصيانة ، حتى وإن نالت القسط القليل منها إلا أن ما يعيب على تلك الاعمال أنها تسند إلى غير أهل الصنعة من المختصين .

وعلى ضوء هذه الملاحظات ، يستوجب على السلطات المعنية الالتفاف إلى تلك العمائر ومحتوياتها وإعادة إحياء البعض منها ، فوعينا الحضاري والثقافي لا ينعكس إلا من خلال حفاظنا على عناصر تراثنا ، وخسارة هذا الارث الثمين هو خسارة لجزء هام من شخصيتنا وتاريخنا ، فلذلك يتوجب علينا جميعا الحفاظ عليه .

وختاما نأمل أننا قد وفقنا ولو بجزء ضئيل في معالجة هذ الموضوع والإجابة على بعض التساؤلات المتعلقة به ، كما نأمل أن يكون هذا البحث مفتاح لدراسة شاملة لما تبقى من العناصر المعمارية المائية وصناعتها .

تم بعون الله وقدرته

قائمة المصادر و المراجع



أولا - المصــادر :

1. القرآن الكريم برواية ورش عن الإمام نافع .
2. الحديث النبوي الشريف .
3. **ابن أبي زرع (أبو عبد الله محمد بن علي الفاسي)** : ت **726 هـ/ 1324 م** : الأنيس المطرب بروض القرطاس في ذكر ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط 1972 م .

- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، راجعه : بن منصور عبد الوهاب ، المطبعة الملكية ، الطبعة الثانية ، الرباط 1999م .

4. **ابن أبي دينار القيرواني (أبي عبيد الله محمد بن القاسم) : ت 1110 هـ / 1698 م** ، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، دار النهضة ، تونس 1350هـ
5. **ابن أبي الربيع (شهاب الدين أحمد بن محمد) : ت سنة 272 هـ** : سلوك المالك في تدبير الممالك ، تحقيق عارف أحمد عبد الغني ، دار كنان . الرياض .
6. **ابن الأثير (عز الدين أبي الحسن) : ت 630 هـ /1233 م** ، الكامل في التاريخ ، المجلد السابع ، دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر . بيروت 1386 هـ/1966 م .
7. **ابن الأحمر (أبو الوليد اسماعيل) : ت 807 هـ/1404 م** ، روضة النسرين في دولة بني مرين ، تحقيق : بن منصور عبد الوهاب ، منشورات مطبعة القصر الملكي ، الرباط 1962 م .

_ تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان ، تحقيق هاني سلامة ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة 2001 م ، الطبعة الأولى .

8. **ابن بسام (أبي الحسن علي) : ت : 542 هـ** : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، القسم الأول ، المجلد الأول ، تحقيق : د. حسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت . لبنان 1417 هـ/1997 م.
9. **ابن جبير (أبي الحسن محمد بن أحمد) : ت 614 هـ / 1217 م** ، رحلة ابن جبير ، دار القصبة للنشر ، الجزائر 2001 م .

10. **ابن حزم الأندلسي(أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد) : ت 456 هـ** : جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام هارون ، الجزء السادس ، الطبعة الخامسة ، دار المعارف ، القاهرة 1962 م .

11. **ابن حوقل (أبو القاسم النصيبي) : ت 380هـ/990 م** ، صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت لبنان 1992 م .

12. **ابن الخطيب (لسان الدين) : ت 776هـ /1374 م** ، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط ، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام ، تحقيق وتعليق الدكتور أحمد مختار العبادي والاستاذ محمد ابراهيم الكتاني ، دار الكتاب ، دار البيضاء 1964 م .

13. **ابن خلدون (أبو زكريا يحي) : ت 780 هـ / 1378 م** ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، المجلد الأول ، مطبعة بيير فونطانا الشرقية ، الجزائر 1321 هـ/ 1903 م .

- بغية الرواد في ذكر الملوك من عبد الواد ، تقديم وتحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات ، الجزء الأول ، المكتبة الوطنية ، الجزائر 1980 م

14. **ابن خلدون (عبد الرحمان بن محمد) : ت 808 هـ/1406 م** المقدمة ، تحقيق : عبد الواحد وافي ، الطبعة الثانية ، مطبعة لجنة البيان العربي 1967 م .

- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، الجزء الرابع ، دار الكتاب اللبناني بيروت 1968 م .

- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي اللطان الأكبر ، الجزء السادس ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت . لبنان 1431 هـ/2000 م

- كتاب العبر، الجزء الثالث عشر منشورات دار الكتاب اللبناني . بيروت لبنان 1983 م .

15. **ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر) : ت : 681 هـ**، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة .

16. **ابن كثير (أبو الفداء اسماعيل بن عمر) : ت : 774 هـ** : تفسير القرآن العظيم، تحقيق : سامي بن محمد سلامة ، الجزء الخامس ، الطبعة الثانية ، دار طيبة للنشر ، الرياض 1999م .

17. ابن مرزوق (محمد) : ت 781 هـ /1379 م ، المسند الصحيح في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن ، تحقيق : ماريا خيسوس بيغيرا ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1981 م

18. ابن مريم (أبو عبد الله) : ت 1020هـ/1616م ، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، المطبعة الثعالبية ، الجزائر 1908 م .

19. ابن صاحب الصلاة (عبد الملك) ت : 594هـ ، المن بالإمامة ، تحقيق عبد الهادي التازي ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، بيروت الطبعة الأولى 1964 م

20. الإدريسي (الشريف محمد بن عبد العزيز) : ت 548 هـ/1154 م ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، المجلد الأول ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة 1422هـ/2002 م .

– المغرب العربي ، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، تحقيق وتعجيم: محمد حاج صادق ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1983 م .

– نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، جزء خاص بالمغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، جورجي وودي جورج ، مطبعة بريل ليدر 1998 م .

– وصف افريقية الشمالية والصحراوية (من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) : صححه هنري بيبرس ، الجزائر 1975 م .

21. الأصطخري (أبو اسحاق ابراهيم) : ت 346 هـ : المسالك والممااليك ، تحقيق: محمد جابر عبد العالي وغربال محمد شفيق ، دار القلم ، القاهرة 1961 م .

22. البرزلي (أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي) : ت 844 هـ : فتاوى البرزلي " جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام ، تقديم : محمد الحبيب الهيلة ، الطبعة الأولى ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت . لبنان 2002 م .

23. البكري (أبو عبيدة) : ت 487 هـ / 1094 م ، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، نشر البارون دوسلان 1965 م .

24. البيذق (أبو بكر بن علي الصنهاجي) : ت ق 6 هـ/12 م ، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط 1971 م .

25. التنسي (محمد بن عبد الله) : ت 899 هـ/ 1494 م ، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان ، مقتطف من نظم الدر والعقبان في بيان شرف بني زيان ، تحقيق محمود بوعباد ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1985 م .

26. الحميري (عبد المنعم السبتي) : ت 900 هـ/ 1501 م ، الروض المعطار في أخبار الأقطار ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، الطبعة الثانية ، مكتبة لبنان . بيروت 1994 م .

27. الزركشي (بدر الدين محمد بن بهار) : ت 794 هـ ، إعلام الساجد بأحكام المساجد ، تقديم واعتناء أيمن صالح شعبان ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1995م .

28. الزهري (أبي بكر) : ت : 124هـ : كتاب الجغرافية ، تحقيق : محمد حاج صادق ، المركز الاسلامي للطباعة ، الجيزة .

29. العبدري (أبو عبد الله محمد) : ت : 720 هـ : الرحلة المغربية ، تقديم : أ . د سعد بوفلاقة ، منشورات بونة للبحوث والدراسات ، 1428هـ/2007 م .

30. العسكري (أبو الحسن بن عبد الله بن سعيد) : ت : 293 . 382 م : شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ، الجزء الأول ، القاهرة 1326 هـ / 1990 م .

31. العمري (شهاب الدين أحمد بن فضل) : ت : 749 هـ: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق د . حمزة أحمد عباس ، الجزء الرابع ، المجمع الثقافي أبو ظبي 2002 م.

32. الغبريني أبو العباس (أحمد بن أحمد بن عبد الله) : ت : 714 هـ/1315م، عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تحقيق : بونار رابح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، الجزائر 1981 م .

33. الغرناطي (أبو عبد الله محمد بن مالك الطغنري) : القرن 5 هـ/11 م ، زهرة البستان ونزهة الأذهان ، ترجمة وتحقيق : محمد مولود خلف المشهداني ، الطبعة الأولى ، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية 2005 م .

34. القلقشندي (أبو العباس أحمد) : ت 821 هـ / 1418 م ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، الجزء الأول ، المؤسسة المصرية العام للتأليف ، د . ت.

_ نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، تحقيق ابراهيم الأبياري ، الطبعة الثالثة ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة 1959 م .

35. المراكشي (عبد الواحد) : ت : 647 هـ/1250 م : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق : خليل عمران المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى 1998 م .

36. المراكشي (ابن عذارى) : ت : 712 هـ / 1313 م ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، الجزء الأول ، تحقيق : ج . س كولان و ليفي بروفنسال ، الطبعة الثالثة ، دار الثقافة ، بيروت 1983 م .

– البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، الجزء الأول ، مطبعة بريل ، لندن 1984 م .

– البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، الجزء الرابع ، تحقيق محمد ابراهيم الكتاني وآخرون . دار الغرب الاسلامي . بيروت 1985 م .

37. المقدسي (شمس الدين أبي عبيد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر) : ت 377 هـ /987 م : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، الطبعة الثانية ، بغداد .

38. المقريزي (تقي الدين) : ت 845 هـ / 1451 م ، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ، الجزء الثاني ، دار صادر بيرو ، د . ت .

39. المقري (أبو العباس محمد أحمد بن محمد التلمساني) : ت 1041 هـ / 1631 م ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، الجزء الخامس ، دار صادر بيروت 1388 هـ/1968 م .

40. مؤلف مجهول : الحلل الموشية في الأخبار المراكشية ، حققه : سهيل زكار و عبد القادر زمامة ، الطبعة الأولى ، الدار البيضاء ، دار الرشاد الحديثة 1979م .

41. مؤلف مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار (ق 6 هـ /12 م) ، نشر ألفرد دوكريمر ، المطبعة الملكية ، فينا 1852 م .

42. مؤلف مجهول : الاستبصار في معرفة الأمصار (وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب) تعليق : سعد زغلول عبد الحميد ، دار الشؤون الثقافية ، الطبعة الثانية ، بغداد 1986 م .

43. مؤلف مجهول (712 هـ) مفاخر البربر : دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، الطبعة الأولى ، الرباط : دار أبي رقراق للطباعة والنشر 2005 م .

44. الناصري السلاوي (أبو العباس) : ت 1315 هـ / 1897 م ، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى ، الجزء الثاني والثالث ، دار الكتاب ، الدار البيضاء 1954 م

45. النويري (شهاب الدين) : ت 733 هـ / 1333 م ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق : حسين نصار ومراجعة : عبد العزيز الأهواني ، الجزء الرابع والعشرين، المجلس الأعلى للثقافة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1403 هـ/1983 م

- نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق : محمد أبو ضيف أحمد ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء 1984 م .

46. النميري (ابن الحاج) : ت 768 هـ / 1366 م ، فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة و الزاب ، دراسة وإعداد محمد بن شقرون ، الرباط 1999 م .

47. النيسابوري (حافظ أبو عبد الله الحاكم) : ت : 748 هـ : مستدرك الحاكم ، دار ابن حزم . مسند أبو هريرة ، ومسند أحمد ، بيروت 2007 م ، الجزء الرابع ، الطبعة الأولى .

48. الوزان (حسن) : ت 975 هـ / 1550 م ، وصف افريقيا : الجزء الثاني ، ترجمة : محمد حجي ومحمد لخضر ، الطبعة الثانية ، دار العرب الاسلامي ، 1983م

- وصف إفريقيا ، ترجمة عبد الرحمن حميدة ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر 2005 م .

49. الونشريسي (أبو العباس أحمد بن يحي) : ت : 914 هـ ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب ، إخراج وتحقيق محمد حجري وآخرون ، الجزء الرابع ، دار الغرب الاسلامي ، 1981 م .

50. اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب اسحاق بن واضح) : ت : 284 هـ : البلدان، وضع حواشيه : ضناوي محمد أمين ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، بيروت 2002 م .

ثانيا . المراجـــع:

1. أحمد طه (جمال) : مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين ، دراسة سياسية وضارية ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الاسكندرية 2001 م .

2. أجيوس (ديونيسيوس) : التأثير العربي في أوربا العصور الوسطى ، ترجمة : قاسم عبده قاسم ، دار روتابرينت للطباعة ، الطبعة الأولى 1999 م .

3. اسماعيل (محمود) : حركة الخوارج في بلاد لمغرب الاسلامي ، دار العودة . بيروت 1976 م .

4. أصلا آبا (أوقطاي) : فنون الترك وعمائهم ، ترجمة : أحمد محمد عيسى ، الطبعة العربية الأولى ، استانبول 1987 م .

5. الألفي (أبو صالح) : الفن الاسلامي : أصوله ، فلسفته ، مدارسه ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، د . ت .

6. باسيليو نابون (مالدونادو) : العمارة الأندلسية " عمارة المياه " ، ترجمة : علي ابراهيم علي منوني ، مراجعة : محمد حمزة اسماعيل الحداد ، مكتبة زهراء الشرق ، الطبعة الأولى 2008 م .

7. بروفنسال (ليفي) : حضارة العرب في الأندلس ، ترجمة دوفان قرطوط ، بيروت . لبنان ، منشورات دار مكتبة الحياة ، د . ت.

8. باكار (أندري) : "المغرب والحرف التقليدية" ، المجلد الأول ، نشر أتولييه 74 ، ايطاليا 1981 م.

9. بن قربة (صالح يوسف) : علم الآثار والهوية المغربية ، دار الهدى ، الجزائر 2012 م .

10. بن قربة (صالح يوسف) : المسكوكات في الحضارة العربية الاسلامية ، مسكوكات المشرق والمغرب ، الجزء الثاني ، منشورات الحضارة ، الطبعة الأولى ، الجزائر 2009 م .

ـ تاريخي مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد في العصر الاسلامي . دراسة تاريخية وأثرية، منشورات الحضارة ، الطبعة الأولى ، الجزائر 2009 م .

ـ عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1991 م .

ـ المسكوكات المغربية من الفتح الاسلامي حتى سقوط دولة بني حماد ، الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب 1986 م .

ـ المسكوكات في الحضارة الاسلامية (مسكوكات المغرب) ، الجزء الثاني ، الطبعة الأولى ، الجزائر منشورات الحضارة 2009 م .

ـ من قضايا التاريخ والآثار في الحضارة العربية الاسلامية ، دار الهدى ، عين مليلة الجزائر 2012 م .

ـ تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر ، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 م ، الجزائر 2007 م .

11. بن عميرة (محمد) : دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الاسلامي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984 م .

12. بوعزيز (يحي) : الموجز في تاريخ الجزائر ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية ، ديوان المطبوعات الجامعية 2007 م .

ـ المساجد العتيقة في الغرب الجزائري ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، الجزائر 2009م .

13. بورويبة (رشيد) : الدولة الحمادية . تاريخها وحضارتها ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1397 هـ / 1977 م .

ـ الجزائر في عهد الحماديين ، تعريب : د . محمد بلقراد من كتاب الجزائر في التاريخ في العهد الاسلامي ، من الفتح إلى بداية العهد العثماني ، الجزء الثالث ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984 م .

ـ الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية ، ترجمة ابراهيم شبوح ، الجزائر 1979 م .

14. بورويبة(رشيد) ، دهينة(عطا الله) : الجزائر في التاريخ من الفتح إلى بداية العهد العثماني ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984 م .

15. البهنسي (عفيف) : الفن الاسلامي ، الطبعة الأولى ، طلاس للدراسات والترجمة والنشر 1986 م .

ـ دراسات نظرية في الفن العربي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1974م .

ـ العمارة عبر التاريخ ، دمشق 1987 م .

16. حسن (أحمد محمود) : تاريخ المغرب والأندلس ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، الطبعة الأولى 1999 م .

17. حلاق (حسن) : تاريخ العلوم والتكنولوجيا عند العرب ، دار النهضة العربية بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 2007 م .

18. حيدر (كامل) : العمارة العربية الاسلامية ، نشوء المدارس الاسلامية وخصائصها في العصر العباسي ، الطبعة الأولى ، دار الفكر اللبناني 1990 م

19. الحريري (محمد عيسى) : تاريخ المغرب الاسلامي والأندلس في العصر المريني، الطبعة الأولى ، دار القلم للنشر والتوزيع 1405 هـ/1985 م .

20. الحسيني (محمود حامد) : الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة 1517 هـ / 1798م، مكتبة مدبولي ، القاهرة 1988 م .

21. جودي (محمد حسين) : العمارة العربية الاسلامية خصوصيتها ، ابتكاراتها ، جمالياتها ، الطبعة الأولى ، دار الميسرة ، عمان . الأردن 1419 هـ /1998 م .

22. الجيلالي (عبد الرحمن) : تاريخ الجزائر العام ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية ، مكتبة الشركة الجزائرية 1397هـ/1977 م .

23. خلوصي (محمد ماجد عباس) : عمارة المساجد تصميم وتاريخ وطراز وعناصر خمسة وثلاثون مسجدا ، 1998 م .

24. دبوز (محمد علي) : تاريخ المغرب الكبير ، الجزء الأول ، القاهرة 1963 م .

25. ديماند (م. س) : الفنون الاسلامية ، ترجمة : أحمد محمد عيسى ، مراجعة أحمد فكري ، دار المعارف ، الطبعة الثالثة 1967 م .

26. الدراجي (بوزيان) : نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1993 م .

27. رفعت (موسى محمد) : الوكالات والبيوت الاسلامية في مصر العثمانية ، الطبعة الأولى ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة 1993 م .

28. الرفاعي (أنور) : الاسلام وحضارته ونظمه الإدارية والسياسية والأدبية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والفنية ، الطبعة الثالثة ، دار الفكر ، دمشق . سوريا 1422 هـ / 2002 م .

29. زغلول (سعد عبد الحميد) : تاريخ المغرب العربي (ليبيا وتونس والجزائر والمغرب) ، من الفتح العربي حتى قيام دولة الأغالبة و الرستميين والأدارسة ، دار المعارف ، القاهرة 1965 م .

30. سالم (عبد العزيز) : في تاريخ وحضارة الاسلام في الأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع ، الاسكندرية 1985 م .

ـ تاريخ المغرب الكبير ، العصر الاسلامي دراسة تاريخية وأثرية وعمرانية ، الجزء الثاني ، النهضة العربية ، بيروت 1981 م .

ـ تاريخ المغرب في العصر الاسلامي ، جامعة الاسكندرية 1982 م .

31. سعد زغلول (عبد الحميد) : العمارة والفنون في دولة الاسلام ، مطبعة الأنصار ، الاسكندرية ، د . ت .

ـ تاريخ المغرب العربي ، مطبعة الأطلس ، القاهرة 1978 م .

32. شافعي (فريد) : العمارة العربية في مصر الاسلامية ، المجلد الأول ، عصر الولاة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر 1970 م .

ـ العمارة الاسلامية في مصر العربية ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر 1970 م

33. شاوش (الحاج محمد بن رمضان) : باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة بني زيان ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون . الجامعية 1995 .

34. الشعراوي (محمد متولي) : قصص الأنبياء ، مراجعة وجمع المادة العلمية والحواشي منشاوي غانم جابر ، دار الكتب العلمية ، الجزء 2، بيروت . لبنان .

35. الصلابي (علي محمد) : دولة المرابطين ، الطبعة الأولى ، دار ابن الجوزي ، القاهرة 2007 م .

36. الطمار (محمد) : الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1983 م .

ـ تلمسان عبر العصور ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984 م .

37. عبد الجواد (توفيق أحمد) : العمارة الاسلامية فكر وحضارة ، المكتبة الأنجلو مصرية 1987 م .

38. عقاب (محمد الطيب) : قصور مدينة الجزائر أواخر العهد العثماني ، دار الحكمة ، 2000 م .

39. عكاشة (ثروة) : القيم الجمالية في العمارة الاسلامية ، دار الشروق ، الطبعة الأولى ، القاهرة 1994 م .

40. فكري (أحمد) : مساجد القاهرة ومدارسها ، الجزء الثاني ، دار المعارف ، مصر 1999 م .

41. فيلالي (عبد العزيز) : تلمسان في العهد الزياني ، الجزء الأول ، موفم للنشر ، الجزائر 2007 م .

42. القليوني (باهر عبد الحميد) : علم الصخور المتحولة ، مطابع جامعة الملك سعود ، السعودية 1998 م .

43. عبد الرؤوف الفقي (عصام الدين) : تاريخ المغرب والأندلس ، جامعة القاهرة ، مكتبة الشرق 1984 م .

44. عبد الجواد (توفيق أحمد) : تاريخ العمارة الاسلامية، الجزء الثالث ، القاهرة 1970 م .

45. عبد الوهاب (حسن حسني) : ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية ، الجزء الأول ، مكتبة المنار ، تونس 1965 م .

46. عثمان (محمد عبد الستار) : نظرية الوظيفة بالعمائر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر 2000 م .

ـ تطبيقات في الجيولوجيا العامة ، الطبعة الثانية ، دار المريخ للنشر الرياض المملكة السعودية 2002 م .

47. عز الدين (محمد) : علم المعادن : الطبعة الرابعة ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة 1977 م .

48. عويس (عبد الحليم) : دولة بني حماد . صفحة رائعة من التاريخ الجزائري ، الطبعة الثانية ، دار الصحوة للنشر والتوزيع ، القاهرة 1411هـ / 1991 م .

49. العبادي (أحمد مختار) : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، الاسكندرية 1968 م .

50. العربي (اسماعيل) : دولة بني حماد ، ملوك القلعة وبجاية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر . 1980 م .

51. العروسي المطوي (محمد) : الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ، طبعة جديدة ومنقحة ، بيروت . لبنان ، دار الغرب الاسلامي 1928 م .

52. العروي (عبد الله) : مجمل تاريخ المغرب ، الجزء الأول ، الدار البيضاء ، المغرب . المركز الثقافي العربي 2007 م .

53. غانم (محمد الصغير) : التوسع الفينيقي في غرب البحر الابيض المتوسط ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1992 م .

54. فرحاتي (فتيحة) : نوميديا من حكم الملك جايا إلى بداية الاحتلال الروماني 213 ق . م . 46 ق. م ، أبيك منشورات 2007 م .

55. كربخال (مرمول) : إفريقيا ، ترجمة عن الفرنسية محمد حجي ، محمد زنيبر ، محمد الأخضر ، أحمد التوفيق ، أحمد بن جلون ، الرباط . مكتبة المعارف ، المغرب 1984 م .

56. ماهر (سعاد محمد) : مساجد في السيرة النبوية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1987 م .

57. مؤنس (حسين) : تاريخ المغرب وحضارته من قبل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر . من القرن 6 م إلى القرن 16 م ، الطبعة الأولى ، العصر الحديث للنشر والتوزيع ، بيروت 1992 م .

58. مرزوق (عبد العزيز محمد) : الفنون الزخرفية الاسلامية بالمغرب والأندلس ، دار الثقافة بيروت ، د . ت .

59. مصطفى (صالح لمعي) : التراث المعماري الاسلامي في مصر ، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية للطباعة والنشر . بيروت ، د . ت .

60. مورينو (مانويل جومث) : الفن الاسلامي في الأندلس ، ترجمة : لطفي عبد البديع وعبد العزيز سالم ، مراجعة : جمال محمد محرز ، مؤسسة شباب جامعة الاسكندرية ، د . ت.

61. الماحي (علي حامد) : المغرب في عصر السلطان أبي عنان المريني ، دار النشر العربية ، الدار البيضاء 1986 م .

62. المدني (أحمد توفيق) : كتاب الجزائر ، المطبعة العربية ، الجزائر 1350 هـ/1931 م .

63. المنّوني (محمد) : حضارة الموحدين ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ، 1989 م .

64. الميلي (مبارك بن محمد) : تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، الجزء الثاني ، تحقيق وتصحيح : محمد الميلي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر د . ت .

65. لعرج (عبد العزيز) و آخرون : مساهمة الجزائر في الحضارة العربية الاسلامية ، منشورات المركز الوطني للدراسات والأبحاث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 م ، الكرامة والطباعة والنشر والاتصال ، الجزائر 2007 م .

66. لعرج (عبد العزيز) : الزليج في العمارة الاسلامية في العصر التركي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الطبعة الأولى ، الجزائر 1990 م .

ـ جمالية الفن الاسلامي في المنشآت المرينية بتلمسان ، الطبعة الأولى ، دار الملكية 2007 م .

67. لقبال (موسى) : المغرب الاسلامي ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1981 م.

ـ المغرب الاسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج ، سياسة ونظم ، الطبعة الثانية ، الجزائر 1981 م .

68. لمعي (صالح مصطفى) : القباب في العمارة الاسلامية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت . لبنان ، د . ت .

69. الولي (طه) : المساجد في الاسلام ، دار العلم للملايين ، بيروت 1988 م .

ثالثا ـ <u>الموسوعات والمعاجم</u> :

1. ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد) : ت 562 هـ ، <u>لسان العرب</u> ، الطبعة الثالثة ، المجلد الثاني ، دار صادر ، بيروت . لبنان 1959 م ، وطبعة 1414 هـ/1994 م .

2. الباشا (حسن) : موسوعة العمارة والفنون الاسلامية ، المجلد الأول ، الطبعة الثانية، الأوراق الشرقية للطباعة والنشر 1460 هـ / 1999 م .

3. البستاني (بطرس) : دائرة المعارف الاسلامية " بجاية " ، المجلد الخامس ، دار المعرفة ، بيروت ، د . ت . ط .

4. البعلبكي (منير) : موسوعة المورد ، المجلد السابع ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثانية ، بيروت 1991 م .

5. حسّاني (مختار) : موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية ، الجزء الرابع ، مدن الغرب ، دار الحكمة ، الجزائر 2007 م .

6. **الحموي (ياقوت) : ت 323 هـ / 924 م** ، معجم البلدان ، الجزء الرابع ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت 1984 م .

7. رزق (عاصم محمد) : معجم مصطلحات الفنون الإسلامية ، الطبعة الأولى ، مكتبة مدبولي ، القاهرة 2000 م .

8. **الرازي (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر) :** مختار الصحاح ، دائرة المعاجم ، مكتبة لبنان 1989 م.

9. **الزبيري (محي الدين مرتضي)** : تاج العروس ، تحقيق : علي يسري ، دار الفكر ، بيروت 1994 م .

10. غالب (عبد الرحيم) : موسوعة العمارة الاسلامية ، الطبعة الأولى ، جروس برس ، بيروت ، 1408 هـ / 1988 م .

11. قاجة (أحمد جمعة) : موسوعة فن العمارة الاسلامية ، الطبعة الأولى ، دار الملتقى للطباعة والنشر ، بيروت . لبنان 2000 م .

12. مقلد الغنيمي (عبد الفتاح) : موسوعة المغرب العربي ، المجلد الثاني، الجزء الرابع ، مكتبة مدبولي القاهرة ، الطبعة الأولى 1994 م

13. وزيري (يحي) : موسوعة عناصر العمارة الإسلامية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة 1999 . 2000 م .

رابعا ـ المقالات والتقارير:

1. بن بلة(علي) ومقراني (محمد عزيز) : "دراسات تصنيفية للبلاطات الخزفية المعروضة بمتحف الوطني للآثار" ، حوليات المتحف لوطني للآثار ، العدد الرابع 1990 م .

2. بونابي (الطاهر) : "الدولة المركزية بقلعة بني حماد ، التأسيسي والتداعيات" ، مجلة الآداب والعلوم الانسانية ، العدد السابع ، كلية الآداب والعلوم الانسانية جامعة الأمير عبد القادر للعلم الاسلامية ، قسنطينة نوفمبر 2006 م .

3. شنيتي (محمد البشير) : روسيكاد (سكيكدة) ، "مجلة الآثار"، معهد الآثار جامعة الجزائر ، العدد 06 ، 2007 م .

4. مؤنس (حسن) : " المساجد " ، عالم المعرفة ، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت 1401 هـ/1981 م .

ــ "معالم تاريخ المغرب والأندلس " ، مكتبة الأسرة ، طبعة جديدة 1992 م .

5. مارسي (جورج) : " مدن الفن الشهيرة " ، ترجمة سعيد دحماني ، دار النشر التل 2004 م .

6. محمود (عبد الباسط محمد) : النافورات والفساقي في منشآت القاهرة المملوكية . مدلولها الحضاري والتقني ، المجلة المصرية للآثار الاسلامية " مشكاة "، المجلد الثاني ، مطابع المجلس الأعلى للآثار 2007 م

7. محمد عزب (خالد مصطفى) : " تخطيط وعمارة المدن الاسلامية" ، كتاب الأمة العدد 58 . 1997 م .

8. الديوهجي (سعيد) : " الزخارف الرخامية في الموصل " ، مجلة سومر ، المجلد 20 ، الجزء الأول والثاني ، 1964 م .

9. " الفن المعماري الجزائري " : سلسلة فن وثقافة ، وزارة الأخبار ، الجزائر جوان 1970 م .

10. المقدسي (جورج) : " مؤسسات العلم الاسلامية ببغداد " ، الجزء الثالث ، الأبحاث التي تصدر عن الجامعة الأمريكية ، بيروت 1961 م .

خامسا : الرسائل الجامعية :

1 . **أحمد (ايمان محمد طه)** : دراسة في ترميم وصيانة الرخام المذهب بأسلوب الحفر والتنزيل في بعض المباني الأثرية الإسلامية تطبيقا على نماذج مختارة . رسالة ماجستير ، كلية الآثار . جامعة القاهرة . 2013 م .

2 . **بن خرباش (عبد النور)** : نظام ومنشآت الري في قلعة بني حماد ، دراسة أثرية ، رسالة ماجستير ، إشراف : د. عزوق عبد الكريم و د. حملاوي علي ، جامعة الجزائر . معهد الآثار . 2008 .2009 م .

3 - **بن عميرة (محمد)** : الموارد المائية وطرق استغلالها ببلاد المغرب ، من الفتح الاسلامي إلى سقوط دولة الموحدين ، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في تاريخ المغرب الاسلامي ، تحت إشراف أ. د: موسى لقبال ، جامعة الجزائر، 2004. 2005م.

4 . **حسانين (إبراهيم وجدي إبراهيم)** : أشغال الرخام في العمارة الدينية في مدينة القاهرة في عهد محمد علي وخلفائه ، رسالة ماجستير في الآثار الاسلامية ، جامعة القاهرة ، كلية الآثار 2007 م .

5 . **رحيم (فتيحة)** : النافورة بالعمائر الدينية والمدنية بالجزائر خلال العهد العثماني ، دراسة أثرية فنية . مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الاسلامية . إشراف أ.د : خيرة بن بلة ، جامعة الجزائر 02 ، 2010 . 2011 م .

6 . **عطار (محمد)** : مشروع ترميم المنشآت المائية الأثرية بمدينة تلمسان ، إشراف : د. سيدي محمد نقادي ، ماجستير في الآثار تخصص صيانة وترميم ، قسم الآثر ، جامعة أبو بكر بلقايد ، 2015 . 2016 م .

7 . **عناق (جمال)** : موارد المياه وتطبيقاتها في منطقتي الزاب ووادي ريغ من خلال كتاب القسمة وأصول الأرضين للفرسطائي . القرن الخامس الهجري الحادي عشر

الميلادي . دراسة تاريخية أثرية . إشراف أ. د : صالح بن قربة ، جامعة الجزائر 02 ، 2015 . 2016 م .

8 . **مرابط (ليلى)** : الكتابات الشاهدية الزيانية (10.8 هـ/16.14 م) ، مجموعة متحف تلمسان دراسة أثرية تحليلية ، رسالة ماجستير في الآثار الاسلامية ، جامعة الجزائر ، معهد الآثار 2002 م .

سادسا ـ المراجع باللغة الأجنبية :

1. Abdul wahab (H.H) : Les Steppes Tunisiennes (Région de gamouda) pendant le Moyen Age , Les Cahiers de Tunisie , 1ire Trimestre , N° 05 , 1954.
2. Arseven (C.E) : Les Arts Décoratifs Turcs, Istanbul , S.D
3. Bargés (L'abbé J . L) : Tlemcen ancienne capitale de royaume de ce nom, sa topo graphie , son histoire Ernest la roux , Paris 1859

   _Complément à l'histoire des Béni zeiyan rois Tlemcen la roux, Paris 1887.

   _Tlemcen, ancienne capitale du royaume de ce nom , Paris 1859 .
4. Bel (Alferd) : l'islam mystique , Revue Africane , Tom 69 1928.

   _Tlemcen et ses Environs, Toulouse 1915
5. Birebent (J) : Aquae Romanie ; Recherche sur l'hydraulique Romaine dans l'est Algérien, service des antiquités del'Algerie.1962.

6. Blanchet (P) : Description des monuments de la kalaa des Beni Hammad C.M des Maadid nouvelles archives des missions scientifiques T.XVIII , 1904 – 1905 .

_Note sur la kalaa des Beni Hammad , CR de l'acad , des Inc . et des belles lettres , T XXV 1897 , P 467 .

7. Bourouib (R) : Apports de L'Algérie à L'Architecture Religieuse Arabo –Islamique office de Publications Universitaires , Enterprise Nationale du livre – Alger 1986 .

_ L'art religieux musulman en Algérie S.N.E.D , Alger 1981.

_ Les Hammadites , ENAL ; Alger , 1984 ,

_ Rapport préliminaire sur la compagne de fouille de septembre , 1964 à la kalaà des Bani –Hammad , in B.A.A , T1 , 1962 – 1965 Paris 1967 .

_ Notes sur une vasque de pierre trouvée au palais de Manar, Bulletin d'archéologie Algérienne , R.V.P

8. Burckardt (T) : L'art de L'Islam (Langage et signification) , tarby Quercy , France 1985 .

9. Brosslard (CH) : Mémoire Epigraphique et Historique Sur Les Tombeaux Des Emirs Beni Zeiyan et de Boabdil , dernier roi de Grenade , découverts à Tlemcen , T 7 .

10. DE BEYLIE (L) : La Kalaa des Béni Hammade , une capitale Berbère de L'Afrique du Nord au XI^{e} siècle , Ernest Laroux éditeur , Pais 1909 .

11. Solignac (M) : Recherche sur l'installations hydraulique ….. T XI .

12. Diez (E) :L'art de l'islam , Petite bibliothèque , Paris , S.d.

13. Dussert (D) et Bettier (G) : Les mines et les carrières, Paris 1932 .

14. Dhina (A) : Le Royaume Abd Elwalide é l'époque d'Abdou Hammou Moussa 1 er d'Abou Tachfine , Alger 1985.

15. Duthoit (E) : Rapport sur une mission scientifique en Algérie, (Archive des missions scientifiques 1873 , 3 éme série) , T 1.

16. Hillenbrand (R) : Madrasa , encyclopédie de L'islam T.V , Paris , GP Maisonneuve , 1986

17. IDRISS (H.R) : La Béribérie Orientale sous les Zirides ; T1 ; Paris 1962

18. Koumas(A) et Nafa (Ch) : L'Algérie et son patrimoine , éditions du patrimoine , Paris 2003 .

19. Korbendau (Y) : M'Architecture Sacrée de L'Islam, Acr , Ed , Internationale , France , 1997.

20. Lambert (E) : L'art musulman d'occident des origines à la fin du XV siècle , Paris 1966 .

21. Lambertie (R.M) : M'industrie de la pierre et du marbre ; Que Sais je P.U.F ; Paris 1962

22. Marçais (G) : Remarque sur les Medersas funéraires en Berbérine , mélanges Gaudry de mombins , institut Français , Le Caire 1973 .

- La Madrasa médiévale, Edison 1995 .
- Les villes D'Art célèbres : Tlemcen , Librairie , Renouard ,H. Laurens , Paris 1950.
- La berbérine musulmane et l'orient du moyen âge , Paris 1946

- Manuel d'art Musulman (Architecture : Tunisie – Algérie – Maroc – Sicile – Espagne) , édition Auguste picard , Paris 1926.

23. Marçais (W) : Musée de Tlemcen, édition Ernest Leroux, Paris 1906.

24. Marçais (G) et (W) : Les Monuments arabes de Tlemcen , Paris 1905 .

25. Marbres Onyx translucides de carrières de Lisser , Près de Tlemcen , Mémoire Deva La Cour Impériale D'Alger , Imprimerie et Lithographie Ad Parier , Oran 1865 .

26. Gsel (S) : Histoire ancienne de L'Afrique du nord , Pais , Hachette , T IV , P 104 .

27. Golvin (L) : Recherche Archéologique à la qua l'A de BENIHAMMAD G.P Maisonneuve et l'arrose Paris .1965 .

28. Orientale sous les Zirides ; T 1 ; Paris 1962

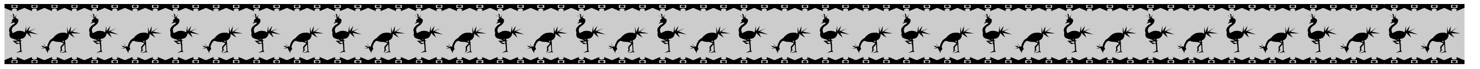
29. Pisse (L) : et Banal (J) : Tlemcen extrait de la revue l'Afrique Française ; Paris 1889 .

30. Revault (J) : L'habitation Tunisoise pierre et fer dans la construction et le décor , C.N.R.S ; Paris 1978 .

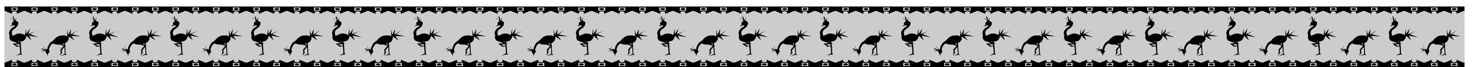
31. Robert (A) : La Kalaa et Tihammadine, un recueil des notices et mémoires de la société archéologiques de Constantine, 1903 .

32. Solignac (Marcel) : Recherches Sur les Installations hydrauliques de Kairouan, et des steppes tunisiennes du VII au XI siècles (J. C), Alger 1953 .

33. Ville (L) : Notice sur les gites minéraux et les matériaux de construction de L'Algérie, Paris 1869 .



الفهارس



- فهرس الآيات القرآنية :

- فهرس الأعلام :

- فهرس القبائل :

- فهرس البلدان :

- فهرس البطاقات التقنية :

- فهرس الخرائط :

- فهرس المخططات :

- فهرس الأشكال :

- فهرس الصور:

- فهرس اللوحات :

- فهرس الموضوعات :

Résumé:

Avec la propagation de l'islam et l'expansion du domaine de l'empire musulman, et en fonction des besoins sécuritaires et de vie des musulmans, émergea l'urbanisme islamique, en particulier le choix de l'emplacement approprié pour l'édification d'une cité dont l'eau. Ibn Khaldoun écrit a cet effet «…parmi les besoins nécessaires pour le bienêtre au pays, l'eau est primordiale, la cité doit être bâtit sur un fleuve ou ses alentours sont riche en sources d'eau potable, la présence de l'eau près de la cité facilite l'alimentation des habitants en eau, leurs présence une importance certaine… ". Ainsi il n'est pas étrange que la civilisation islamique ait connu un immense progrès de l'hydraulique, non moins importante que celle qu'a connu les anciennes civilisations tel que la civilisation romaine, pour répondre aux différentes utilisations, aussi variés que les boissons et les installations tel que les caravansérails, les salles d'ablutions dans les mosquées, dans les hammams comme lieux d'hygiène, carneaux et bassins pour l'irrigation des agricultures, ainsi que les fontaines pour agrément et pour rafraichir l'air

Dès l'époque grecque puis romaine, les fontaines se sont répandu tout particulièrement en Italie, et de là elles se sont répandu dans l'architecture musulmane, comme moyen d'embellissement agrément et pour rafraichir l'air ambiant durant les périodes de grandes chaleur et de sècheresse. Et le bâtiment n'est achevé que s'il répond aux besoins de son édification, l'esthétique du bâtiment assure l'équilibre psychologique et la quiétude à ses occupants. En plus des décors architecturaux, les bâtiments furent de fontaines et bassins d'eaux. Le Maghreb central est riche en patrimoine architectural et artistique, et l'artiste maghrébin fut un maitre dans l'édification et la décoration de ces ouvrages afin qu'ils répondent aux besoins pour leurs constructions.

Vu les nombreux royaumes et états qui se sont succédés au Maghreb islamique, on a du limité l'espace géographique de notre étude, et on s'est contenté des fontaines et les vasque d'eau comme des éléments architecturaux au Maghreb central durant l'ère de quatre royaumes : le royaume Hammadite (1018-1152/408-547) l'empire Almoravide (1056-1147/ 448-541), et les royaumes Ziyannide (1235-1554/633-962) et Marrinide (1267-1464/688-869), que nous considérons parmi les plus importantes périodes de l'histoire du Maghreb central, dont les réalisations sont les témoins du développement de l'architecture et des arts dans cette région d'une part, et dans le monde musulman d'autre part.